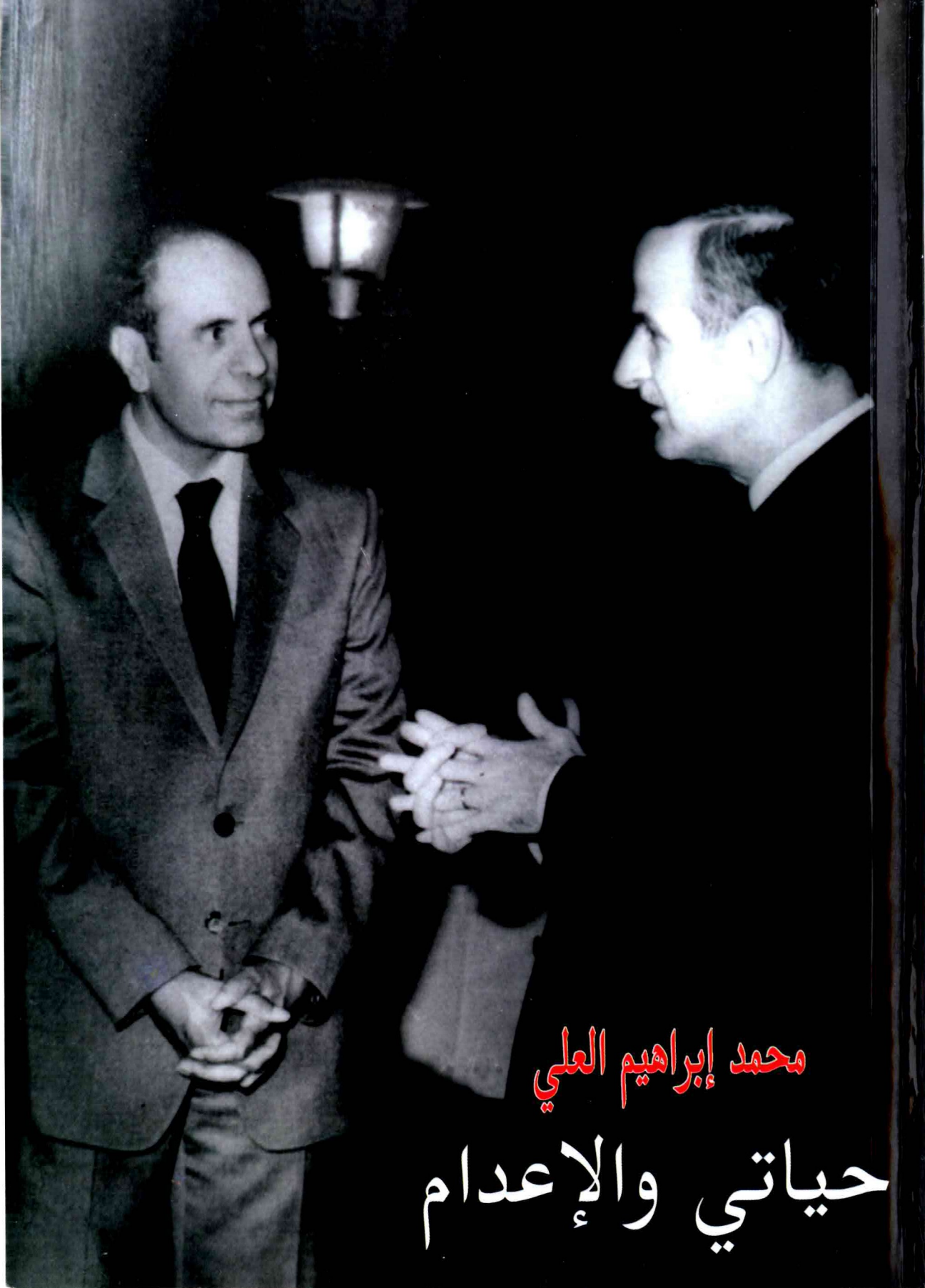




محمد إبراهيم العلي

حياتي والإعدام

حياتي والإعجاز

الجزء الثالث

محمد إبراهيم العلي

حياتي والأعصاب

الجزء الثالث

2004

- حياتي والإعدام
- الجزء الثالث
- محمد إبراهيم العلي
- الطبعة الأولى . دمشق . 2004
- رقم موافقة الطباعة: /77282/
- تاريخ: 2004/5/11م
- حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
- تصميم الغلاف: د. علي سليمان
- تنضيد وإخراج: إيمان العاصي
- البريد الإلكتروني: mo-ali@mail.sy

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾

﴿عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْبَرُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ *

عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾

صدق الله العظيم

المرسوم رقم ١٥٧

ان رئيس الجمهورية

بناءً على احكام الدستور

وعلى الحكم الصادر عن محكمة امن الدولة العليا المؤرخ في ٢١ شعبان ١٣٨٢ و ١٢ كانون الثاني ١٩٦٣ رقم ١ لسنة ١٩٦٣ القاضي باعدام الملازم اول محمد بن ابراهيم العلي والعسكري المتطوع محمد بن مصطفى يوسف .

وبعد استطلاع رأي مجلس الدفاع العسكري ورأي القضاة المكلفين بتدقيق احكام محاكم امن الدولة وفقاً للمادة ١٦ من القانون ١٦٢ لسنة ١٩٥٨ ورأي قضاة الدائرة القانونية في رئاسة الجمهورية .

بناءً على اقتراح وزير الدفاع

يرسم ما يلي :

المادة ١ - ينفذ حكم الاعدام الصادر عن محكمة امن الدولة العليا بتاريخ ٢١ شعبان ١٣٨٢ و ١٢ كانون الثاني ١٩٦٣ رقم ١ لسنة ١٩٦٣ بالملازم اول محمد بن ابراهيم العلي والعسكري المتطوع محمد بن مصطفى يوسف .

المادة ٢ - ينشر هذا المرسوم ويبلغ من يلزم

دمشق في ٩ / ٩ / ١٣٨٢ و ٢٩ / ١ / ١٩٦٣

رئيس الجمهورية

مدر عن رئيس الجمهورية

رئيس مجلس الوزراء

وزير الدفاع

بسم الله الرحمن الرحيم

* فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون *

سورة النمل العظمى



الملازم الأول محمد إبراهيم العلي

الإهداء

إلى الشهداء

سيرتي الذاتية

- 1 -

ها أنذا، أعود إلى كتابة الجزء الثالث من سيرتي الذاتية التي تتشابه فيها الروح الاجتماعية بالروحية الوطنية والقومية، بل أكاد أقول إنني واحد من أبناء الوطن الذين طووا جميع الحيوات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسة، والثقافية من أجل موضوعة النضال، ذلك لأنني، وحين التفت إلى الوراء، أرى أن حياتي الاجتماعية (الأسرة، علاقاتي مع أصدقائي وأقربائي، وزياراتي، وعواطفني، واتجاهاتي،.. الخ) كلها كانت خاضعة للمعايرة الوطنية، حيث كانت الأهداف الوطنية تتقدم جميع الأهداف الاجتماعية، ولعلي أجد الآن أن مجموعة من الأسباب كانت هي المحرض الأساسي الذي يدفعنا نحن جيل الاستقلال كي نقدم الأهداف الوطنية على بقية الأهداف الأخرى.

كنا في بلد وليد خرج لتوه من نير الاحتلال، ومن مخلفات ومفرزات الحرب العالمية الثانية، وما آلت إليه المتغيرات الدولية من نتائج انعكست على العالم بوجه عام وعلى منطقتنا العربية بشكل خاص وهذا ما نبحث عنه. فدخلنا في نفق المؤامرات الغربية فكان الخطر الأول من نتائج التآمر على المنطقة هو ابتلاع فلسطين بالكامل بوضع نواة سرطانية زرعت في فلسطين ومن ثم بدأت الخلايا السرطانية تمتد وتتوسع في جسم الوطن العربي، وهذه هي الآن آثار المرض تظهر في بدن الأمة كافة.

فمنذ يوم الاستقلال، من يوم الجلاء تماماً نرى على الرغم من الفرح الكبير بهذا العيد الجليل، وزوال المستعمر الفرنسي عن أرض الوطن، أن حرية الوطن كانت مكبلة باتفاقيات تأسر الوطن. ونزاعات داخلية مبرمجة من خارج الوطن، وبعدها جاءت مباشرة سلسلة من الانقلابات التي هزت الوطن والمواطن معاً فقاب الأمن والاستقرار، ثم كان الانفصال الذي لا يقل خطورة في آثاره المدمرة عن الاستعمار..

وإنني في هذه العجالة وأنا أستعرض الأحداث المؤلمة منذ خمسين عاماً وحتى الآن لا أنكر أبداً أننا نحن الذين قمنا بالثورة وكنا نعمل على بناء الوطن من خلال ما قرأنا وتعلمنا أعترف أننا كنا أصحاب خبرة قليلة وتجربة بسيطة، نقرأ الواقع بردات الأفعال.. وإنني أتساءل ألم يقدم لنا الزعيم حسني الزعيم في بدايات الخمسينيات على أنه وطني ومخلص وبعد فترة قصيرة جداً قيل لنا إنه عكس ذلك تماماً؟!

وكذلك الأمر كان مع الحناوي والشيشكلي وأسماء أخرى، كل هذا جعلنا نعيش في حالة قلق ومخاض شديدين، من هنا أقول: كان تخوفنا على الوطن كبيراً بل كبيراً جداً لذلك تقدم الهدف الوطني عن جميع

الأهداف الأخرى.

القيم الوطنية تتقدم جميع القيم الاجتماعية الأخرى، لا بل إن قناعاتي بتلك القيم الاجتماعية لا تأتي إلا من باب فحصها وفق معيارية القيم الوطنية.

- 2 -

وهنا لا أنكر أن بيتي، وأنا بكر والدي، كان الحاضنة الأولى لتوجهاتي الوطنية، فقد ربّاني والدي على قيم اجتماعية، ووطنية، ومعتقدات.. غايتها الأولى أن أكون رجلاً؛ الشهامة ذراعه الأولى، والصدق ذراعه الثانية. أما والدتي فقد كانت مدرسة الحياة التي علمتني أن أكون متعالياً على مظاهر الفقر وعذابات بمواجهتها، وأن أكون صلباً بالمعنى الروحي، وأن الغايات والأهداف مهما كانت بعيدة يقرّبها العمل والاجتهاد. والدتي هي التي دلت كل الصعوبات لكي أقرأ، فأصير أحد القرائين في قريتي، وهي التي حلّت مرار الغربة في القرى حين كنت ألجأ إليها للدراسة، وهي التي أنستني بدعائها ورضائها وصورتها في الدروب الموحشة التي مشيتها ليلاً ونهاراً بين الجبال والأودية كي أقطع المسافة ما بين البيت والمدرسة.. تلك المسافة الموحشة والصعبة هي التي جبلت رجولتي، وهي التي صلبت مواقفي، وهي التي علمتني حكمة الدروب التي خلقت واشتقت من أجل أن تُوصل إلى الأهداف والغايات! والدتي هي التي وعّتني على أن جمال الرجولة لا يبدو أو يبين من دون العلم والثقافة ولذلك صبرت على غيابي، وأنا وحيدها، سنة بعد سنة، ورضيت ببكائها الليلي وحيدة وهي تتذكرني، وحبست دموعها وهي تتلقاني بين ذراعيها في الأعياد أو مواسم الحصاد. أبداً، لم تكن أسئلتها تدور حول أكلي ولباسي

وبومي وعرفني مع الناس الدين أعيش عندهم، وإنما كانت تدور حول دراستي وتعلمي ونجاحي. أمي كانت الكتاب الذي قرأت فيه أن الحياة تعايش مرة واحدة، وأن لا حياة فيها إلا للناجحين!

ومما يؤثر في نفسي دائماً، ويجعلني أبوح به أيضاً، هو أن زوجتي عاشت مع والدي في مدينة حماة في أثناء سجن، ولم تذهب إلى أهلها على الرغم من أنني حكمت بالإعدام، وكأن هذا الحكم لم يهز قناعاتها بي، فظلت قوية متماسكة مع والدي.

وبعد ثورة 8 آذار 1963، عكفت زوجتي على تربية الأولاد، وقد كان اهتمامها بالبيت كبيراً، الأمر الذي جعلني أتفرغ لمهامي الوطنية، وأشير هنا إلى أنني لم أسمعها تسألني في يوم من الأيام: أين كنت، وإلى أين ذهبت، وماذا عملت؟ فقد كانت صابرة على غيابي؛ أقول هذا لقناعاتي بأن الزوجة الصالحة هي صمّام الأمان في الأسرة والمجتمع.

- 3 -

ما كنت، حقيقةً، أودّ مواصلة كتابتي لهذه المذكرات، في جزئها الثالث، على الرغم من الأصدقاء الطيبة التي تلقيتها من أصدقائي، وقرائ، ورفاقي القريبين مني والبعيدون في آنٍ معاً، ومن عامة الناس الذين سمعوا أو قرؤوا طرفاً من هذه المذكرات.

كنت متعباً مواصلة الكتابة في المذكرات.. لأنني مدرك أن اجتياز أحداثها، ومراحلها، وأعلامها.. أمر أشبه بالمغامرة، ذلك لأنني، ومنذ اللحظة الأولى، أحسستُ بأنني في حاجة إلى أعصاب قوية، وإرادة فولاذية، وقناعة صلبة من أجل كتابة الأحداث ومراجعتها، أقول هذا

لشعوري بأن الهزائم كانت كثيرة، وحالات فقد الرفاق كانت مدمرة، والكمائن والأشراك المنصوبة لنا.. كثورة، ومجتمع، وعقيدة.. كانت متوالدة كالفطر.. كمائن وأشراك داخلية وخارجية، لا بل إن تجربتنا القليلة في شؤون الدولة، وإدارة الأحزاب، والمجتمع، وتجسيد العلاقات الخارجية مع المحيطين العربي والدولي..

- 4 -

لقد أقبلت على كتابة هذا الجزء الثالث من مذكراتي، وأنا أعني بأن العديد من رفاقنا ذاقوا حلاوة أنفسهم وهم في مواقع السلطة (قديماً وحديثاً)، فاتسعت دائرة الأنا، فصارت الأنانية هي الفضاء الذي يعيشون فيه.. صار قولهم هو القول الفصل، وصار سلوكهم، وإن كان شائهاً أو رخيصاً أو غير لائق، هو السلوك النموذجي، وغدت أمكنتهم، كما توهموا، هي الأمكنة الدافئة التي لا يطولها برد اجتماعي، أو برد سياسي، أو برد أخلاقي، لا بل إن بعض الرفاق، ومن مواقع نفوذهم، راحوا يدبرون المطبات العميقة والمدمرة لرفاقهم الآخرين.. الذين إن وقعوا فيها لا يخرجون منها إلا جثثاً، ومطبات أخرى للوطن كادت تشل حياته، وتعوّق مسيرته الوطنية. وأنا هنا لا أماشي زمن المذكرات فقط، وإنما أعني الزمن الذي تلا زمن هذه المذكرات، حيث إن أصحاب المصالح الشخصية استمروا في توظيف مصالح الوطن لصالح مصالحهم الخاصة.. وكأن نواميس الكون انقلبت فصار الكلّ (الوطن) في خدمة الجزء (الأفراد).

أقبلت على كتابة الجزء الثالث من المذكرات، وأنا أعلم حجم الخراب الذي فتت وحدة الصف، والمعتقد، ومفهوم العقائدية.. وذلك عندما راحت الاصطفافات السرية في التيار الواحد يقابلها اصطفافات أخرى، وهي

سرية أيضاً، من أجل سحق بعضها بعضاً دونما رحمة أو هوادة. ولم أغفل، وأنا الذي عشت الأحداث ومجرياتهما لحظةً بلحظة، عن تنبيه وتحذير رفاقنا من أن الاتهامات الرخيصة بالموالاة للدول، والأحزاب، والجهات، والتيارات الخارجية (العربية وغير العربية) ستكون هي الصاعق الذي سيفجر بنية الحياة الرفاقية داخل الحزب والثورة. وأن ما من سبيل لنا لكي نظل على اجتماعنا الواحد إلا الوضوح، والمكاشفة، والنقد، والنقد الذاتي.. وأن تدابير الليل، وصنع المصائد.. أعمال غير أخلاقية، وغير وطنية أيضاً.

- 5 -

أعترف بأنني تذكرت كلمات ونستون تشرشل التي كتبها في مذكراته الكبيرة الواسعة، وهو في خريف العمر، حين قال إنني أكتب هذه الأسطر، وأنا أبكي.. ذلك لأنني كنت أشعر وأنا أحبر هذه الصفحات بأن قلبي يغصّ بالدمع وأنا الذي عايشته مصائر رفاق لي لم يكن لهم من همٍّ سوى رفعة الوطن وعزّته.. ولم يحصلوا على شيء من هذه الحياة الفانية، لا بل لحق بهم الأذى التاريخي والأذى الاجتماعي، كما عايشته مصائر رفاق آخرين صارت لهم الخطوة في المجتمع وهم الذين لم يفكروا إلا بسعادتهم الشخصية، هؤلاء الذين حسبوا الوطن نهراً لا بدّ له من أن ينبع ويصب في مصالحيهم هم وحدهم.

- 6 -

ها أنذا، أقف واضحاً جداً، وأنا أكتب عن أحداث، ووقائع، وأعلام، واتجاهات، وتيارات، وحالات عشتها بالمشاركة، والفعل، والرأي.. وكلّها مجموعة تشكل الجزء الأهم والأوفى من تاريخ سورية. لم أكتبها إلا ويدي

على قلبي مخافة أن أظلم أحداً حياً كان أم ميتاً، وقد قلبتها ببصري وبصيرتي مرات ومرات، واستفتيت فيها ذاكرتي وهوامشي التي كنت أسجلها أيامذاك، وذواكر الآخرين، ثم استفتيت فيها الوثائق والقرائن.. كي لا أتجاسر على اقتراف أبسط الأخطاء وأصغرها. وقد حاولت أن أنصف رفاقي الذين اختلفت معهم فلم أبدِ نفوري أو عبوسي، كتابةً، تجاههم، لا بل أصارح القارئ الكريم بأنني حجت عنه الكثير من الأسرار الشخصية التي تخصهم (الاجتماعية منها والأخلاقية والسياسية) والتي لو ذكرتها لكانت أكبر شاهد يدعم رأيي وموقفي بالحجة والقرينة. إلا أنني لم أشأ ذلك. وأعترف بأنني خالفتُ مشاعري وعواطفني في أمكنة عديدة من هذه المذكرات.. فلم أمتدح رفاقاً لي لهم الأحقية في المدح والثناء لأنهم نذروا أنفسهم للوطن والعقيدة، لا بل إنهم أوقفوا حياتهم وقفاً لصالح الوطن والأمة، كي لا أقع في مطب المسايرة الإيجابية مع أنها كبيرة الفائدة في أوقات مثل أوقاتنا، لكن السياسة - للأسف - شوّهت الكثير من العلاقات الرفاقية وأفسدتها.

- 7 -

وقد نهجت في هذه المذكرات نهجاً فحواه ألا أعيد ما قيل في الحادثة أو ما ردّدته وسائل الإعلام آنذاك، وألا تكون كتابتي نسباً لكتابات آخرين في هذا المجال. ما أردته هو أن أكتب ما عشت، وما عرفت، وما رأيت، وما سمعت، وما قمتُ به، وقد قلبته في ذاكرتي وباصرتي طويلاً، ولم أحبره إلا عندما وجدته أهلاً للظهور والحضور، وأن فيه معنى ودرساً وتجربة وخلاصة حياة لا أدري الآن كيف مرت سريعاً، ثم كيف اتسعت لكل هذه الأحداث، والمضامين، والوثائق.

إنني أستلّ من المعاني الشريفة التي قال بها الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، نهجاً لكتابتي من معنى قولته الشريفة، الكلام لا يصير كلاماً إن خالطته الوسوسة. لهذا أقول مطمئناً بأنني لم أكتب سوى نفسي التي عرفت الآخرين، والوطن، والمعاني.. وأنا الذي أعرف بأنني أكتب المستبطن والمتواري للذين يعنيان الناس الباحثين عن الحقيقة، والعدل، والصدق.. وهذا حسبي عند الله أولاً، ومن ثم عند الناس.. ثانياً.



الفصل

الأول

عالم الجاسوسية

الجاسوس في زنزانتي...!!

من المفارقات التي لا تغيب عن ذهني، واحدة أعدها ذات تأثير خاص في نفسي، وهي أنني وحين كنت حبيس الزنزانة رقم (7) في سجن المزة العسكري^(*) منتظراً حكم الإعدام، قُتِح باب الزنزانة ليلاً، ودفع بأحد الأشخاص إلى داخلها. طبعاً كانت الزنزانة ضيقة جداً، فهي زنزانة فردية، أي أنها لا تتسع لشخصين، وفي داخل هذه الزنزانة بيت الخلاء وهو من دون باب، ومن دون ستارة أيضاً، لذلك كان أول ما خطر ببالي إذا ما بقي هذا الإنسان في الزنزانة معي، هو كيف لهذا الشخص أن يستخدم بيت الخلاء وأنا في مقابله أرى وأسمع، أو كيف لي أن أستخدم بيت الخلاء وهو في مقابلي يرى ويسمع. الحق أحسستُ بأنني رحت أفقد حتى حريتي داخل الزنزانة منذ لحظة دخول هذا الشخص إليها، التي هي مفقودة أصلاً منذ أن أُودعت فيها. ولكن، وقبل أن أغرق في التخمينات والهواجس، رأيت أنه لابد لي من أن أعرف

^(*) تقع الزنزانة في حوالى مترين (طولاً)، ومتر (عرضاً)، وهي مفتوحة إلى الأعلى بشكل مخروطي وكانها بئر مقلوبة، هذا الاتساع في العلو يملأ نفس السجين رعباً وكأنه في عالم مكان آخر إذ يشعر بأن حياته تُعاش (بالمقلوب). وهي مكان يحتوي على فتحة صغيرة لطرح الفضلات، بحيث يظل (هذا المكان) مملوءاً بالروائح النتنة. لذلك يسمي السجناء خروجهم لمرة واحدة في النهار تنفساً، وكان ما كانوا يقومون به داخل الزنازين ليس تنفساً. وقد كنتُ طوال وقتٍ مديد لا أخرج من هذه الزنزانة للظفر بقرص التنفيس التي يظفر بها الآخرون.

هوية هذا الشخص الذي راح يقاسمني فضاء الزنزانة.

في البداية ما أردت أن أتحدث إليه، ولم تكن لدي رغبة لسؤاله لماذا جيء به إلى هنا، ولكن هل يستطيع سجين محروم من متعة الكلام أن يستمر ساكناً وقد قذف إليه بشخص يستطيع أن يحاوره، فيقطعّ معه الوقت المديد المرهق الذي يعيشه يومياً.

كان لدي تخمين هو أن هذا الشخص محكوم بالإعدام وإلا لما قذفوه إلى زنزانتني بهذه الطريقة. وقد عرفت، بعد أن تحدث إليّ، وتحدثتُ إليه أنه جاسوس. وقد حُكم عليه بالإعدام، ولأنه حكم بالإعدام رموه في زنزانتني لأنني سأحكم بالإعدام أيضاً. لحظتُ شعرتُ بالألم يعتصر قلبي.. فأنا الذي وضع دمه على كفه من أجل إعادة الوحدة، أحكم بالإعدام وأوضع في زنزانة بانتظار تنفيذ الحكم، ثم يأتي جاسوس فيرمى في الزنزانة معي. كان تقبل الأمر صعباً جداً، ولكن ما العمل؟! أي ما الذي أستطيع أن أفعله وأنا أتناقصم الهواء، والطعام، والحديث، مع هذا الجاسوس؟! لم يكن أمامي من خيار سوى أن أحتج لكن احتجاجي لم يلتفت إليه، ولذلك دفعني الفضول وظروف الزنزانة.. إلى أن أسمع قصة هذا الجاسوس الذي قاسمني الزنزانة حوالي 30 يوماً.

لذلك، أسرد هنا قصته وقصة الشبكة الجاسوسية التي تعاون معها وزيارات أفرادها إلى إسرائيل من أجل تدريبهم على أساليب الجاسوسية، وقد وثّقت هذه القصة بالوثائق التي حصلتُ عليها من أجل وضعها بين يدي القارئ. اسم هذا الشخص هو حنا المسعد، ولكن قبل أن أفصل الحديث عن دوره في هذه الشبكة الجاسوسية لابدّ من الوقوف على تفاصيل أولية تخص الشخص الأول في هذه الشبكة الجاسوسية واسمه القس جميل القرع، وسوف نكشف في الصفحات التالية عن إحدى حلقات الصهاينة في سلسلة جرائمهم ضد البشرية منذ أزمان بعيدة، والذين مازالوا يضيفون إليها حلقة إثر حلقة. وهذه الحلقة إذ توضح وتكشف عن مطامع الصهيونية في سورية، من جهة،

فإنها تبين لنا خستها ومكرها ودناءتها من جهة أخرى، وشراءهم ضمائر مواطنين باعوا أنفسهم للشيطان، وأغروا - بمفاتن الحياة - للانزلاق في الوحل، والسير بركاب هذا الأخطبوط، تحت ستار الدين، حيث استمدت هذه الشبكة الجاسوسية من العقيدة المسيحية السمحاء طريقاً للخداع، سابغة على نفسها اسم (جمعية الأخوة في المسيح) التي انبعثت عن المذهب البروتستانتي، فأخذت تدعو لقيام (إسرائيل) من النيل إلى الفرات، وقد لحقتها جمعيات أخرى باسم الدين المسيحي، منها (شهود يهوه، والسبتيون)، وما هم إلا مذاهب أدخلها اليهود في صلب الدين المسيحي للدعوة إلى أغراضهم الدنيئة عن هذه الطريق وكأن أفراد هذه الشبكة لم يعرفوا أن: «من عمل صالحاً فلنفسه، ومن أساء فعليها، وما ربك بظلام للعبيد». وكان علينا أن نسمي رئيس هذه الحلقة بحق «إبليس في ثياب القسيس.. وثعبان في مسوح الرهبان»! وسوف أقدم في نهاية الحديث وجهة نظري حول هذه الشبكة الجاسوسية.

القس جميل الفرد.. وبدايات النورط!

لقد هجر جميل القرح لبنان إلى فلسطين طلباً للرزق وهو في ريعان الشباب واستقر في حيفا، في مستشفى الدكتور ميشيل جباره منذ عام 1936 وحتى 1938 حيث غادرها إلى القدس، وصمم أن يدرس اللاهوت، وكان له ما أراد، فانتسب إلى هذا المعهد في شهر تشرين الأول 1938 ودرس اللاهوت البروتستانتي، وتخرج (قساً) في شهر حزيران عام 1940 وحمل لواء التبشير للكنيسة الإنجيلية في درعا وخربا وغصم والسويداء، وأحب أن أشير أنه في تلك الفترة كان المواطن يتحرك بين سورية ولبنان وفلسطين بسهولة رغم وجود بعض الحواجز، وقد كان القس جميل القرح المسؤول الديني والمالي عن كنائس هذه المدن.

وقد تزوج القس جميل القرح بتاريخ 1941/5/17 من زوجته فكتوريا

العقاد، فنقل إلى لبنان وعمل محاسباً للكنيسة الإنجيلية حتى أواخر عام 1945 إذ عاد إلى دمشق وتعاقد مع كنيسة الناصري الإنجيلية ليكون واعظاً دينياً لمدة سنة. وأبتدأ عمله في شهر تشرين الأول 1945 وتعرف، في هذه الأثناء، على شخص اسمه عقل أنطون إذ قام بمراسم زواجه في الكنيسة الإنجيلية.

وفي تلك الأثناء تعرف القس جميل القرخ أيضاً إلى شخص اسمه شفيق قندلفت كان يخدم في الكنيسة التي كان يرعاها القس جميل القرخ، أي كنيسة الناصري، وقد تربى هذا الشاب في الكنيسة باعتباره يتيماً، وتشاء الأقدار أن يذهب شفيق قندلفت إلى فلسطين لكي يعمل هناك، وقد تم ذلك في عام 1946، وقد زاره القس جميل القرخ في أثناء تفقده لبعض الكنائس في فلسطين. وحين حدثت نكبة فلسطين عام 1948، بقي شفيق قندلفت في فلسطين. أما القس جميل القرخ فقد استقر في بيروت وأخذ يتعاطى التجارة ليكسب قوته وطعام زوجته، فتوظف في محل لبيع ساعات [موفادو] في باب إدريس في بيروت.

وذاث يوم من شهر آب عام 1954 حضر إليه صديقه القديم شفيق قندلفت، فدهش القس جميل من وجود شفيق قندلفت في بيروت رغم الحواجز المنيعه، فرد عليه شفيق بأنه حضر إلى لبنان منذ أسبوع وأنه يحاول إحضار عائلته الموجودة في إسرائيل بواسطة الصليب الأحمر الدولي، ولعدم ملائمة المكان فقد طلب شفيق قندلفت من القس جميل القرخ أن يجتمع به في اليوم التالي. فوافق جميل على ذلك واجتمع به فعلاً، في الموعد المحدد، في مطعم [صفر] وتناولوا طعام الغداء معاً بدعوة من شفيق، وأثناء ذلك أفصح شفيق عن مهمته وعرض، بتحفظ، على القس جميل - وكأنه في معرض الاعتراف - بأنه عبر الحدود إلى لبنان من إسرائيل ليطوّع عدداً من العملاء للتجسس لصالح إسرائيل وأنه يحاول الحصول على الجنسية السورية، فلم يتجاوب جميل معه، ولم يوافق على فكرته هذه. فأراد شفيق أن يفزو جميل

في عقر داره فطلب منه السماح له بزيارته في داره كيما يهنئه بالمولود الذي رزق به فسمح جميل له دون أن يحدد الموعد.

وعاد شفيق بعد أسبوعين إلى دار جميل القرع في حي الأشرافية، وعرض عليه الفكرة من جديد، وأطلعه على مطامع إسرائيل التوسعية، واعتقادها بامتداد رقعتها من النيل إلى الفرات ونصحها بالموافقة على التعاون معه، ولا خوف من ذلك مادام الدين الذي به يدين قد علمه ذلك وليس له أن يكفر بعقيدته التي اعتنقها، ومذهب الأخوة في المسيح الذي يتمذهب به طالما قد ورد في التوراة بأن إسرائيل ستعود إلى أرض الميعاد... وأطرق القس جميل ملياً، فاستدركه شفيق وخفف من وطأة الحديث عليه وطلب منه أن يجد له بعض العملاء: مدنيين كانوا أم عسكريين دون أن يزج نفسه في الموضوع، وأنه سيصدق عليهم العطاء الوفير لقاء ما يكتبون إليه من تقارير فاستمهل جميل لتدارس الموضوع، غير أن لعبه قد سال تجاه رائحة الترف التي استشمها من على تلميذه القديم شفيق قندلفت!

ولم يجد جميل بداً من حل لهذا الصراع: فقر مدقع، ومال وفير، وخيانة للوطن. ولم يجد من يخرج من هذا المأزق سوى شريكة حياته، زوجته فكتوريا العقاد، فخلا إليها يشكوها فقره، ويبسط لها أمره، فأثرت ألا ينزل في الوحل ولكنه لم يفعل بما طلبت منه إذ أن النفس أمارة بالسوء، وأثر المال بالخيانة على الفقر بالأمانة، واضمر في نفسه أنه سيكون أول من سيتطوع في صفوف إسرائيل.. وليكن من بعده الطوفان..!

وخرج شفيق من منزل القس جميل، على أمل اللقاء به بعد حين، والتقى - بعد يومين - في ساحة الشهداء في بيروت وأبلغه موافقته على التعامل معه لصالح إسرائيل. وهكذا وضع جميل القرع الحلقة الأولى في هذه الشبكة لقاء أجر معدله مائتا ليرة لبنانية شهرياً.

وعاد القس جميل يبحث عن أشخاص يوليهم اهتمامه ويمنحهم ثقته، فلم

يكن له من طريق إلا أن يسير بنفس الطريق، فأخذ يبشر في الكنائس والبيوت بتعاليم الدين المسيحي ويدعو إلى الأخوة في المسيح ويبحث عن عملاء جدد، فعثر في الأيام الأولى من توليه هذه المهمة، على جميل الحداد في عام 1954 واستطاع أن يجذبه إليه وأن يدخله في صفوف الشبكة.

جميل آخر.. في الشبكة!

كاد السل يفتك بالرقيب جميل بن منور حداد، فسرّح من الجيش السوري، وقصد مصح [بحنس] في لبنان للاستشفاء، فتعارف هناك بالقس جميل القرّح حيث كان يحضر إلى هذا المصح ليصلي من أجل مرضاه (حتى يتحنن عليهم يسوع ويشفيهم) فتمت بين (الجميلين) صداقة دينية متينة (وما أسوأ هذه الصداقة لأن صداقة الأشرار تعب) وأخذ الرقيب المتقاعد جميل الحداد يسعى بكل طاقته لخدمة القس جميل القرّح، وصار يوزع الأناجيل وبييعها لحساب القس جميل لقاء عمولة قدرها 25% ولما آنس جميل القرّح منه خيراً طلب منه صورتين فقدّمهما له فألصق إحداهما على عقد عمل لصالح الكنيسة، وقد تضمّن: «أنا الموقع أدناه جميل الحداد، لقد قبلت العمل بكل ملء إرادتي بتوزيع الكتاب المقدس». فوقع جميل هذا العقد، ثم وقّع عقداً آخر بالانفصال، وأعطاه جميل القرّح عدداً من الأناجيل وقلم حبر وطلب منه نقلها إلى شخص اسمه يوسف لقطيني في جديدة عرطوز، في ريف دمشق. فذهب جميل الحداد إلى دمشق ومنها إلى قرية جديدة عرطوز وقدم إلى يوسف لقطيني الأناجيل وقلم الحبر فسأله يوسف عما إذا كان قدم له صورتين فأجابه بالإيجاب. ولما سأله جميل حداد عن كيفية علمه بذلك أجابه بأنه هتف لجميل القرّح فأعلمه بذلك، وعاد جميل الحداد إلى دمشق.

في تلك الأثناء حضر القس جميل القرّح إلى دمشق واجتمع بجميل الحداد وذهب معه إلى قرية جديدة عرطوز واجتمعا مع يوسف لقطيني وهناك

صارح جميل القرع جميل الحداد بأن عقده أصبح في إسرائيل وأنه أصبح مجنّداً في خدمة المخابرات الإسرائيلية. فطلب جميل الحداد تعويضه عن توزيع الأناجيل فقدم له 400 ليرة لبنانية وعرض عليه العمل لصالح إسرائيل لقاء راتب قدره 300 ليرة سورية شهرياً فوافق جميل الحداد على هذا العرض.

وحين عادا إلى بيروت اجتمع جميل القرع وجميل الحداد بشفيق قندلفت وبذلك ربط جميل حداد مع شفيق قندلفت رسمياً. وأخبر شفيق قندلفت بعد ذلك القس جميل بأن جميل حداد سيذهب إلى سورية ليعود بالمعلومات المطلوبة منه، وليضم هناك أشخاصاً جدداً ليتعاونوا معه. ومن ثم يذهب بعد ذلك إلى إسرائيل لاتباع دورة في المخابرات الإسرائيلية ليتدرب على الإرسال والاستقبال على الأجهزة اللاسلكية. وسينقله إلى إسرائيل وسيطأ أعطاء أوصافه وإشارات التعارف عليه. حين يعود جميل الحداد من دمشق، يستلم القس جميل القرع المعلومات ويرسلها إلى إسرائيل.

جميل حداد.. في سورية مرة أخرى!

ذهب جميل الحداد إلى دمشق حاملاً رسالة شفوية من شفيق قندلفت إلى والدته في السويداء وأطلعها عليها وأبلغها أن ابنها شفيق قد حضر من إسرائيل وأنه في بيروت إذا ما رغبت في زيارته أو أنه سيحضر إلى دمشق. فأبلغته أن عليه أن يخبر ولدها، بواسطة القس جميل، بأنه لا يمكنها الذهاب إليه ولا يمكنه الدخول إلى سورية لأنه محكوم من قبل السلطات في سورية بسبب بقاءه في إسرائيل. فعاد جميل الحداد إلى دمشق وحصل على معلومات عن مؤسسة معامل الدفاع في منطقة الهامة وعلى بعض الأوراق عن إحدى سرايا النقل التي كان منتسباً إليها سابقاً، ودفتر خدمة العلم العائد له، وبعض الأوراق العسكرية كأوراق الإجازات، ومعلومات عن الذخيرة المستعملة في

الجيش العربي السوري، وقفل عائداً إلى بيروت وقدمها إلى القس جميل القرع. فأخذها منه واحتفظ بها ريثما يحضر إليه الرسول المرتقب الذي أعلمه عنه شفيق قندلفت. وقد احتفظ جميل القرع بهذه المعلومات أسبوعاً إلى أن التقى بالوسيط خليل صقر شماس الذي قدم من قرية [علما الشعب] إلى بيروت، في باب إدريس، بعد أن تم التعارف بينهما بالإشارات المصطلح عليها. فقدم خليل رسالة من المخابرات الإسرائيلية إلى القس جميل القرع تتضمن عدداً من الأسئلة ليجيب عنها على أن يضع - في المستقبل - ما يرد إليه من معلومات خلف تمثال الأمير فؤاد أرسلان، المقام على طريق مطار خلد، في لبنان، فيضعها ضمن زجاجة مكسورة ويلقيها في صخرة مجوفة خلف التمثال المذكور. وأخبره بأن الوسيط البحري محمد عاشور سيحضر إليه لينقل جميل الحداد إلى إسرائيل وضرب له موعداً للقاءه في مقهى الفاروق بجانب تمثال رياض الصلح، قرب مركز انطلاق (كراج) سيارات [صيدا] في بيروت. وستكون إشارات التعارف بينهما بأن يرتدي محمد عاشور قميصاً أبيض وبنطالاً أزرق ويحمل بيده مجلة آخر ساعة وعلبة تبغ (لوكي سترايك) ويتقدم محمد منه ويسأله: «هل أنت أبو علي؟» فيجيبه جميل: «وهل أنت أبو محمد؟» وحين يتجاوبان ويتعارفان يقومان بتنفيذ الاتفاق. فوضع جميل المعلومات التي استقاها من جميل الحداد في أسفل علبة حلاوة وسلمها لخليل شماس فتولى هذا نقلها إلى إسرائيل وسلمها إلى المخابرات الإسرائيلية.

ذهب جميل القرع في الموعد المحدد إلى مقهى الفاروق والتقى بالعميل محمد عاشور، وتعرف إليه. فطلب منه أن يجمعه بالعميل جميل الحداد ليصار إلى نقله من صور إلى إسرائيل. فنفذ جميل القرع طلب محمد عاشور، وسهل له الاجتماع بجميل الحداد في اليوم التالي، خلف بناية العازارية في بيروت. واتفق جميل الحداد ومحمد عاشور على اللقاء مرة أخرى في [صور] قرب ملهى القصاب فينقله من هناك إلى إسرائيل.

رحلة جميل الحداد الأولى!

ذهب جميل الحداد إلى صور ليلتقي بالوسيط محمد عاشور لينقله إلى إسرائيل، بزورقه البخاري، عبر البحر. غير أن التوقيت اختلف بينهما فلم يتمكن جميل من لقاء محمد، فسأل عنه، في ملهى القصاب، فلم يجده. واشتبه بعض الحاضرين به إذ إن المنطقة عسكرية، ومحمد عاشور معروف بتحركاته المشبوهة. فألقي القبض على جميل الحداد وسيق مخفوراً إلى مركز الشرطة العسكرية في بيروت فزعم في أثناء التحقيق معه عن سبب سؤاله عن محمد عاشور بأنه فقد مبلغاً من المال وذهب إلى صور حتى يدله محمد عاشور على منجم ليعرف منه مَنْ سرق له هذا المبلغ. فأخلي سبيله بالكفالة وعاد إلى القس جميل القرح ينبئه بفشل الخطة.

عاد محمد عاشور إلى بيروت، وأطلع جميل القرح عما حدث معه وجميل الحداد، وأنه أخبر السلطات الإسرائيلية بفشل خطة نقل جميل الحداد بوساطته فطلبت إسرائيل منه إعداد خطة للاتصال بالوسيط الآخر خليل صقر شماس فهو سيتولى نقله براً إذ إنه قد سهل سابقاً دخول شفيق قندلفت عبر الحدود إلى لبنان.

والتقى القس جميل بالعميل شفيق قندلفت بعد شهر ونصف تقريباً من هذه الحادثة، وأعلمه بأن الوسيط الجديد - بعد فشل الأول - محمد سعيد فليفل قد وصل، وهو الذي سيقوم بنقل جميل الحداد من بيروت إلى إسرائيل براً وطلب منه أن يسهل له هذه المهمة.

وعاد جميل الحداد إلى القس جميل القرح فطلب منه أن يهيئ نفسه للسفر، والتقى، في الموعد المحدد، جميل الحداد بالوسيط محمد سعيد فليفل في محل جميل القرح واصطحبه - بتكليف من جميل القرح - إلى بنت جبيل،

ومنها سلكا، سيراً على الأقدام، طريق قانا - يعطر - القوزخ حيث تناولوا طعام العشاء في منزل محمد سعيد قليفل. ووزع جميل الحداد عدداً من الأناجيل هناك ثم تابعا سيرهما ليلاً مدة أربع ساعات فاجتازا الحدود إلى مستعمرة طوربيخا، أول مستعمرة إسرائيلية، فقصده محمد سعيد قليفل مخفر الشرطة، واتصل بالسلطات الإسرائيلية. وبعد فترة جاءت سيارة جيب نقلتهما إلى مستعمر نهاريا حيث وصلا إليها صباح اليوم التالي.

أبو نمر في استقبال الجاسوس!

استقبل أبو نمر، أحد رجال المخابرات الإسرائيلية، في أحد الفنادق، جميل الحداد. وعاد محمد سعيد قليفل من حيث أتى بعد أن تناول أجره مبلغ (100) ل.ل. (*) . وبعد أن تناول غداءه حضر إليه رجل آخر يدعى اسحق نيانو وأخذه إلى بيته، قرب صيدلية المستعمرة، ثم ذهب به إلى تل أبيب وقاده إلى أحد الأقبية، وأفهمه أنه سيتبع دورة في اللاسلكي، وعينوا له مرافقاً في تنقلاته. وبعد يومين جاءه أحد اليهود العراقيين واسمه موسى وأخذ يلغظه الدرس الأول في الجاسوسية أي كيفية استقبال وإرسال الاتصال اللاسلكي. وعلمه شارات الحروف اللاتينية. واستمر موسى في تدريب جميل على الاستقبال مدة شهرين إلى أن انس منه خيراً، ثم أخذ يدرسه على الإرسال مدة شهر. ثم طبق معلوماته النظرية عملياً مدة خمسة عشر يوماً إلى أن اتقن صنعه واتفق مع السلطات الإسرائيلية على أن يتصل معهم بالمراسلة بوساطة جميل القرح. وقد أفرغ جميع ما في جعبته من معلومات عسكرية كان قد عرفها كونه كان رقيباً في القوات المسلحة. واتفق مع المخابرات الإسرائيلية على أن يرسلوا له جهازاً لاسلكياً ضمن صفيحة ملأى بالزيت مع شخص يلتقي به

(*) وليكن في علم القارئ الكريم أن هذا المبلغ (مائة ليرة لبنانية) كان ذا فاعلية كبيرة في الحياة الاجتماعية آنذاك.

في مقهى الكمال بدمشق في موعد يحدد له فيما بعد، وحددوا له شارات التعارف وهي: أن على جميل الحداد أن يجلس في المقهى ويضع أمامه على الطاولة علبة الدخان وفوقها علبة الكبريت، ويضع فوقهما لفافة (سيكارة) غير مشتعلة، ونقدوه مبلغ أربعة آلاف ليرة لبنانية، وأعيد إلى مستعمر نهاريًا حيث تم نقله إلى الحدود اللبنانية بحراً.

أبحر جميل الحداد بزورق صديقه القديم محمد عاشور، بعد أن أعطي الرمز (K) واسمه المستعار كمال، إلى الساحل ما بين صور وصيدا. ونزل إلى البر واستقل سيارة عابرة إلى بيروت، حيث قابل رئيسه القس جميل القرح وأطلعه على نتائج زيارته إلى إسرائيل. فطلب منه أن يستأجر غرفة في دمشق أكبر من التي يشغلها، فعاد جميل الحداد إلى دمشق واستأجر غرفة من منزل توفيق شحيد في عين الكرش في القصاع بدمشق، تنفيذاً لطلب القس جميل القرح.

الجميل (N)!

وعاد جميل الحداد إلى دمشق لكي يبحث عن عملاء جدد، فاستطاع أن ينشئ علاقة وثيقة مع المجدد نعيم جهجه وأن يأخذ منه المعلومات التي تمس أمن البلاد لقاء منفعة مادية، وخصص له راتباً شهرياً قدره (125) ل.س قابلاً للزيادة حسب أهمية المعلومات التي يقدمها إليه. وعرفه بالقس جميل القرح في بيروت، وأخذا - جميل الحداد ونعيم جهجه - يمدان القس جميل القرح بالمعلومات العسكرية فقدم له بدايةً ثلاثة تقارير تتضمن معلومات عسكرية عن القطعات الموجودة في قطنا.

بعد ذلك جاء القس جميل القرح إلى دمشق، فاجتمع بالمجدد نعيم جهجه في داره بدمشق ودفع له راتبه وزاده إلى (175) ل.س وأعطاه الرمز (N) واستمر

في تعاونه مع جميل القرع مدة ستة أشهر، استطاع خلالها أن يقنع العريف فارس عبد النور بالتعاون معه، وهو عامل لاسلكي في إحدى كتائب الدبابات وعرفه إلى جميل الحداد والقس جميل القرع رئيس الشبكة وضم اسمه إليها.

ومضت مدة (15) يوماً فقصد جميل الحداد مقهى الكمال، وجلس حسب التعليمات المعطاة له. وبعد فترة جاء شخص يرتدي اللباس العربي، وتعارف به ثم اصططحبه إلى قرب مستشفى المجتهد وسلمه تنكة زيت. وأفهمه أن في أسفل هذه التنكة جهازاً لاسلكياً، وأعطاه سلكاً مخصوصاً لفتح الطبقة العازلة للزيت عن الجهاز فنقل جميل هذه التنكة إلى داره ففتحها وأخرج منها الجهاز والشفيرة منه التي تدرب عليها في إسرائيل، ومدى الترددات والذبذبات التي يجب أن يبث عليها. وفعلاً فقد بدأ جميل الحداد الاتصال المباشر، ولأول مرة، مع المخابرات الإسرائيلية وأرسل برقية معلومات عسكرية تمس أمن وسلامة الجيش العربي السوري.

جميل جديد رمزه الياس (1)!

أرسل القس جميل القرع عميله جميل الحداد إلى إسرائيل في منتصف عام 1954 وتفرغ هو للبحث عن عملاء جدد فورده رسالة تخبره بأن عليه أن يبحث عن شخص في الجيش اللبناني ويعطيه الرقم (6). فاتصل - أول ما اتصل - بشقيق زوجة أخيه جورج فرح، وكان حينذاك عريفاً في الجيش اللبناني، فأعلمه جميل عن رغبته في الحصول على تقارير عن الجيش اللبناني منه لقاء منفعة مادية لجريدة البناء العائدة للحزب السوري القومي. فوافاه جورج بتقريره الأول ويتضمن: اسمه ورتبته والفوج الذي ينتمي إليه وتقسيم الفوج إلى وحدات، ومعلومات عن مخازن الذخيرة في حمانا، وكميات الذخيرة. وذلك بناء على أسئلة وردته من إسرائيل وجهها له. فنقده مبلغ (200) ل.ل. وثم وردته أسئلة أخرى في الشهر التالي من إسرائيل تتضمن طلب معلومات عامة

عن أفواج المشاة وأسلحتها والوحدات المتمركزة على الحدود فوافاه بها جورج الذي أصبح معروفاً بالرقم (6) ونقده جميل (200) ل.ل.م. ليرة لبنانية فقال له جورج: (أنا قلبي ناقزني، بس ما تكون هالمعلومات لإسرائيل). فأوهمه القس جميل بأنها ليست لإسرائيل. ثم طلب منه التقرير الثالث فوافاه أيضاً به، وقبض أجره، وخلال ثلاثة أشهر قبض جورج ستمائة ليرة لبنانية. ولما شعر بنوايا القس جميل الخيانية انقطع عنه.

وصدرت التعليمات من إسرائيل إلى القس جميل القرح بنقل نشاطه إلى سورية فقصده دمشق، واجتمع مع جميل الحداد وعلم منه عن وصول الجهاز إليه وعن اتصالاته اللاسلكية بإسرائيل.

وشرع القس جميل القرح يبحث عن عملاء جدد في دمشق، فالتقى بـ يوسف لقطيني من قرية جديدة عرطوز، في أحد أيام عيد الميلاد من عام 1954، وهو من معتقي مذهب (الأخوة في المسيح) الذي يؤمن بأن إسرائيل ستقوم في الأرض الموعودة بها فتقضي الدول المجاورة على الثلثين من الإسرائيليين ويبقى الثلث المؤمن، ويبنى الهيكل في أورشليم (القدس) وتعود الذبائح إلى الهيكل ويمتلك أرض كنعان من النيل إلى الفرات.

وسأل القس جميل القرح يوسف عن ابن عمه عيد لقطيني فأجابه: بأنه لا يزال في إسرائيل وأن والده يسعى لإعادته إلى الوطن بوساطة الصليب الأحمر. فأبدى جميل تطوعه لمساعدته - بطريق مختصرة وله خدمة عنده (أي عند يوسف) مقابل خدمة. فسأله يوسف عن السبيل التي سينهجها وعن الخدمة التي يطلبها. فقرأ له القس جميل معلومات عن «دولة إسرائيل» ومستقبلها حسب مواعيد الكتاب والنبوءات في التوراة، ورجوع اليهود إلى أرض الميعاد وقيامهم كدولة في أرض الميعاد وجمع شملهم ثم تأديبهم وسحق الثلثين منهم وخلص الثلث حسب نبوءات دانيال وزكريا وأرميا وآشعيا وحزقيال وقول بولس ورسالة رومية. وأطلع القس جميل القرح يوسف على رغبته في أن

يتعاون يوسف معه لمصلحة إسرائيل فوافق يوسف لهذين السببين: العقائدي والنفعي: فالسبب العقائدي أنه من أتباع الأخوة في المسيح التي منها القس جميل القرح، والسبب النفعي هو: أن جميل القرح قد خصص له تعويضاً مقطوعاً قدره خمسون ليرة سورية عن كل تقرير، وأن قريبه عيد لقطيني الموجود في إسرائيل، سيسعى جميل لإعادته إلى سورية. فسطر يوسف رسالة إلى ابن عمه عيد يعلمه فيها أنه يسعى بإعادته إلى سورية، وسلمها إلى القس جميل القرح ليرسلها إلى إسرائيل بوساطة محمد عاشور كما أرسل ذوو يوسف رسالة أخرى إلى فرنسا - بوساطة القس جميل القرح - إلى العنوان الآتي:

(Mr. Ander Gibert,
Corse'de Genie, 61
Lyon- France

وبوساطة صاحب هذا العنوان، وهو أيضاً من جمعية الأخوة في المسيح أرسلت هذه الرسالة إلى إسرائيل إلى العنوان: 72 الرملة - إسرائيل.

وقد شرع يوسف لقطيني في التعامل مع القس جميل القرح. وقد أعطي الرمز: (الياس رقم 1) تغطية لاسمه الحقيقي، وكلف بجمع المعلومات عن مستودعات المحروقات في منطقة [عرطوز]، وعدد السيارات التي تدخل إليها، وما هي شحناتها وأنواع هذه المحروقات وأمكنة توزيعها، وبيان المستودعات الظاهرة والمدفونة وعما إذا كان يوجد ثكنات ومهاجع في هذه المستودعات، وعددها، ومراقبة السيارات التي تمر من دمشق إلى الجبهة وبيان نوعها وعدد عجالاتها وتوقيت مرورها، وعن الطرق المعبدة وغير المعبدة والتي هي قيد الإنشاء، وعن أسلاك الهاتف وبيان أمكنتها والمسافة المترية بين الأعمدة، والمسافة الكيلومترية بين دمشق - عرطوز - قطنا - القنيطرة، والتحركات العسكرية بين هذه المدن، وعن المعسكرات في قطنا وإحداثيات الأبنية، ونوع العمال: مدنيين أم عسكريين، ونسبة الفلسطينيين منهم، وعن المناورات التي

تجرى في المنطقة، والأسلاك الشائكة المحيطة بالمعسكرات، نوعها وارتفاعها، وعدد الطائرات الحربية، والذخيرة التي في مستودعات المزة وأنواعها، وعن معاملة الرؤساء لجنودهم، وعن قوة الحراسة في المستودعات ونوع الأسلحة المستعملة، ورواتب الجنود والشرطة، وعن مراكز المدفعية المضادة، وإحداثيات مرابضها. كما طلب منه معلومات اجتماعية عن حالة الفلاحين في المنطقة، وأحاديث الناس والمظاهرات التي ينظمها الطلاب ومدى الإشاعات عن الانقلابات، وقوة الأحزاب السياسية: اليمينية واليسارية ونشاطها السياسي، ولم ينس الأشياء الاقتصادية فعليه أن يمدّه بمعلومات عن الينابيع والآبار ونوع تربة الأرض ولون حجارته ونوعها: سليخ أو مزروعة أو قابلة للزراعة وما إلى ذلك.

وقد قدم يوسف لقطيني «الياس رقم 1» ثلاثة تقارير إلى القس جميل القرح عما استطاع أن يحصل عليه من معلومات. وكان كلما زاره القس جميل في بيته في قرية جديدة عرطوز يعطيه فوق رواتبه المكافأة المناسبة حسب أهمية كل تقرير..

وأخلص يوسف لمهمته وقدم تقاريره بكل تضافر ودقة في المعلومات حتى شهد به وأثنى عليه ضباط المخابرات الإسرائيلية.. فأرسلوا رسالة إلى القس جميل القرح وفيها: «إن الوحيد الذي يكتب بالضبط ولا يكذب في تقاريره هو الياس رقم 1» أي يوسف لقطيني.

الفسر الفاجر..!

ترك جميل القرح وظيفته في محل ساعات [موفادو]. وافتتح محلاً للتصوير وأخذ يتعهد تصوير الحفلات ويتداخل في المؤسسات الرسمية والعامّة، فأصبح مصوراً لجريدة البناء اللبنانية - جريدة الحزب القومي

السوري - وتعهد تصوير حفلات السفارة العراقية في بيروت. وبعد أن افتتح محله هذا تردد عليه خليل صقر شماس ونقل إليه منذ عام 1954 من إسرائيل هوية لبنانية باسم شفيق حداد وعاد إلى قريته [علما الشعب]. فتبعه القس جميل القرح إليها، فذهب خليل صقر شماس إلى إسرائيل واتصل بالسلطات الإسرائيلية في قرية حانوتا، وعاد بالرسائل والأموال إلى القس جميل القرح، وأحضر مبلغ خمسمائة جنيه مصري صرفها في لبنان بعملة لبنانية، وعاد بها إلى إسرائيل حيث سلمها إلى السلطات الإسرائيلية.

وقد تردد خليل على محل القس جميل القرح في بيروت فأعطاه جميل رسالة بالأرقام زعم أنها كشف عن حساب الأموال التي تصله من إسرائيل لبناء الكنيسة الإنجيلية فقام خليل بنقلها إلى قرية حانوتا الإسرائيلية وسلمها لإسحاق نيانو وتناول أجره مبلغ ثلاثمائة ليرة لبنانية وعاد برسالة من إسحاق نيانو إلى القس جميل القرح فسلمه إياها جواباً على رسالته الأولى.

رحلة الصيف إلى نهاريا!

استلم جميل الحداد الجهاز اللاسلكي ضمن تنكة الزيت، ونقله إلى الدار الجديدة التي استأجرها، وهبها للعمل. وبعد مدة قصيرة حضر إلى عنده القس جميل القرح ليطمئن على حسن سير العمل فأعلمه بوصول الجهاز، وعندها أعطاه القس جميل التعليمات اللازمة للاتصال بالمخابرات الإسرائيلية: بأن الإرسال سيكون في يوم معين وعلى تردد محدد وموجة واحدة. فعزم جميل الحداد على الاتصال بالمخابرات الإسرائيلية بعد ذهاب القس جميل القرح وأبرق لاسلكياً بهذا الجهاز إلى إسرائيل وأعلمهم بوصوله واستعداده للعمل. وأخذ يبت إلى إسرائيل كل ما يحصل عليه من معلومات عامة وهامة ولكن سلطات المخابرات الإسرائيلية لم تكن تقدر نشاطه، فكان راتبه لا يدفع له بانتظام. فشكاهم همّة فأعلموه أن رواتبه تدفع للقس جميل

القرح، ووجهوا له ملاحظة عن إرساله وضعفه بالإرسال، حتى أنهم كانوا يكررون إرسالهم إليه واستقبالهم منه مرات عدة حتى تضبط المخابرة، فأتته برقية لاسلكية من إسرائيل تأمره بالذهاب إلى بيروت ليرتب القس جميل القرح خطة نقله ثانية إلى إسرائيل بوساطة محمد عاشور، بحراً.

وسافر جميل الحداد خلال عام 1955 إلى بيروت فصيда. وذهب إلى المقهى حيث يجد صديقه محمد عاشور. فقابله هناك وقام بنقله من شاطئ صيدا إلى شاطئ الناقورة الفلسطينية وأنزله في سفح جبل على الشاطئ، وصعدا الجبل معاً على طريق معبدة إلى أن وصلا إلى مركز مراقبة، ومن هناك اتصلا هاتفياً بإسحاق نيانو في نهاريا. فحضر إليهما بسيارة جيب عسكرية وأخذهما إلى نهاريا. وقفل من هناك محمد عاشور عائداً إلى صيدا وبقي جميل الحداد في كنف إسحق نيانو. فسأله جميل عن سبب تأخر رواتبه وتباحث معه عن قضية ضعفه بالاستقبال اللاسلكي فتقرر إعادة تدريب جميل على الاستقبال فترة أخرى لذلك ذهب جميل الحداد مع إسحق إلى بيته الكائن شرقي الصيدلية في مستعمرة نهاريا، وبقي هناك مدة شهر يتدرب على الاستقبال بالإشارات اللاسلكية. ودفع له ثلاثمائة ليرة لبنانية راتباً عن الشهر الذي تدرب فيه ومائتي ليرة لبنانية مكافأة بعد انتهائه من الدورة ورفع راتبه إلى ثلاثمائة ليرة لبنانية وأبلغ أنه سيقبض رواتب الشهور السابقة من القس جميل القرح.

عودة جميل الحداد إلى دمشق!

حضر محمد عاشور وصديقه قاسم وأبحرا وجميل الحداد بزورق بخاري إلى جنوب صيدا. واستقل جميل الحداد، إلى بيروت، سيارة عابرة، وقابل فور وصوله القس جميل القرح وأعلمه أنه سيعود إلى دمشق فوعده باللاحاق به بعد أيام.

عاد جميل الحداد إلى دمشق وأخذ ييثر البرقيات اللاسلكية إلى إسرائيل بوساطة الجهاز الذي بحوزته ليتأكد من صحة وقوة معلوماته في الإرسال. ومن ثم تبعه القس جميل القرح، بعد مدة، وقدم له مبلغ (150) ل.ل. راتب الشهر الأسبق. وعرفه - بعد شهر - بالعميل يوسف لقطيني، صديقه القديم الذي كان يوزع معه الأناجيل، وأخذ يوسف يمد جميل الحداد بالتقارير والمعلومات التي تمس أمن الجيش. فكان جميل يرسل هذه المعلومات إلى إسرائيل بطريقتين: إما بوساطة الإرسال اللاسلكي، للمعلومات الهامة والموجزة، ويكون الاتصال: إما يومياً أو مرتين في الأسبوع حسب الطوارئ وكثافة المعلومات. وإما بوساطة الإرسال المباشر بأن يجمع جميل الحداد ما يحصل عليه من معلومات - بنفسه أو من عملائه ويقدمها للقس جميل القرح فيقوم هذا بجمعها مع المعلومات التي يحصل عليها - بنفسه أو من عملائه الآخرين أيضاً - ومن ثم يرسلها إلى إسرائيل برقياً أو كتابياً حسب نوع وأهمية هذه المعلومات. وكان يضع المعلومات المكتوبة في زجاجة مكسورة ويلقيها في حفرة صخرية خلف تمثال الأمير فؤاد أرسلان على طريق مطار خلدة. فيأتي عميل مخصص في موعد معين فيأخذها ويرسلها إلى إسرائيل ويضع مكانها التعليمات المرسله من المخابرات الإسرائيلية إلى الخلايا والعملاء، فيأتي القس جميل القرح ويأخذها.

رحلة الشتاء إلى حيفا!

لم يقم القس جميل القرح بدفع رواتب جميل الحداد بصورة منتظمة. فتارة تنقطع وتارة تنقص. فأبرق جميل الحداد، لاسلكياً، إلى السلطات الإسرائيلية يشكوهم أمره وأنه لا يستطيع الاستمرار بالعمل على هذا الشكل. فأتاه الجواب من السلطات الإسرائيلية - بوساطة القس جميل القرح - بأن يعود إلى إسرائيل.

نفذ جميل الحداد التعليمات فذهب فوراً إلى بيروت في أوائل عام 1956 وقابل القس جميل القرح ثم ذهب إلى صيدا وأبحر مع محمد عاشور وقاسم بزورقهما البخاري إلى الناقورة الفلسطينية وقابل هناك إسحق نيانو فرتب له سفره إلى حيفا. وبقي في حيفا مدة يومين قابل خلالهما السلطات المسؤولة ثم أعيد إلى قيادة المنطقة الشمالية في صنف وقابل أحد المسؤولين فيها وأطلعته على قصة رواتبه وانقطاعها عنه. فأحاله مرة أخرى إلى سلطات حيفا فذهب وقابل أحد المسؤولين فيها واتفق معه على قضية الرواتب فوعده بدفع الأجور بانتظام، ودفع الأجور المتبقية شريطة أن يتابع الاتصال معهم، وقدم له مبلغ أربعمائة ليرة لبنانية. فرفض استلامه - لضعفته.. فدفع هذا المبلغ إلى محمد عاشور وأعيد جميل إلى الناقورة ليجتمع مع صديقيه محمد عاشور وقاسم إلى لبنان.

عودة جميل الحداد إلى دمشق!

وصل جميل الحداد إلى جنوب صيدا واستلم مبلغ أربعمائة ليرة لبنانية من محمد عاشور، الذي أخذه من المخابرات الإسرائيلية وقفل عائداً إلى بيروت فدمشق دون أن يقابل - خلافاً لعادته - القس جميل القرح.

وجاء القس جميل القرح إلى دمشق واتصل بجميل الحداد وسأله عما فعل في إسرائيل فأطلعته على عدم رغبته بمتابعة العمل لعدم رضاه عن الأجور، وأنه تشاجر مع (الجماعة) وطلب من القس جميل القرح ألا يعود إلى الاتصال به.

وأخذ جميل الحداد الجهاز اللاسلكي وحطمه وألقاه في أرض الزبلطاني بدمشق بعد أن تجسس سنتين كاملتين لصالح إسرائيل، وقدم خلالهما للمخابرات الإسرائيلية ما حصل عليه من معلومات عامة وعسكرية.

رحلة فارس المسعد إلى إسرائيل!

وردت تعليمات إلى القس جميل القرح (الذي راح يعمل مصوراً صحفياً كما علمنا سابقاً) بأن يتعاون مع اليهودي اللبناني روبير حزقيال طوطح، المتخذ اسم فريد حداد اسماً مستعاراً له، وأبلغ أن عليه أن يذهب إلى سينما ريفولي في بيروت ويحمل بيده مجلة ريفو د ليان (Revue du Liban) ويقابل شخصاً يرتدي ثياباً كحلية وقبعة ويبيده مجلة مغازين (Magazine) ويقول له (مرحباً فريد) فيجيبه روبير (أهلاً جوزيف). فذهب جميل إلى سينما ريفولي في الموعد المحدد وتعارف القس جميل القرح بالعمل روبير طوطح وتعاون معه. وأصبح - حسب تعليمات وأوامر السلطات الإسرائيلية - يتلقى تعليماته منه. إذ أن روبير هو رئيس شبكات التجسس الإسرائيلية في لبنان والمشرف على خلاياها، وقد كان ضابطاً في الجيش الإسرائيلي والحق بدورة تدريب على التجسس هناك وعين ضابط ارتباط بين المخابرات الإسرائيلية وخلايا تجسس إسرائيل في لبنان.

وقد أطلعه القس جميل القرح على شبكته في سورية المؤلفة من جميل الحداد ونعيم جهجه وفارس المسعد. فاتفق معه على أن يزسلا (فارس المسعد إلى إسرائيل ليلتحق بدورة تدريب على أعمال التجسس. وكان فارس قد استمر في مد القس جميل القرح بما يصل إليه من معلومات مدة ستة أشهر كاملة. ولما سرح من الخدمة لانتهاء أمد عقد تطوعه عام 1957 رتب القس جميل القرح سفره إلى إسرائيل، بالاتفاق مع روبير طوطح.

أمر روبير طوطح القس جميل القرح بإعداد خطة نقل فارس المسعد إلى إسرائيل. فذهب القس جميل القرح إلى دمشق في أحد أيام شهر آب 1957. وأحضر فارس المسعد إلى بيروت ثم نقله بسيارته الخاصة إلى مفرق عدلون، بين نهري الزهراني والقاسمية، ليصار إلى نقله من هناك عبر البحر إلى

فلسطين. وقد أعطي التعليمات بأن يرتدي فارس المسعد معطفاً أبيض وكوفية وعقالاً ويحمل بيده علبة حلوى، وعندما يصل إلى مفرق عدلون يقف القس جميل القرح بعيداً عن المفرق بحوالي مئة متر بينما يلتقي فارس المسعد مع شخص يحمل جرة ماء فيسأله فارس: (أين بيت العرس في عدلون؟) فيدعوه هذا الشخص (تفضل). وبعد أن يتم التعارف بهذا الشكل يعود القس جميل القرح إلى بيروت ويذهب فارس إلى ما وراء الحدود.

والتقى فارس المسعد، في الموعد المحدد مع ذلك الشخص ونفذ القس جميل القرح التعليمات بدقة فذهب فارس المسعد إلى إسرائيل، بينما عاد القس جميل القرح إلى بيروت حيث استمر في جمع المعلومات من نعيم جهجه ويوسف لقطيني والسعي في إيجاد عملاء جدد ولا سيما أن مساعده الأيمن جميل الحداد - حسب قوله - قد فصلته المخابرات الإسرائيلية عن العمل منذ أواخر عام 1956 لأنه حطم جهاز اللاسلكي الذي أرسل له ضمن تنكة الزيت، ولأنه أمدهم بمعلومات خاطئة!.

عودة فارس المسعد من إسرائيل!

سمع فارس المسعد، بوساطة الإذاعة، دعوة وحدته للاحتياط بعد أن غاب حوالي شهرين في إسرائيل. فاتصل المسؤولون في المخابرات الإسرائيلية بالعميل روبيير طوطح، رئيس خلايا التجسس في لبنان، وأعلموه برغبة فارس المسعد بالعودة إلى سورية. وأطلعوه على الترتيبات المتخذة لنقله عبر البحر إلى لبنان. فاتصل روبيير طوطح هاتفياً بالقس جميل القرح وأبلغه وجوب مراجعته لأمر ضروري. ولما راجعه أعلمه بأن فارس المسعد سيعود، في هذه الليلة، من إسرائيل بحراً. وسينزل في شكا، شمال معمل الإسمنت، قرب بيت مهدوم، وأعطي روبيير تعليمات إلى القس جميل بأن يذهب فوراً إلى هذا البيت، وينتظر قدوم زورق من البحر، فيعطيه قبطان الزورق إشارات ضوئية

زرقاء على ثلاث مرات وفي كل مرة يصدر ثلاث إشارات متقطعة. فيرد عليه القس جميل القرح بإشارات ضوئية حمراء بنفس العدد والحركات. فتنفذ جميل الأمر وذهب إلى المكان المحدد، وانتظر قدوم فارس المسعد.

وقد تم ما اتفق عليه روبيير طوطح والقس جميل القرح. وحضر الطورييد وأعلم القس جميل القرح بحضوره بوساطة الإشارات الضوئية. وما أن وصل إلى الساحل حتى صعد إلى البر فارس المسعد واثنان من العرب اليهود في عكا. فنادوا من في البيت: (الياس!) فأجابهم القس جميل القرح: (نعم) فتعارف الجميع، واستقبل القس جميل فارس، وبارك عودته. فطلب أحد البحارة من جميل أن يشتري له منديلاً أسود نسائياً، ويأخذه منه، عند عودة فارس إلى (إسرائيل) ليتم دورته في معامل المخابرات الإسرائيلية.

عاد فارس المسعد إلى دمشق والتحق بقطعته العسكرية، إثر دعوته للاحتياط. وطلب فتاة من قرية [حينة]، سورية الأصل، أمريكية الجنسية، تدعى إيديل، ولم تطل خدمته في الاحتياط أكثر من شهر، إذ سرح من الخدمة، وفي أثنائها كانت أمه قد أجريت لها عملية جراحية في المرارة. وحين شفيت قرر فارس المسعد العودة إلى إسرائيل.

رحلة فارس المسعد الثانية، إلى إسرائيل!

عاد فارس المسعد إلى بيروت، في أوائل عام 1958، واتصل بالقس جميل القرح. فرتّب له هذا مع روبيير طوطح السفر إلى إسرائيل. وذهب القس جميل القرح وفارس المسعد، في الموعد المحدد، إلى البيت المهدم شمالي معمل الإسمنت في شكا، وأضاء جميل من مصباحه إشاراته الضوئية الحمراء، إلى البحر، في الموعد المعين. فأجيب عليه بإشارات زرق. ففهم القس جميل وفارس أن الطورييد المعد لنقلهما بانتظارهما. وطلب فارس من القس جميل أن يذهب معه فوافق من دون تردد. ثم استقلا الطورييد إلى حيفا وبقي القس جميل

هناك عشرة أيام، تعرّف خلالها إلى رجال المخابرات الإسرائيلية الذين يتعاون معهم بالمراسلة وبالاتصال اللاسلكي. وألحق فارس المسعد بدورة للتدريب على الإرسال والاستقبال اللاسلكي وعزم القس جميل القرح على العودة إلى لبنان، فطلب منه أن يعود لاتباع مثل هذه الدورة، وأنه سيتنقل عن طريق أوروبا. فاعتذر لعدم وجود الوقت الكافي لديه لمثل هذا العمل.

أبحر القس جميل القرح إلى بيروت بزورق بخاري صغير مسلح، يرافقه ثلاثة من البحارة اليهود أحدهم دليل، والثاني عامل لاسلكي، والثالث بحار، وجميعهم يتكلمون العبرية. ولما أصبحوا في عرض البحر اشتدت الأنواء البحرية والأعاصير، فأمروا بالعودة إلى حيفا. ثم استأنفوا سفرهم، في اليوم الثاني، إلى لبنان. فوصل الزورق إلى رأس الدامور، وخرج القس جميل القرح إلى البر واستقل سيارة عابرة إلى بيروت، وقفل البحارة عائدين إلى فلسطين.

بقي فارس المسعد في إسرائيل يتلقى دروسه في اللاسلكي مدة ثلاثة أشهر، بعد أن طاف في أرجاء فلسطين مدة عشرة أيام للتعرف على المناطق الإسرائيلية، وزار القدس، والناصرية، وطبريا، وبئر السبع، وباقي المناطق، فأتقن صناعته ولم يحتاج إلى كثير من التمرين، إذ إنه كان عامل لاسلكي على الدبابات حينما كان عريضاً في الجيش السوري. وقدم للمخابرات الإسرائيلية كراسة ضخمة عن دبابات (ت34-34) التي حضرتها مصر إبان معركة سيناء، في أثناء العدوان الثلاثي عام 1956 عليها. وكان قد اصطحب هذه الدراسة معه من دمشق، وذهب إلى مكان تجمع الخسائر المصرية وشرح للمخابرات الإسرائيلية والعسكريين أمثال العقيد (أبو دان) من سلاح المدرعات الصاروخية الذي أصبح صديقاً حميماً لفارس المسعد، عن عمل هذه الدبابات ومحركاتها إذ إنهم لا يعرفون عنها شيئاً قبل أن يشرح لهم فارس المسعد طريقة عملها. ثم سلم فارس المسعد بعد انتهاء دورته جهازاً لاسلكياً مخبأ في أسفل (بابور الكاز) وأعطى الرمز (B) ضمن خلية القس جميل القرح وأجرى

تطبيقاً عملياً على الاتصال اللاسلكي مع عدد من المناطق الإسرائيلية فكان النتيجة حسنة، وتقرر إعادته إلى دمشق ليبدأ عمله فيها.

عودة القس جميل القرح إلى لبنان!

عاد القس جميل القرح إلى لبنان، بعد أن أمضى عشرة أيام في إسرائيل، وقابل روبير طوطح وأطلعاه عما جرى معه، لأنه يعمل تحت رئاسته، وأخذ يصفى أعماله في محل ساعات [موفادو] ويتحرر من قيود الوظيفة.

واتصل روبير طوطح بالقس جميل القرح وأمره أن يذهب إلى تمثال الأمير فؤاد أرسلان على طريق مطار خلدة، وهناك سيجد خلف التمثال كيساً من القنب، وعليه أن يحضره. فذهب جميل بسيارته إلى خلف التمثال المذكور، ووجد الكيس. فهتف لروبير الموجود في مقهى الشامات، وأعلمه بوصول البضاعة. فطلب منه أن يحضر الكيس ويمر في طريق فندق «السان جورج» ومن أمام مقهى الشامات. ففعل، وحين شاهد روبير طوطح سيارة القس جميل القرح تمر من أمام المقهى، ركب سيارته ولحق به واجتازه وأمره بمتابعتة. وحين وصلا إلى ما بين سينما الحمراء والروشة، دخلا في طريق فرعية. وأخذ روبير الكيس من جميل وانصرف. وعاد القس جميل القرح، في اليوم التالي، وقابل روبير طوطح. فأعلمه أنه كان ضمن الكيس مسند كرسي بشكل مريح مؤلف من قطعتين، وفي داخله جهاز لاسلكي، وعدد من الأسئلة، ومبلغ من المال. وقدم له حصته من هذا المبلغ، وزوده بتوجيهاته.

رحلة جميل القرح الثانية إلى إسرائيل!

اتصل روبير طوطح بالقس جميل القرح وأمره بأن يستعد للسفر إلى إسرائيل، لإحضار فارس المسعد. وأن الاتصال به سيتم بواسطة الأشخاص

الذين نقلوه مع فارس من رأس الشقعة (شكا) إلى إسرائيل. غير أنه سينقل في هذه المرة من مكان آخر، حده له، يقع في بيروت.

ذهب القس جميل القرح في الموعد المحدد. إلى قرب مفارة حددها له روبر طوطح في بيروت ووقف، بين الصخور، وتقع بين الحمام العسكري وعامود الجامعة الأمريكية، حوالى الساعة التاسعة مساءً.

فجاء شخص وأضاء أمامه المصباح الكهربائي ثلاث مرات، باللون الأحمر. فأجابه القس جميل القرح بثلاث إشارات ضوئية زرق. وتم بذلك، التعارف بينهما. ثم تقدم منه ثلاثة أشخاص بأيديهم أسلحة وأركبوه في قارب، وجذبوا به إلى عرض البحر، مسافة خمسة كيلومترات. فلفت نظر القس جميل القرح وجود شبح في البحر، فنبه رفاقه لذلك، لعل هذا الشبح باخرة قادمة، أو زورق الجمارك اللبنانية، فطمأنوه إلى أن الشبح هو الطراد الذي ينتظره.

وبالفعل ترك القس جميل ورفاقه القارب، وانتقلوا إلى الطراد: وكان طراداً قديماً من مخلفات الإنكليز. فاستقبله أحد الضباط الذين كانوا موجودين على ظهر الطراد وقال له بصوت خافت: «مرحباً قس جميل.. أنا «سامي». ومخر الطراد عباب البحر إلى نهاري، فبلغها بنفس الليلة واستقبل القس جميل القرح على الشاطئ أحد ضباط المخابرات الإسرائيلية في منطقة الجليل الملقب (أبو نمر) بجسمه الضخم وشاربيه الكبيرين، وسأله:

- كيف حالك؟ أنت القس جميل؟.. فقال له: نعم. فبادره أبو نمر قائلاً:
أنا أبو نمر.. ألم تسمع عني؟

فأجابه القس جميل القرح:

- لقد سمعت عنك من مرسال البحر محمد عاشور، وعلى كل حال (تشرفنا بمعرفتك).

بالمناسبة، أبو نمر هذا شخص من أصل روسي يدعى إسحق، وهو برتبة عقيد في المخابرات الإسرائيلية وهو المسؤول عن منطقة الجليل. وقد عمل أيام الانتداب الإنكليزي مع 'C. I. N' البريطانية في كل من حيفا والقدس. وزوجته راشيل ذات مركز مرموق في وزارة التربية والتعليم الإسرائيلية وتضاهي أكبر شخصية نسائية في إسرائيل وتحمل أوسمة عدة تقديراً لنشاطها (١٩).

بات القس جميل القرح ليلته في مستعمرة نهاريا، في الغرفة المخصصة للزوار على شاطئ البحر، والتي تديرها والدته راشيل، زوجة العقيد إسحق (أبو نمر). وفي اليوم التالي حضر إليه عدد من الضباط، من سلاح الطيران، يرافقهم عدد آخر من المدنيين، ومعهم صور جوية لدمشق، ومطار المزة، ومعسكرات قطنا، وخرائط لمناطق الضمير، وحلب، واللاذقية، وميناء البيضة، وجبل الدروز، ودرعا، والقنيطرة، وأكثر المناطق السورية الأخرى. وعرضت هذه الصور والخرائط على القس جميل القرح، فذكر لهم كل ما عرفه عن مطار المزة العسكري والمدني نتيجة سفره المتتابع إلى جديدة عرطوز للاتصال بعمله القديم يوسف لقطيني. وذكر لهم، أيضاً، ما يعرفه من معلومات عسكرية عن القطاعات العسكرية المنتشرة حول دمشق، والتي سبق له أن أرسل حولها بعض التقارير، كما قدم لهم معلومات يعرفها عن مواقع في اللاذقية، وكورنيش الميناء.

- فتدخل العقيد إسحق (أبو نمر) بالحديث - وهو المسؤول عن منطقة الجليل - وطلب من القس جميل القرح أن يطلعهم على كل «ما شاهد بعينه وسمع بأذنه (كذا) في البلاد والمدن السورية أيام الوحدة» فذكر لهم مشاهداته عن الاحتفالات التي جرت خلال شهر شباط 1958 أول أعياد الوحدة في كل من دمشق واللاذقية.

سافر القس جميل القرح والعقيد إسحق (أبو نمر) إلى تل أبيب. وقابلا هناك فارس المسعد في فندق على شاطئ البحر، بعد غياب خمسة أشهر.

وأخذ يتجول مع القس جميل القرح في تل أبيب مدة خمسة أيام متوالية، ليلاً. وأما في النهار، فكان فارس المسعد يغيب ويبقى جميل وحيداً مع الدليل. وقد شاهد القس جميل القرح (سيرك ميدرانو) وحديقة الحيوانات، وزار ملاعب «رامات غان» الأولمبية المشهورة. وعاد إلى تل أبيب فقابل العقيد (إبراهيم ليفي) الملقب بـ إبراهيم المجرم لتفظيحه بالأطفال والنساء حين كان في عصابة «الهاغانا». وهو من ضباط سلاح الطيران الإسرائيلي وقد أقرز إلى المخابرات، فقال للقس جميل:

- «لاشك أنك ستكون أخطر إنسان في المستقبل على مخابراتنا لأنك تعرفت على معظم وأكبر رجال المخابرات» ثم طالب منه أن يبحث له عن أشخاص في سورية ولبنان ليكونوا في خليفته ويقوم هو بتدريبهم على أعمال التخريب، والنسف، وإحداث الشغب، وإثارة الفتن، وبعث الإشاعات المغرضة لقاء عمولة خاصة. فأجابه القس جميل القرح:

- «أتريدون مخربين؟.. ألا يكفيكم التجسس؟.. أنا رجل دين ولا يمكن أن أنغمس أكثر مما وصلت إليه (كذا)»

وقابل القس جميل القرح رئيس المخابرات الإسرائيلية، العميد «الجنرال» إسحق حاييم الملقب (أبو ديب) وأخذ تعليماته منه.

(وإسحق هذا يتكلم العربية باللهجة الفلسطينية، وهو من دهاقنة السياسة والمخابرات، وكان كزميله إسحق - أبو نمر - في خدمة المخابرات البريطانية حتى عام 1948. وقد زار معظم البلاد العربية وتعرف إلى كثير من ساستها قبل حوادث 1948 وإلى كثير من العسكريين والمدنيين العرب).

عاد فارس المسعد والقس جميل القرح إلى نهاريا استعداداً للسفر، إلى لبنان. وقد أتم فارس المسعد آخر تمريناته على الإرسال والاستقبال باللاسلكي بحضور معلمه الملازم (إيفل) - Eagle الخبير الفني بالأجهزة والتدريب،

وحضور العقيد (أبو ميشيل) من المخابرات والمسؤول عن منطقة حيفا، وحضور العقيد «الكولونيل سيمخل» رئيس فرع الاتصالات اللاسلكية في المخابرات الإسرائيلية.

وأقام فارس المسعد والقس جميل القرح في نهاريا حتى أصبح القمر في المحاق، بعد أن أقاما خمسة أيام في نهاريا تجولا خلالها في شوارعها ليلاً، إذ لم يسمح لهما بالتجول فيها نهائياً لوجود الكثير من العرب الوافدين إليها من القرى المجاورة، ولاسيما في يوم السبت لأن نهاريا بلد اصطيفاء يؤمها كثير من أهالي عكا وحيفا وتزخر بالأجانب شتاء وربيعاً. وذهبا إلى المسبح وإلى مطعم وبار صهيون (Zion) ومطعم بن غوين (Pin Guinne).

وحضر في اليوم الأخير إسحق (أبو نمر) ومعه أربعة من المسؤولين في المخابرات إلى نهاريا وتباحثوا مع القس جميل القرح وفارس المسعد وقرروا أن يدفعوا لفارس (B) مبلغاً قدره عشرة آلاف ليرة سورية مقدماً وخمسة آلاف ليرة أخرى عندما يصل إلى دمشق. على أن يستأجر داراً ويباشر العمل فدفعت مبلغ عشرة آلاف ليرة سورية إلى فارس المسعد نقداً وأعطى الموقد (البابور) الحاوي على جهاز اللاسلكي في أسفله - ويمكن استعمال هذا البابور في تحضير القهوة والشاي فقط - وكوفئ القس جميل القرح بمبلغ (1000) ل.س. لتجنيد فارس المسعد في هذه الشبكة. ثم ذهبوا مع العقيد إسحق وعائلته إلى مزرعة للعمال (كيبوتس) حيث شاهدوا تمثيلية عن خروج اليهود من أرض مصر قبل الميلاد، ثم عادوا في اليوم التالي إلى نهاريا، حيث أذن وقت الرحيل.

عودة فارس المسعد والقس جميل القرح!

وخرج في الموعد المحدد القس جميل القرح وفارس المسعد وصديقهما العقيد (أبو دان) إلى حيفا، حيث جرى وداعهما هناك. ثم استقلا الطراد

الإنگليزي الذي نقل القس جميل القرح من المنارة إلى بيروت.

وأبحر بهما باتجاه لبنان، يرافقه طراد آخر للاستطلاع. وأعلمهما، في الطريق، بحارة الطراد بأنهم سيتوقفون في عرض البحر، ما بين منطقة حالات وجيل، ومن ثم يستقلان قارباً يوصلهما إلى الشاطئ. كان من المقرر أن ينزل فارس المسعد والقس جميل القرح في رأس الدامور، وتسبب ما، أنزلهما الطراد في شكا (رأس الشقعة) شمالي معمل الإسمنت، في الساعة الثالثة صباحاً من ثالث أيام عيد الفصح عام 1958.

واستقلا سيارة عابرة إلى بيروت ومعهما الأموال والجهاز اللاسلكي في الموقد (البابور) وجهاز آخر في المكواة. واتصل في اليوم التالي القس جميل القرح برئيس الخلايا، روبر طوطح، وأعلمه بوصوله فأجابه بأنه علم بذلك لاسلكياً من المخابرات الإسرائيلية.

وعاد فارس المسعد إلى دمشق بعد أن أمضى أربعة أيام في بيروت، ومعه الهدايا الثمينة لخطيبته ولم يمض أسبوع على عودته حتى تزوجها. فحضر عنده، في شهر أيار من عام 1958، قبيل الثورة الأهلية في لبنان، القس جميل القرح ليبارك له زواجه، ويتباحث معه حول ما نفذه من المهمة الموكولة إليه، وسأله ماذا تم بشأن استئجار البيت الذي كان قد اتفق والمخابرات الإسرائيلية على استئجاره. فأجابه فارس بأنه لم يستأجره، ولن يستأجره، ما لم يحول له باقي المبلغ، أي الخمسة آلاف ليرة سورية الأخرى.

اتصل القس جميل القرح بالمخابرات الإسرائيلية وأبلغهم برغبة فارس المسعد، في تحويل باقي المبلغ فاستجابوا لرغبته وحولوا له المبلغ على دفعتين، بسحب على البنك الهولندي في بيروت. وطار فارس من دمشق إلى بيروت، على متن طائرة سويسرية، إذا أن الطريق البرية كانت مغلقة بسبب حوادث لبنان عام 1958 واستلم المبلغ. وكان، في الوقت نفسه، يعد جواز سفره، سراً من أجل السفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

وعاد القس جميل القرخ لزيارة فارس المسعد، مرة أخرى في شهر أيلول عام 1958، فشاهد أخاه الرقيب حنا المسعد، وهو الذي كان معي في الزنزانة رقم (7) في سجن المزة العسكري، فتعرف إليه. (وكان حنا قد تتلمذ على يديه عشرين يوماً، حين كان القس جميل مبشراً في قرية خربا في محافظة السويداء) فاحتفى به حنا. وقامت زوجته، دلال، لتصنع لهما القهوة. فأشعلت الموقد (البابور) الذي أحضره فارس المسعد من إسرائيل - ولم تكن تعلم عنه شيئاً - وهيات القهوة للقس جميل. فشاهدها فارس المسعد، فقام بإطفاء الموقد ووضعها في علبته. فظن حنا أن شقيقه فارس استاء من زوجته. فانتظر حتى ذهب القس جميل، وراح يعاتب أخاه على تصرفه. فأظهر له فارس أنه لم يستاء، ولكن (البابور) لا يصلح للعمل، لأنه يحوي في أسفله جهازاً لاسلكياً. وجلس فارس إلى جانب شقيقه حنا، أثناء فترة السهرة، يفضي إليه بالحقيقة عن زواجه وثنائه. وذكر له أنه تعرف إلى القس جميل القرخ فاصطحبه إلى إسرائيل. وتدريب على الإرسال والاستقبال اللاسلكي، وأفضى بمعلوماته عن سلاح المدرعات، وعن معسكرات قطنا. وبعد أن حدثه برهة من الزمن عن مفامراته في إسرائيل، قام وفتح (البابور)، وأخرج الجهاز اللاسلكي وأراه لأخيه حنا، وذكر له أن مصدر ثرائه كان ثمن معلومات قدمها للمخابرات الإسرائيلية عن الجيش السوري.

سفر فارس إلى نيويورك!

واستمر فارس المسعد يطلب المال من المخابرات الإسرائيلية. وحين حصل على المبلغ كاملاً - أي (15) ألف ليرة سورية - ترك الجهاز الموجود في (البابور) في داره، وحطم الجهاز الذي كان في المكواة، وذهب، سراً، خلال الشهر العاشر من عام 1958، إلى نيويورك، مع زوجته التي كان قد خطبها قبل رحلته الثانية إلى إسرائيل.

وكانت رحلة فارس المسعد إلى نيويورك مفاجأة للمخابرات الإسرائيلية، وصدمة للقس جميل القرخ، وأخذت المخابرات الإسرائيلية تلح عليه لمعرفة عنوان فارس المسعد. فحضر القس جميل القرخ إلى دمشق خلال عيد الميلاد عام 1958، وقابل حنا المسعد وسأله عن عنوان شقيقه فارس في أمريكا - الولايات المتحدة - ليراسله، لأنه زميله، وقد عمل معه في الشركة نفسها التي كان يعمل فيها فارس. فقدم حنا عنوان فارس إلى جميل. فذهب القس جميل القرخ وأرسل هذا العنوان إلى المخابرات الإسرائيلية.

حنا بدلاً من فارس «(C) بدلاً من (B)»!

وعاد القس جميل القرخ، في أوائل عام 1959، واتصل بالرفيق حنا المسعد. وأعلمه أن شقيقه فارس: قد اختلس من الشركة التي كان يعمل فيها مبلغ (15) خمسة عشر ألف ليرة وسافر إلى أمريكا، وأن الشركة تطالب بهذا المبلغ. فاعتذر حنا عن تدخله في هذا الأمر وطلب من القس جميل القرخ إيضاحات أكثر، عن حقيقة المال. فطلب منه جميل عهداً، ألا يبوح لأحد فوعده حنا بذلك، فكشف له جميل، أن فارس كان يتجسس لصالح إسرائيل. وقد كان الرفيق حنا يعرف حقيقة هذا الأمر من أخيه فارس بالذات.

وتكررت زيارات جميل القرخ إلى الرفيق حنا بسرعة، وسلمه رسالة من مخابرات إسرائيل تدعوه للتعاون معها. فلبى حنا الدعوة، ووافق على العمل. وكتب تقريراً يتضمن اسمه، ورقمه، ورتبته وأسماء الضباط الذين هم في وحدته، ورغبته في العمل تحت راية السلطات الإسرائيلية. وقدمه للقس جميل القرخ في أوائل آذار 1959. فقام جميل بإرسال هذا التقرير إلى إسرائيل. فأرسلت السلطات الإسرائيلية مبلغ مئة ليرة سورية، مكافأة له. ووافقت على التعاون معه. وأعطى الرمز (C) وضم إلى خلية القس جميل القرخ. وكان الرفيق حنا المسعد من مرتبات اللواء 18. فعاد إليه القس جميل

القرح وطرح عليه سؤالين طلب جوابهما، ووعدته بأن يدفع له مئة ليرة سورية مقابل كل جواب، وغايته من جمع الأجوبة هي مكافحة التغافل الشيوعي في سورية - على حد زعمه فسأله:

- عن نفوذ الضباط المصريين في الجيش، ومدى التآلف بينهم وبين الضباط السوريين.

- عن أسلوب التدريب في القطعات التي خدم فيها.

ولما وافاه بالجواب نقده مئتي ليرة سورية مكافأة له على ذلك.

واستمر الرقيب الأول حنا المسعد يمد جميل القرح بالمعلومات العسكرية. فذكر له أن قائد اللواء /18/ هو العقيد عبد الحميد كيلاني، وحدّثه بالتفصيل عن تشكيل اللواء، وعدد كتائبه، وأنه يوجد فيه الكتيبة /الرابعة عشرة/ والسادسة عشرة/ والسابعة عشرة/ وكتيبة مدفعية الميدان 81.

وبين له مكان مستودعات الذخيرة في كل من المزة، وقطنا. وأمدّه بأسماء الضباط المصريين في الكتيبتين 81 و83، وتشكيل ومحتويات مدفعية كتيبة المشاة، وتشكيل مدفعية اللواء /18/ مشاة. وأرشده إلى مكان تمرکز كتيبة المغاوير في قطنا في المعسكر رقم 2. وأمدّه بمعلومات عن الشبكة اللاسلكية ضمن الكتيبة، وضمن السرية، والحلقة اللاسلكية بين الفصائل ضمن السرية ثم مكان تمرکز اللواء /18/ واللواء 72 واللواء 70 ومواقعها في سورية. وقدم له تقريراً عن كيفية الترفيعات في الجيش العربي السوري، وأنها تجري في 1/1 و7/1 من كل عام وزوده بأسماء الضباط السوريين الذين سرحهم جمال عبد الناصر. ولم ينس أن يقدم إليه نسخاً عن بعض الأوامر الإدارية والتعاميم والأوامر العامة. وقد كانت هذه المعلومات تصل إلى القس جميل القرح خلال فترات متقطعة، وكلما سنحت له الفرصة.

ونقل الرقيب الأول حنا المسعد إلى اللواء الرابع. وزاره، بعد مدة قصيرة،

في السويداء القس جميل القرح. فاستطاع أن يتعرف، في الطريق، على محطة الرادار بين منطقة الشيخ مسكين ومنطقة إزرع، وعلى مكان الراشدة في السويداء. وحصل من حنا المسعد على معلومات عن اسم قائد اللواء الرابع (العמיד نامق كمال) وعن الحفر الفردية بالنسبة للجندي، وحفر الرشاش الدائرية وحفرة المدفع 122م قصير، وتشكيل اللواء الرابع، وأسماء كتائب المشاة التي يتشكل منها وهي 11 و12 و45، وكتيبة مدفعية الميدان 84، وأعلمه بأن اللواء الرابع متمركز في السويداء. وقفل القس جميل القرح عائداً إلى دمشق فبيروت ثم قام بإرسال هذه المعلومات إلى إسرائيل.

رحلة جميل القرح إلى إسرائيل. الثالثة!

كانت حوادث عام 1958 في لبنان قد أعاققت بعض أعمال القس جميل القرح وحالت دون اتصاله بعملائه في سورية، كما حالت دون اتصاله بإسرائيل، (وكسر الطبل وتفرق العشاق، على حد تعبير القس جميل القرح). ولم يبق من حوله إلا يوسف لقطيني. فذهب يوسف إلى بيروت واشترى محرك ضخ ماء (موتور) من محلات عزيز رجال من بيروت فكفله القس جميل القرح من أجل تسديد باقي ثمن (الموتور) على المبلغ واستمر في الاتصال معه يقدم له المعلومات التي يجمعها. وطلب يوسف لقطيني من القس جميل القرح أن تدفع له المخابرات الإسرائيلية مبلغ ثلاثة آلاف ليرة سورية دفعة واحدة حتى يسدد ديونه ويتحلل من عمله في عيادة الدكتور غيبه فاستمهل القس جميل القرح ريثما يتصل بالمخابرات الإسرائيلية ويحصل على الموافقة.

واتصل جميل القرح بالسلطات الإسرائيلية، وأعلمهم بموضوع يوسف لقطيني، فأبدوا رغبتهم في دفع مبلغ (خمسة آلاف ليرة سورية) فيما إذا وافق يوسف لقطيني على السفر إلى إسرائيل لاتباع دورة هناك ولو لمدة أسبوع، فرفض يوسف هذا العرض ولو كان الثمن عشرة آلاف من الليرات.

أبلغ رئيس الخلايا اليهودي روبير طوطح القس جميل القرح خلال شهر آب عام 1960 أنه سيرده من إسرائيل تعليمات، ويجب عليه اتباعها وسيعين له وسيطاً جديداً، إذ أن روبير سينقطع عن الاتصال به. وذهب القس جميل القرح في الموعد المحدد إلى المكان المتفق عليه خلف تمثال الأمير فؤاد أرسلان، على طريق مطار خلدة، وحصل على الأسئلة، والأموال، والتعليمات الواردة إليه من إسرائيل. وقد تضمنت التعليمات أمراً يقضي بأن يحضر إلى إسرائيل براً، بواسطة الوسيط محمد سعيد فليفل، وهو الذي أؤتمن على نقل جميل الحداد في عام 1954. وسيحضر سعيد إلى محل القس جميل ويقول له: «بيسلم عليك شفيق» فيعرفه القس جميل القرح بأنه الوسيط المتفق عليه، لأن القس جميل وسعيد كانا يتعاونان معاً منذ اللحظة الأولى، إلا أنهما لم يتقابلا حيث إن القس جميل القرح قد عبر حدود لبنان، في رحلتيه السابقتين إلى إسرائيل.

وحضر بتاريخ 1960/8/18 محمد سعيد فليفل إلى محل القس جميل القرح وتعرّف إليه بالإشارة المصطلح عليها. وأبلغه رغبة السلطات الإسرائيلية بأن يذهب إلى إسرائيل.

فذهب بتاريخ 1960/8/20 إلى صور في السيارة مع محمد سعيد فليفل، ومنها سلكا طريق صور - قانا - يعطر - ثم سارا من يعطر إلى بيت ليف فالقوزح على الأقدام. وعبرا الحدود اللبنانية الفلسطينية ودلفا إلى مستعمرة طرينا. وحلا ضيفين على مختار المستعمرة المدعو يودع، وهو يهودي مراكشي، وانتظرا عنده برهة ريثما اتصلا بالمخابرات الإسرائيلية في نهاريا، وأرسلت لهما سيارة جيب لنقلهما.

وحضر المسؤول عن استخبارات نهاريا الضابط الملقب (أبو يوسف) ويهودي آخر بولوني وتحادث أبو يوسف والقس جميل القرح باللغة العربية. وفهم منه أنه مساعد الضابط موسى، رئيس منطقة الجليل. وذهبوا معاً إلى مستعمرة البصة فمستعمرة نهاريا. وبات جميل ليلته في غرفة الزوار التي حل

فيها ضيفاً أول مرة على شاطئ البحر وسأل عن صديقه القديم أبو نمر فقيل له أنه توفي إثر حادث سيارة عام 1959.

واجتمع، في اليوم التالي، العقيد موسى ومساعدته أبو يوسف بالقس جميل القرح وأبلغاه أنهما اتصلا بالقيادة في تل أبيب، وجرى الاتفاق على نقله إلى هناك. وذهب القس جميل القرح وموسى ومساعدته إلى تل أبيب. فحل القس جميل في فندق (جاكوب صن) في شارع (غوردن) خلف حديقة الحيوانات. واتصل موسى بالقيادة فلم يجد رئيس الاستخبارات إسحق حاييم، الملقب (أبو ديب) وهو صديق قديم للقس جميل. فعرفاه بأحد مدربي اللاسلكي، وهو يهودي سكناجي، وأعلماه بأنه سيكون مدربه.

ثم سمح للقس جميل القرح بالتجول في تل أبيب برفقة أحد اليهود الذين هربوا من دمشق ويدعى يوسف أبو غزال. وتجول معه، ودخلا أضخم صالة عرض (سينما) في تل أبيب. ثم عاد إلى الفندق ولم يجر في يومه سوى التجول والتعرف على معالم المدينة.

وعاد، في اليوم التالي، مدرب اللاسلكي اليهودي السكناجي إلى الفندق ومعه هاتف وسماعات. واجتمع مع القس جميل القرح.. وأخذ يدربه على استعمال الجهاز مدة خمسة أيام ثم دربه على الإرسال والاستقبال بالرموز مدة أربعة أيام أخرى. واستطاع القس جميل أن يتعلم فن اللاسلكي بسرعة وبصورة جيدة. وأخذ يرسل البرقيات ويستلم أجوبتها من المناطق الإسرائيلية الأخرى. ولم تمض عشرة أيام إلا وكان قد عرف كل شيء عن الاتصال اللاسلكي. فأحضروا له في اليوم الحادي عشر جهاز تشيف صور، وفي قسمه العلوي جهاز لاسلكي، كالذي تدرب عليه ونقل إلى نهاريا مع مدربه. واجتمع مع (إيغل) Eagle فسلمه هذا الرموز الخاصة بالجهاز واحتفظ بنسخة طبق الأصل عنها وهي صالحة للاستقبال والإرسال على الشكل التالي:

6	5	4	3	2	1	
ب	ف	ا	ك	ق	ش	6
ا	تاريخ	ح	د	ض	ن	5
م	ال	ط	س	ع	ظ	4
ف	ة	ص	غ	ي	ج	3
ه	ى	ذ	ت	ز	ء	2
خ	ح	ر	.	و	ل	1

وعند الإرسال يتقيد بالأرقام: 1-2-3-4-5-6 الأفقية فقط وأما في الاستقبال فيتقيد بالأرقام 1-2-3-5-6 العمودية وأجرى اتصالاً لاسلكياً في هذا الجهاز إلى تل أبيب لمدة يومين. وأخذ خمسة آلاف ليرة سورية أجرة الدار التي يشغلها وارتفع راتبه من خمسمائة ليرة لبنانية إلى الألف ليرة. وزود بتعليمات تركيب هوائي الجهاز ليتمكن من الاتصال بصورة حسنة. ودرب على الكتابة بالحبر السري، ليرسل المعلومات بالرسائل السرية، في حال تعطيل الجهاز. وكانت الطريقة أن يكتب المعلومات على ورقة خاصة بالحبر السري ثم يعرضها لبخار الماء حتى تختفي الكتابة ثم يكتب رسالة عادية على الورقة ذاتها، وزود بالحبر السري ضمن أنبوب معجون حلاقة، وبالكاشف الذي يكشف به الكتابة السرية، وحدد له العنوان:

Mr, N. A. Kazali,
Bioglou, P. O. B 614,
ISTANBUL- TURKEY

ليصار إلى إرسال الرسالة السرية إلى هذا العنوان في تركيا، حيث يعاد إرسالها من هناك إلى إسرائيل. وحددت له الساعة السادسة والنصف من يومي الأحد والخميس من كل أسبوع للإرسال اللاسلكي والساعة الرابعة عشرة والنصف من يومي الاثنين والجمعة للاستقبال. واتفق معه على أن يستعمل التعبير: «صحراء قاحلة» مرتين، عندما يكون الجيش مستنفراً

والتعبير: «حقول خضراء»، مرتين، عندما تكون الحالة عادية. وأعيد إلى حيفا ليصار إلى إرساله إلى لبنان.

عودة جميل القرح، من نل أبيب، إلى دمشق!

أبحر القس جميل القرح في أوائل أيلول عام 1960، من حيفا، على ظهر طوربيد مسلح يرافقه الضابط موسى المسؤول عن منطقة الجليل. وأوصاه بأن يقطع علاقته مع روبير طوطح. وأوصله الطوربيد إلى قرب رأس الدامور، ونزل هناك وانتقل إلى بيروت بسيارة غابرة. وما أن وصل إلى داره، حتى شرع بتركيب الهوائي، حسب إرشادات المخابرات الإسرائيلية. ولما مضى خمسة عشر يوماً على عودته، أخذ يبت على الموجتين: 6275-1335 كيلو سايكل، وبالرموز (الشيفرة) التي أحضرها معه، وتدرّب عليها، أول برقية للمخابرات الإسرائيلية، أعلمهم فيها بوصوله، وأنه مستعد للعمل، وأنه سيذهب إلى دمشق لمقابلة (الأصدقاء) باقي العملاء. وسيعود بعد مدة معينة.

ذهب القس جميل القرح إلى دمشق واتصل بالرفيق حنا المسعد وعقل أنطون وأخذ منهما المعلومات التي كانا قد جمعها. وعاد بها إلى لبنان. وأرسلها، من هناك، إلى إسرائيل.

رحلة المسعد، والقرح، إلى إسرائيل

واستمر جميل القرح في التردد على حنا المسعد. وكان يأخذ منه ما يكون قد حضره من معلومات، وكتب له تقارير عن الجيش العربي السوري. ثم أوضح له أن السلطات الإسرائيلية تطلبه وعليه أن يلبي الدعوة. وسيهيئ له رحلته. وطلب منه صورته فقدمها له حنا. وطلب منه جميل أن يحصل على إجازة ليذهب إلى بيروت. وأعطاه رقم هاتفه في بيروت للاتصال به عند الحاجة.

أرسل القس جميل القرح صورة حنا إلى إسرائيل بوساطة عملائه. وأحضر محمد سعيد قليفل، بعد فترة، هوية لبنانية مزورة باسم حنا عبد النور فرح. وسلمها للقس جميل القرح فعاد، بعد أيام عدة، إلى دمشق ومعه الهوية اللبنانية باسم حنا عبد النور فرح من أهالي مرجعيون، وعليها صورة حنا المسعد وممهورة بخاتم أصولي، وقدمها إلى حنا. وأفهمه أنه بوساطتها يمكنه الذهاب إلى لبنان ومن هناك يجري نقله إلى إسرائيل.

وحصل الرقيب حنا المسعد على إجازة عادية، في أثناء شهر تشرين الثاني 1960، مدتها سبعة أيام، أمضى يومين منها في دمشق. ثم اتصل هاتفياً بالقس جميل القرح في بيروت وأبلغه أنه سيحضر إليه، وأنه مستعد للسفر.

سافر حنا إلى لبنان واجتاز الحدود السورية - اللبنانية - منتحلاً اسم حنا فرح من أهالي مرجعيون - حسب الهوية المزورة - واتصل فور وصوله إلى بيروت بالقس جميل القرح فاصطحبه بسيارته إلى صور، ومنها إلى القوزح، وحلاً ضيفين على محمد سعيد قليفل وسيط المخابرات الإسرائيلية.

وذهب، حوالي الساعة الثالثة من صباح اليوم التالي، سعيد وجميل وحنا سيراً على الأقدام إلى مستعمرة طربينا وأقاموا عند مختارها المدعو يودع. فقام يودع بنقلهم إلى مستعمرة نهاريا بسيارة شحن عابرة، حيث اجتمع القس جميل القرح وحنا بضباط الاستخبارات، موسى وأبو يسوف وغيرهما. ثم ذهبوا إلى تل أبيب واجتمع الرقيب حنا مع ثلاثة ضباط إسرائيليين من سلاح المدفعية، في إحدى غرف فندق (جاكوب صن) في شارع كوردون في تل أبيب، في حين اجتمع القس جميل القرح في غرفة أخرى، في الفندق نفسه، مع رئيس المخابرات الإسرائيلية صديقه القديم إسحق حايم، وتداولوا في شؤون الشبكة التجسسية في سورية.

وقد أفضى الرقيب الأول حنا المسعد في هذا الاجتماع بما يعرفه: عن المدفعية السورية، وأنواعها، ومرابضها. وعرضت عليه صورة جوية لدمشق،

وصور شمسية لمدافع الميدان، والمدافع المضادة للطائرات، فأرشدتهم إلى أنواعها وأسمائها، وأنها من نوع (الهوتزر)، وشرح لهم تشكيل اللواء 18، واللواء 4 فركزوا أسئلتهم على أنواع المدافع السورية، ومداهها، وغزارة نيرانها، وعياراتها، وتذخيرها، وكيفية استخدامها، في الهجوم والدفاع. وذكر لهم، إجمالاً، كل ما يعرفه عن القطعات والمناطق التي خدم فيها، وخاصة، عن مرابض مدفعية الميدان في قطاعي [زعرورا] و[مسعدة]، وزود حنا بتعليمات تلزمه بأن يكون على اتصال مستمر مع جميل القرع، ويقدم له تقارير عن شبكات الرادار، وأمكنتها، وعن القطعات المحاربة، في الجبهة الجنوبية الغربية. وأثنوا، له، على شقيقه فارس المسعد لأنه قدم لهم معلومات قيمة عن الدبابات (ت-34 - T-34) تساوي أضعاف ما قبضه. ووعدوه بزيادة راتبه عندما يقدم مزيداً من المعلومات.

كوحة حنا، وجميل، إلى بيروت!

أقام حنا المسعد والقس جميل القرع ثلاثة أيام في تل أبيب. وقبض القس جميل القرع خمسة آلاف ليرة لبنانية ليعطيها إلى حنا. ومن ثم سافرا إلى حيفا، فأنزلا ليلاً في طوربيد مجهز بمدفعين أحدهما من عيار 20مم والآخر أكبر منه، ومزود برادار، وزوارق مطاطية، وعلى ظهره عدد من البحارة المدججين بالأسلحة الأتوماتيكية، ويرافقه طوربيد آخر مسلح للاستطلاع والحماية. ولما وصلوا إلى الدامور، توقف الطوربيد في عرض البحر وأنزل حنا وجميل إلى أحد الزوارق المطاطية، ورافقهما ستة من الجنود المسلحين بالبنادق الحربية وزود الزورق بمدفع رشاش، ونقلوا إلى الشاطئ حنا وجميل وأنزلوهما قرب سكة الحديد وانتظر حنا وجميل سيارة عابرة فاستقلها إلى بيروت. وعاد حنا المسعد إلى دمشق ليلتحق بقطعته قبل انتهاء إجازته. ولحق به، بعد مدة قصيرة، القس جميل القرع وقدّم له مبلغ خمسة آلاف ليرة لبنانية لأن حنا

المسعد لم يقبض المبلغ خوفاً من الشك بأمره عند اجتيازه الحدود اللبنانية - السورية. وأخذ القس جميل القرع يبحث عن عملاء جدد ليستخدمهم في شبكته.

عودة جميل الحداد إلى الجيش!

ترك جميل الحداد العمل لصالح المخابرات الإسرائيلية - لسبب ما - في أوائل عام 1957. وتزوج، خلال شهر شباط من العام نفسه، من المدعوة حبسه عجزم من أهالي صدد التابعة لحمص. وجرت مراسيم الزواج في قرية المخرم الفوقاني من أعمال محافظة حمص. ومن ثم أخذ يبحث عن عمل يغطي به بطالته إلى أن تمكن من أن يجد عملاً في معمل الذخيرة في مؤسسة معامل الدفاع لقاء راتب قدره (117) ل.س بالإضافة إلى التعويض العائلي. وقد تنقل، خلال وظيفته، ما بين المكتب والمعمل والورشات إلى أن استقر في ورشة الصيانة. وتعرف إلى كثير من الموظفين في المؤسسة. ومثّن صداقته مع المستخدم يوسف عساف جرجس كعده، وهما من قرية رخم. وحين لم يرق له العمل في الورشات طلب نقله إلى المكاتب فلم يوفق. فعمد إلى اللجوء إلى الطبيب وعوين طبيباً في المستشفى العسكري واستحصل على تقرير طبي يوصي بعدم تعريض نفسه للأعمال المجهدة والغازات المخرشة، فرفض طلبه مرة أخرى، وعندها طلب تسريحه في أوائل عام 1961 متذرعاً بأنه يخشى انتكاسة التدرن الرثوي من جراء عمله في الورشات، فكان له ما أراد.

عقل أنطون، وقبسه أثناء الوحدة!

كان القس جميل القرع قد أجرى مراسيم زواج عقل أنطون، من زوجته الأولى، عام 1946 في كنيسة الناصري بدمشق. وأخذ، بعدئذٍ، يتردد عليه في

زيارات عائلية ليبارك له عمله. ثم انقطع عنه حتى عام 1958 إلى أن كادت صورته أن تمحي من ذاكرة عقل. فشاهده في شارع البرلمان بدمشق فجدا صداقتهما وسارا معاً في الطريق، وتحادثا عن الأوضاع العامة. ثم أخذ يتردد على منزل عقل ويجلس مع عائلته وأولاده، يعظهم ويرشدهم، ويملاً قلوبهم بالمحبة والتسامح..!!

وتعلق عقل وعائلته بالقس جميل القرح وأصبحوا ينتظرون عودته كل يوم. وعندها بين القس جميل لعقل أنه صاحب محل للتصوير في لبنان، وأنه يرسل صحفاً أجنبية لأنه لا يريد أن يعتمد على الكنيسة في أمور معيشتة. طلب من عقل أن يمهده ببعض المعلومات لاسيما وأنه موظف في رئاسة مجلس الوزراء، ويعرف كثيراً من الأنباء السياسية. ووجه له أسئلة عن: نشاط حزب البعث في سورية بعد استقالة الوزراء البعثيين من الحكومة في أوائل عام 1960، وهل للسيد أكرم الحوراني حرية التنقل في دمشق أم أنه في داره، وعما إذا كانت زيارته مسموحة أم لا، وعن نتائج الاجتماع الذي عقده حزب البعث في بعيدا بلبنان، والمقررات التي اتخذها، وسبب استقالة رياض المالكي من وزارة الثقافة والإرشاد القومي في سورية. وعن الخبراء الروس في سورية، والمشاريع التي يقومون بدراستها، أو الإشراف عليها، أو تنفيذها. وعن نشاط السيد صبري العسلي بعد استقالته من نيابة رئاسة الجمهورية. وما هو رأي فيصل العسلي بالوحدة. وسأله أيضاً عن نشاط الحزب الشيوعي وعن مكان وجود خالد بكداش، وعما إذا كان السيد خالد العظم في سورية أم خارجها. وما هي أهم الحوادث التي تقع في سورية: كالقتل والدهس والتدهور والتصادم وما إلى ذلك.

وقدم عقل هذه المعلومات على فترات متقطعة، وكلما سنحت الفرصة للقس جميل القرح زيارته. وكان كلما قدم تقارير عن معلومات تهم القس جميل القرح، كان القس جميل يقدم له مكافأة عنها تراوحت بين الخمس وعشرين ليرة سورية والمئة وخمسين ليرة سورية عن كل تقرير.

جميل الحداد، وجميل الفرد، في إسرائيل!

سرح جميل الحداد من عمله في مؤسسة معامل الدفاع، في مطلع عام 1961. وعاد إلى بطلاته، فذهب بتاريخ 10/1/1961 إلى بيروت، وترك زوجته، حبسة عجرم في دمشق. وبقي في بيروت حوالى شهر، فالتقى بصديقه القس جميل القرح، رئيس الشبكة، فطلب منه أن يتوسط له بإيجاد عمل يكسب منه. وطلب منه إنجيلاً فقدم له القس جميل إنجيلاً صغيراً. وحين فتحه وجد في داخله ورقة صغيرة كتب عليها معلومات عسكرية، فسأله جميل عما إذا كان لا يزال يتعامل مع إسرائيل، فأجابه القس جميل بالإيجاب، وعرض عليه العودة إلى الماضي والتعاون مع المخابرات الإسرائيلية فوافق جميل الحداد، وقبل العرض.

أبرق القس جميل القرح، لاسلكياً، إلى المخابرات الإسرائيلية يعلمهم برغبة جميل الحداد وعودته في العمل. فكان الرد، أن يدرس القس جميل الموضوع، فهم لا يمانعون في عودة جميل. واستمرت المباحثات بين القس جميل القرح والمخابرات الإسرائيلية حوالى شهر، إلى أن وردته الموافقة النهائية على استخدام جميل الحداد ورغبتهم في ذهابه إلى إسرائيل لاتباع دورة جديدة. وراجع جميل الحداد القس جميل القرح، فأبلغه موافقة السلطات الإسرائيلية على استخدامه، وطلب منه أن يهيئ نفسه للسفر، برأ، إلى إسرائيل.

وحضر الوسيط، محمد سعيد فليفل، إلى بيروت وقابل القس جميل القرح. وعاد، في اليوم التالي، بتاريخ 6/3/1961 وجميل القرح وجميل الحداد، في السيارة إلى صور فاعترضهم رجال الأمن في الطريق وطلبوا منهم هوياتهم. فتمكن القس جميل ومحمد سعيد فليفل من تهريب جميل الحداد إذ أن هويته سورية ولا يستطيع أن يجتاز نقطة المراقبة. وتابعوا سيرهم إلى صور ومنها إلى يعطور ثم ساروا على الأقدام إلى بيت ليف فالقوزح، واجتازوا الحدود

اللبنانية - الفلسطينية - إلى مستعمرة طبريا وحلوا ضيوفاً على المختار يودع، اليهودي المراكشي، بانتظار ترحيلهم إلى نهاريا وحضر الضابط أبو يوسف، صديق القس جميل، فأخذهما بسيارة الجيب إلى نهاريا وكان يقودها السائق جان حيث استراحا برهة وعاد محمد سعيد فليفل بعد انتهاء مهمته، وانتظر القس جميل القرح صديقه الحميم موسى.

اجتمع موسى رئيس المخابرات الإسرائيلية في الجليل بالقس جميل القرح وجميل الحداد وطلب منهما أن يهيئا نفسيهما للسفر إلى تل أبيب وأخذ موسى يحدث جميل الحداد. وأفصح له عن عدم رغبة المخابرات الإسرائيلية في العودة إلى الماضي، والبحث فيما مضى، وأنهم يتقبلون عودته للتعامل معهم بصدر رحب. وفيما هم يتحادثون حضر إسحق حايم رئيس المخابرات الإسرائيلية الملقب (أبو ديب) وتحادث بالعبرية برهة مع موسى، ويبدو أنه فهم منه ما دار بينه وبين جميل من حديث. ثم عاد وأكد لجميل الحداد حديث موسى وأنهم سيفتحون صفحة جديدة في العلاقة معه على أن يكون مخلصاً. وسأل إسحق القس جميل القرح عن عمله السابق فذكر أنه كان يعمل في مؤسسة معامل الدفاع، وسرح في أوائل 1961 فودعهما وانصرف بعد أن وعدهما باللقاء في تل أبيب.

ذهب القس جميل القرح وجميل الحداد بصحبة الضابط موسى إلى تل أبيب، وحلا في فندق (جاكوب صن) وغاب موسى برهة ثم عاد وبرفقته أربعة أشخاص عسكريين ومدنيين بينهم إسحق حايم ومعهم خريطة لمدينة دمشق ذات مقياس: (1/10000) وأخذ موسى يسأل جميل الحداد عن بعض المواقع وطلب إليه أن يحدد له بعض المؤسسات. فرفض جميل الحداد أن يدلي بأية معلومات ما لم يقبض ثمنها، ويتم التفاهم بينه وبين المخابرات الإسرائيلية على مجال التعاون بينهما. فغضب موسى وخرج من الغرفة. فدخل القس جميل القرح ونصح جميل الحداد بالعدول عن قراره وأن ذلك لا يجوز وعليه أن يدلي بما يطلب منه. وعاد موسى إلى الغرفة وحادث جميل القرح بالإنكليزية فترجم

لجميل الحداد بأن المخابرات ستقدم له كل ما يريد، وتغدق عليه العطاء الكثير والمال الوفير. فشرع جميل الحداد بالإفصاح عما لديه من معلومات فذكر أسماء شوارع مدينة دمشق وأشار إلى مواقعها على الخريطة والمؤسسات العامة فيها، والدوائر الرسمية، وأرشدتهم إلى الثكنات التي تقع على طريق المزة، وقيادة الجيش العربي السوري في شارع بيروت، ومقر الشرطة العسكرية مقابل جامعة دمشق، وقدم لهم تقريراً وافياً عن ورشة الصيانة في مؤسسة معامل الدفاع في الهامة باعتباره كان عاملاً فيها.

وانفصل القس جميل القرح عن جميل الحداد ولم يعد يقابله إلا في أوقات الأكل أو النوم، وذهب القس جميل القرح مع موسى لمقابلة إسحق حايم في أحد المقاهي في تل أبيب، فلاحظ عليه علائم الغضب فاستفهم منه عن السبب فأجابه إسحق لأنه غضب من تصرفات جميل وأقسم له بأنه «لولا وجودك معه لأفرغت في رأسه ما في مسدسي من طلقات لأنه يطلب مبالغ لا تتناسب والخدمة التي يؤديها (كذا)!!».

وعاد القس جميل القرح إلى نهاريا مع الضابط موسى وتدارسا الخطة الواجب اتباعها عند عودة القس جميل القرح لأخذ جميل الحداد، وللبحث عن عملاء جدد. فوعده موسى القس جميل بأنه سيدفع إليه مبالغ ونفقات رحلة إلى أوروبا في حال تطبيقه أحد ضباط سلاح الطيران أو البحرية للتعاون معهم. كما أنهم على استعداد لإيفاد هذا الضابط، العميل الجديد، إلى أوروبا في زيارة يحدد مدتها. فوعده جميل بأنه سيبذل قصارى جهده واهتمامه بهذه القضية.

عودة القس جميل إلى دمشق!

ترك القس جميل القرح زميله جميل الحداد في تل أبيب، ليتبع دورة على الاتصال والإرسال اللاسلكي، وعاد مع موسى إلى نهاريا واتفق معه على العودة

لأخذ جميل في موعد يحدد في حينه. ثم نقل إلى حيفا، حيث أرسل مع أحد صيادي الأسماك المدعو أبو محمد بزورقه إلى صور، بتاريخ 13 آذار 1961، واستقل منها سيارة عابرة إلى بيروت فدمشق حيث عاد للاتصال بعميليه: عقل أنطون والرقيب حنا المسعد واستحصل منهما على ما كانا قد جمعا من معلومات. وذهب إلى جديدة عرطوز لبحث مع عيد لقطيني أمر إنشاء كنيسة فيها لجمعية (الأخوة في المسيح) ويسهل له أمر مهمتها، وفتح يوسف لقطيني في أمر عودته للتعاون معه لصالح المخابرات الإسرائيلية ثم عاد إلى بيروت، ووافى المخابرات الإسرائيلية بما حصل عليه من معلومات.

جميل الحداد ودوره اللاسلكي!

عاد القس جميل القرع من تل أبيب إلى بيروت بتاريخ 13/3/1961 وبقي جميل الحداد هناك، فنقل من غرفته في الفندق إلى جناح آخر. وحضر إليه موسى وإبراهيم ومعهما جهاز لاسلكي، وسأل إبراهيم جميل الحداد عما إذا كان لا يزال بإمكانه الاتصال باللاسلكي حسب معلوماته السابقة أم أنه نسي معلوماته هذه، فأجابه جميل بأنه لم يعد في ذاكرته شيء من ذلك. فأخذ إبراهيم يدربه على الإرسال برموز معينة، حوالى شهر، ثم دربه على الاستقبال بالرموز نفسها عشرة أيام. وأخذ يجري تجارب معه، مدة معينة، ثم نقل جميل الحداد إلى نهاريا ومنها أخذ يبرق إلى تل أبيب ويستلم البرقيات منها. ودرب، بعد أن أنهى دورته في اللاسلكي، على التصوير وتصوير الوثائق لمدة خمسة أيام، ثم الكتابة بالحبر السري. وأعيد إلى نهاريا ليتابع تمرينه على الاتصال اللاسلكي. وأخذ فعلاً يتصل مع المخابرات في تل أبيب.

عودة القس جميل الفرخ إلى إسرائيل!

قررت قيادة المخابرات الإسرائيلية أن يذهب القس جميل القرع إلى

إسرائيل فيعود بزميله جميل الحداد إلى دمشق. واتفق على الموعد في يوم معين من شهر أيار عام 1961. وأعطى شارات التعارف التي ستكون بينه وبين الوسيط. وذهب القس جميل، في الموعد المحدد، إلى صور وجلس في مقهى القصاب ووضع مجلة آخر ساعة أمامه وحضر بعد قليل شاب في مقتبل العمر يرتدي قميصاً أزرق وبنطالاً خاكياً وبيده علبة دخان من نوع (لاكي سترايك) واقترب من القس جميل وحياه وسأله:

- هل أنت أبو علي؟..

فأجابه جميل..

- ومن أنت؟ وأين رأيك سابقاً؟.. هل أنت أبو محمد؟

وتم، بذلك، التعارف بينهما، فطلب منه هذا الشاب أن ينتظره حتى الساعة الثامنة مساء حيث يعود إلى المقهى، وحين يشاهده جميل يتبعه، دون أن يكلمه وهو بعدئذ ينقله إلى حيث يريد.

وعاد الفتى إلى المقهى في الموعد المحدد، وألقى بنظرة على القس جميل وخرج. فتبعه القس جميل، دون أن يكلمه أو أن يشير انتباه الآخرين إليه، وسار خلفه فوق الرمال وبين القبور حتى الشاطئ. فالتقى بقارب ينتظره، وفيه النوتي وطبقاً للتعليمات، نزل إلى القارب دون أن يكلم النوتي أية كلمة، سوى السلام وانطلق به القارب إلى الناقورة في فلسطين فوصل إليها حوالى الساعة الواحدة والنصف من صباح اليوم التالي. فصوبت الأنوار الكشافات على القارب، فأضاء النوتي شارات ضوئية من مصباح كهربائي معه فأطفئت الأنوار. ونزلوا جميعاً إلى الشاطئ وصعد جميل إلى صخرة عالية. وصعد الفتى إلى البلدة فصاح به الحارس بالعبرية:

- من هذا؟..

فأجابه الفتى..

- عس..

وصاح ب جميل ورفيقه أن يتبعاه فلحقا به واجتمعوا معا بالحارس ومعه كلبه الكبير، فدعاهم للجلوس ريثما يتصل بالسلطات الإسرائيلية في مستعمرة نهاريا.

وحضر الضابط موسى وأبو يوسف بسيارة جيب ودفعوا للنوتي وللغلام أجورهما وذهبا بالقس جميل إلى نهاريا. وبات القس جميل ليلته في الغرفة المخصصة له والتي يحل بها ضيفا في كل مرة، على المخابرات الإسرائيلية. وعاد صباح اليوم التالي إليه أبو يوسف وموسى ورجل آخر وأبلغوه أن (صاحبه) جميل قد أنهى دورته بشكل جيد، ولا بأس من أن يبدأ العمل في دمشق وتمنوا له التوفيق...!!

وبقي القس جميل في نهاريا أربعة أيام لم يبرحها. واجتمع مع المخابرات الإسرائيلية في فندق (وسط غابة من الصنوبر) وتباحث معهم وجميل الحداد حول خطة العمل في المستقبل. واتفق على أن يدفع إلى جميل الحداد ذي الرمز (K) مبلغ خمسة آلاف ومائة ليرة لبنانية مكافأة له لنجاحه بتفوق في الدورة، وذلك لكي ليؤثث بيته في دمشق. وأن رواتبه ستدفع له من قبل القس جميل. وأطلقت يد القس جميل بالعمل، لبناء كنيسة إنجيلية لجماعة (الأخوة في المسيح) بدمشق، ورصد لها مبلغ قدره ألفا ليرة لبنانية. وسلم جميل الحداد في هذه المقابلة آلة تصوير من نوع (كوداك) سلمها إليه موسى، وأرشده إلى كيفية استعمالها في تصوير الوثائق والمستندات والتصوير العادي. واتفق مع القس جميل القرح، سرا وبمعزل عن جميل الحداد، أن يكون له وسيط خاص في سورية ليتصل مع (K) أي مع جميل الحداد نفسه، في حالة الطوارئ، ووسيط آخر في لبنان إذا لم يشأ أن يستمر في اتصاله مع القس جميل وسلم القس جميل القرح جهازا لاسلكي يعملان بوساطة المدخرات (البطاريات) الناشفة من نوع (بيرك) أحدهما وضع في جوف تمثال من الخشب للسيد المسيح لا يزيد ارتفاعه على ثلاثين سنتيمترا، يوضع على المنضدة، والآخر في قاعدة مروحة كهربائية، هولندية الصنع قوتها (110) فولت صالحة للاستعمال،

وعنوان في تركيا يرأسه عند الضرورة، ويقوم صاحب هذا العنوان بإعادة إرسال هذه المعلومات إلى المخابرات الإسرائيلية، ونقلها، بعد ذلك، إلى حيفا تمهيداً لسفرهما إلى بيروت.

عودة الفرع والحداد إلى بيروت!

عاد ضباط المخابرات الإسرائيلية: أبو يوسف، وموسى، وأبو نانلي مع جميل القرح وجميل الحداد إلى حيفا ونزلوا في طوربيد عليه ثلاثون بحاراً، مجهز برادار، ومدفعية من الأمام ومن الخلف، ويحميه طوربيد آخر مجهز مثله، وسرعته القصوى (90) ميلاً في الساعة، وانطلقوا ليلاً، وكان القمر مضيئاً، وأبحر الطوربيد من حيفا إلى قبرص، ثم انحرف - في طريقه - نحو المياه الإقليمية اللبنانية واقترب من الساحل وقد أطفأ الأنوار، حتى رأس الدامور. ونزل جميل القرح وجميل الحداد إلى قارب من المطاط مجهز بالأسلحة الرشاشة، وبجهاز لاسلكي، وعليه سبعة بحارة. ونقلوهما إلى شاطئ رأس الدامور حيث أنزلوهما خلف البساتين. وعادوا إلى الطوربيد فاستقلوه إلى فلسطين، بعد حوالي نصف ساعة من وصول القس جميل القرح وزميله جميل الحداد سارا في الطريق العام، ومعهما التمثال وال مروحة وجهازا اللاسلكي، ضمن علبة من الورق المقوى (الكرتون) ركبا في سيارة عابرة إلى بيروت. وأبدل جميل الحداد النقود التي معه بنقود سورية وقفل عائداً إلى دمشق في حين بقي القس جميل القرح في بيروت.

جميل الحداد والعميل (F)!

واظب جميل الحداد على اتصاله بالمستخدم المدني في مؤسسة معامل الدفاع المدعو يوسف عساف جريس كعده (وهو وجميل من قرية رخم، درعا).

فصادقه صداقة متينة، وواساه على فقره، وزعم أنه يعمل لصالح جمعية تبشيرية في لبنان تدعى (كنيسة الله) لقاء راتب شهري قدره (ستمئة ليرة سورية). وذكر له أنه زار لبنان والعراق ومصر بجولة تبشيرية وربح مبلغ أربعة آلاف ليرة سورية من هذه الجولة. ولاحظ يوسف آيات النعمة عليه. وأخذ جميل يصطحب يوسف إلى موائد الشراب ومجالس اللهو. وينفق عليه من غير حساب. ويغدق عليه بالعطاء. فذكر له يوسف أنه مدين بمبلغ (ألف وثمانمائة ليرة سورية) وفائدته ثلاثون ليرة سورية شهرياً، فتعهد له جميل بدفع هذا المبلغ دفعة واحدة وسيسترده منه تقسيطاً من دون فائدة وعرض عليه أن يوظفه مبشراً في الجمعية. فأبدى له يوسف جهله بالتبشير وتفسير الإنجيل فطمأنه جميل إلى أنه سيساعده ويدبره، وأنه سيرسل رسالة بهذا الخصوص إلى الجمعية.

اتصل جميل لاسلكياً بالمخابرات الإسرائيلية، بعد عودته من إسرائيل في ربيع عام 1961، وعرض عليهم قصة العميل الجديد «يوسف» فوافقوا على استخدامه وعاد جميل، بعد يومين إلى يوسف وأبلغه موافقة الجمعية على تعيينه. وكتب له طلباً بالعمل تضمن: «أنا يوسف عساف جرجس كعده أريد الانتماء إلى جمعيتكم» فوقعه يوسف بتوقيعه وقام جميل الحداد بإرسال طلب الاستخدام هذا إلى إسرائيل بوساطة العملاء الذين ينقلون منه المعلومات إليها.

وعاد، بعد عشرة أيام، جميل الحداد وأعلم يوسف أنه جرى تعيينه في الجمعية بالفرع السياسي، وليس بالفرع الديني. وأطلعته على مهمة هذا الفرع بأنه جمعية ماسونية لا يدخلها إلا الراسخون في الدين، ومهمتها جمع المعلومات العامة عن سورية من أجل انقلاب لتحقيق «سورية الكبرى» فرد عليه يوسف بأن هذا هدف «الحزب القومي السوري» فما كان من جميل إلا أن أجاب بأن هذا الحزب: هدام، ومخرب وأما هذه الجمعية الماسونية فهي ذات أهداف سامية!

وطلب جميل الحداد من يوسف أن يكتب له تقريراً عن عمله في معامل المؤسسة فقدم له يوسف هذا التقرير، وذكر له أنه يقوم بمراقبة المحركات الديزل، وتصليحها فطلب منه مزيداً من المعلومات. وكان في هذه المرة موجهاً من قبل المخابرات الإسرائيلية، وقدم له عدداً من الأسئلة تتعلق بعدد المحركات، وقوتها، وقدرتها. فأجاب يوسف عليها، فأخذ جميل هذا التقرير وكتب عليه حرف (F) فسأله يوسف عن سبب وضع هذا الرمز فأجابه جميل بأنه رمز يطلق على الأعضاء العاملين. ثم قام جميل بكتابة رسالة بالحبر السري، بحضور يوسف. فسأله عن سبب كتابتها بهذا الشكل فأجابه بأنه سيرسلها إلى مقر الجمعية في بيروت.

عاد القس جميل القرح إلى دمشق، وأحضر معه جهازي اللاسلكي (التمثال والمروحة الكهربائية)، فاعترضته الجمارك السورية على الحدود فدفع الرسم المالي عنها وهو مبلغ (45) ل.س. وأدخلها (والجهاز اللاسلكي ضمنها) إلى سورية. واجتمع بجميل الحداد وسعى لاستئجار دار له. وقد وقع عقد الإيجار القس جميل بتاريخ 1961/6/20. ودفع أجوره من الأموال التي رصدتها المخابرات الإسرائيلية له لذلك. وقدم جميل الحداد له تقارير عميله الجديد يوسف عساف كعده في داره. ودفع ليوسف مبلغ خمسين ليرة سورية، جميل الحداد، على أنها مرسلة له من الجمعية وطلب منه أن يحصل له على جميع الأوراق التي تصل إلى يده بسبب وظيفته، ونماذج عن الطلقات التي تنتجها مؤسسة معامل الدفاع. فأرسل يوسف عساف إلى جميل الحداد أمراً إدارياً بنقل النقيب أحمد من القسم الأول إلى القسم الثالث في المعامل، وصورة عن الاتفاقية المعقودة بين مؤسسة الكهرباء ومؤسسة معامل الدفاع لتحويل قسم من الطاقة الكهربائية في المعامل إلى مصلحة الكهرباء. كما قدم له أيضاً بطاقة تفقد وورقة مراسلة بيضاء.

وقام جميل الحداد بتصوير هذه الوثائق بداره، بحضور يوسف

عساف، بآلة التصوير التي أحضرها معه من إسرائيل. وأفصح جميل له بأنه يقوم بمثل هذا العمل منذ خمس سنوات، وأنه يملك جهاز إرسال لاسلكي أرسل له من بيروت ضمن تنكة من الزيت وأن له أعواتاً في مناطق أخرى من دمشق، ودوائر ثانية من مؤسساتها.

وأراد يوسف أن يطلع، فضولياً، على وثيقة كان جميل الحداد يقوم بتصويرها فرفض جميل اطلاعه عليها ولكنه أعلمه بأنها وردته من شخص يعمل في إدارة السجلات العسكرية لقاء راتب (350) ل.س. فسأله يوسف عن كيفية وصول هذه الأوراق إلى لبنان فأجابه جميل بأن هناك وسيطاً يأتي إلى مقهى معين في موعد محدد ويتبادل معه الإشارات المتفق عليها ويستلم هذه الأشياء منه ثم يقوم بإيصالها إلى من طلبها.

وأخذ جميل الحداد يبقر ما يحصل عليه من المعلومات إلى إسرائيل بالجهاز اللاسلكي الذي أرسل له ضمن تنكة الزيت. وقد بدأ الاتصال من داره الجديدة منذ أوائل شهر تموز 1961 فاحترق هذا الجهاز لأنه استعمل، في إدارته، مدخرات غير المدخرات المعدة له. وحضر إليه في آخر الشهر، القس جميل القرح وطلب منه أن يستعمل الجهاز اللاسلكي المخبأ في جوف تمثال (السيد المسيح). وأخذ جميل الحداد يبيت بهذا الجهاز إلى إسرائيل وأخبرهم بأن الجهاز ضعيف وقد احترق الجهاز السابق فوردته برقية من إسرائيل برقم 8/ وتاريخ 1961/8/14 بتمام الساعة الثانية عشرة على موجة التردد 6355 كيلو سايكل، بالرموز المرقمة، وهذا نصها:

(وصل 11. سنحضر لك لمبة للإرسال. نخبرك موعد تسليمه. هل كان نشاط سرب (رب) الرادار الذي أرسلت صورته. هل دخلت سيارات الجيش وأشخاص من الجيش)، فأرسل جوابها جميل الحداد في اليوم نفسه.

ووردته رسالة أخرى، بالرموز نفسها، بتاريخ 1961/8/15 بالساعة الرابعة عشرة والدقيقة الثالثة على ذات التردد وهي برقم 9/ ونصها:

(. متى رأيت الصديق في الوقت الأخير وكم من الدراهم أعطاك بالضبط. ما كان لون البذات التي ارتداها الجنود وما لون قبعاتهم؟ وهل كانت علامات على سيارات الجيش. وصل 22 و 23). وهكذا استمر جميل الحداد على الاتصال المباشر مع السلطات الإسرائيلية في كل حين وعند كل طلب. وكان يرسل، عند الضرورة، المخابرات الإسرائيلية، عن طريق تركيا، وقد أرسل خمسة تقارير.

جميل القرع والعميل (A)!

كان القس جميل القرع يتردد، كل شهر، على عملائه في دمشق، يأخذ منهم المعلومات، ويدفع لهم الرواتب. وعاد للاتصال بالرفيق حنا المسعد بعد عودته من إسرائيل وأخذ منه ما يتعلق بسلاح المدفعية. واتصل بأنطون عقل، وكان قد نقل إلى وظيفة أذن في قصر الضيافة بدمشق، واستمر في استقاء المعلومات منه وأعطاه الرمز (أ) ثم الرمز (A). وكان عقل يؤشر بهذا الرمز على كل إيصال يوقعه له بعد استلامه راتبه. وقد أودع جميل عنده آلة تصوير نوع (ريتينيا) ومثبتة لآلة التصوير ليتمكن من تصوير الوثائق.

وقد قام فعلاً القس جميل بتصوير بعض الوثائق في منزل أنطون عندما يكون غائباً عن الدار. وقد ترك هذه الآلة عنده فاحتفظ بها وحين عاد جميل، بعد مدة وسأله عنها أجابه بأنه باعها. ولكن القس جميل القرع كشف هذه الإساءة فاعترف له أنطون بأنه يود أن يعتبرها هدية فسامحه بها.

شهر العسل في إسرائيل!

تعارف المدعو وليم بستولي بالفتاة جوليا بنت القس جميل القرع حين كان موظفاً في محلات والدها. وهو من أصل يوناني، وجنسية لبنانية، ويتقن

اللغات: اليونانية، العربية، الإنكليزية، الفرنسية، ولايزال في ريعان الشباب. فخطبها من أبيها وبارك القس جميل هذه الخطبة ووعدته بتزويجه من بنته جوليا.

وكان القس جميل القرح قد سئل، أثناء وجوده في إسرائيل خلال شهر أيار 1961، عما إذا كان أحد من عائلته أو من أقربائه يعرف شيئاً عن طبيعة عمله، فأخبرهم بأن أفراد عائلته يشعرون بعمله ولكنهم يجهلون الجهة التي يرأسها. وأن ابنته جوليا قد خطبت من شاب ذكي يتقن أربع لغات، وأنه سيسافر إلى ألمانيا الغربية لقضاء شهر العسل ودراسة فن الديكور. فطلبوا منه أن يجنده للعمل معه دون أن يترك ذلك في نفسه غضاضة. وأعطوه بطاقتي سفر ومبلغ ألف ومائتي ليرة لبنانية وعنوان روبير طوطح في ألمانيا.

وعاد القس جميل القرح إلى لبنان وقام بإجراء مراسيم الزواج بتاريخ 1961/6/17. وسافر، بتاريخ 1961/7/17، ولیم بستولي وزوجته جوليا إلى ألمانيا الغربية في حين أوعزت السلطات الإسرائيلية إلى رئيس شبكات التجسس في البلاد العربية روبير طوطح باستقبالهما في ألمانيا.

وقابل روبير طوطح، بفندق أطلانتيك، بمدينة دوسلدورف في ألمانيا، ولیم بستولي وزوجته. وطلب منه جواز سفره وجواز سفر زوجته فقدمهما له ولیم. وغاب روبير فترة ثلاث ساعات تقريباً ثم عاد وأعطاه جوازي سفر إسرائيليين باسم يوسف مزراحي وجواليا مزراحي. وطلب منهما أن يهيئا نفسيهما للسفر إلى إسرائيل.

وطار ولیم بستولي، وزوجته جوليا، إلى أمستردام، واستقلا طائرة إسرائيلية إلى تل أبيب. واستقبلهما عند وصولهما إلى المطار ضابط الاستخبارات موسى، صديق القس جميل القديم، وشخص آخر. وأضافتهما المخابرات الإسرائيلية في دار خصصت لهما وبوشر بتدريب ولیم على الاتصال اللاسلكي بالرموز (الشفرة) والكتابة بالحبر السري.

نغطية أبناء الانفصال في 28 أيلول في إسرائيل!

قامت حركة الانفصال فجر 28 أيلول 1961، فأبرق جميل الحداد إلى المخابرات الإسرائيلية بالنبا. فورد الجواب في الساعة الثالثة عشرة والدقيقة الثلاثين ببرقية ذات رقم /21/ وتاريخ 1961/9/28 على التردد /6355/ ونصها:

(. أرسل كل يوم واستلم كل يوم. حالة طوارئ. استلمنا البضاعة من الرسول. نحن منتظرينك كل يوم كما أخبرناك. أرسل تفاصيل عن الانقلاب العسكري. من هي القوات المنفذة وأي قوات عسكرية ومن هي التي تساند الانقلاب. أخبرنا عن كل تحرك لقوات منطقة دمشق).

وتحرى جميل الحداد الأجوبة عن هذه البرقية. ووافى بها المخابرات الإسرائيلية وسلم تقريراً مفصلاً عن الانفصال والأسلحة التي اشتركت فيها وصورة لمحطة الرادار الموجودة بين منطقتي الشيخ مسكين وإزرع. وكان قد صورها بنفسه، أثناء زيارته مرة، إلى قرية رخم في حوران.

تاج الدين اليماني والمخابرات السورية!

كان تاج الدين اليماني الحسيني يتردد على القس جميل القرع منذ زمن طويل يساعده في التصوير ثم استغنى جميل عن خدماته. وعاد تاج الدين وجدد صداقته مع جميل، إثر الانفصال في 28 أيلول 1961، وادعى بأنه من ضباط المخابرات السورية. وأخذ يعرف القس جميل بأصدقائه على أنهم زملاؤه، وأنهم يراقبون السوريين الوافدين، جواً، إلى لبنان. وأطلعته على أن السيد أكرم الديري ورفاقه لم تشعر مفرزة الأمن المختصة بمراقبتهم بوصولهم إلى لبنان مما أدى إلى تغيير عناصرها وقد كتب القس جميل القرع هذه

المعلومات بتقرير مفصل وأرسله إلى المخابرات الإسرائيلية بوساطة العملاء الآخرين.

وعرض تاج الدين اليماني الحسيني على القس جميل القرع أن يذهب إلى دمشق لتصوير رئيس الجمهورية وقائد الجيش تصويراً (فنياً). وقدم له بطاقة توصية إلى المدعو فتحي كركوتلي وأبلغه أن هذا يعمل لصالح المخابرات السورية. وقد طلب تاج الدين من فتحي كركوتلي مساعدة القس جميل ووعدته بدفع مبلغ خمسة آلاف ليرة سورية مكافأة له عند تنفيذ الالتزام. فطلب منه فتحي أن يتقدم بطلب إلى القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة.

رحلة جميل القرع السابعة إلى إسرائيل

أبرقت المخابرات الإسرائيلية إلى جميل القرع بأن صهره وليم بستولي مريض وحالته في خطر في تل أبيب (طبعاً كانوا يكذبون) فذهب جميل إلى صور ومنها إلى القوزح. ودلف بصحبة الوسيط محمد سعيد قليفل إلى طريده. وقابل صهره وليم، وابنته جوليا، ورجال المخابرات الإسرائيلية. فأبدوا له غبطتهم لنجاح وليم بدورة تحتاج إلى ثلاثة أشهر اختصرها في بحر شهر ونصف. وأمضى القس جميل يومين في فلسطين، ثم عاد من حيث أتى ليستقبل وليم وجوليا بعد عودتهما، في بيروت، من رحلتها المزعومة إلى أوربا.

عودة وليم بستولي إلى بيروت!

وأنهى وليم بستولي دورته في التدريب على الاتصال اللاسلكي والكتابة بالحبر السري وشؤون التجسس. وأعيد وزوجته بالطائرة إلى فيينا ومنها إلى بيروت. وهبطا في مطار خلد بتاريخ 1961/10/3. وانضم وليم إلى خلية عمه

القس جميل القرح واستأجر داراً في بيروت ليتخذها مركزاً لنشاطه وكان قد أحضر بدل إيجارها معه من تل أبيب.

رحلة جميل الحداد الأخيرة والعميل (D)!

حضر القس جميل القرح إلى دمشق، في أوائل تشرين الأول 1961، وقابل جميل الحداد وطلب منه أن يراقب الترددات المتفق عليها في الشيفرة، من المذياع العادي الذي يوجد في داره في وقت معين، ونفذ جميل التعليمات، واستمع إلى المذياع على الموجة (JUZ_777) في الساعة السادسة عشرة والنصف من مساء أحد أيام تشرين الأول 1961 الأولى فسمع النداء: «أذهب إلى (D)» ففهم جميل الحداد المقصود من هذا التعبير، فارتدى بذة بنية وربطة عنق كحلية، وذهب إلى مقهى ومطعم السلوان بدمشق، وجلس خلف طاولة منفردة، ووضع عليها علبة كرتون وفوقها علبة سيكارات (LM) وفوق علبة السيكارات علبة كبريت، ووضع أمامه، فوق الطاولة، جريدة الوحدة، وقدحاً من الشاي. وجلس ينتظر العميل (D) ساعة من الزمن في الموعد المحدد ما بين الساعة الثالثة عشرة والسابعة عشرة، فلم يحضر. وخرج جميل الحداد من المقهى وسار في شارع بور سعيد نحو مبنى المحافظة «أمانة المحافظة» وحين وصل إلى قريبها صادفه شخص فابتدره قائلاً:

- كم تبعد سينما الدنيا (عالمشي) من هنا؟ فأجابه جميل:

- (خمسة دقائق). - (لا .. ربع ساعة).

ففهم جميل الحداد من هذه المحادثة أن هذه التعابير هي الاصطلاحات المتفق عليها فيما بينه وبين المخابرات الإسرائيلية. وعرف أن محاوره هو الوسيط الذي سيرسل من المخابرات الإسرائيلية. فسأله عن التعليمات فأجابه بأن المخابرات الإسرائيلية سترسل له رسالة. وقدم له علبة دخان (ل.م) فارغة

وضمنها مئة ليرة سورية. فقدم له جميل قلماً يحتوي في داخله على ورقة بيضاء معنونة باسم «مؤسسة معامل الدفاع» وورقة بطاقة تفقد، وصورة الأمر المتضمن نقل النقيب أحمد من قسم إلى آخر، وبعض المعلومات الإدارية الأخرى التي كان قد استحصل عليها من يوسف عساف وصورها بحضوره.

وقد وردت إلى جميل الحداد في أواخر تشرين الأول 1961 رسالة من المخابرات الإسرائيلية، بوساطة عملائها في بيروت، تتألف من حوالي عشرين سطرًا معنونة باسم (حضرة الفاضل جميل منور المحترم، قصاع - حي مارسيل كرامي - زقاق رقم 1 ملك جوزيف عوض - دمشق - الجمهورية العربية السورية) وكتب اسمه بالفرنسية Jamil Haddad وقد بدأت الرسالة بعبارة «حضرة الصديق العزيز» وتضمنت أن أعضاء الكنيسة سيجتمعون في بيروت بتاريخ 1961/11/10 ففهم جميل من هذه الرسالة أن عليه أن يذهب في هذا الموعد لمقابلة الوسيط في بيروت.

سافر جميل الحداد إلى بيروت قبل تاريخ 1961/11/10 واتصل بالقس جميل القرح وأخبره بأمر الرسالة، وأعلمه بأنه سيسافر إلى (عند الجماعة) فطلب منه القس جميل أن يقابل الوسيط في نادي الشرق في بيروت للاطلاع على التعليمات الواجب اتباعها.

وارتدى جميل الحداد البزة البنية اللون وربطة العنق الكحلية، وذهب، في الموعد المحدد، إلى نادي الشرق. وجلس خلف طاولة منفردة ووضع فوقها علبة كرتون فارغة وفوقها علبة سيكارات (ل.م) وفوقها علبة كبريت، ووضع أمامه، فوق الطاولة، جريدة البناء اللبنانية، وقدحاً من الشاي. وفيما هو جالس حضر إليه شخص يتأبط ربطة (كروز) من علب (ل.م) وتعارفاً. وأخبره الوسيط بأن المخابرات الإسرائيلية تدعوه لمقابلتها في إسرائيل وأنه رتب له موعد السفر. واتفق وإياه على اللقاء به في اليوم التالي في النادي نفسه في موعد معين.

وعاد الوسيط، المدعو علي، إلى النادي. وخرج مع جميل الحداد وسافر

وإياه بتاريخ 13/11/1961 إلى بلدة صور. ونزلا من السيارة قبل جسر القاسمية، واتجها غرباً في طريق رملية إلى شاطئ البحر قرب صور. وانتظرا حتى الساعة السادسة عشرة إلى أن أدلهم الظلام فحضر زورق بخاري للصيد عليه أربعة من البحارة، أحدهم والد علي والآخر شقيقه وآخران.

وركب جميل الزورق فمخر به البحر، وشغل البحارة أنفسهم بإلقاء شباكهم في البحر حتى لا يحادثهم جميل. وساروا به حتى وصلوا به إلى شاطئ نهاريا فأنزلوه قرب معمل شركة الغزل والنسيج في نهاريا. واقتاده شخص من البحارة إلى المستعمرة واتصل هاتفياً بالمخابرات الإسرائيلية، فحضر ضابط المخابرات موسى يرافقه أبو نانلي وأخذاه إلى فندق في نهاريا حيث حل فيه.

واجتمع به شخص من المخابرات الإسرائيلية، وسأله عن سبب عدم اتصاله بهم جيداً فهم لا يسمعون إشارات اللاسلكية. وسأله عن كيفية تركيبه الهوائي والأرضي للجهاز. فذكر له جميل ذلك، فتبين لرجل المخابرات أن عملية التركيب خطأ، فأعطاه هوائياً جديداً، وآلة تصوير من نوع كوداك تحمل الرقم 50499 وحاملة آلة تصوير ماركة (اليوهوف) ألمانية الصنع لتثبيتها على الطاولة أثناء تصوير الوثائق وعدسات مقربة لآلة التصوير ودفتر ورق من ماركة (Ciminot Bork) من مصنوعات زوريخ خاص لكتابة الرسائل بالحبر السري، وأرشده إلى أن مدخرات - بطاريات «بيرك» هي التي تصلح لجهاز الإرسال وأبلغه أنهم أرسلوا له جهازاً لاسلكياً ضمن علبة مربى البطيخ الأصفر بوساطة جميل القرع. ونقده موسى (خمسمائة ليرة لبنانية) مكافأة له، علاوة عن رواتبه التي سيقبضها من جميل القرع.

عودة جميل الحداد إلى دمشق!

أمضى جميل الحداد ثلاثة أيام في مستعمرة نهاريا، بين أحضان المخابرات الإسرائيلية، فأعيد إلى الشاطئ. وانتظر الزورق البخاري الذي

أحضره من صور وحضر الزورق وبحارته أنفسهم وعادوا به إلى صور. وركب سيارة عابرة إلى بيروت وذهب إلى دار جميل القرح وأخبره بما حصل معه في إسرائيل. فأعطاه أسئلة جديدة ليجيب عنها يوسف عساف وهي خاصة بمؤسسة معامل الدفاع.

وكان محمد سعيد فليفل قد أحضر رواتب جميل الحداد من إسرائيل وسلمها للقس جميل القرح البالغة ألفاً ومئتين وخمسين ليرة لبنانية. وأحضر معه أيضاً علبة المربى وفي داخلها جهاز اللاسلكي الذي وعدت به المخابرات الإسرائيلية جميل الحداد.

وعاد جميل الحداد إلى دمشق بعد أن أمضى يومين في بيروت واتصل بالعميل يوسف عساف جريس كعده ذي الرمز (F) وأفصح له عن حقيقة عمله وقدم له ورقة الأسئلة الجديدة، وتحتوي أربعة وعشرين سؤالاً طلبها منه القس جميل القرح، وقدم له مبلغ خمسمائة ليرة سورية فوافاه يوسف بالمعلومات التالية:

1. مصدر المواد الأولية لمعمل الذخيرة في مؤسسة معامل الدفاع.
2. إنتاج معامل الدفاع وتسويقها، كمية الإنتاج يومياً، وشهرياً، وسنوياً.
3. الدول التي تستهلك إنتاج المعامل.
4. قطع التبدیل التي تنتجها المعامل.
5. المواد المصنوعة لحساب الجيش والقوات المسلحة.
6. المدخرات (البطاريات) الناشئة ومصدر موادها الأولية، وتسويقها.
7. التعديلات الطارئة على بناء المعامل.
8. معلومات عن معمل الأحذية العسكرية، ومصدر موادها الأولية وكمية الإنتاج وأنواعها.

وقد استقى يوسف هذه المعلومات من مجلة تصدرها مؤسسة معامل الدفاع. وأرسل القس جميل القرح جهاز اللاسلكي في علية المربي إلى جميل الحداد مع مدخرتين من نوع بيرك واتصل، بوساطته، مع المخابرات الإسرائيلية. فأجابوه أن يتصل معهم على الموجة (د-1، 1-D). فاتصل بهم على هذه الموجة فلم يسمعه، فأرسل لهم رسائل بالحبر السري، بوساطة العنوان المتفق عليه في تركيا يعلمهم فيها أنه لا يعرف سبب عدم سماعهم له.

وسافر جميل الحداد ويوسف عساف إلى بصرى الشام، قبيل الانتخابات النيابية التي جرت في كانون الأول 1961 فأخذ جميل بصور الأراضي التي يمر فيها، وصور محطة الرادار الواقعة بين منطقتي الشيخ مسكين وإزرع، والأراضي المحيطة بها، ومدرسة درعا الثانوية، فسأله يوسف عن سبب تصويره هذا فأجابته بأن إسرائيل طلبت منه ذلك لمعرفة هذه المنطقة الطوبوغرافية.

تيسر عقل أنطون بعد الوحدة!

سلم عقل أنطون تصريحاً رسمياً باعتباره آذنأ في قصر الضيافة بدمشق فتأثر من وجود كلمة آذن عليه، فأحضر مادة كيماوية وأزال هذه الكلمة، وكتب بخط يده كلمة موظف ليستطيع أن يدخل أي مكان بغية الحصول على ما يرضي القس جميل القرح.

وقد حضر إليه القس جميل القرح، أثناء زيارته المتعددة لدمشق، وسأله عن حقيقة المظاهرات التي وقعت في حماة، وعن النواب الذين اتصلوا بمؤسسات أجنبية، وعن السفارات العربية السورية في الخارج، وأسماء السفراء، وما موقف التجار والمصارف ورجال الأعمال من التأمين، وكيفية حصول انفصال 28 أيلول 1961، والحوادث التي وقعت بعدها. وكان عقل يمد

القس جميل القرح ببعض من هذه المعلومات، في كل مرة يزوره فيها. وطلب منه، مؤخراً، تقريراً عن الأوضاع النيابية، والاستعداد للانتخاب رئيس الجمهورية وتوقع أن يأخذ منه هذه المعلومات في زيارة قادمة.

هدية المخابرات الإسرائيلية لوليها!

اتصلت المخابرات الإسرائيلية، لاسلكياً، بتاريخ 1961/11/16 بالقس جميل القرح. وأخبره بأن صديقاً موثقاً سيقابله في هذا اليوم، في مقهى سان بيكو، في منطقة الأوزاعي وعليه أن يأخذ معه علبة حذاء كرتون فارغة، ويضع منديلاً أبيض في جيب معطفه العليا اليسرى، ويأخذ معه نصف من ليرة لبنانية ورقية. وعندما يدخل إلى المقهى يحضر إليه شخص يقول له: (لك عندي هدية) فيخرج جميل القرح نصف ليرة الورق التي معه، ويخرج ذلك الصديق نصفها الآخر. ولما يتطابق الرقم يتم التعارف. وإن لم يستطع الذهاب بتاريخ 1961/11/16 عليه أن يذهب بتاريخ 1961/11/26 فيجد صاحبه هناك بانتظاره.

وذهب، في الموعد الثاني، القس جميل القرح إلى مقهى سان بيكو على شط البحر قرب مطار خلدة الدولي، وطبق التعليمات التي وردته من إسرائيل. وفيما هو يصعد درج المقهى ابتدره شخص عابر بقوله: (اتفضل.. لك عندي هدية). ودخل معه إلى المقهى وشربا الشاي، ووعدته بمقابلته في الساعة السادسة من مساء يوم 1961/11/27 على طريق الكورنيش الحديث في مقهى عازار.

وعاد، في الموعد المحدد، القس جميل القرح وصهره وليم بسيارته إلى المقهى المتفق عليه. وترك وليم في السيارة، والتقى، بالموعد المحدد، بالعمل الجديد. فطلب منهما أن يذهبا معه. وركب السيارة معهما وذهبا إلى شارع

الحازمية، فوجدوا سيارة من نوع أوبل ريكورد، لونها رصاصي. فنزل العميل من سيارة القس جميل وفتح صندوق هذه السيارة وأخرج صندوقاً خشبياً وقدمه لهما قائلاً (تفضلوا هذه هي الهدية: مع السلامة) فودعاه وانصرفا.

وكانت هدية المخابرات إلى وليم عبارة عن ساعة منزلية توضع على المنضدة، طولها حوالي نصف متر وتحوي على جهاز يلاسلكي يعملان بالكهرباء، ومعهما رموز (شيفرة) خاصة بهما، ومواعيد الإرسال والاستقبال. فوضع القس جميل هذه الساعة في منزله، ثم لم يلبث وليم أن أخذ (ساعته) إلى داره.

ضابط في الحافة.. مع جميل الحداد!

ذهب يوسف عساف وابن عمه الملازم فايز يوسف جرجس إلى منزل جميل الحداد أمسية أحد أيام تشرين الثاني 1961، بعد عودته الأخيرة من إسرائيل. فوجدا هناك بعض الأهالي من قرية رخم (قرية جميل الحداد) والقس جميل القرح. فعارف جميل الحداد بين القس والملازم فايز. وأخذ القس جميل يشرح لهما مبادئ وعقائد المذهب البروتستانتى، واختلى، بعد انصراف المدعوين، القس جميل بالمبشر جميل وسأله عما إذا كان قريبه فايز ضابطاً عاماً في الجيش، وعن مكان قطعه. فأجابه بالإيجاب وأنه في معسكرات قطنا. فابتدعه القس جميل القرح بقوله:

- (.. كما ترى.. تحت يدنا صيد ثمين جداً ولو استخدمنا الحكمة والتصميم والإخلاص لمبادئنا، لاستطعنا الحصول عليه بسهولة. فما رأيك في أن تبذل محاولة من جانبك لتحقيق ذلك؟) فاعتذر جميل الحداد لخطورة موقفه. وتابع جميل القرح حديثه:

- (لا تكن ساذجاً وجباناً، ولا ترهبه بمجرد كونه ضابطاً، أنا لا أعتقد أن

المحاولة ستجح 100% ولكن يمكنني أن أقول إن درجة احتمال النجاح كبيرة. ولو استطعنا كسب ضابط من الجيش السوري برتبة أعلى من رتبته. وأرجو أن تفهمه جيداً أنني كنت في إسرائيل منذ فترة وجيزة واجتمعت برئيس المخابرات الإسرائيلية أبو ديب (أي إسحق حاييم) وقد أبح عليّ كثيراً أن أكسب ضابطاً من ضباط معسكرات عدنان المالكي في قطنا نظراً لأنها مركز حساس وأساس لجميع الانقلابات التي تحدث في سورية. ولذلك يجب أن تحاول إقناعه ولا تدع الفرصة تفلت من يدنا. إنه قريبك، ولا يمكن أن يضحى بك، وأني أقترح أن تكسب ابن عمه يوسف عساف جرجس فلن يضح فايز بكما. فأجابه جميل الحداد:

— إن الأمر يبدو صعباً رغم كل ذلك، ولكنني سأحاول. أعدك بأنني سأحاول.

وبر جميل الحداد بوعده ونفذ الخطة، وأرسل يوسف عساف جرجس بتاريخ 1961/12/14 لتطبيق الملازم فايز يوسف وإقناعه بالعمل معه لقاء راتب شهري حوالى الألف ليرة سورية، فعاد فايز ويوسف واجتمعا بجميل الحداد. وتم الاتفاق بينهم على أن يتعاون فايز معهما براتب قدره /1000/ ليرة سورية شهرياً. فطلب فايز منه أسماء باقي الشبكة، فكشف له اسم القس جميل القرح. وحذّره فايز من سوء العاقبة. فقام جميل وأتلف الوثائق والأفلام التي بحوزته وأعطى بعضاً منها للملازم فايز، بناء على طلبه.

الكشف عن السر!

ذهب الملازم فايز جرجس بتاريخ 1961/12/16 إلى مقر عمله، في قاعدة فيصل ناصيف الجوية. وأبلغ ضابط الأمن، النقيب الطيار نوفل هندي، بما جرى معه فطلب إليه متابعة اتصاله مع هذه الشبكة وموافقته على العمل معها.

وعاد القس جميل القرح بتاريخ 1961/12/16 إلى دمشق، واطلع من جميل الحداد على مساعيه مع الملازم فايز، وقدم له المعلومات التي حصل عليها من يوسف جرجس المتعلقة بمؤسسة معامل الدفاع، ومعمل الأحذية العسكرية. وأطلع جميل الحداد على اتصاله بالعمل الذي عينته له إسرائيل في دمشق، وأعطاه المعلومات التي حصل عليها، وبعض نماذج الذخيرة الحية.

واجتمع مساء اليوم ذاته، جميل القرح بالملازم فايز جرجس في منزل جميل الحداد، وادعى جميل القرح بأنه عضو في جمعية ماسونية، ستخلصهم من الاضطهاد والظلم، فروى له فايز أنه مظلوم في الجيش، فشجعه القس جميل القرح على التعاون معه، وصرح له بأن عنده، ضباطاً سواء، وأنه سيقبض ثمن كل شيء، وطلب منه بعض المعلومات العسكرية، فأجاب فايز مستمهلاً بأن يقدم له الأسئلة عن المعلومات التي يريد، وسيوافيه بها في المرة القادمة، ووقع له عقد العمل معه وانصرف.

وأبلغ جميل الحداد القس جميل القرح بأنه أقنع الملازم فايز بالعمل معه، وقد أبلغ المخابرات الإسرائيلية، لاسلكياً، بذلك وسوف يرسلون له مبلغ 1000 ليرة لبنانية مكافأة له على ذلك. وسيسعى لإقناع قريبه، الآخر، العقيد ميشيل الحداد وهو ضابط في سلاح المدرعات في معسكرات قطنا. وقد أهده آلة تصوير من الآلات التي أحضرها من إسرائيل. ووعدته بأن الملازم فايز يكون قد قدم تقريره. فخرج القس جميل وذهب إلى بيروت.

وردت بتاريخ 1961/12/26 بالساعة 16.30 بمناسبة عيد الميلاد، على التردد 6355 البرقية التالية:

(كل عام وأنتم بخير. لم نسمعك يوم الجمعة وأمس).

القس الجاسوس في القز!

ذهب القس جميل القرح إلى بيروت، واتصل بالمخابرات الإسرائيلية وأبلغهم تعاقدته مع الضابط فايز. فحضر الوسيط إلى بيروت وقدم له الأسئلة المرسلة من المخابرات الإسرائيلية التي ستطرح على الملازم فايز جرجس، ليجيب عنها، حسب الاتفاق.

وردت برقية إلى جميل الحداد، بتاريخ الخميس 1961/12/28، بالساعة 16.30 رقم 21 على التردد 6355 ونصها:

(لم نسمعك. أرسل على موجة 6680 وأعد الإرسال على موجة 5660 س. في هذه الموجة سمعناك جيداً في 20 تشرين الثاني. افحص الهوائي والبطارية).

وعاد القس جميل القرح، وزوجته فكتوريا العقاد، إلى دمشق بتاريخ 1961/12/2 قصداً منزل جميل الحداد وسلمه الأسئلة الواردة، إلى الملازم فايز، من إسرائيل وهي تتعلق بشؤون سلاح الطيران، واسم قطعة الملازم فايز. وأعطاه 150 ليرة سورية ليقدّمها إلى فايز واستحصل منه على إيصال بها.

واجتمع القس جميل القرح، وزوجته، بالرفيق الأول حنا المسعد في داره، فقدم له المعلومات التالية:

1. صورة عن تعميم صادر عن العقيد أسعد صافي وأثلي، قائد موقع القطيفة، بشأن التقيد بالتوصيات الطبية.

2. صورة عن الأمر الإداري رقم 614 وتاريخ 1961/10/12 الصادر عن قائد اللواء الثالث عشر.

3. صورة طبق الأصل، عن ملحق رقم 2 للأمر الإداري رقم 652، ويتعلق

بمسابقة أحسن قائد جماعة مدفع.

4. صورة، طبق الأصل، عن التعميم المتعلق باستعمال مراجع المدافع كل 15 يوماً.

5. صورة، طبق الأصل، عن التعميم الصادر عن القائد العام للجيش العربي السوري يمنع العسكريين من ركوب سيارات مراقبي الهدنة.

6. صورة طبق الأصل، عن أمر إداري يتعلق بحفظ الوثائق. مع تعميم عن الانفصال والعودة إلى التدريب.

7. معلومات عن كتائب المدفعية المضادة وأسماء قادتها وتشكيلاتها وموقعها.

وكان القس جميل القرح قد قدم للرقيب حنا مبلغ (55) دولاراً أمريكياً وخمسمائة ليرة سورية. واستوقعه على إيصال ورمز إليه بحريّة C و A ووعدته بالعودة في 1962/1/15 ليأخذ ما طلب منه من معلومات. وأضاف حنا هذا المبلغ إلى ما كان قد جمعه في أثناء تجسسه والبالغ 14 ألف ليرة سورية وخمسمائة ليرة لبنانية وقد وضع هذا المبلغ، مع آلة التصوير مينوكس ضمن علبة تنك كانت تستعمل لحليب الكليم ودفنها في فراغ مكتبة إحدى غرف الدار التي يشغلها.

وذهب جميل القرح صباح اليوم التالي أي في 1961/12/29 إلى منزل جميل الحداد واجتمع بالملازم فائز جرجس وكانت زوجته فيكتوريا معه فسلمها الأوراق التي بحوزته والتي كان قد استلم قسماً كبيراً منها من حنا المسعد كما سلمها الأوراق التالية:

1. وصل استلام يفيد أن امرأة السيد (A) سلمت مبلغ خمسة وخمسين دولاراً أمريكياً وخمسمائة ليرة سورية إلى السيد: (C).

2. وصل باستلام يفيد أن K و F قد استلما راتبهما عن شهري كانون

الأول والثاني مبلغ ألف وخمسمائة ليرة سورية.

3. ورقة موقعة من المخلص K1 تتضمن الشكر بالتهنئة بعيد الميلاد وإبداء رغبته بتحديد راتب ألف وخمسمائة ليرة سورية مع ملاحظة رقم (2) بأن البضاعة ستكون عربوناً للصدقة.

4. بعض الأوراق إحداها موقعة من عقل أنطون تتضمن معلومات عن الرائد بسام عسلي وخلافات ضباط الثورة وتسريح وإحالة الضباط البعثيين إلى المعاش فأخذت منه هذه الوثائق وغلفتها بورقة جلاتين ودخلت بها إلى المرحاض وأخفتها بين (ثيابها) ثم ودعت وزوجها الحاضرين وانصرفا.

وخرج القس جميل وزوجته من دار جميل الحداد وإذا بشخص يقود سيارة من نوع (فولكسفاكن) يقف بجانبهما ويسألهما: هل أنت القس جميل القرع؟ فأجابه القس بالإيجاب فأركبهما بسيارته ومضى بهما إلى مقر المخابرات السورية، وهذه أول مرة يزورها فيها القس جميل القرع رغم زيارته المتكررة للمخابرات الإسرائيلية. وقد تحرّرت المخابرات السورية جميل وزوجته فعشرت على الوثائق، لاتزال في ورقة الجلاتين، مخبأة في جسمها.

تاج الدين وروز وإغلاف الأجهزة!

نشأت صداقة ما بين تاج الدين اليماني الحسيني وبين سامي بن جميل القرع حين كان تاج الدين موظفاً في محل جميل في التصوير. وأخذ تاج الدين يتردد بكثرة على دار جميل نظراً لصداقته مع ولده. ولكن القس جميل ارتاب في أمر هذه الصداقة وخشي أن ينقل تاج صداقته (المتينة) إلى ابنته روز شقيقة سامي، فكان يتحفظ بالسماح لتاج بزيارته في داره. وقد صرح تاج لجميل وعائلته أنه ضابط في المخابرات السورية وله مكانته المرموقة فيها.

وأخذ تاج الدين يتردد بكثرة على منزل القس جميل القرع أثناء غيابه

ويتناول طعام الغداء مع سامي وروز وباقي أفراد العائلة. وقد خلا الجو لتاج الدين حين أوقف جميل القرح وزوجته بتاريخ 1961/12/29 بالجرم المشهود.

واتصل سامي القرح مساء 1962/1/6 بصديقه تاج الدين وطلب منه مقابلته قرب دار للسينما في حي الأشرافية. وهب، فوراً، تاج الدين وذهب إلى المكان المحدد وتقابل مع سامي فاصطخبه إلى البيت وأعلمه هناك بأن أمه وأباه موقوفان بدمشق. وقد علم ذلك من أحد القساوسة الذي جاء بالخبر من دمشق. ويبحث تاج الدين عن هذا القس وحين وجده استفسر منه عن صحة الخبر فأجابه أن القسيس جميل وزوجته قد اعتقلا حين كانا في زيارة (ابن عقل) الموظف في دائرة السجل العام للموظفين. فتيقن تاج الدين وسامي أن الخبر صحيح وأن القس جميل القرح وزوجته هما المقصودان.

وقرر سامي القرح الذهاب إلى دمشق للاطمئنان على والديه وطلب من صديقه تاج الدين مساعدته فأملى على سامي رسالة وجهها إلى صديقه الملازم الأول عبد الوهاب البكري يطلب منه فيها مساعدته. وسمى له صديقين هما فتحي كركوتلي والمحامي أنطون جبران وطلب منه أن يقصدهما إن احتاج إليهما.

واتصل، بعد سفر سامي إلى دمشق، تاج الدين اليماني الحسيني هاتفياً من بيروت بالملازم الأول عبد الوهاب وسأله عن موضوع القس جميل وطلب منه مساعدته. ثم تحدث الملازم دياب العموري والملازم الأول عبد الوهاب بالهاتف برهة وأخبر الملازم دياب تاج الدين بأن سامي والمساعد هاني الجود قادمان إلى بيروت.

وفهم تاج الدين أن حضور هاني الجود يتعلق بمهمة رسمية فاتصل بـ وليم بستولي وأبلغه بأن أشخاصاً سيحضرون لتفتيش دار ومحل عمه القس جميل القرح وحذره من أن يبقى أي شيء ظاهر سبق أن أحضره عمه معه من

إسرائيل. واتصل وليم بالفتاة روز القرح وأبلغها خبر تاج الدين. ثم قام بتحطيم الجهاز الذي عنده ضمن الساعة وأتلف الرموز الخاصة به واتصل تاج الدين مرة أخرى بالفتاة روز وطلب إليها أن تحرق الأوراق والوثائق وإخفاء كل ما يخص والدها وطلب منها أن تهيئ ملابس والديها لأنهما موقوفان بدمشق وطمأنها قائلاً: (إنني يا روز مستعد لتقديم لحمي لإنقاذهما) وطلب منها أن تتصل بالهاتف رقم (10872) للاطمئنان على أخيها سامي وهذا الرقم هو رقم هاتف فندق السندباد في دمشق. فقامت روز بإحراق جميع الوثائق التي اطلعت عليها وخاصة (الشفيرة المتعلقة بالجهاز) وكلفت أخاها جوني بدفن الجهاز اللاسلكي ومدخرتيه وآلة التصوير الخاصة بتصوير الوثائق وماسورة الكاشف للحبر السري وبعض الأفلام في حدائق بعيدة عن الدار.

وأوفد بتاريخ 1962/1/9 الرائد عدنان نصري، المساعد هاني الجود إلى بيروت وزوده برسالة من القس جميل القرح إلى ولده صموئيل وابنته روز لتسليم حاملها بعض الأشياء الموجودة في داره الكائنة في شارع الروم الأرثوذكس وفي محله (الاستوديو) الكائن في بوابة إدريس في بيروت. فذهب هاني وبرفقته المساعدان عمر معضماني وسعيد حمد إلى دار القس جميل القرح واستأذنا روز بالدخول وسلمها هاني الرسالة فأبلغته الحديث الذي نقله إليها وإلى وليم صديقها تاج الدين وأعلمته بأنها أحرقت الوثائق والشفيرة ودفنت الأجهزة وأرشدته إلى مكانها فقام هاني، بمساعدة جوني، باستخراج الجهاز والمدخرات وآلة التصوير وماسورة كاشف الحبر السري والأفلام ثم نظف هذه الأجهزة واحتفظ بها في حقيبتها واستحصل من روز على رسالة إلى والدها تعلمه بما نقل إليها تاج الدين من أخبار.

وبحث هاني كثيراً عن تاج الدين إلى أن وجده في الفندق بعد منتصف الليل فاصطحبه إلى الاستوديو وبحث هناك عن الجزء الثاني من جهاز اللاسلكي - أي آلة تشيف الصور - فعثر عليه في السقيفة كما عثر في

الاستوديو على صور العرض العسكري السوري لعامي 1959-1960 وبعض صور الأسطول الأمريكي السادس أثناء زيارته للمياه اللبنانية.

اتصل المساعد هاني الجود بالرائد عدنان نصري وطلب منه سيارة عسكرية لنقل المصادرات إلى دمشق وأبلغه عن خطر وجود تاج الدين في بيروت فطلب إليه إحضاره معه.. وحضر تاج الدين، بعد تردد، إلى دمشق.

المخابرات السورية تنبئ على سورية!

وقد وضعت المخابرات السورية يدها على الشبكة كلها وأودعت رجالها رهن التحقيق واستمر رجال المخابرات السورية بالاتصال مع المخابرات الإسرائيلية واهمة إياها أن جميل الحداد لا يزال على اتصال معها.

فوردت بتاريخ 16/1/1962 الساعة 16.30 على التردد 6355 بالرمز JUG البرقية التالية:

(. استمر بالإرسال. أرسل رسالة بالعنوان الموجود عندك.)

ووردت بتاريخ 23/1/1962 الساعة 16.30 على التردد 6355 بالرمز JUG البرقية التالية: (. أرسل رسالة سرية للعنوان في الخارج.)

ووردت بتاريخ 25/1/1962 البرقية رقم 36 الساعة 16.30 على التردد 6355 ونصها: (. أرسل لنا رسالة سرية عن طريق الخارج.) في هذه الرسالة السرية يمكنك أن تكتب أنواع التقارير التي تفيدنا.)

ووردت بتاريخ 30/1/1962 الساعة 16.30 على التردد 6355 بالرمز JUG البرقية التالية: (. هل أنت مستمر في الإرسال. أرسل رسالة سرية وفيها تقرير عن كل المعلومات التي عندك. أرسل في كل أسبوع رسالة سرية.)

ونفذ صبر المخابرات الإسرائيلية فأرسلت الساعة 16.30 من تاريخ 1962/2/1 بالرمز JUG على التردد 6355 البرقية التالية: (. أرسل حالاً رسالة سرية. وأخبرنا ماذا كجديد عندك. وكيف صحة الأصدقاء).

وأرسلت البرقية الأخيرة بتاريخ 1962/2/15 ونصها: (. أرسل رسالة سرية أخرى. هل قابلت الصديق اللبناني).

استمعت إلى قصة الجاسوس الرقيب حنا المسعد، والشبكة الجاسوسية التي أشرف عليها وأدارها القس جميل القرح، وأنا أعتصر أماً، فمشاعري الوطنية، والشخصية كادت تخنقني لأسباب عديدة، لعل أهمها أن المشرفين على السجن، وهم من جماعة الانفصال، أرادوا أن يحرقوني بمشاعري ومواقفي الوطنية والقومية. فالجاسوس الذي كان يجمع المعلومات عن سورية؛ باعتبارها بيت الوطنية والوحدة، من أجل إضعافها وتقويض بنيتها الشعبية وتفتيت قدراتها ودورها في صنع الوحدة مع مصر، يرمونه في زنزانتني وكأنني بمواقفي القومية وانتصاري للوحدة مع مصر أبدو في مرآة الانفصاليين وكأنني الوجه الآخر لهذا الجاسوس الذي يتعامل مع إسرائيل. أحسست بمدى كراهية العقلية الانفصالية لكل ما هو قومي ووحدوي. هذا أمر، أما الأمر الثاني فهو شعوري بالاعتزاز للدور الذي لعبته الوحدة ما بين سورية ومصر، فقد تأكد لدي بأن إسرائيل كانت طرفاً خطيراً عمل على فصل عرا الوحدة ما بين سورية ومصر، وذلك بالطرق البينة والمخفية معاً، وما وجود هذا الجاسوس في زنزانتني إلا الشاهد على العمل التأمري الذي قامت به إسرائيل من أجل جمع المعلومات عن دولة الوحدة السورية المصرية من أجل تقويضها. كما تأكد لي أن هذه العقلية الانفصالية لن تدوم طويلاً في حكم سورية لأنها لا تمثل مصالح الشعب، وهي أصلاً، غير نابعة من صفوف الشعب. وما وجودها على رأس الحكم سوى وجود مصالح بين أركانها.

المهم في الأمر. وأنا أستعيد الآن هذه الذكريات، يتمثل في أنني عشتُ

أياماً قاسية في زنزانتني مع ذلك الجاسوس، وما كان لي أن أقضيها إلا بالاستماع إلى قصته وعلاقته مع أفراد الشبكة الجاسوسية التي رضيت بالارتقاء في أحضان العمالة والجاسوسية للكيان الصهيوني البغيض الذي اغتصب الأرض بالدعم الاستعماري الغربي، والذي يشكل سبباً رئيساً لعدم قيام الوحدة بين الأقطار العربية، وسبباً رئيساً لوجود أفراد يرتضون، لأسباب مختلفة، التعامل الرخيص معه. وقد طلبت من المحكمة العسكرية، ومن محامي الدفاع شخصياً، أن ينقل هذا الجاسوس من زنزانتني، إذ من المعيب أن أتعامل وإياه بالسوية والمقدار نفسيهما. ولكن المحكمة لم تستجب لطلبي.

وقد صممت بعد خروجي من السجن أن أجمع وثائق هذه الشبكة الجاسوسية لأعرف ما إذا كان هذا الجاسوس حنا المسعد صادقاً أم لا، ثم لأقدمها للقارئ الكريم كي يعرف أهمية الوحدة السورية المصرية، والأدوار التخريبية الرهيبة التي قامت بها إسرائيل من أجل فصل عرا هذه الوحدة وتفتيتها، ومن الأسف أنها وجدت لها بعض العملاء الصغار الذين غرقوا في وجول المال، والمصالح، فكانوا عملاء صغاراً لهذا الكيان الصهيوني الغريب دائماً وأبداً عن نسيج منطقتنا العربية فكراً، وتوجهاً، ووجوداً.

وفي نهاية الكشف عن هذه الشبكة الجاسوسية التي قدمت خدمات كبيرة للعدو الصهيوني، وخربت وأفشت الأسرار العسكرية لوطننا. أود أن أشير إلى أنه قد تم إلقاء القبض عليها أثناء فترة الانفصال، رغم كرهى الشديد للذين قاموا بالانفصال إلا أنني أؤمن دور الرجال الذين قاموا بكشف هذه الشبكة الجاسوسية، وأخص منهم النقيب الطيار نوفل الهندي والملازم فايز يوسف جرجس اللذين كشفوا شبكة التجسس على وطننا وشعبنا رغم كل الإغراءات التي قدمت لهما.

وأود أن أذكر أيضاً: أن الحكومة الانفصالية حاولت إزعاجي بزج الجاسوس حنا المسعد في زنزانتني المنفردة لمدة ثلاثين يوماً، ثم جمعوني به مدة

ثلاثين يوماً في زنزانة مزدوجة، ويتقديري كان القصد من ذلك إهانتني وأن تجعلني على قدم المساواة كرجل وحدوي مع من يتجسس لصالح إسرائيل.

فخلال تلك الأيام التي قضاها الجاسوس الرقيب حنا المسعد في زنزانتني كان يحدثني كل يوم بيومه وبالتفصيل الطويل، والحقيقة لا يوجد أمامي سواء كي يحدثني وأحادثه لذلك اضطررت أن أسمعه.

أذكر عندما انتهى من الكلام، سألتني:

هل إذا خرجت أنت من السجن وتبوأ مكاناً كبيراً أتغفو وتصفح عني؟
وهنا، وهذا ما لا أنساه أبداً، نظرت إليه باحتقار وسخرية وقلتُ لو خرجت، وكان لي القرار لعدمك ألف مرة!



الفصل

الثاني

السنوات الثلاث الصعبة من عمر الثورة

كمائن الرفاق..!

إنني على قناعة أكيدة بأن حالاً من المخاض غير العادي عاشته ثورة آذار خلال السنوات الثلاث الأولى من عمرها، فقد وجدنا أنفسنا أن الواقع الذي نريده يتطلب عملاً مضاعفاً لكي نجعل من أهدافنا حقيقة موجودة في المجتمع، والبيت، والمدرسة، والجامعة، والحزب، وأن تشمل هذه الأهداف كل مناحي الواقع واتجاهاته وقياراته وفتاته والطبقات الاجتماعية فيه. لذلك بدأ صراع الآراء والمذاهب الفكرية داخل الحزب أولاً، وداخل البنية السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية في سورية مجتمعة ثانياً، وكان علينا، ونحن نعيد كتابة تاريخ الأحداث الهامة كتابةً جديدةً أن نتبه بعين كشافة لما يحدث في الساحتين العربية والدولية معاً، فالوطن العربي يعيش متناقضات مخيفة، وحروباً خفية هدفها الرئيس تقويض أركان بعض الأنظمة وبعض الاتجاهات السياسية، والتيارات الفكرية. والساحة الدولية مشغولة في تثبيت سيطرتها وتحالفاتها ما بين الدول الغربية المعروفة بأطماعها في المنطقة. يضاف إلى كل هذا وجود لؤثة التاجر ما بين رفاق الاتجاه الفكري الواحد، والتيار السياسي الواحد، بحيث راح الجميع ينصبون الكمائن والأشراك فيما بينهم لإيقاع بعضهم فيها من أجل القفز إلى مراتب ورتب مطموح بها.

ولأن ظروف البلاد العربية في النصف الأول من الستينات معروفة ومدركة في الكتب المدرسية، والتاريخية في آن معاً، وكذلك هو الأمر بالنسبة للدول الغربية صاحبة النفوذ والمصالح في بلادنا معروفاً ومجسداً من خلال مجريات الوقائع، فإنني سأمنضي إلى الحديث عن التفاصيل الداخلية التي عشتها مع رفاقي في الحزب والقيادة السياسية، راصداً التوجهات وردود الفعل تجاه ما كان يحدث على الصعيد الثلاثة: الداخلية، والعربية، والعالمية.. مؤكداً أن المرحلة التاريخية على اختلاف وجوها، كانت مرحلة مخاض شديد الأهمية عرفتها البلاد العربية وسورية كي تخرج من نفق المؤامرات، والمصالح، والأحلاف الخارجية، وظاهرة الاستقواء بالآخر.. من أجل أن تعمل القيادة القطرية على مصالح سورية وأهدافها لا على مصالح الآخرين وأهدافهم في الوطن العربي، ومن أجل أن يصير لسورية، صاحبة التاريخ العريق، شأن مهم في الحاضرة العربية لا أن يصبح الشأن للآخرين فوق أرضها، وعلى حساب أهلها وطموحاتهم الباحثة عن العزة والكبرياء فيها! لأن سورية رائدة القومية العربية، وأهلها من أصحاب الطموح الوحدوي بين الأقطار العربية.

لا شك أنني سأكون معنياً بالدوائر الثلاث التي تشكل الأحداث التي عشتها، عنيث بالدائرة الأولى الأحداث الداخلية، وبالدائرة الثانية، أحداث المنطقة العربية، والدائرة الثالثة، أحداث العالم، وفق ما تقتضيه سيرورة الأمور وشجونها وشؤونها، لكنني سأكون مهتماً على نحو جوهري بما حدث داخل سورية حيث عشت، ورأيت، وسمعت، وأسهمت في العديد من أحداثها الهامة.

أظن أن عام 1964 كان عاماً مليئاً بالانقسامات داخل حزب البعث العربي الاشتراكي، إلى الحد الذي جعل التيارات الفكرية والسياسية داخل الحزب شديدة الوضوح، فكان أن أجمع الرفاق على ضرورة عقد مؤتمر قطري (استثنائي أول) من أجل رأب الصدعات التي حصلت، فكان أن استجاب الجميع لهذه الرغبة، وبدأ التحضير للمؤتمر القطري الذي عقد في مبنى البرلمان في أوائل شهر شباط 1964.

في هذا المؤتمر الاستثنائي بدأت تظهر خلافات شديدة جمعت حولها بعض الكتل الحزبية داخل المؤتمر. كان رئيس المؤتمر الرفيق أحمد الخطيب. وقد حدثت نقاشات وحوارات معمقة حول شؤون كثيرة تهم الوطن والحزب والقومية العربية، ومن الأمور التي كانت موضع إشكال في هذا المؤتمر مذكرة قدمها النقيب موسى العلي(*) باسم مجموعة من الرفاق الحزبيين في القطاع العسكري، تدين هذه المذكرة بعض التصرفات وأشكال السلوك التي مارسها الحزبيون، وقد قرئت المذكرة قراءة داخلية غير معلنة داخل اللجنة العسكرية(**) الأمر الذي جعل الكثير من الرفاق العسكريين يتخوفون مما جاء فيها، وقد رأى بعضهم أن هذه المذكرة فيما لو قرئت داخل المؤتمر وبشكل علني وصارت وثيقة من وثائقه.. ستشق المؤتمر وتفجره لذلك طُلب إلى النقيب موسى العلي أن يسحب المذكرة، إلا أنه لم يقتنع في بداية الأمر، لذلك اجتمع به بعض الرفاق في أثناء الاستراحة بعد إحدى جلسات المؤتمر الطويلة.

كان الوقت ظهراً، وكنا نتناول طعام الغداء في غرفة رئيس مجلس الوزراء في قاعة البرلمان كمجموعة من الرفاق، أذكر منهم: حافظ الأسد، صلاح جديد، أمين الحافظ، عبد الكريم الجندي، أحمد الخطيب، أحمد سويداني، أحمد الأمير، وأنا معهم. اتفق الجميع على أن يجتمعوا مع موسى العلي من أجل شرح موقفهم من المذكرة ومما جاء فيها، وأنهم يرون، مجتمعين، ضرورة سحب المذكرة كي لا تُثار زوبعة في المؤتمر، وكي لا تشق وحدة الحزب، لذلك طلبوا موسى العلي، فجاء إلى البرلمان وحيداً، وراح الرفاق الذين ذكرت أسماءهم يحاورونه حول مضمون المذكرة، ناصحين له بضرورة سحبها.

وقد كانت المذكرة تركز على أمور عديدة، كما قلت، منها أن هذه القيادة

(*) موسى العلي ابن عمي أخو أبي.

(**) اللجنة العسكرية مؤلفة من خمسة ضباط هم: محمد عمران، حافظ الأسد، صلاح جديد، عبد الكريم الجندي، أحمد الأمير.

التي يؤمن بعض أعضائها بالانفصال، وقد وقعوا على وثيقة الانفصال سابقاً، ليس من الجائز ولا من المنطقي أن يكونوا قادة في الحزب^(*). وأنه يوجد تسلط بعض أفراد من القيادة على القواعد كما توجد هيمنة ليست أخلاقها أخلاق رفاقية أو فكرية، وأن القواعد الحزبية لا تؤمن بهذه القيادة وخصوصاً ميشيل عفلق، وصلاح البيطار وأمثالهما. طبعاً كان ميشيل عفلق كثير الانزعاج من الرفاق، فحين لا يعجبه أمر يهدد بترك الحزب والقيادة بل يتركهما فعلاً ويسافر إلى ألمانيا حيث يعيش أخوه هناك من دون أن يتحمل المسؤولية التي يرتبها عليه موقعه كأمين عام للحزب! أما صلاح البيطار فقد كان أحد الموقعين على وثيقة الانفصال مع مجموعة من السياسيين والضباط، وهذه خطيئة كبرى تسيء إلى تاريخه النضالي وتوجهاته القومية؛ لهذين السببين كان الكثير من الرفاق يتذمرون من ميشيل عفلق كأمين عام للحزب لأنه لا يتحمل مسؤولياته، وكذلك يتذمرون من صلاح البيطار لأنه كان ينظر للوحدة، والقومية العربية، في الوقت الذي كان أحد الموقعين على وثيقة الانفصال. تناقض صارخ لم يستطع الكثير من الرفاق في الحزب تحمل آثاره ونتائجه. (وخاصة الرفاق البعثيين أصحاب الاتجاه الناصري).

ثم إن المذكرة تتحدث عن أنماط السلوك الخاطئة التي يمارسها بعض الحزبيين من مدنيين وعسكريين، أنماط تتعلق بالإساءة إلى سلوك المواطن الحزبي الذي يجب عليه أن يكون مثالياً. وأشارت المذكرة إلى أن هناك عدداً من الضباط الذين يمضون الليل في حفلات السهر والشراب، وكأن الانضباط والمسلك الأخلاقي، والابتعاد عن الاستهتار أمور لا تعنيهم وهم أبناء الثورة وحراسها. علماً أن مثل هؤلاء أعضاء في المؤتمر ولهم مكانة هامة في اتخاذ القرار ويفرّدون خارج نطاق التنظيم ويشكلون شللاً.

(*) كانت المذكرة تقصد بهذا الرأي الرفيق صلاح الدين البيطار الذي وقع على وثيقة الانفصال مع عدد من الضباط، والسياسيين السوريين.

المهم أن المذكرة كانت تشتمل على نقد قاسٍ جداً، كما كانت جريئة جداً، وقد عدّها الرفاق باباً سيفتح للنقد والتجريح لن يفلق بسهولة ويسر، ولذلك أرادوا إغلاق هذا الباب نهائياً قبل أن تثار المذكرة في المؤتمر علناً.

طبعاً، كانت المذكرة مسلمة من قبل النقيب موسى العلي إلى رئيس المؤتمر أحمد الخطيب، الذي أعلن أمام أعضاء القيادة إنه مضطر لقراءة هذه المذكرة أمام أعضاء المؤتمر وإما أن تُسحب من قبل صاحبها. وقد انتهت أعمال الجلسة من دون الوصول إلى قرار بشأنها. لذلك أراد الرفاق أعضاء اللجنة العسكرية في أثناء فترة الغداء أن يقنعوا موسى العلي بضرورة سحب المذكرة لأن القضايا المطروحة في المؤتمر لا تحتل أي حوار يثير نقاشات قد تفتح جروحاً لا نهاية لها. وأنهم يرون بأن تمر نقاشات المؤتمر وحواراته بسلام من دون نقد أو تجريح أو إدانة لأن الظروف الداخلية والعربية والدولية لا تسمح بمثل هذا الأمر.

لقد تحدث الجميع مع النقيب موسى العلي، الرفيق حافظ الأسد نصحه بسحب المذكرة، قال له: إن سحبها في الوقت الراهن، ضروري وجوهري أكثر مما لو أنها طرحت. والرفيق صلاح جديد نصحه بسحبها أيضاً وبحدة، وكذلك كان رأي الرفيق عبد الكريم الجندي، أي أن لا ضرورة لهذه المذكرة في هذه الظروف. وقد أجمع الجميع على أن ما جاء في المذكرة صحيح، ومهم، ومناقشته ضرورية، ولكن ليس في أثناء انعقاد المؤتمر. طبعاً كان الحزبيون متمسكين بمبادئ الحزب ونظامه الداخلي الذي يوجب قراءة أي رأي يقدم إلى مؤتمر الحزب وفق نظامه الداخلي مهما تكن الطروحات والأفكار، ولذلك فإن اقتراح طرح المذكرة وقراءتها في المؤتمر كان سيلاقي ترحيباً واسعاً من أعضاء المؤتمر لأن ذلك حقاً طبيعياً من حقوقهم الحزبية.

أمير الحافظ... في نقاش مع موسى العلي!

لقد وافق أمين الحافظ موسى العلي على ما جاء في مذكرته عند استعراضهما بنود المذكرة منفردين، وحين دار النقاش بحضور الرفاق تراجع أمين الحافظ عن موقفه، وقال لموسى العلي، وأنا موجود، بأن المذكرة تشير انتقادات قاسية، ونحن على أعتاب مرحلة جديدة، علينا أن نتحلى بالموضوعية، وألا نتجنى على رفاقنا. فاحتد موسى العلي، وقال له: إن المذكرة توثق لوقائع حقيقية، وممارسات من المعيب أن يمارسها الرفيق الحزبي، وقد اشتط بهم النقاش، الأمر الذي دفع أمين الحافظ إلى أن يقول لموسى العلي وباللهجة العامية: (خاي، إذا كان هيك رأيك، برأيي أنت تأخذ بارودة، وأنا آخذ بارودة، وننزل إلى شارع الصالحية، ونتقاوس، ومن يقتل الآخر، يحكم البلد) فضحكت من هذا المنطق وقلت لأمين الحافظ: وما ذنب الناس الموجودين في شارع الصالحية إذا ما أردتما (المقاوسة).

قال: اقنع ابن عمك، كي لا يذهب ضحايا من الناس لا ذنب لهم!

في أثناء ذلك كانت الجلسة منعقدة، وكان بعض من أعضاء القيادة يحاورون النقيب موسى العلي لإقناعه في سحب مذكرته قبل عرضها على المؤتمر، منهم صلاح جديد، وحافظ الأسد، وعبد الكريم الجندي، وأحمد الأمير، وإبراهيم ماحوس، وآخرين.. وفي أثناء ذلك حضر الطعام. ومع اللقمة الأولى، دخل مجموعة من الرفاق يهددون ويشتمون ويصمون النقيب موسى العلي بأنه «مهداوي العراق» الذي فصم الحزب في العراق، وبأن المؤتمر قد انشق بناء على قراءة مذكرة الرفيق موسى العلي، وبالوقت ذاته كان المؤتمر يغادرون قاعة المؤتمر واشتد اللوم على الرفيق موسى الذي غص باللقمة لدرجة الاختناق وبدا متعباً جداً ودون أي رأي. وحمل من قبل رفاقه القياديين مسؤولية انشقاق الحزب. فذهب إلى مكان إقامته وتوارد عليه معظم الرفاق

أعضاء المؤتمر لإقناعه بسحب المذكرة. ولكن في مرحلة تشوش شديد وقد وافق على سحب مذكرته وعدم التمسك بها تجنباً لانشقاق الحزب، وآخر من حضر لمحاورته الرفيق أحمد سويداني، وكان يشغل رئيس شعبة المخابرات العسكرية، وطلب منه أن يذهب معاً مشواراً في السيارة لمتابعة الحوار وبعد تأكيد الرفيق موسى العلي بأنه غير متمسك بعرض المذكرة على المؤتمر كما وعد كل رفاقه تجنباً لانشقاق الحزب، إلا أن الرفيق سويداني أخذ منه ميثاقاً بشرفه الحزبي والعسكري بثباته على هذا الموقف أيّاً كانت الظروف، وفعلاً أعطاه الرفيق موسى ميثاقاً بذلك، عندئذٍ أخرج أحمد سويداني المذكرة من جيبه، وكانت مفاجأة صاعقة للنقيب موسى العلي حين أعلمه أحمد سويداني بأنه عندما عرض الرفيق أحمد الخطيب المذكرة على أعضاء القيادة لمناقشتها قبل أن تعرض على المؤتمر وطلب إما سحبها أو أنه سيكون مضطراً لتلاوتها، أخذ أعضاء القيادة يتداولون المذكرة فيما بينهم إلى أن وصلت إلى يده، فأخذ ووضعها في جيبه، وأعاد غلاف المذكرة فارغاً إلى رئيس المؤتمر الرفيق أحمد الخطيب الذي لم يتبّه إلى ذلك. وفي أثناء الجلسة أعلن عن وجود مذكرة، وحين فتح الغلاف وجده فارغاً فرفع الجلسة إلى اليوم التالي، بذات الوقت الذي اندفع فيه الرفاق باتجاه موسى العلي ليضللوه بانشقاق الحزب وعندما اطلع موسى العلي على الحقيقة تألم كثيراً وقال لأحمد سويداني إنها نهاية الحزب وليس انشقاقه. وقد قال لي إنه يفكر بالاستقالة من الحزب.

إبعاد محمد عمران..!!

منذ المؤتمر القطري الثاني، ونحن مازلنا في مستهل عام 1964 بدأت ظواهر الانقسام والاصطفاف الجانبي داخل قيادتي الحزب، القطرية والقومية. وقد بدأنا نشعر جميعاً أن الخلاف يتعمق ما بين صلاح البيطار وميشيل عفلق على الرغم من أن صلاح البيطار كان يُظن بأنه مع القيادة في

الاجتماعات العامة، ولكنه في الاجتماعات الخاصة والجانبية كان يصرح بأنه لا يوافق ميشيل عفلق على الكثير من توجهاته وطروحاته وأساليبه، بل إنه كشخص لا يحبه أيضاً. وكاد المؤتمر أن يشخص حالات الخلاف والانقسام داخل بنية الحزب ما بين القطريين والقوميين على وجه التحديد، وقد رحنا نسمع اتهامات عديدة توجه لرفاق موجودين في القيادتين القطرية والقومية، وكان من أهم المشكلات في تلك الفترة.. السعي إلى التخلص من محمد عمران الذي كان نائباً لرئيس الوزراء، وعضواً في مجلس الدولة!

ويبدو أن أكثر من طرف، وشخص، واتجاه اتفقوا على التخلص من محمد عمران باعتباره . كما قالوا . خطراً على الحزب، والوطن، ومسيرة الثورة. فقد اتهم محمد عمران بالناصرية، كما اتهم بأنه غير مؤمن بالاشتراكية.

آراء القيادة كانت متوزعة على هذا النحو، أمين الحافظ كانت لديه رغبة قوية وقناعة ثابتة بأنه لا بد من الخلاص من محمد عمران، فالخلاص منه يعني الخلاص من الناصرية. والاتجاه الناصري في الحزب، أو إضعافه في الحدود الدنيا، وبهذا، أي إن تمّ له هذا الأمر، سيكون الرجل الوحيد الذي يتصرف بمقادير سورية كلها. وأذكر أن الرفيق صلاح جديد، كان يقول حين كنا نناقش وضع أمين الحافظ، إذا كان عبد الناصر قدر القاهرة فإن أمين الحافظ هو قدر سورية ولا خيار لنا سواه!

إذن، كانت أطراف عديدة تود التخلص من محمد عمران الذي كان رجلاً دبلوماسياً، منفتحاً، محباً للآخرين، والحوار. لديه ميول ناصرية، لكنها لم تكن تصل إلى حدّ التهمة التي وجهت إليه. ولكن ما أثر حقيقة في هذا المجال هو أن محمد عمران كان كثير الاختلاط بالناصريين الذين كانوا دائمي الانتقاد للحزب الذي لا يعيد الوحدة مباشرة مع مصر. فقد اتهم محمد عمران بناصريته، وأن له علاقات متشعبة مع الناصريين، كما اتهم بأن اشتراكيته

ليست مقنعة، بل هوائية لم تستند إلى قواعد متينة بدليل أنه على علاقات دائمة مع التجار الرجعيين الذي يستمع إليهم بانتباه شديد، وأنه واحد من الذين وضعوا قانون العلاقات الزراعية (وهو قانون غير قانون الإصلاح الزراعي) وذلك بسبب آثار هذا القانون على الحياة الاقتصادية في سورية مستقبلاً، فقد كان هذا القانون متشدداً، وفي صالح الفلاحين، الأمر الذي أدى إلى تجميد الزراعة لأن أصحاب الأراضي توقفوا عن العمل في الأراضي، وظلّ الصلاح صاحب الجهد منتظراً وأمر أصحاب الأراضي الذين أحسّوا بأن المحاصيل ستكون مناصفة أو أكثر مع الفلاحين. كما اتهم محمد عمران باشتراكيه، إذ قيل إن فكرة الاشتراكية غير واضحة في ذهنه لذلك فهو غير متحمس لكل الإجراءات الاشتراكية. وهناك اتهام آخر وجه لمحمد عمران من قبل أمين الحافظ تحديداً وهو أنه رجل طائفي، يدعو إلى تشكيل كتل طائفي مؤلف من ضباط الجيش ومن الرفاق الحزبيين يدور في فلكه. وأعتقد أن الرفيق صلاح جديد الذي كان يهيمه الخلاص من محمد عمران، لم يشارك الرفيق أمين الحافظ في هذه التهمة مع أنه كان حريصاً كل الحرص على أن لا يرى التكتلات الطائفية موجودة على أرض الواقع. فصالح جديد لم يكن طائفياً في أي يوم من أيامه. طبعاً، وكما هو معروف، في السياسة، تتلاقى المصالح، وتصير الغايات تبرر الوسائل. فمثلاً حين يمتلك رجل، مثل الرفيق صلاح جديد، شعوراً أو رغبة بإزاحة محمد عمران من الطريق، فإنه يشعر بالارتياح حين يهاجمه شخص آخر، ثم إنه لا يدافع عنه أو يرفع التهمة الموجهة إليه. الرفيق صلاح جديد لم يدافع عن محمد عمران إطلاقاً حين كان أمين الحافظ يهاجمه، أو يتهمه، أو يتقول عليه، لذلك فقد خاضت اللجنة العسكرية التي كانت مؤلفة من الرفاق حافظ الأسد، وصلاح جديد، ومحمد عمران، وعبد الكريم الجندي، وأحمد الأمير، والتي توسعت بعد مجيء أمين الحافظ إلى الحكم الذي بات عضواً فيها.. أقول خاضت اللجنة العسكرية نقاشاً طويلاً حول محمد عمران، وتمّ الاتفاق على أنه شخص غير منسجم مع

الاتجاه الجديد الذي يقوده أمين الحافظ (الذي كانت ميوله انفصالية ويكره عبد الناصر)، لذلك قررت هذه اللجنة إبعاد محمد عمران إلى خارج سورية، ليعمل في السفارة السورية في أسبانيا وقتاً من الزمن. وقد بلغ محمد عمران بقرار اللجنة العسكرية فوافق عليه مرغماً، ورُحِّل إلى أسبانيا تحت ذريعة إعادة الانسجام إلى اللجنة العسكرية، والقيادة الحزبية معاً.

في اجتماع القابون عام 1964 للعسكريين وافق أمين الحافظ على إخراج محمد عمران.. الفريق أمين الحافظ وإن كان في تركيبه الشخصي لم يكن رجلاً سياسياً ولا يملك أفقاً استراتيجياً ولم يكن رجلاً محنكاً، لكن الظروف جعلته أكبر مما هو عليه، وبدأ يفكر كيف يعمل!^{١٩}

فالتف حوله طاقم سياسي من بينهم: أحمد أبو صالح ويعرف بأبي طموح هذا الرجل الذي رأيناه في عام 2003 على شاشة التلفزيون، وفي برنامج (شاهد على العصر)، يخلط في حديثه الشرق بالغرب، وكذلك التف حوله الوليد طالب الذي كان يشغل منصب وزير الدولة، والفريق صلاح البيطار أحد المؤسسين البارزين للحزب. ومن مدينة حماة أتى برجل اسمه سليمان الأذن وعينه محافظاً لمدينة حمص. بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من جماعة أكرم الحوراني.. ولذلك بدأت جماعة أكرم الحوراني تتصل به، وتذهب إلى بيته، وللحقيقة بدأ يظهر وينمو تيار طائفي داخل الحزب، وبدأ يطلق تسميات بقصد التخريب مثل تسمية «حكومة عدس»^(*).. وبدأوا يقولون له:

«يا أبو عبدو لازم تخفف من هؤلاء المحيطين بك».

والغمز هنا يأتي من الناحية الطائفية، أي طوائف العلويين والدروز والإسماعيليين.

وكان أكثر الناس خطراً على أمين الحافظ المجموعة الناصرية وعلى

^(*) تعني طوائف العلويين، والدروز، والإسماعيليين.

رأسهم محمد عمران، هذا رجل ناصري وبعثي في آن واحد، وله امتدادات في الجيش والحزب والدولة قوية، قيل له يجب أن تتخلص منه لأنه هو رقم واحد في الأهمية، ومن ثم يبقى صلاح الجديد، وحافظ الأسد.. فكيف تتعامل معهم؟! بالنسبة لصلاح جديد فهو يكره عبد الناصر، وكما هو معروف أيضاً أن الرفاق القطريين يكرهون عبد الناصر وصلاح جديد من القطريين.. فعليك أن تتعامل مع القطريين حتى تستقر أوضاعك هكذا قيل لأمين الحافظ..!

والقطريون هؤلاء أغلبهم من دير الزور، كما يوجد معه أيضاً سليمان الخش وعبد الكريم الجندي، وأحمد الأمير.. هذه المجموعة التي ذكرتها كلما ذكر اسم عبد الناصر أمامها تتغير ألوان وجوه أصحابها.. فعليك يا أبو عبدو أن تلف هؤلاء جميعاً حولك، وبهم ومن خلالهم تتخلص من محمد عمران والناصرين، وعليك أن تلتصق بهم يا أبو عبدو..

على ما أذكر كنا في إحدى المرات عند صلاح جديد أنا وموسى العلي ابن عمي وخالد بدوي وهو من دورتي ودار نقاش حول أمين الحافظ، فصالح جديد يرغب بإبقاء أمين الحافظ في وجه عبد الناصر، وقد قال بالحرف الواحد:

إذا كان قدر القاهرة عبد الناصر، فإن قدر سورية هو أمين الحافظ.

ونحن حقيقة حينئذ كنا كمصدر إشعاع، ونقل معلومات من القيادة إلى القواعد وبالعكس. وكنا منفذين للأوامر. وبالفعل قمنا بهذا الدور الذي طلب منا والتفتنا حول أمين الحافظ وأقنعنا الآخرين بالانضمام إلينا على الرغم من عدم قناعتنا بشخص أمين الحافظ. وكنا متأكدين جميعاً بأن شخصية أمين الحافظ شخصية مهزوزة، وبدأت أنا ألتصق أكثر بأمين الحافظ. والحقيقة هو رجل طيب وخاصة على مستوى العلاقات الاجتماعية، فهو شجاع وكريم. ويدعوني دائماً إلى منزله وأتناول معه طعام الإفطار والغداء. وأذكر

هنا حادثة على سبيل المثال: أنني التي حصلت على تعويض سلفة سكن بقيمة (20) عشرين ألف ليرة سورية، مع أبناء دورتي، وكانت العادة، كل ضابط عندما يتسلم هذه السلفة يذهب ويشتري بها منزلاً، وفعلاً أخذت هذا المبلغ وبدأت أفتش عن منزل يناسبني ويناسب عائلتي، فوقع خيارى على المنزل نفسه الذي أسكن فيه حالياً، وقد أعجبني المنزل تماماً، وابن عمي موسى أخذ شقة بنفس البناء وأبناء دورتي أخذوا الشقق الست الموجودة في البناء.. لكن صاحب المنزل طلب مبلغ (25) ألف ليرة سورية للشقة الواحدة، ولا يوجد معي سوى المبلغ الذي أخذته سلفة سكن. وبالفعل بينما كنت أتناول طعام الفطور مع الفريق أمين الحافظ وأنا مضطرب لبعض الشيء سألتني أمين الحافظ «شو أبو جاسم شايفك شارد» فقلت له: لا توجد مشكلة. ولكنني أريد أن أشتري شقة. ثمنها خمس وعشرون ألفاً ومعى فقط عشرون ألفاً. فقال «خيو.. هي شغلة بسيطة». ثم أمر بصرف /5000/ ليرة سورية كسلفة إضافية على الراتب، وبذلك انتهت مشكلة شراء المنزل. عندئذٍ احتج أبناء دورتي على السلفة التي منحني إياها أمين الحافظ، لذلك أمر أمين الحافظ بتعميم السلفة الإضافية على جميع أبناء دورتي حتى لا يميز أحداً عن أحد.

مضت فترة طويلة وأنا أتردد على بيت أمين الحافظ وبتُ أعرف أدق التفاصيل عنه والقيادة. وأنا في تركيبي الشخصي لا أشرب الكحول ولا أدخن.. والذي لا يشرب المسكرات ويجلس مع الذين يشربون يصبح عبئاً عليهم.. فصار أمين الحافظ عندما يسهر في الأماكن العامة لا يصطحبني فهو يحب الترف وتناول المشروبات الكحولية.. لكن أينما يسهر يعلمني عن المكان الذي يسهر.. إن حصل طارئ أخبره كي يأتي إلى القيادة، وكان دائماً يسألني صلاح جديد عنه.. علماً أنني لست مرافقاً لأمين الحافظ كما كان يظن البعض، لكونهم كانوا يروني دائماً معه.. بل كنت حينئذٍ قائداً للحرس القومي، وكانت وظيفتي تتطلب مني أن أعرف ماذا يدور في الحزب والدولة والمجتمع، فكانت تصلني أخبار الجزيرة ومشكلات المحافظات بالكامل.. مثل رئيس

المخابرات العامة. الآن أقول: أن أمين الحافظ اقترب منه رجل هو حسين زيدان وللحقيقة أن حسين زيدان يحمل نوايا طائفية وهو من سراقب ريف إدلب، كان يكره العلويين والإسماعيليين، والدروز.. ولكن هو في حزب البعث، وهو مثقف ودرس في أمريكا.. وحاول حسين زيدان أن يحدث تنظيماً لوحده. وتنظيمه هذا هو شرح في داخل حزب البعث وكان وقتئذ مديراً للكلية الحربية، وهذا التنظيم الذي أحدثه سرعان ما اكتشف أمره.. فسجن حسين زيدان وسرح من الجيش، وأيضاً سرح معه ضابط آخر هو صديقي وابن دورتي (محمد حاج رحمون)، والحقيقة أن محمد حاج رحمون «راح فرق عملة» وكان معهم الضباط حسن شهوان.. لكن حسن شهوان دخل معهم في التنظيم ووشى عليهما وكتب بهما تقريراً فكوفئ حسن شهوان، أما هما فعوقبا وسرحا من الخدمة.. وأيضاً سرح ثلاثون ضابطاً من ذبول هذا التنظيم الذي كشفه حسن شهوان أنا أعتبر أن عدداً من هؤلاء الضباط وقع ظلم عليهم وهم براء نتيجة التسرع، عندما أتذكر هذه الحادثة أقول لا حول ولا قوة إلا بالله، لأنه عندما سجن هؤلاء الضباط سجن حسن شهوان معهم، وإلا كيف تفسر براءة حسن شهوان وتثبت التهمة على الباقيين؟..

وكان أمل هؤلاء الضباط بأن أمين الحافظ سوف يحميهم، لكن أمين الحافظ لم يبذل جهداً من أجلهم ولم يحمهم أيضاً، وكما قلت سابقاً أن هذا التنظيم هو تنظيم داخل حزب البعث وتكتل يعتمد إلى حد ما على الطائفية،

وهنا أقول إن الذي كان يراقب هذا الوضع السياسي المعقد هو الأستاذ صلاح البيطار، وميشيل عفلق، لكن ميشيل عفلق هو الذي كان يفذي الانقسامات داخل المجتمع العسكري، وكان يريد أيضاً أن يمزق الجميع.

أقو هذا.. لأنه عندما أجبر محمد عمران على المغادرة.. وكان صلاح البيطار رئيس الوزراء ومحمد عمران نائباً لرئيس الوزراء، لم ينزعج البيطار من إبعاد عمران، لأن عمران كان ناصرياً، والبيطار ضد التوجه الناصري..

وأعود بالأحداث التي سبقت هذه الفترة بـ 1963 وأذكر في مؤتمر 17 نيسان قال لي صلاح البيطار: ما هو رأيك أن ننظم زياد الحريري في الحزب لكي يمشي معنا، ومن ثم نخلع لؤي الأتاسي المتوجه دائماً إلى عبد الناصر، فقلت له عندئذ: دعنا نشاور محمد عمران، فلم يوافق معي، والحقيقة كان محمد عمران رجلاً فهِيماً وصاحب فِراسة وذو ذهن صافٍ وكان يعلم أن العمل والتفاهم مع لؤي الأتاسي أسهل بكثير من العمل مع زياد الحريري.. وزياد الحريري كان صاحب نزعة قطرية، أو شبه نزعة انفصالية في الأساس، ولا يحب عبد الناصر. ضمن هذه الرؤية قال عمران: لماذا اعتمد على زياد الحريري ومن ثم يعمل لي شيشكلي جديداً؟ فدعونا مع لؤي الأتاسي أسهل وأفضل.

إن محمد عمران ولؤي الأتاسي كانا مقتنعين بالرئيس عبد الناصر فعندما رجعنا من مؤتمر ميثاق 17 نيسان 1963. كان أمين الحافظ وزيراً للداخلية وأذكر أنه قال لي بالحرف الواحد «شو يوب راكضين تلحقولي بذب عبد الناصر، وعبد الناصر لا يريدكم» ١٩.

وأمين الحافظ كان لديه قناعة أنه إذا تسلم زياد الحريري القيادة سوف يؤدي هذا بالضرورة إلى إنهائه، أي إنهاء أمين الحافظ «فيطير أمين الحافظ» فشجعوا جميعاً لؤي الأتاسي على فرط وإنهاء زياد الحريري وكان في مقدمتهم على التشجيع هو محمد عمران.. وهذا ما حدث فعلاً وتم إنهاء زياد الحريري في أيار 1963.

وعندما انتهى زياد الحريري حدثت مؤامرة 18 تموز 1963 في يوم 18 تموز كان عمران ولؤي الأتاسي وسامي الجندي وفهد الشاعر وأنا عند عبد الناصر بالاسكندرية، فعندما عدنا إلى دمشق، رغم كل الظروف الصعبة والمآسي والدماء التي تتزف أصر عمران على الاتصال بالناصرين، وأيضاً أن

يتصل بعبد الناصر، وكان يقصد في ذلك: إنه ينبغي علينا أن نتجاوز الأزمة، ونكبر على الجراح، ولا نقطع الأمل في الوحدة، وليس لنا سبيل سوى عبد الناصر.

هنا أقول كان القطريون وعلى رأسهم أمين الحافظ ضد هذه الرؤية بقوة حتى الموت، وأيضاً يشاركونهم الرؤية نفسها، ولكن من طرف آخر صلاح الجديد، فتعاونوا جميعاً وتقاطعت المصالح ضد عمران، فتمكنوا من إنهائه، وثم إبعاده في شباط 1964.

أمين الحافظ يريد أن يتخلص من الناصريين دفعة واحدة، وذلك بإبعاد عمران. القطريون هم خصماء لعمران.. أيضاً جماعة أكرم الحوراني ومن خلف أمين الحافظ كانوا ضد عمران، فالذين هم حول أمين الحافظ كانوا طائفيين، أما أمين الحافظ لم يكن طائفيّاً، هذا الكلام للتوثيق وللتاريخ أما الذين حوله فقد كانت لديهم نعرات طائفية وقالوا يومئذٍ: هكذا نكون انتهينا من واحد، يقصدون «عمران» وسوف تنهي الذي يليه ويقصدون صلاح جديد.. وهكذا بدأت الإشكالات تتعقد شيئاً فشيئاً داخل القيادة وبين التيارات المتقاطعة.

التي هي تيار أكرم الحوراني، وتيار القطريين، وتيار الناصريين.

هذه التيارات الثلاثة بدأت تتضارب فيما بينها، وتتضارب مصالحها وتتشابك فتيار الناصريون بزعماء محمد عمران انتهى، بقي تيار أكرم الحوراني بزعماء أمين الحافظ فاستندوا إليه والتيار القطري بزعماء صلاح جديد والتيار الرابع بزعماء صلاح البيطار، فهو ضد الرئيس عبد الناصر، ولكنه يرغب في إقامة الوحدة.. وهذا التيار فيما بعد صار له اتصال وارتباط مع العراق، وهنا ظهرت قصة اليمين العراقي البعثي واليسار البعثي في سورية.. وهذا الذي أدى إلى انقسام القيادة. وقد كنا في هذا المخاض أو

الطاحونة التي تطحن رفاقنا. حقيقة كنت أشعر أننا في مأزق غير عادي ومؤلم، عندما كنت أرى أننا نقدم دفعة من رفاقنا تلو دفعة أخرى إلى هذه الطاحونة.

هذه حقيقة وأعترف بها الآن قلت في نفسي وأنا أنظر إلى هذه الطاحونة: «يجب ألا أجرح في هذه الطاحونة» ويجب علي ألا أترك أمين الحافظ يحسبني على جماعة صلاح جديد ومن ثم يفرمني؟ وأن لا أترك صلاح جديد يحسبني على جماعة محمد عمران ومن ثم يفرمني أيضاً.

أمين الحافظ.. صورة عن قرب!

حين سافر محمد عمران، شعر أمين الحافظ بأنه الرجل الذي يحق له أن يفتخر بأنه رجل سورية الأوحده، فقد تخلص من أكبر الرؤوس التي كانت تزاحمه، وأن مصير الآخرين لن يكون بأقل من مصير محمد عمران، لأن ما حدث لمحمد عمران شاهد واضح للعيان أمام المنافسين له. لذلك كانت صفات الزهو، والخيلاء، والطاؤوسية صفات ملازمة لأمين الحافظ، وكان أن تضامن معه ولحق بركبه مجموعة من الضباط مثل حسين ملحم، ويوسف عريق، وبدر جمعة، وخالد رسلان، كما التفّ حوله بعض الحزبيين المدنيين مثل الوليد طالب. لقد أخذ أمين الحافظ يشعر بأنه هو محور الحياة في سورية، فشرع يجمع حوله مجموعة كبيرة من المدنيين والعسكريين تكون رهن إشارته في الولاء والتبعية. والحق أن هذا التصرف لرئيس الدولة أمين الحافظ ناتج عن إحساسه بأنه لا جذور له في الثورة، ولا في الحياة السياسية أيضاً لأنه حديث العهد في حزب البعث العربي الاشتراكي، وعلاقاته مع السياسيين المخضرمين في سورية تكاد تكون صفراً، نتيجة لهذا الإحساس شرع أمين الحافظ يتصل بالخط السياسي الذي يوجه بتوجيهات أكرم الحوراني.

أما الرفيق محمد عمران، وعلى الرغم من سفره إلى أسبانيا، فقد كانت

له جذوره الممتدة في الجيش، فالضباط الذين تربطهم علاقات جيدة بـ محمد عمران لم يكونوا راضين عن قرار إبعاده إلى خارج سورية..

تصرفات أمين الحافظ، وسعيه المكشوف إلى تشكيل جماعة تخصّه في القطاعين المدني والعسكري أثارا مخاوف اللجنة العسكرية وقلق القيادة الحزبية في وقت واحد. لأن الجميع أحسّوا بأن أمين الحافظ يريد أن يصبح أديب شيشكلي جديداً في سورية، ولا سيما بعدما عرفنا أن عقلية أمين الحافظ لا تختلف عن عقلية أديب الشيشكلي، فإيمانه بحزب البعث العربي الاشتراكي ضعيف جداً، وإيمانه بالوحدة العربية مع عبد الناصر يكاد لا يذكر، وكراميته لعبد الناصر غير محدودة تصل إلى درجة الحقد، إذن كان هو في ذهنية قابلة ومصدقة في الوقت نفسه لأن تجعله أديب شيشكلي ثانياً في سورية، وأمين الحافظ، كما عرفته، رجل جريء وشجاع.

عند هذه النقطة، ووفق هذا المشهد، أي حين أصبح لأمين الحافظ كتلة مستقلة مؤلفة من العسكريين والمدنيين الذين يلوذون بظله، كانت هناك كتلة أخرى هي مجموع ضباط الجيش والقيادة القطرية التي يقودها الرفيق صلاح جديد. وهكذا أخذ كل طرف يحسب الحسابات الخاصة بالطرف الآخر. أمين الحافظ وجماعته راحوا يتصرفون بعيداً عن الضوابط والقوانين والأعراف الحزبية، أو لنقل الأخلاق الحزبية، فقفزوا من فوق الجميع ليحققوا مصالحهم وأهدافهم، والطرف الآخر راح يراقب تصرفات أمين الحافظ وجماعته ويحسبون الحسابات الدقيقة لتفكيك حلقته، وإن كانت آخذة في الاتساع.

على هذه الصورة بدأت التناقضات بين الطرفين تزداد، إلى الحد أن اللفظ والنقاش والحوارات الجدية شملت الرفاق جميعاً في القطاعين المدني والعسكري، وبنات الجميع يتخوفون على الحزب وأهدافه، كما يتخوفون على سورية وموقعها العربي، وعلى الثورة وتوجهاتها القومية أمام قضايا مصيرية مثل القضية الفلسطينية، والتحالفات العالمية الهادفة إلى نصرتها.

كنا في مطالع عام 1965، وقد امتلأت صدورنا بالحيرة من جراء تصرفات أمين الحافظ والمتنفذين من حوله، خصوصاً تصرفاته الشخصية وسهره الدائم في ملاهي دمشق وعلى مرأى من الجميع بحيث إن كلمات مثل رئيس الدولة يسكر في المكان الفلاني، أو رئيس الدولة في واد والدولة في واد آخر... الخ بتنا نسمعها باستمرار، وهذا ما جعلنا نتخوف على هيبة الدولة، في الشارع، وأمام المحافل العربية والعالمية معاً.

في بيت حافظ الأسد..!

أذكر، أنه في شتاء عام 1965، قررت أن أزور الرفيق حافظ الأسد قائد القوى الجوية والدفاع الجوي في بيته، حيث كان يسكن في شارع الباكستان، قرب ساحة السبع بحرات المجاورة لمجلس الوزراء. كنت مع العديد من الضباط الفاعلين في القوات المسلحة نتعاون ونثق كثيراً بالرفيق حافظ الأسد، ونعتبره أكثر الرفاق توازناً داخل اللجنة العسكرية. رجل متفهم، محب، ودود، صاحب رأي وفكر، مقنع، يعطي محاوره فرصة لكي يتحدث ويعبر عن مشكلاته وأفكاره، كان صبوراً علينا، يتحملنا في الصغيرة والكبيرة.

ذهبت إلى بيت الرفيق حافظ الأسد في يوم جمعة. كان الوقت صباحاً، عند الساعة العاشرة تقريباً. طرقت الباب فاستقبلني بابتسامته المعهودة، كان المطر غزيراً، والبرد شديداً. استقبلني بالبيجاما، وقد وضع على ظهره الفرو الطويلة، فأخذني من يدي بكل الود واللفظ والترحاب إلى غرفة الجلوس، حيث جلست إلى جواره بالقرب من المدفأة التي كان يعلوها إبريق الشاي، ورحنا نتبادل الحديث حول أوضاع الجيش، والحزب، وما يثار من أحاديث في الشارع العام عن القيادة، والدولة، والحزب. سألني عن أوضاع رفاقنا في الكتائب والألوية، وعن لقاءاتنا، والحوارات التي تدور بيننا، فصارحته بأن الأحاديث تنصب على انتقاد سلوك أمين الحافظ وتصرفاته، وقناعة الضباط

هي أن تصرفاته لا تحترم القيادة، ولا الدستور، ولا توجهات الحزب، وأن حالاً من التذمر تسود الضباط، وأن همس الناس في الشارع بات يسمع وهم يتحدثون عن رئيس الدولة الذي يسكر ليل نهار.

استمع الرفيق حافظ الأسد إليّ بانتباه عميق، ثم حدثني عن التناقضات الموجودة لدى أمين الحافظ، فهو يعرف تصرفاته بدقة، ويسمع عن بعضها الآخر، وأن أمراً كهذا يسيء للحزب، والدولة، وأعراف المجتمع وتقاليده أيضاً. وقال لي إن قيادة الحزب ضعيفة لا تشكل رادعاً يضبط سلوك أمين الحافظ ومن هم حوله، وأن القواعد الحزبية في حالة ضياع وتخوف وقلق على المصير الذي ستؤول إليه البلاد. وقد سعدت برأيه فهو، إذن، يشعر بالشعور نفسه الذي كنا نشعر به، وهو يعرف أكثر مما نعرف. والآن لا أدري إن كان هو ومن حوله من أعضاء القيادة ينتظرون غرقاً موحلاً لأمين الحافظ أم أنهم ينتظرون أمراً آخر. المهم أننا تحدثنا طوال ساعات متواصلة، وأذكر أنني تناولت طعام الغداء في بيته.

وقد صارت الرفيق حافظ الأسد في هذا اللقاء بأننا كضباط نقثق به كثيراً، وأن صدورنا لا نفتحها إلا أمامه لأنه مصدر طمأنينة لنا، لذلك اقترحت عليه أن يلتقي بعدد من الضباط الذين يرغبون في الحديث إليه ليستمع إلى المزيد من الآراء والأفكار التي تدور حول واقع الحزب، والدولة، والثورة. فوافقني على ذلك، ورحب بالفكرة وشجعني عليها، لذلك اتفقت معه أن نزوره في الجمعة القادمة ومعني ضابطان، الأول: النقيب خالد بدوي، والثاني: النقيب موسى العلي.

خلال أيام الأسبوع، وبعد أن التقيت بالرفيق حافظ الأسد كنتُ أشعر بطمأنينة على مستقبل الثورة والحزب، لأن كلام الرفيق حافظ الأسد أعاد التفاؤل إلى نفسي، كما أن رفاقي الذين حدثتهم عن اللقاء شجعوني على هذا التفاؤل. لذلك في الجمعة التالية، أيضاً، جئنا إلى بيت الرفيق حافظ الأسد أنا وخالد بدوي وموسى العلي، كنا في تلك الفترة نتبع دورة قائد كتيبة، وكان

الوقت صباحاً أيضاً، أي في العاشرة تقريباً، كانت السماء ماطرة، وحالة من أجواء الشتاء تلف الأمكنة. فقد كانت شوارع مدينة دمشق ممتلئة بالمطر، والبرد على غاية من الحدة والشدة معاً. استقبلنا الرفيق اللواء حافظ الأسد (كان قائداً للقوى الجوية) عند الباب، وأخذنا إلى غرفة الجلوس نفسها التي جالسته فيها في الجمعة الماضية. جلسنا نحن الأربعة حول المدفأة، وكان هو يرتدي البيجاما وعلى ظهره فروة الصوف التي رأيتها عليه في الأسبوع الماضي. وبدأنا الحديث واحداً واحداً، والرفيق حافظ الأسد يستمع إلينا، وخلصنا إلى نتيجة بأن ما من أحد كان يتوقع أن تصير نتائج الثورة التي ضحينا بدمنا ومستقبلنا من أجلها على هذه الصورة، ظللنا نتحدث وقتاً طويلاً إلى أن حان موعد الغداء، فتناولنا الطعام معاً، وكان مؤلفاً من البرغل والحنص و(فراريج) الدجاج المسلوقة، تناولنا الطعام ونحن نتحدث أيضاً عن الضباط، وأعضاء القيادة، وما يقوله الناس عن الثورة والحزب. بقينا في بيت الرفيق حافظ الأسد إلى حوالي الساعة الرابعة بعد الظهر، وقد رأى معنا أنه من الضروري تصويب الوضع، وتصحيح سلوك الكثيرين من رفاقنا الذين أسأؤوا إلى أخلاقيات الحزب والثورة وأصبحوا هم في واد، والثورة في واد آخر. وقال لنا يجب أن تتنادى القواعد من أجل تصحيح الوضع وإلا فإن الكارثة ستلحق بالجميع. في ذلك اليوم تطرقنا إلى الحديث عن سلوك أمين الحافظ، والوليد طالب، وحمد عبيد، وسليم حاطوم، وتصرفاتهم التي تسيء للتقاليد الاجتماعية، وتؤذي مشاعر الناس. وقصصنا القصص التي سمعناها، أو التي عرفناها عن أمين الحافظ والتي صارت حديث الآخرين!

بعد أن استمع إلينا الرفيق حافظ الأسد، طلب منا أن نظل على اتصال مع رفاقنا، وأن نؤكد بسلوكنا التزامنا بمبادئ الثورة، والحزب، وأن نكون القدوة للآخرين، وعلينا أن نطور هذه اللقاءات لتشمل عدداً أكبر من الضباط الحريصين على الثورة والحزب أصحاب المناقبية المعروفة بالإخلاص والسمعة الجيدة.

خرجنا، ونحن في نفسية مغايرة لنفسية الإحباط التي حملناها معنا إلى بيت الرفيق حافظ الأسد، فكلامه مريح، وطريقته في الإقناع مدهشة، وتفهمه لنا كان سريعاً وإيجابياً، شعرنا فعلاً بوجود رفيق صادق حزبي حقيقي من حقه علينا أن نلتف حوله لتبقى الثورة حية في ضمائر الناس ووجدانهم، ولتبقى للحزب المصداقية الجماهيرية تجاه قاداته من أعضاء القيادة.

قرب الباب، وهو يودعنا، استمهلني الرفيق حافظ الأسد قليلاً وانتحى بي جانباً، قال لي: محمد، وسّع الحلقة أيضاً، وتعال إليّ! فهزرت رأسي له بالترحاب والاستجابة. وهكذا ظللت أعود إليه في كل يوم من أيام الجمعة مع عدد من الضباط الذين نتوسم فيهم المصداقية، والنزاهة، وروح الإخلاص للثورة، والحزب، والوطن. فكان أن جئت إليه ورفقتي المقدم سليمان العلي، والنقيب عز الدين إدريس، والنقيب علي عمران.. وآخرون. وقد استمرت هذه الاتصالات إلى صيف 1965 ثم توقفت. وقناعتي أن الرفيق حافظ الأسد هو الذي أوقفها لأنه شعر بأن أخبار اتصالاتنا وحواراتنا وصلت إلى أسماع أعضاء في القيادة. بالفعل، فحين كنت في مكتب الرفيق صلاح جديد تطرق إلى الحديث عن سلوك أمين الحافظ والمحيطين به، جماعة السهر الليلي. قال بالحرف الواحد: ما الحل حتى نقوم أمين الحافظ؟! ما الذي تستطيعون فعله في هذا المجال؟! الآن في هذه المرحلة لا يوجد غيره! رجل بهذه الصفات، علينا أن نتعاون معه.. فلا حل إلا بتعديل صفاته وسلوكه، وشده إلى جهة الاهتمام أكثر بالدولة، والحزب، من أجل الحفاظ على مكتسبات الثورة! بقولة أخرى أرى أن الرفيق صلاح جديد كان يريد من وراء هذا الحديث عن أمين الحافظ ليسأل سؤاله الصريح.. هل لأن أمين الحافظ هكذا، علينا أن نقسم الضباط، ونشكل تكتلات، ونعقد الاجتماعات الجانبية؟! مثل هذا الحديث وصلت أخباره إلى الرفيق حافظ الأسد، لذلك أوقف الاجتماعات!

ولا أدري إذا كان الرفيق حافظ الأسد قد أطلع الرفيق صلاح جديد على

تلك الاجتماعات، لأن العلاقة كانت قوية وعميقة بينهما، وربما اتفق الاثنان على إيقافها.

وعلى الرغم من توقف هذه الاتصالات واللقاءات، وانعدام الهمس حولها، فإن تصرفات أمين الحافظ الفردية تضاعفت. فقد بات يتدخل في شؤون الجيش، فمثلاً أي ضابط لا يعجبه ينقله، وأي ضابط يشعر بقرية من أحد الضباط الكبار يوقف ترفيعه أو يؤجله. كنا نشعر بأن أمين الحافظ لا يطور نفسه، لا يقرأ، لا يستمع للآخرين بعين من يود الاستفادة. كان يشعر بحالة من الغرور العجيب لا كتب تملأ عينه، ولا شخصيات، ولا آراء.

وفي هذا المجال أذكر أن الرفيق صلاح جديد قال لي، وقد كنت قريباً من أمين الحافظ بحكم تسلمي قيادة الحرس القومي: خذ له كتباً حول الاشتراكية، والمجتمعات الدولية، والأحلاف، والعلاقات السياسية، وذلك من أجل أن يطور نفسه، ليعرف العالم إلى أين يسير؟ ولكي يبنى لنفسه قاعدة ثقافية تمكنه من مناقشة الآخرين أو التفاهم معهم على أرضية مشتركة.. لذلك اشتريت كمية من الكتب حول الماركسية، والمجتمع الرأسمالي، وجامعة الدول العربية، ومنظمة عدم الانحياز، والمجتمع الآسيوي، ودول أفريقيا واقتصادياتها، ونتائج الحرب العالمية الثانية، وبعض الكتب الأدبية، والمذكرات.. وأخذتها إلى مكتبه وبيته لتكون بين يديه وأمام نظره. حين رآها سألتني عنها، قال لماذا هذه الكتب يا (أبو جاسم). قلت: سيدي لعلك تحب القراءة فتقرأ فيها، قال، وقد كان موجوداً في مكتبه ضابطان لم أعد أذكر من هما: يا محمد، تريدني أن أقرأ كتب الشيوعية، تريدني أن أتعلم الشيوعية في آخر عمري. قلت: سيدي توجد كتب أخرى غير الكتب الشيوعية. ورحت أريه إياها. مع أنني كنت أعرف أنه يسخر من محاولتي الهادفة لتثقيفه. لقد أراد أن يشعرني بأنه أصبح أكبر من أن يقرأ إبداعات الآخرين وتجارب الشعوب والمجتمعات. يومذاك أحسست أن أية محاولة لإعادته للكتاب هي ضرب من المستحيل.

كان الرفيق صلاح جديد يقول لي ضع الكتب حوله وأمامه وخلفه، اجعله كيفما تحرك يصطدم بالكتب لعله يقرأ شيئاً. وكنت أقدر قول الرجل وغايته بالفعل لأنه قال لي أكثر من مرة إن أمين الحافظ هو قدر سورية. فلا يوجد أحد غيره في المرحلة الراهنة. وعلينا أن نقبل به كيفما كان.

ولأنني كنت قريباً منه وأعرفه، أقول إن أمين الحافظ، وعلى الرغم من عنجهيته، كان متواضعاً وبسيطاً، يستقبل الناس بـ (القلابية)، يجلس على الأرض، يتربع، ويتباسط مع الناس كثيراً. وهو على الصعيد الشخصي رجل طيب وبسيط، ولكن أفقه السياسي صفر. لا يعرف المناورة أبداً.

الضباط... في اتجاهات شتى!

اجتمعت مع النقيب عز الدين إدريس والمقدم سليمان العلي، واتصلت مع النقيب علي عمران في اللاذقية، وتحدثت معهم حول ما يدور في الجيش من نقاش وحوار عن أوضاع الضباط البعثيين وسلوكهم، وقد كان الضباط منقسمين إلى قسمين، الأول: يتبع المذهب الفرنسي، فيرى أن من حق الضباط أن يتمتع بالحياة لأنه على استعداد لأن يموت في أي لحظة. والقسم الثاني: يقول: لا، علينا أن نكون قدوة، وأن يكون سلوكنا شبيه بسلوك الصحابة، ولذلك رأى بعض الضباط أن يسموا أنفسهم بالفقاريين. نسبة إلى الصحابي أبي ذر الفقاري.

في هذا الجو العاصف اجتمعت مع عز الدين إدريس وسليمان العلي، واتصلت مع علي عمران وآخرين وقد رأيت، بعد النقاش، أنهم جميعاً كانوا متفقين على إصلاح الجيش وإعادة اللحمة إليه بعد أن تناهت المحسوبة، والأوامر الارتجالية. وأن لا سبيل إلى ذلك إلا في وحدة الحزب.

ومن زاوية نظر أوسع، أقول إن الجيش انقسم إلى ثلاثة أقسام، قسم كان

مع القيادة القومية، وقسم مع القيادة القطرية، وقسم في الوسط، وهؤلاء هم جماعة محمد عمران. وفي هذه الفترة كان أمين الحافظ يردد بسخرية تجاه الضباط الذين قاموا بثورة الثامن من آذار، وباللهجة الحلبية (خاي كل واحد ضرب فشكتين صار ثورياً، ونظل نحن على الهامش)، وذلك إشارة إلى أنه كان ملحقاً عسكرياً في الأرجنتين في أثناء قيام الثورة، وزاد في الطين بلة أن اللواء حمد عبيد أصبح وزيراً للدفاع، كما أصبح اللواء محمد شنيوي رئيساً للأركان، فكانت الوزارة لا تحظى باحترام الضباط، وذلك لأن تصرفات حمد عبيد كانت قريبة من تصرفات المجتمعات القبلية والبدوية، بل إن الوزارة وصفت آنذاك بأنها (وزارة الهوبرة). على الرغم من أن اللواء حمد عبيد رجل شجاع وطيب القلب، ولكن شخصيته ذات تركيبة عشائرية، فكان يتصرف وكأنه شيخ عشيرة ربما لأن له علاقات واسعة مع شيوخ العشائر في الجزيرة وغيرهم في سائر أنحاء سورية.

أما سليم حاطوم فكان يسيطر على مبنى الإذاعة والتلفزيون، وقد أدى سلوكه مع بعض المطربات والفنانات إلى اهتزاز القناعة به في الوسط العسكري والمدني على السواء، وخاصة داخل صفوف حزب البعث العربي الاشتراكي. إذ كانت له في كل يوم قصة جديدة مع المطربات، والمذيعين، والعاملين في الإذاعة. وقد كان يتعامل بمسلكية بعيدة عن تقاليد المجتمع وأعرافه وعاداته، كما أنها كانت بعيدة عن توجهات الحزب، وبعيدة عن الحذر الذي تستوجبه ظروف الثورة وهي لا تزال في سنواتها الأولى.

بينما كان ضابطان في مدينة حلب يسيطران عليها سيطرة كاملة، هما: الرائد يوسف عرفة قائد كتيبة المغاوير، والرائد بدر جمعة رئيس فرع المخابرات العسكرية.. هذان الضابطان هما من تصرف بالمدينة كما أرادا، وقد كانت تصرفاتهما وأفعالهما معروفة لدى ضباط الجيش. على الرغم من أنهما كانا من الضباط الشجعان.

وفي قطنا، كان الرائد عدنان دباغ قائد كتيبة مشاة، والرائد خالد رسلان قائد كتيبة مشاة، والنقيب موسى العلي قائد كتيبة دبابات.. أقصد من هذه الإشارة إلى أن غالبية الضباط البعثيين أصبحوا قادة كتائب ولهم دور فاعل في الجيش. وكان النقيب سليمان حداد قائداً للسرية (215) التي تتمركز في مقر (منظمة الشبيبة اليوم، قرب الجمارك). وفي اللواء السبعين كانت القيادة للعقيد أحمد الأمير بعد إبعاد محمد عمران.. أما قادة الكتائب داخل اللواء فكانوا من جماعة محمد عمران مثل المقدم علي مصطفى (قائد كتيبة دبابات)، والنقيب عدنان بدر حسن (قائد كتيبة دبابات)، والنقيب علي الضماد (قائد كتيبة دبابات)، والنقيب صادق الحموي (قائد كتيبة مشاة)، والنقيب عبد الكريم عفيسي (قائد كتيبة المدفعية) وهذا الأخير من جماعة أمين الحافظ. أي أن اللواء السبعين، الذي كان موضع أهمية كبرى من قبل القيادتين العسكرية والسياسية معاً، مالياً لجماعة محمد عمران، وأمين الحافظ في وقت واحد، وذلك تبعاً لموالة ضباطه.

مؤتمر للحزب..!

تعالّت الأصوات متنادية بضرورة عقد مؤتمر للحزب، قطري أو قومي لا فرق، من أجل إعادة الاعتبار للحزب لكي يكون له دوره الأساسي في القيادة عسكرياً ومدنياً، ومن أجل تقريب المسافة بين القيادتين القطرية والقومية. وتوحيد مسار القرارات والصلاحيات، وعدم قسمة الضباط إلى كتل، وتيارات، وفرق.

في هذا الجو العاصف، انعقد المؤتمر القومي الثامن لمناقشة أزمة العراق؛ أي (لماذا أصيب الحزب بنكسة في العراق بعد استلام عبد السلام عارف السلطة، وإبعاد البعثيين عنها؟) وقد استمر المؤتمر القومي الثامن مدة أسبوع، وقد كنت عضواً فيه. وأذكر أنه جرى نقاش طويلاً حول سلوك رفاقنا البعثيين

في العراق، وقد وصف هذا السلوك بأنه سلوك خاطئ سلكه بعض الرفاق في القيادة مثل: حازم جواد، وعلي السعدي، وبعض العسكريين.. الأمر الذي أدى إلى عزل البعثيين عن السلطة، وقد كانت لنا قوة ميكانيكية ومشاة، ومدفعية تعمل في شمال العراق (منطقة الأكراد) كان يقود هذه القوة العقيد فهد الشاعر، وقد أرسل فهد الشاعر مع القوة إلى منطقة الأكراد، بالاتفاق مع العراقيين البعثيين، وقد سميت هذه القوة بقوات اليرموك. وقد كان هذا الاتفاق مع قيادة البعث في العراق.

والحقيقة أنه قبل انعقاد المؤتمر القومي السابع، وقبل انهيار حكم البعث في العراق، كانت قوات اليرموك بقيادة فهد الشاعر تسيطر على المنطقة التي تواجدت فيها، لكن بعد هذا الانهيار عادت قوات اليرموك إلى الأراضي السورية واستقبلت في دمشق استقبالاً حافلاً. (وقد أرسلت هذه القوة إلى شمال العراق استناداً إلى قرارات القيادة العسكرية الموحدة بين سورية والعراق والتي كان يقودها الفريق صالح مهدي عماش (وزير الدفاع العراقي) الذي أصبح قائداً للقوة العربية المشكّلة من سورية والعراق، فاستناداً لهذا الواقع أصدر القائد العام للجيش العربي المشكّل من سورية والعراق قراراً بإرسال قوات اليرموك إلى شمال العراق للاشتراك مع الجيش العراقي في منطقة الأكراد وكانت قوات الجيش العراقي تسمى بقوات صلاح الدين. وكان يقود هذه القوات صلاح الدين واليرموك العقيد فهد الشاعر. وفيما أذكر أنه كان يوجد في الشمال الشرقي من سورية - في منطقة عين ديوار - وقد أحدث مرصداً سمي بمرصد فهد، ولا يزال البدو يطلقون عليه هذه التسمية وهو موجود في أعلى تل يقع غربي نهر دجلة في الأراضي السورية.

في هذه الظروف العاصفة والصعبة انعقد المؤتمر القومي السابع (في أواخر سنة 1964) وجرى تقييم لنكسة العراق وإعادة النظر في مقررات المؤتمر القومي السادس، وما هي الأسباب التي أدت إلى انهيار حزب البعث العربي

الاشتراكي في العراق، ولم نصل إلى نتيجة، فالأزمة مستمرة بين الرفاق القوميين والقطريين، وعلى الرغم من سقوط حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق بقيت الاتصالات مع الفريق عبد السلام عارف، الذي تسلم رئاسة الدولة بعد البعثيين، وأبعد البعثيين المتطرفين من العراق.

في نيسان 1965، عقد المؤتمر القومي الثامن، وترجع أهميته الأساسية إلى أنه تصدى لمشكلات الحزب الأساسية، وخاصة بعد نكسة ثورة البعث (شباط 1963) في العراق، وقد كان للمؤتمر جدول أعمال ليس من المهم أن نذكر تفصيلاته، ولكن غالبية الموضوعات التي جاءت فيه كانت عن العراق، والنقاش في مجمله انصب على وضع الحزب في العراق، والمهم الذي أريد أن أذكره هو أن العقلية التقليدية المعارضة للسلطة كانت مشتركة لدى البعثيين في العراق وسورية معاً. دائماً، كانت القيادة بعيدة عن الكوادر، وأرى أن سبب نكسة الثورة في العراق يعود إلى إهمال التنظيم الحزبي في القطاع العسكري، كما أن سلوك أعضاء الحرس القومي في العراق كان غير مناسب في الشارع العراقي، فقد أوجدت قيادة الحرس القومي هناك فجوة واسعة بين القيادة والشعب، بحيث صارت أشبه بالقوة التي تفتك بالناس لأقل الأخطاء.

وقد كان الشعور العام داخل المؤتمر هو أننا جميعاً، في العراق وسورية، كمن ينفخ في البوق. لا جدوى من الحوار، والنقاش. وقد أكد المؤتمر على قضية فلسطين واعتبرها القضية الأساسية التي يناضل الحزب من أجلها. وفي هذا المؤتمر أيضاً، تم تحديد موقف البعث من مصر وعبد الناصر، ومجموعة الأحزاب، والحركات السياسية والدينية في البلاد العربية. وجرى انتخاب قيادة قومية مؤلفة من اثني عشر عضواً برئاسة الدكتور منيف الرزاز، كأمين عام للحزب، بعدما اعتبر ميشيل عفلق القائد المؤسس للحزب^(*)، كما انتخبت

(*) في حين كان ميشيل عفلق يدعي رفضه وامتعاضه من هذا التعبير وقد قال بعد مرور (25) عاماً على تأسيس الحزب: إننا نكر مثل هذه الادعاءات وأنا أول من يرفضها، أسألوا القيادة القومية عن رفضي-

محكمة حزبية مكونة من ثلاثة أعضاء هم محسن أبو ميزر، ومحمد إبراهيم العلي، وحسين ملحم. والجدير بالذكر أن المؤتمر الذي اجتمع من أجل حلّ مشكلات الحزب العديدة المتمحورة حول الاتجاه القومي، والاتجاه القطري، وأصحاب النزعات الناصرية، وسلوك بعض الضباط الذين يسيئون للانضباط العسكري.. كما أن المؤتمر كان مرشحاً لمعالجة المشكلات الحزبية داخل العراق.. إلا أنه لم يتوصل إلى أي نتيجة إيجابية.

بعد هذا المؤتمر عقد المؤتمر القطري العادي الثاني في قصر الضيافة، في أعقاب عاصفة حقيقية نشبت داخل الحزب ما بين القيادتين القومية والقطرية. وعندما افتتح المؤتمر، كنتُ أول المتحدثين، وقد عبّئت ضد القيادة القومية، فوجهت حديثي مباشرة إلى الأمين العام للحزب الأستاذ ميشيل عفلق، قلت له: ليس من الصحيح أو المنطقي أن يكون لهذا الحزب أمين عام، يضع مظهره على كتفه ويذهب إلى ألمانيا كلما عصفت بالحزب عاصفة. على الأمين العام الحقيقي للحزب أن يجلس في سورية لحل مشكلات الحزب لا أن يذهب إلى ألمانيا (بالمناسبة ذهب الأستاذ ميشيل عفلق بعد انتخابه أميناً عاماً للحزب إلى ألمانيا وبقي فيها حوالي شهرين). وقلت أيضاً: على الأمين العام للحزب أن يثبت لحل أزمت الحزب لا أن يهرب منها، وأنا لا أقبل أميناً عاماً للحزب، يسافر إلى خارج البلاد حين تلف الحزب ظروف صعبة ومعقدة، مثل هذا الأمين أمامه أمران إما أن يمكث في البلاد ويحلّ مشكلات الحزب، وإما أن يتخلى عن مسؤولياته ولم أقترح سوى هذا الاقتراح. وكان أن تحدث الأستاذ ميشيل عفلق وهو يتحدث عادةً بصوت منخفض وهادئ جداً، وكان إلى جواره خالد الجندي ممثل اتحاد العمال، فمال عليه وقال له: متى دخلت إلى الحزب يا خالد! ربما كان يمازحه. وبينما الأستاذ ميشيل عفلق يسهب في الشرح والحديث، ارتفع صوت من داخل قاعة المؤتمر، وكان صاحبه عبد

= لتسمية «القائد المؤسس» فليس في حزبنا مثل هذه العقلية ومثل هذه العبارة؟! لكنه كما يقال ويشاع كان يقول شيئاً ويضم شيئاً آخر؟!

الكريم الجندي، الذي قال: نقطة نظام، فتوقف الأستاذ ميشيل عفلق عن الحديث، وحدثت ضجة، وتداخلت الأصوات. وقد كان هدف عبد الكريم الجندي هو إيقاف حديث الأستاذ ميشيل عفلق لأنه لم يكن مع القيادة القومية، بل كان ضدها تماماً، وقد كانت اللجنة العسكرية (الأربعة القدامى) ضد القيادة القومية، ومنهم بالطبع عبد الكريم الجندي، لا، بل إن الرفيق عبد الكريم الجندي كان مع الرفيق صلاح جديد قولاً وعملاً.

فعلاً، تم إيقاف جلسة المؤتمر بالتصويت، حيث كان معظم أعضاء المؤتمر مع القيادة القطرية. ثم استؤنفت الجلسة، واشتدّ الجدل بين طرفي القيادتين القومية والقطرية. القومية ممثلة بالرفاق ميشيل عفلق وصلاح البيطار وأمين الحافظ، والقطرية ممثلة بالرفاق صلاح جديد، وحافظ الأسد، وأحمد الأمير، وعبد الكريم الجندي ومعهم بعض الرفاق البعثيين من دير الزور. وكاد هذا المؤتمر يؤدي إلى كوارث. لذلك تدخل بعض العقلاء من أجل إنقاذ الموقف.

في هذا المؤتمر تم انتخاب قيادة قطرية جديدة على رأسها الرفيق أمين الحافظ، بينما كان الرفيق صلاح جديد متفرغاً لشؤون الحزب، وقد وسعوا عدد الأعضاء. وكان من قرارات المؤتمر أن يتم توسيع عدد أعضاء المجلس الوطني، فشكّلوا مجلساً وطنياً موسعاً على رأسه أمين الحافظ، وفي داخله أعضاء القيادتين القومية والقطرية والوزراء والشخصيات الاعتبارية، ثم شكلوا مجلساً رئاسياً للدولة من خمسة أشخاص هم: أمين الحافظ، نور الدين الأتاسي، جميل شيا، صلاح جديد، يوسف زعين، وأظن أن أحمد أبو صالح (أبو طموح) ضمن هذه المجموعة، أقصد أنه كان بدلاً من أحدهم.

وقد اتخذت القيادة القطرية عدداً من القرارات والمراسيم التشريعية، كان من أبرزها المرسوم التشريعي (195) المؤرخ في 1965/8/22 الذي ألغى بموجبه منصب القائد العام للجيش والقوات المسلحة ونائبه، ومنحت صلاحيات واختصاصات القائد العام لوزير الدفاع، كما صدر المرسوم

التشريعي (196) المؤرخ 1965/8/22 الذي قضى بأن يكون رئيس مجلس الرئاسة هو القائد الأعلى للجيش والقوات المسلحة.

كما صدر القانون رقم (1) تاريخ 1965/8/23 القاضي بتحديد أعضاء المجلس الوطني للثورة والفئات الشعبية التي يمثلونها، وقد حدد القانون عدد هؤلاء الأعضاء بـ (95) عضواً يمثلون سائر قطاعات المجتمع والدولة.

أستطيع أن أقول إن أمين الحافظ في هذه الفترة شعر أن المحيط حوله يتآمر عليه، فقد أدرك الناس، والقرييون من أمين الحافظ تحديداً أنه لن يستمر في حكم الدولة السورية طويلاً بسبب تصرفاته، وآرائه، وعلاقاته التي أراد من خلالها تقريب مذاهب، وتيارات، وأشخاص منه دون أن يحسب حساباً لنتائجها المدمرة اجتماعياً وسياسياً.

وكان خوف أمين الحافظ الأساسي ينصب تجاه الرفيق صلاح جديد، ولم يشعر بهذا الشعور تجاه اللواء حافظ الأسد. لقد رأى أن صلاح جديد هو مكنم الخطر مع المجموعة الكبيرة من الضباط الذين يتعاونون معه ويأتمرون بأمره، لذلك تقرب من صلاح البيطار وجماعة محمد عمران، والقيادة القومية. طبعاً كان يشعر بخطورة صلاح جديد والضباط الملتفين حوله وحول القيادة القطرية، فأراد أن يشل حركة صلاح جديد وحيويته، ومجموعة الضباط القريبة منه، أو من القيادة القطرية، وما كان ليتم ذلك إلا بتفكيك الحلقة من حوله، وتقوية القيادة القومية على اعتبار أن هذه القيادة هي المرجعية الأقوى حزبياً.

لذلك شرع أمين الحافظ في هذه الفترة يتحدث عن الحزب، في جميع جلساته، وخطبه، ونقاشاته مع الآخرين فكان يؤكد على دور الحزب وأهميته، ودور القيادة القومية ومكانتها العالية والمهمة كمرجعية حزبية، كان يتحدث عن رغبته في إعادة الأمور الحزبية إلى نصابها، قاصداً من وراء هذا الكلام أنه

لابدّ من أن يكون الدور الأول في الحزب للقيادة القومية.

كنت قريباً من أمين الحافظ بحكم عملي في الحرس القومي، وكثيراً ما كنت أسمعه يفكر بصوت عال، كان يقول لي: يبدو أنهم يريدون إزاحتي - طبعاً يقصد رفاقنا في القيادة القطرية، وصلاح جديد تحديداً - عليهم ألا يتصوروا أنني زياد الحريري الثاني. عليهم ألا يتصوروا ذلك، فأنا لي جذور ممتدة في كل شرائح المجتمع وقطاعاته. آنذاك، شعرت أن أمين الحافظ بات يدرك بأنه مهدد في موقعه ومسؤولياته، وأن سلوكه، وقراراته، وميله إلى القيادة القومية.. جميعها ليست في موضع ارتياح من قبل رفاقه في القيادة القطرية، وضباط الجيش، فقد كانت سمعته وأخباره على كل لسان. وكنت أشعر أنه في لقاءاته مع الآخرين يظل متهيئاً ومتحفظاً لا يجري في الحديث إلا أمام أشخاص محددين من الضباط، وأعضاء القيادة القومية.

في هذا المناخ المتوتر كان أمين الحافظ يشجع القيادة القومية ضد القيادة القطرية، وذلك لأن الرفيق صلاح الجديد أصبح أميناً قطرياً مساعداً للحزب، وقد أراد أن يجعل (أقصد صلاح) قوة الدولة في القيادة القطرية بالتعاون مع عدد كبير من الضباط البعثيين الذين استلموا مواقع مهمة في ألوية الجيش وفي مختلف القطاعات وبالتعاون مع أعضاء القيادة القطرية أنفسهم أيضاً.

حلّ الفياضة القطرية..!

في أواخر صيف عام 1965 اجتمعت القيادة القومية اجتماعاً عاصفاً، كان من نتائجه الخطيرة حلّ القيادة القطرية. وهنا عاشت البلاد أزمة حقيقية شملت كل ألوان الطيف السياسي داخل حزب البعث العربي الاشتراكي. وراحت الأسئلة تدور حول أحقية القيادة القومية بحلّ القيادة القطرية. وقد رأى عدد كبير من الرفاق الحزبيين أنه ليس من حق القيادة القومية حلّ

القيادة القطرية إلا في أوقات النضال السلمي. وأن أعضاء القيادة القومية غير معروفين من قبل الناس، وأن ما من تاريخ نضالي لهم في أذهان أبناء المجتمع، بينما أعضاء القيادة القطرية ثوريون، أصحاب ثورة حقيقية هي ثورة 8 آذار، ولهم مصداقية كبيرة بين الناس، وداخل شرائح المجتمع، لذلك رأى أعضاء القيادة القطرية أن يلجأوا إلى المحكمة الحزبية باعتراض موجه ضد حل قيادتهم. وقد كان الرأي منصّباً على أن الاعتراض على قرار القيادة القومية بحل القيادة القطرية صحيح من الناحية القانونية، ولكن الاعتراض بشكل جماعي على القرار وارداً لأنه سيفسر أو يعدّ تمرداً على قرارات القيادة القومية، لذلك طلبوا من أعضاء القيادة القطرية أن يقدموا طلبات اعتراض فردية. هنا، ما كان من عبد الكريم الجندي إلا أن كتب طلبات اعتراض بأسماء كل أعضاء القيادة القطرية، وأرسلها إلى المحكمة الحزبية، التي كانت مؤلفة من عبد المحسن أبو ميزر، وحسين ملحم، ومحمد إبراهيم العلي، وبدأت المحكمة اجتماعاتها من أجل مناقشة طلبات الاعتراض، طبعاً كنا نحن الثلاثة منقسمين إلى التيارات المتصارعة داخل الحزب أيضاً، فعبد المحسن أبو ميزر مع ميشيل عفلق، وحسين ملحم مع أمين الحافظ، بينما أنا مع أعضاء القيادة القطرية وقد شعرت أنهم ظلموا بهذا القرار التعسفي والمتشنج من قبل القيادة القومية. كنا نجتمع مع اللواء حافظ الأسد ونسمع رأيه، وكذلك نجتمع مع الرفيق صلاح جديد ونسمع رأيه أيضاً، وكان التوجيه ألا نتسرع بإصدار أي حكم. وأذكر أننا ذهبنا نحن أعضاء المحكمة الحزبية إلى بيت ميشيل عفلق، وناقشناه طويلاً حول هذا الموضوع وتطوره. وقلنا له بالحرف الواحد إنه من الممكن أن نجتمع ونتخذ قراراً يلغي قرار قيادتكم (القيادة القومية) ولكن هذا الأمر غير لائق في العمل الحزبي. فكان لا يجيب، ينظر إلينا نظرات غامضة لا تدل على شيء. وقلتُ له: نحن لا نرغب باتخاذ مثل هذا القرار لأن للقيادة القومية سمعتها ومصداقيتها في الجهاز الحزبي، وعلى القيادة القومية أن تعالج هذا الأمر بهدوء وعقلانية، فهذا الموضوع أمر لم يعد يتعلق بالقيادة

القطرية وحدها، وإنما بات يتعلق بسمعة الدولة والثورة معاً، وكذلك بات يتعلق بالمصداقية أمام الشعب أيضاً. أذكر أن الرفيق شبلي العيسى (الذي كان أميناً عاماً مساعداً للحزب) انحاز بشكل واضح إلى الاتجاه الذي وقفه الرفيق ميشيل علق وهو الاتجاه الذي كان مصراً على صوابية قرار القيادة القومية، أي القرار القاضي بحل القيادة القطرية. وهكذا، وبعد مداورات، ومشاورات، وحوارات عديدة، ظل الأمر معلقاً، لا القيادة القومية تتراجع عن قرارها، ولا القيادة القطرية تعطل أعمالها، ومما زاد الطين بلة هو أن القيادة القومية، وقد تسلمت زمام الأمور كاملة في الحزب والدولة، اتخذت قراراً يقضي بعدم جواز إجراء تنقلات في الجيش بين صفوف الضباط إلا بقرار من القيادة القومية، وبذلك صارت القيادة القومية هي التي توافق أو لا توافق على إجراء مثل هذه التنقلات، وهي المرجع الأساس وليس وزارة الدفاع أو رئاسة هيئة أركان الجيش. وقد كان لهذا القرار أثر سيء في نفسيات الضباط، كما كان له انعكاسات عديدة في وزارة الدفاع ورئاسة هيئة الأركان. وقد قام عدد من الضباط المنقولين إلى قطاعات جديدة بكتابة اعتراضات إلى القيادة القومية من أجل أن يبقوا في أمكنتهم، فكانت القيادة القومية تتخذ بحقهم القرارات التي تراها مناسبة، وهنا حدث فراغ كبير في وزارة الدفاع، ورئاسة هيئة الأركان معاً. والمخرج الوحيد للأزمة كان بأن تدمج القيادتان في قيادة واحدة هي القيادة (القومية والقطرية) الموحدة^(*)، لذلك شكلوا مكتباً سياسياً صار بمثابة المرجعية السياسية.

حين اتفق الطرفان على هذا المخرج، أي على تشكيل قيادة قومية - قطرية موحدة سميت (القيادة الموحدة)، ارتاحت النفوس قليلاً، الأمر الذي أدى إلى مبادرة هذه القيادة الموحدة بتشكيل وزارة جديدة برئاسة صلاح البيطار، كان وزير الدفاع فيها اللواء حمد عمران بعد أن استدعي من إسبانيا

(*) كانت الموافقة على وجود بعض أعضاء القيادة القطرية فقط في هذه القيادة الموحدة كقيادة حربية عليا.

حيث تم تغيير اللواء حمد عبيد . لقد راهن أمين الحافظ على أن اللواء محمد عمران هو الشخص المؤهل لأن يكون ورقة ضاغطة على الرفيق صلاح جديد للخلاص منه، لأن التناقض كان كبيراً وواضحاً ما بين أمين الحافظ وصلاح جديد . فهدف أمين الحافظ الأساسي يتلخص في أن يتخلص من صلاح جديد، وحافظ الأسد، ومحمد عمران دفعة واحدة، وإن لم يكن ذلك ممكناً فليكن بالتدريج.. أي أن يتخلص منهم واحداً واحداً. ورأى أن محمد عمران هو القادر على الخلاص من حافظ الأسد وصلاح جديد، وبعدئذٍ سيكون بمقدور أمين الحافظ الخلاص من محمد عمران بشكل طبيعي.

وعلى الرغم من وجود هذه الخلافات التناحرية ما بين ضباط القيادة، من جهة، وأعضاء القيادتين القومية والقطرية، من جهة ثانية، فإن سلوك أمين الحافظ ومن هم حوله لم يتغير فظلّ السكير يسكر، ومن يسهر يسهر، فمثلاً، وعلى سبيل الإشارة نقلت إلينا، وربما نقلت إلى جميع القواعد الحزبية، أخبار تقول إن مجموعة من البنات كانت تسهر في بيت أحد الضباط [ولا أريد ذكر اسمه كي لا أسيء إليه وقد أصبح في ذمة الله]، وإن أمين الحافظ، والوليد طالب حضرا هذه السهرة، وقد حدث فيها ما حدث. وقد كانت هذه الأخبار تنقل إلى القواعد مضخمة من أجل تحريضها ضد أمين الحافظ وحاشيته.

في هذه الفترة، برز اسم أحمد سويداني كرئيس لشعبة المخابرات، وقد عُين في هذا الموقع مع تعيين محمد عمران وزيراً للدفاع، وقد كان أحمد سويداني قبل ذلك رئيساً لفرع الشرطة العسكرية. وأشير هنا إلى أحمد سويداني، لأنه كان أحد أذرع الرفيق صلاح جديد في القيادة، فقد كان أحمد سويداني ملحقاتاً عسكرياً في الصين، فاستدعاه الرفيق صلاح جديد ليكون قريباً منه، وبذلك صار أحمد سويداني قوة كبيرة منفذة لأوامر صلاح جديد.

إذن، كانت الأزمة داخل القيادة القومية والقطرية الموحدة تتفاقم، مع أن القيادة القطرية السابقة كانت مجمدة عملياً. وهنا اضطرت القيادة القومية

والقطرية الموحدة إلى إعادة تشكيل قيادة قطرية جديدة من الأسماء الجديدة فيها: مصطفى رستم، وجميل شيا، وإبراهيم ماخوس، ومحمد عيد عشاوي، ويوسف زعين، ونور الدين الأتاسي.. وهنا تجسّد الخلاف بشكل جذري بين القيادتين القومية والقطرية، ذلك لأن القيادة القطرية عادت بنفس جديد، وقوة إضافية لأن حاجة الجهاز الحزبي إليها كانت هي الحاسمة في عودتها لتأخذ مسؤولياتها ومواقعها الحزبية. في هذه الفترة حدثت مناقلات عديدة في مواقع الضباط، فأحمد الأمير استلم قيادة اللواء سبعين، وأحمد خضور أصبح قائداً للواء الخامس في مدينة حمص، وقد كان أحمد خضور محسوباً على القيادة القومية. والحقيقة هي أن هذين اللواتين (ال سبعين) و(الخامس) هما أقوى التشكيلات العسكرية وأهمها في الجيش، وهما يشكّلان (بيضة القبان) في الموازين العسكرية. لقد توضح للجميع أن المناقلات التي أجرتها القيادة القومية بين صفوف الضباط كانت من أجل تجميع دور القيادة القطرية الجديدة في الجيش، فكل ضابط معروف بعلاقاته مع أعضاء القيادة القطرية نُقل إلى تشكيلات جديدة وبعيدة عن المواقع العسكرية ذات الحساسية الخاصة. وهنا لا بدّ من أن أذكر أن المقدم مصطفى طلاس كان قد تسلّم رئاسة أركان اللواء الخامس في حمص وبدأ دوره يظهر بشكل واضح.

لقد بدأت تظهر معالم الانقسامات الحادة في الجيش، والحزب، وقد بتنا في أوائل شهر شباط 1966، وكان الأمر المتداول علناً تقريباً أن القيادة القطرية قررت أن تقوم بعمل عسكري ضد القيادة القومية، أي ضد أمين الحافظ، هكذا كان التوجه العام كي لا يقال إن القيادة القطرية تستخدم الجيش ضد الحزب، فالعمل العسكري ليس موجهاً إلا ضد القيادة القومية التي تريد الانفراد بالبلاد والسلطة. وضد أمين الحافظ الذي أراد تقوية القيادة القومية ضد القيادة القطرية بغية التخلص من بعض أعضائها وعلى رأسهم صلاح جديد... وإنما ضد أمين الحافظ ونهجه، وقد كانت سمعة أمين الحافظ في المجتمع صفراً، وما كان بمقدور أي إنسان بعثي أو غير بعثي أن يدافع عن

سلوكه وتصرفاته التي راحت تفوح منها رائحة السكر والعريضة وعدم احترام القيم الاجتماعية. لقد كان سلوك أمين الحافظ الثغرة التي تمّ النفاذ منها إلى تصنيفه، واقتلاع نهجه، وتفكيك فعالية القيادة القومية التي استند إليها. وكذلك تمّ التركيز على دور صلاح البيطار الانفصالي، لأنه وقع على وثيقة الانفصال، لهذا كانت مصداقيته الحزبية مهزوزة خصوصاً تجاه الوحدة.

في 20 شباط أو 21 شباط من عام 1966 تم نقل دفعة جديدة من الضباط إلى قطاعات عسكرية أخرى، من بينهم النقيب كاسر محمود، وعين الضابط عدنان بدر حسن في الكسوة بدلاً منه.. الخ، وقد كانت هذه التعيينات من قبل محمد عمران، أي أنه وضع الضباط المقربين منه في المواقع العسكرية الحساسة. فقد كان هدفه الأساسي السيطرة على اللواء سبعين واللواء الخامس في حمص. في هذين اللوائين كانت مفارقة تجسدت على النحو التالي، فقائد اللواء السبعين العقيد أحمد الأمير كان مع القيادة القطرية، أما قادة الكتائب في اللواء فكانوا جميعاً من المعادين لها، في حين كان قائد اللواء الخامس أحمد خضور ضد القيادة القطرية، بينما جميع الضباط في اللواء مع القيادة القطرية. في اللواء سبعين كان المقدم علي مصطفى هو المسيطر الفعلي على اللواء وليس العقيد أحمد الأمير قائد اللواء..

في قطنا كان الضابطان عدنان دباغ وموسى العلي مع القيادة القطرية، وفي الجبهة كان النقيب سهيل حسن وتوفيق الجهني مع القيادة القطرية أيضاً، أما قائد الجبهة العقيد عبد الغني إبراهيم (فكان بين بين) بينما كان علي عمران في اللاذقية مع القيادة القطرية.

هكذا كانت المواقع، واتجاهات الضباط حول النزاع الناشب ما بين القيادتين القومية والقطرية. هذه مفارقات تعكس مدى التناقضات التي كانت موجودة بين القيادتين القومية والقطرية.



الفصل

الثالث

حركة 23 شباط 1966 (الأسباب، الإعداد، التنفيذ)

الأسباب المباشرة لحركة 23 شباط!

في 1965/12/8 بدأت القيادة القومية بعقد سلسلة من الاجتماعات استمرت حتى 1965/12/20 حضرها ميشيل عفلق عضو القيادة القومية والأمين العام السابق للحزب بعد أن ظل مقاطعاً جلسات القيادة القومية مدة ثمانية أشهر أي منذ انتخاب هذه القيادة في المؤتمر القومي الثامن. وألقى في جلسة 1965/12/19 كلمة طالب فيها بحل القيادة القطرية وباستلام القيادة القومية مسؤوليات القطر حتى لا تتكرر «مأساة العراق» وقال:

«أحب أن أوضح منذ بداية حديثي بأن حضوري هذه الجلسة وفي هذه الظروف العصيبة الحاسمة بعد مقاطعتي الواعية الواضحة لاجتماعات هذه القيادة مدة ثمانية أشهر، أي منذ انتخاب هذه القيادة من المؤتمر القومي الثامن حتى الآن، هو من أجل أن أقول وأعيد ما قلته دوماً سواء في السنوات الثلاث الأخيرة بعد الثورة وخاصة في المؤتمر القومي الثامن ثم في اجتماعات غير رسمية كنت أدعو إليها بعض الرفاق من القيادة لأذكرهم بالحقائق التي تستخلص من تجربة الحزب الطويلة».

وقد أعلن في كلمته أنه كان مصمماً منذ زمن طويل على «الانسحاب من المسؤولية الرسمية في قيادة الحزب»، وأنه أراد من انسحابه في المؤتمر القومي الثامن أن ينبه القواعد الحزبية «إلى أخطار جسيمة تهدد وجود الحزب وتهدد

مصير الثورة العربية عندما يتهدد مصير ووجود الحزب»، وأن السبب في ذلك يرجع إلى تمرد القيادة القطرية ورفضها الخضوع لإرادة القيادة القومية وأنه غادر القطري العربي السوري عام 1964 وابتعد بعد أن رفضت القيادة القومية الأخذ بوجهة نظره وأنه عاد في نهاية العام نفسه بعد أن أبلغته القيادة القومية أنها اقتنعت بوجهة نظره. وأخذت القيادة القومية مقررات لم تخضع لها القيادة القطرية وأن هناك تكتلاً استطاع أن يحقق سيطرة شبه تامة على الحزب وعلى الحكم وأن هذا التكتل يستخدم سلاحاً مغلولاً سقيماً هو «سلاح الشرعية والنظام الداخلي» وأن هؤلاء التكتلين ليسوا في مستوى المسؤولية وأنهى كلمته بطلب حل القيادة القطرية واستلام القيادة القومية السلطة في القطر العربي السوري.

وجاء في كلمته أيضاً:

«في قناعاتي بأن القيادة القومية هي وحدها التي يجب أن تستلم المسؤولية في هذا الطرف الخطير وأن تحمل القيادة القطرية وزر الأخطاء التي ارتكبت وأن تدين المسؤولين فيها وتبعدهم على الأقل عن المراكز والمجالات التي يمكن أن يكرروا فيها الأخطاء كي لا يلحقوا الأضرار بالحزب وبالبلاد، دون تهاون ودون تسوية ودون إبطاء لأن تمييع الموقف هو لصالح الفوضى ولصالح أعداء الحزب».

وفي 1965/12/21 أصدرت القيادة القومية بياناً بحل القيادة القطرية في سورية هذا نصه:

«إن القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي قد عقدت جلسات متوالية في الفترة ما بين 12/8 و1965/12/20 درست خلالها تجربة الحزب في الحكم وعلاقاته هو والحكم بالشعب، كما درست الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في القطر - وبخاصة الخطوات الثورية التي قامت

بها الثورة حتى الآن لتحرير الشعب من ريقة الإقطاع والاستغلال الرأسمالي وسيطرة الفئة المستغلة على شؤون الحكم والشعب - دراسة مفصلة واسعة وفي خلال اجتماعاتها هذه درست القيادة القومية أيضاً الأخطار الداخلية والخارجية التي تهدد القطر العربي السوري وثورة الثامن من آذار والتي تهدد الوطن العربي وبخاصة الأنظمة والحركات والأفكار الثورية والتقدمية فيه وفي مقدمتها أخطار الاستعمار بمختلف أشكاله والصهيونية والرجعية.

وقد خرجت القيادة القومية بعد سلسلة اجتماعاتها هذه بجملة من المقررات هي:

1- أن معطيات التجربة تقضي - وبخاصة في المرحلة الراهنة - بأن تكون صيغة قيادة الحزب في القطر العربي السوري على شكل قيادة حزبية عليا واحدة تتألف من القيادة القومية ومن عدد من الرفاق من القطر العربي السوري على أن تتحمل هذه القيادة مسؤوليات قيادة القطر لحين انعقاد المؤتمر القومي التاسع وذلك من أجل ترسيخ وحدة الحزب القومية ترسيخاً شاملاً ومتيناً على صعيد الفكر والتنظيم والقيادة السياسية للثورة العربية وللوصول إلى قاعدة أقوى لمجابهة المشكلات والأخطار التي تواجه الحزب والثورة.

ويعني هذا القرار حل القيادة القطرية الحالية وتولي القيادة القومية مسؤوليات قيادة الحزب في القطر العربي السوري لحين استكمال الصيغة القيادية الجديدة.

2- ومن خلال دراسة التجربة الماضية قررت القيادة القومية أن على القيادة الحزبية الجديدة أن تسعى سعياً حثيثاً للتأكيد على الجوانب الإيجابية في علاقة الحزب والحكم بالشعب، كما أن عليها أن تصب جهدها بحزم وجدية وشمول على تصفية ومعالجة الأخطاء والانحرافات التي طرأت على هذه العلاقة.

إن القيادة القومية ترى في ذلك ضرورة أساسية لتدعيم قيادة الحزب للجماهير الكادحة ولتطوير وتمتين التلاحم بينه وبينها وإضفاء المزيد من الحيوية على هذا التلاحم من أجل دفع التجربة الثورية إلى الأمام.

3- إن القيادة القومية تؤكد بعزم على ضرورة تطبيق المنهاج الحزبي والمنهاج المرحلي، كما تؤكد بحزم أيضاً على الخط الجماهيري الثوري في التحويل الاشتراكي وذلك بحماية وترسيخ وتطوير الخطوات التي اتخذتها الثورة في مجالات الإصلاح الزراعي والتأميم والخدمات الاجتماعية وبالمزيد من العمل الشعبي والتعاون الطوعي بين الحزب والحكم والجماهير الكادحة.

4- تؤكد القيادة القومية على ضرورة الإسراع بإنجاز الدستور الدائم بالشكل الذي يحقق أهداف الثورة وتحقيق الديمقراطية الشعبية التي تعني المشاركة الواسعة للجماهير الكادحة في الإشراف على السلطة الثورية وتوجيهها.

إن القيادة القومية إذ تعلن مقرراتها هذه فإنها تدعو الحزب والجماهير الشعبية الكادحة ومنظماتها إلى الالتزام الحازم بها والسعي الحثيث لتحقيقها وذلك للسير قدماً في تحقيق أهداف أمتنا الكبرى في الوحدة والحرية والاشتراكية.

وفي اليوم التالي (1965/12/22) أصدرت القيادة القومية نشرة داخلية سرية للأعضاء فقط حول قرارات القيادة القومية في دورتها الاستثنائية شرحت فيها أزمة الحزب والأسباب التي دفعتها إلى حل القيادة القطرية. وقد ركزت فيها أسباب الأزمة في النقاط التالية:

1- وصول الحزب إلى السلطة بواسطة ثورة شعبية وعسكرية في العراق وبواسطة انقلاب عسكري في القطر السوري وأن إغراء السلطة في كلتا الحالتين كان إغراء شديداً وأن الانغماس في السلطة أصبح انغماساً وأصبح

التطلع إليها مرضاً خطيراً صرف الحزب عن مهمته الأولى التي ندب نفسه لها منذ ولادته ألا وهي توجيه الجماهير والانطلاق معها ومن خلالها، وأن القيادة القومية حاولت علاج الموضوع ولكن جهدها ظل حبراً على ورق.

2- تركيز سلطة القيادة القطرية وإضعاف سلطة القيادة القومية وإخفاق المؤتمرات الحزبية في حل الأزمة بين القيادتين.

3- التسلط العسكري على الحزب وعلى قيادات الحزب وعلى الحكم وعلى الجيش نفسه.

4- الانقسام النظري والفكري في الحزب وغياب التوجيه المركزي من القيادة القومية بسبب انشغالها بالحكم وبأزمات الحكم والحزب.

وقد أعلنت النشرة أن القيادة القومية درست وضع الجيش على الصعيد الحزبي وانعكاساته على الوضع العام وأنها إدراكاً منها لأهمية هذه المؤسسة ولدورها في تدعيم الثورة ولضرورة ربطها بشكل دقيق وفعال بالسلطة الحزبية اتخذت المقررات التالية:

أولاً: تعيين مكتب عسكري يضم مدنيين وعسكريين تابع للقيادة الحزبية العليا، وذلك بغية تدعيم وحدة الحزب التنظيمية.

ثانياً: فصل المكتب العسكري عن لجنة الضباط وحصر عمله في التنظيم الحزبي وذلك تجنباً لانغماسه بالأمور العسكرية اليومية التي تشل نشاطه الحزبي.

ثالثاً: تفريغ أعضاء المكتب العسكري للنشاط الحزبي.

رابعاً: تعيين موجهين سياسيين لكافة قطعات ووحدات الجيش.

خامساً: تولي لجنة الضباط الحزبية المسؤوليات العسكرية المنصوص

عليها في القانون رقم /23/ الصادر عام 1959 ووفقاً للمواد 47-50 من النظام العسكري الداخلي. ويحق للقيادة القومية في كل الأحوال نقض أي قرار تصدره لجنة الضباط.

سادساً: تتكون لجنة الضباط من الضباط الحزبيين الذين يستوفون الشروط المنصوص عليها في القانون رقم /23/ ويضاف إليهم معاون رئيس الأركان وقائد الجبهة ونائب وزير الدفاع إن وجد.

سابعاً: تعتبر القيادة الحزبية الساطة المقصودة في المواد 47-50 من النظام العسكري الداخلي.

ثامناً: لا يمكن الجمع بين المهنة العسكرية والمناصب الحكومية (عضوية مجلس الرئاسة - الوزارة - المحافظة) ويستثنى من ذلك وزير الدفاع.

تاسعاً: لا يمكن الجمع بين الوظيفة العسكرية والمسؤولية الحزبية على مستوى القيادة القطرية ويستثنى هنا أيضاً وزير الدفاع.

عاشرأ: يحق للرفاق العسكريين العودة مبدئياً إلى وظيفتهم العسكرية في حال انتهاء مسؤوليتهم القيادية الحزبية إلا إذا رأت القيادة عكس ذلك.

حادي عشر: تلتف كافة أحكام النظام الداخلي العسكري والمخالفة لهذه القرارات وقد فصل البيان وأوضح قرارات القيادة القومية على الشكل التالي:

1- تشكيل قيادة موسعة تشرف على شؤون الحزب والحكم والجيش في القطر على أن تضم هذه القيادة:

- جميع أعضاء القيادة القومية.

- يضاف إليهم عدد من الرفاق من القطر السوري على أن لا يزيد عددهم عن عدد أعضاء القيادة القومية.

- وهذا يعني حل القيادة القطرية الحالية.

2- إعادة تقييم الحزبيين داخل الحزب في القطاعين المدني والعسكري وكذلك المستبعدين خارجه من غير المرتبطين بأي تنظيم آخر والملتزمين بخط الحزب، على أن تراعى في هذا التقييم قرارات القومية والتفسيرات التي أعطتها القيادة القومية والتي أبلغت للمنظمات الحزبية المختصة.

3- توجيه وسائل الإعلام توجيهاً مركزياً لمنع الاختلاف والتناقض في وجهات النظر ولضمان انسجامها مع الخط القومي للحزب.

4- دفع برامج التوعية والتثقيف والاتصال بالقواعد الحزبية وبالجماهير على أوسع نطاق ممكن والسعي الحثيث والدائب للخروج من العزلة والقوقعة الحزبية الحالية.

5- البدء بتطبيق المنهاج الحزبي والمنهاج المرحلي في كافة المجالات واعتبارهما من المهمات الأساسية والمستعجلة للعمل الحزبي والحكومي.

6- تعلق مواد النظام الداخلي التي تتعارض مع هذه القرارات.

7- تستمر القيادة القومية في ممارسة كافة السلطات العسكرية والمدنية والحزبية حتى يتم تشكيل القيادة الحزبية.

ملاحظات حول إجراءات 1965/12/21

1- لقد جاء المؤتمر القومي الثامن بحل لأزمة قيادة الحزب رفضه الأمين العام السابق ميشيل عفلق على الرغم من أن الأكثرية أيدت هذا الحل. وقد قاطع الحزب كله بسبب مخالفة المؤتمر لآرائه وفي هذا تتجلى ذروة عقلية الوصاية على الحزب ورفض أسس الديمقراطية المركزية التي يقيم عليها

البناء الحزبي.

2- ظل التعاون قائماً بين القيادتين القومية والقطرية طوال عام 1965 رغم ابتعاد ميشيل عفلق وجاءت إجراءات 1965/12/21 بصورة شبه مفاجئة بعد نجاح ميشيل عفلق في استعادة سيطرته الشخصية على أكثرية أعضاء القيادة القومية التي يدين عدد كبير منها بالولاء الشخصي له.

3- حرصت القيادة القطرية على إبقاء التعاون قائماً بينها وبين القيادة القومية كي لا يتأزم وضع الحزب والسلطة لاسيما وأن المرحلة كانت تؤذن بمد رجعي إمبريالي صهيوني في المنطقة وتجلس ذلك في مذكرتها إلى المجلس القومي الاستشاري بتاريخ 1965/10/20.

4- لم ترجع القيادة القومية في إجراءاتها إلى المؤتمر القطري صاحب السلطة الفعلية في بقاء القيادة القطرية أو تغييرها لتقتها أن المؤتمر القطري لا يؤيد هذه الإجراءات ويتضح ذلك من أن المؤتمر القطري الثاني الاستثنائي انعقد بعد حركة 23 شباط بين 10-12 آذار 1966 واستكرر إجراءات القيادة القومية.

5- كانت إجراءات 1965/12/21 تستهدف إجراء تغيير شامل في بنية الحزب والدولة والجيش الأمر الذي كان يهدد بوقوع أزمة شاملة في كيان القطر العربي السوري لا يعلم مداها ونتائجها في ظروف عربية ودولية حاسمة وصعبة.

نتائج إجراءات 1965/12/21

لقد أدت إجراءات القيادة القومية إلى نتائج أساسية هي:

1- استقالة وزارة الدكتور يوسف زعين: (المرسوم التشريعي رقم 2836

تاريخ (1965/12/27).

2. استقالة ثلاثة أعضاء من مجلس الرئاسة هم: نور الدين الأتاسي، جميل شيا، فايز الجاسم. استبدلوا بـ شبلي العيسمي، عبد الفتاح البوشي، أحمد الخطيب. انتخبوا من قبل المجلس الوطني للثورة.

3. اهتزاز القاعدة الحزبية وطرح التساؤلات والالتهامات والشكوك حول أهداف القيادة القومية من إجراءاتها الأمر الذي اضطر القيادة القومية إلى إصدار نشرة داخلية للأعضاء العاملين بتاريخ 1966/1/10 حاولت فيها الرد على هذه التساؤلات والالتهامات والشكوك.

«فقد اتهمت القيادة القومية بأنها دفعت الأزمة دفعاً مصطنعاً وأنه كان في وسعها أن تبقى على النظام الداخلي وأن تعمل ضمن إطار الشرعية الشكلية.

- واتهمت القيادة القومية بأنها كانت طرفاً وأنها قد أقامت تكتلاً جديداً بعد أن أزاحت تكتلاً قديماً.

- واعتبرت القيادة الحزبية الجديدة بأنها مجموعة متكئة.

- وقيل إن القيادة القومية في بيانها أدانت الحزب أكثر من إدانتها للقيادة القطرية السابقة.

- وقيل إنه يجب على القيادة القومية أن تعين قيادة قطرية جديدة وأن تبقى في موقف الحكم وأن لا تنزل إلى مستوى الاهتمامات القطرية لأنها إذا أخطأت فمن يصحح هذا الخطأ؟ إن الفراغ الفكري هو العامل في تراكم الأزمة. ويسأل الرفاق عن الانحرافات التي أشار إليها بيان القيادة القومية. ولماذا كانت القيادة القومية ساكنة عن الأزمة؟ وفيما إذا كانت قرارات القيادة القومية تحولاً عن سيطرة مجموعة إلى سيطرة فرد. وعما إذا كانت الخطوة

الجديدة انعطافاً من اليسار إلى اليمين. وفيما إذا كان الانفتاح المقصود انفتاحاً على الناصريين وجماعة الحوراني. وفيما إذا كان التقييم الذي نوهت عنه القيادة القومية يعني تصفية أشخاص معينين وتسليط سيف الانتقام داخل الحزب. وهل هناك علاقة بين زيارة الأسطول السادس الأميركي لبيروت بما تم أخيراً في هذا القطر».

إن هذه التساؤلات والشكوك والاتهامات التي بدأت القواعد الحزبية بطرحها بعد إجراءات القيادة القومية واضطرار هذه القيادة إلى تعدادها والرد عليها يعد بحق مؤشراً على عمق الهزة التي أحدثتها إجراءات القيادة القومية في قاعدة الحزب.

تشكيل وزارة صلاح البيطار الخامسة!

بتاريخ 1966/1/1 صدر المرسوم رقم (2) بتشكيل وزارة صلاح البيطار الخامسة، وقد تألف من (26 وزيراً) على النحو التالي:

صلاح البيطار (رئيساً لمجلس الوزراء ووزيراً للخارجية)، اللواء محمد عمران (وزيراً للدفاع)، الدكتور عبد الله عبد الدائم (وزيراً للتربية)، فهمي العاشوري (وزيراً للداخلية)، الدكتور كمال حصني (وزيراً للاقتصاد)، الدكتور صلاح وزان (وزيراً للزراعة)، اللواء ممدوح جابر (وزيراً لشؤون الرئاسة)، الدكتور هشام العاص (وزيراً للصناعة)، سميح فاخوري (وزيراً للأشغال العامة)، محمود تجار (وزيراً للشؤون البلدية والقروية)، موفق الشريجي (وزيراً للمالية)، يوسف خباز (وزير دولة لشؤون الحكم والسياحة)، حنين سياح (وزيراً للصحة)، شاكر مصطفى (وزيراً للإعلام)، الدكتور محمد الفاضل (وزيراً للعدل)، الدكتور أحمد بدر الدين (وزيراً للمواصلات)، جميل ثابت (وزيراً للشؤون الاجتماعية والعمل)، جميل حداد (وزيراً للإصلاح الزراعي)، الدكتور

عبد الوهاب خياطة (وزيراً للتخطيط)، بشير القطب (وزير دولة للشؤون الخارجية)، كمال شحادة (وزيراً للتموين)، نزال ديري (وزير دولة لشؤون الجزيرة والفرات)، الدكتور أسعد درقاوي (وزيراً للثقافة والإرشاد القومي)، محمود عرب سعيد (وزير دولة ووزيراً للأوقاف)، الدكتور عدنان شومان (نائباً لوزير الشؤون الاجتماعية والعمل)، رئيس فرحان الفياض (نائباً لوزير الدولة لشؤون الجزيرة والفرات).

ونلاحظ من استعراض أسماء الوزراء هنا، أنها هي الأسماء التي جاءت تلبية لرغبة القيادة القومية، التي استغنت عن الأسماء المعروفة بدعم القيادة القطرية السابقة.

اجتماع ليالي اللجنة العسكرية!

في يوم 19 شباط 1966 اجتمعت اللجنة العسكرية وعدد أعضائها أربعة، (طبعاً عدا الرفيق محمد عمران) في بيت الرفيق عبد الكريم الجندي، وقد استمر الاجتماع حتى وقت متأخر من ذلك اليوم، وقد تمخض عن هذا الاجتماع الطويل الاتفاق بين أعضاء اللجنة على توقيت تنفيذ حركة 23 شباط التي سوف أسرد أحداثها بالتفصيل لما لها من أهمية في أحداثها وأبعادها ولأنني كنت واحداً من الذين نفذوها، وهنا أود أن أؤكد بأنني كنت مقتنعاً بما قمت به. وقد قررت اللجنة العسكرية تنفيذ الحركة يوم 23 شباط، لأنه يأتي بعد عطلة يوم 22 شباط (عيد الوحدة ما بين سورية ومصر) وقد سهل يوم العطلة الرسمية هذا العمل في إنجاح وتنفيذ حركة 23 شباط.

في يوم 20 شباط أجرت اللجنة العسكرية اتصالات مع أغلب الضباط الموالين للقيادة القطرية، واستمزجت آراء الضباط. وفي اليوم نفسه، قدم اللواء محمد عمران وزير الدفاع استقالته من وزارة الدفاع. ولكن رئيس الوزراء

صلاح البيطار طلب منه عدم الكشف عنها أو نشرها وأن تبقى سرّاً حتى تنتهي الأزمة المتصاعدة بين القيادتين القومية والقطرية. وللحقيقة أقول: لقد علمت باستقالة محمد عمران من الفريق أمين الحافظ نفسه وقد قالها بلهجة العامية «خاي كل الناس يتأمرون.. حتى محمد عمران قدّم استقالته». فقلت له سيدي الفريق: هل من المعقول أن الرفيق أبو ناجح (محمد عمران) يقدم استقالته في هذه الظروف المعقدة والشائكة. فقال لي: «شوفو.. شوفو.. خليه يسحبها». ويمكنني أن أقول: إن استقالة اللواء محمد عمران جاءت على صحن من ذهب عندما قدمها، عند ذلك قمت بإخبار الرفيقين حافظ الأسد، وصلاح جديد. فقالا لي: انشرها بين الرفاق الموالين لمحمد عمران.

في يوم 21 شباط استدعاني الرفيق صلاح جديد وأطلعني على بعض التفاصيل الخاصة بتنفيذ الحركة، وقد هيأني نفسياً من أجل التحضير والإعداد للقيام بالعمل العسكري والإطاحة بالفريق أمين الحافظ مع القيادة القومية الموالية له، كما طلب مني أن أذهب إلى اللواء حافظ الأسد في أممية الطيران لمعرفة بعض الأمور منه. ذهبت إلى أممية الطيران لكي أرى اللواء حافظ الأسد. وعند وصولي إليه شرح لي الموقف وأعلمني عن وقت تنفيذ العمل العسكري وأطلعني على كيفية سير العمل، وقد قال لي مذكراً:

هذا ما كنا نخطط له ونسعى إليه منذ أكثر من عام عندما كنتم تأتون للاجتماع بي في منزلي. وقد كلفني أن أتصل بمجموعة من الضباط الذين نثق بهم، أذكر منهم: النقيب موسى العلي، والنقيب خالد بدوي، وآخرين.

ثم أجرينا تقييماً سريعاً للقطعات العسكرية ومدى أهميتها وأهمية القادة العسكريين الذين يقودونها، ومن هم الموالون للقيادة القومية ومن هم مع القيادة القطرية.

في ليل يوم 22 شباط 1966 تم اتخاذ قرار التحرك ضد أمين الحافظ في

صباح 23 شباط 1966. كانت القيادة القطرية هي التي قررت ذلك، وعلى نحو سري جداً، وضيق جداً اقتصر على الأعضاء وبعض المقربين. قالوا إذا أردنا أن نفنذ غداً فعلينا أن نعطي الضباط كلمة السر مساءً، وعليهم جميعاً أن يمشوا بنقطتين: فالضباط الذين هم حول مدينة دمشق يمشون بالحرس القومي ويأخذون كلمة السر من عند محمد إبراهيم العلي أو يذهبون إلى اللواء حافظ الأسد في أممية الطيران ويأخذون كلمة السر منه. وكان المطلوب منا أن نرسل مراسلاً إلى حمص من أجل حمل كلمة السر إلى اللواء الخامس، فأرسلنا كلمة السر مع أخي علي والرفيق محمد حيدر (أبو إياد) حيث استثمرنا سيارته اللاندروفر (صالون)، وكانت التعليمات أن يسلم أخي علي كلمة السر إلى النقيب خالد بدوي، وإن لم يجده فيسلمها إلى النقيب إسماعيل القط، وإن لم يجده فليسلمها إلى النقيب علي زيود، وفي حال عدم الوصول إليهم، عليه أن يزور الشاعر عبد الكريم الناعم في منزله في حمص، وهو سيؤمن إرسال كلمة السر إلى قيادة اللواء، وقد كنا نعلم أن جميع قادة الكتائب والسرايا موالون للقيادة القطرية (أي للتوجه الذي يشرف عليه منفذو حركة 23 شباط) ولم يكن هناك من بين ضباط اللواء من نتخوف منهم سوى قائد اللواء العقيد أحمد خضور، وقد تأكدنا من نزوله إلى دمشق فور سماعه بنبأ استقالة الرفيق محمد عمران وزير الدفاع، ولم يعد في تلك الليلة (ولا في غيرها من الليالي التالية) إلى اللواء الخامس. أما أخي علي والرفيق محمد حيدر، فبعد أن ينفذا المهمة، أي يسلمان كلمة السر، فعليهما أن يذهبا إلى حماة ويظلا هناك في القرية. أما منطقة القطيفة فقد كانت قريبة، وقد تولى أمرها الرفيق عبيد الكريم الجندي، كذلك كانت قطنا قريبة أيضاً، فقد جاء موسى العلي، وأخذ كلمة السر. طبعاً كان في القطيفة عز الدين إدريس، والاتفاق معه كان واضحاً. قائد اللواء في القطيفة كان المقدم موسى الزعبي وهو مع أمين الحافظ، وقد كان عدد من الضباط القدامى مع أمين الحافظ أيضاً مثل أسعد غوثاني في اللاذقية، وضابط مخابرات في السويداء اسمه فؤاد منذر،

وكان معه عدد من ضباط المخابرات أيضاً. أما النقيب علي غانم في السويداء، فكان مع القيادة القطرية، وكذلك كان الملازم أحمد العلي أخي في منطقة (إزرع) وهو قائد سرية دبابات.

إذن، اتخذ القرار النهائي للقيام بحركة 23 شباط 1966 وتمت الاتصالات على أحسن وجه، وكان دوري أن أذهب إلى كتيبة المظليين باعتباري مظلياً، (حيث ذلك الوقت كنت لا أزال من حيث الراتب والملاك على قيود كتيبة المظلات وأنا مكلف بقيادة الحرس القومي، وأمارس القفز المظلي السنوي من أجل المحافظة على اختصاصي) اتصلتُ بصف الضباط المظليين في الكتيبة، واجتمعت بهم في بيتي، وأعطيتهم تعليمات مشددة، وقلت لهم إذا لم أكن موجوداً في الكتيبة لأمر ما فإن الضابط نادر مهنا يكون في مكاني، خذوا الأمر منه، واتصلت بنادر مهنا، وأعلمته بكل التفاصيل. ثم ذهبت إلى القابون، إلى مدرسة المدرعات، وكان مديرها الرائد عزت جديد، ولم يكن موجوداً فيها، فالتقيت مع الملازم رفعت الأسد، حيث كان قائداً لسرية مدرعات، وطلبت منه أن يؤمن سلامة الطريق. كنا نشبه خلية نحل في عملنا، وثقتنا كبيرة بنجاح الحركة.

في ليلة 23 شباط 1966، وعند منتصف الليل تقريباً قررت بعد أن نفذت تعليمات القيادة أن أذهب إلى القيادة القطرية وأعلمهم بأنني نفذت التعليمات الموكولة إليّ وأن كلمة السر أصبحت موزعة على الجميع. كانت مهمة الحرس القومي أن يحتل الإذاعة، وقد جهزت حوالي مائة عنصر من عناصر الحرس القومي لكي يذهبوا إلى مبنى الإذاعة والتلفزيون، يقودهم حديثة مراد الذي كان يخدم في الحرس القومي برتبة ملازم احتياط. وعرفتُ أن القيادة القطرية تجتمع في بيت الرفيق جميل شيا في المهاجرين، في الطابق الرابع، وحين ذهبت إليهم في الساعة الواحدة ليلاً، وجدت أن وضعهم مأساوي وحزين، فالطعام مازال على الطاولة، لم يتناول أحد منهم شيئاً. وذلك لأنهم جاؤوا بالعقيد

أحمد الأمير قائد اللواء سبعين وسأله عن الموقف في اللواء، فقال لهم بكل صراحة إنه لا يسيطر على اللواء، وأن المقدم علي مصطفى قائد كتيبة الدبابات هو من يسيطر على اللواء مع بقية قادة الكتائب على الرغم من أن المقدم مصطفى عمران هو رئيس أركان اللواء وهو ابن عم محمد عمران، ومن جماعته بالطبع. لكن المسيطر الفعلي على اللواء هو قائد الكتيبة علي مصطفى. وهو أيضاً من جماعة محمد عمران.

وقال العقيد أحمد الأمير لهم إنه يحتاج إلى وقت لكي يسيطر على اللواء، وعليهم أن يؤجلوا تنفيذ الحركة، وأن يخبروا الضباط بهذا التأجيل، وإلا فإن مجزرة ستقع لا محالة. وقد كان الرفيقان حافظ الأسد وصالح جديد يتحادثان في زاوية الصالون همساً. ويتشاوران في وضع اللواء السبعين.

عرفتُ ذلك مع دخولي إلى الاجتماع، كنت لم أتناول الطعام منذ الصباح، حتى طعام الإفطار لم أتناوله، وكنت مرهقاً جداً بعدما تنقلت ما بين الكسوة، والقابون، وأمرية الطيران حيث هو اللواء حافظ الأسد، والقيادة القطرية، وقيادة الحرس القومي.. لكي أخبر الجميع بكلمة السر، وآلية التنفيذ. وقد بدلت في تجوالي وتنقلي أكثر من سيارة لأن مخابرات أمين الحافظ كانت تتابعنا بدقة متناهية. ومازلت أذكر أن الرفيق صالح جديد جاء وجلس بجانبني فور دخولي كان الطعام مازال على الطاولة فبدأت أكل. كان لابد لي من أن أتناول الطعام بعد أن أتممت مهمتي. سألتني الرفيق صالح جديد: هل بلغت؟ قلت: ما من أحد إلا وأصبح جاهزاً، وإذا رغبتُم أن تنفذ الآن فالجميع على استعداد. فقال بحزن شديد وأسى: لا، تعال واسمع أحمد الأمير ماذا يقول، فقممت إلى جوار أحمد الأمير وسألته عن الموقف، فقال: أنا لست مسيطراً على اللواء. فقلت باستغراب ودهشة: ماذا؟ قال: مثلما أقول لك، أنا لست مسيطراً على اللواء! قلت له: الآن تقول إنك غير مسيطر على اللواء، ما الذي كنت تعمله طوال الوقت الماضي إذ؟ ولم أفهم منه سوى أنه غير مسيطر على

اللواء. هنا قلت للجميع: لا بأس. أنا أذهب إلى اللواء وأسيطر عليه! فنظر الرفيق صلاح جديد إليّ مستغرباً وسط دهشة الجميع. وقال لي: هل تذهب إلى اللواء؟! قلت: أنا أذهب إلى اللواء، ومستعد لكي أسيطر عليه، أو أموت فيه، وهذه الحركة يجب ألا تتوقف بعد كل هذا الذي فعلناه من أجلها. ونحن لسنا قادرين على إيقافها، فالجميع لديهم العزم والتصميم على إنجاحها.

في هذه اللحظات تدخل في هذا الحوار الساخن اللواء حافظ الأسد، فقال مؤكداً: إيقاف الحركة صعب جداً، لا بدّ من أن ننفذ، ولا بدّ من أن نجد حلاً لهذا اللواء (اللواء سبعين). قلت له: أنا أذهب إلى اللواء.. وسأتصرف. ورحنا نتداول أسماء الضباط الذين نقلوا من اللواء السبعين، ذكرنا النقيب كاسر محمود، والرائد رثيف علواني، والنقيب سليمان رجب.. وآخرين ووجدنا أن عدد المنتقلين هو خمسة ضباط. قلت للجميع: أنا أمر بهؤلاء الضباط وأخذهم معي بالسيارة إلى اللواء. وسألت أحمد الأمير إن كان يستطيع الدخول إلى اللواء. فقال: طبعاً أستطيع! قلت: أريد منك أن تعطي أمراً لعناصر الشرطة الذين يقفون على الباب أن يسمحوا لي بالدخول ودون أي سؤال. فقال: هذه بسيطة. قلت: لا أريد منك سوى هذا، ولك بعد ذلك أن تعود أدراجك إلى دمشق، أما أنا فسوف أظلّ في اللواء إما أن أموت فيه، وإما أن أسيطر عليه.

وقال لي الرفيق صلاح جديد: سنذهب معاً. قلت له: لا داعي. واتفقنا على أن أذهب إلى اللواء، وأن تكون بداية الحركة الساعة الخامسة فجراً، وعليّ أن أكون قبل هذا الوقت بـ (15) دقيقة داخل اللواء تؤهلني للتحرك من دون مفاجآت. واستأذنت، وذهبت لأجمع الضباط الخمسة الذين نقلوا من اللواء السبعين حديثاً ليكونوا عوناً لنا في السيطرة على اللواء باعتبارهم يعرفون اللواء من الداخل، كما يعرفون الضباط والعناصر معاً. وقلت لأحمد الأمير، اذهب ونام في اللواء لكي تفتح لنا الباب عند الفجر.

كان الموقف درامياً، وحزيناً. فقد كانت القيادة القطرية يائسة، وفي حالة تمزق. كنتُ أرى الرفيق مصطفى رستم نائماً على السجادة، أي على الأرض، وقد أدرك أن الحركة فشلت قبل التنفيذ، وأن مصير الجميع هو السجن لا محالة.

ذهب اللواء حافظ الأسد إلى آمرية الطيران ولحقت به. قلت له: أريد السيارة التي تقوم بتنسيق الاتصالات مع الطيران، فقال لي: لنفرض أنك لم تسيطر على اللواء، عندئذٍ سوف تُستخدم السيارة ضدنا. لذلك سوف أرسلها لك بعد أن تخبرني بأنك سيطرت على اللواء حتى أمنع الطيران من التحليق فوقك، فإذا لم تسيطر على اللواء فإنني سأمر الطيران بقصف اللواء. وقد وافقته على رأيه، قلت له: إذا لم أسيطر على اللواء اقصفه بكامله وأنا بداخله، فهذه ليست مشكلة، المهم أن تنجح الحركة. ولكن إذا نجحنا وسيطرتنا على اللواء فسأخبرك بذلك مباشرة، وأنه لا داعي للطيران. وتركت اللواء حافظ الأسد، وذهبت إلى القابون، إلى مدرسة المدرعات، قابلت الملازم رفعت الأسد، وطلبت منه أن يأتيني بالنقيب كاسر محمود، والرائد رثيف علواني، والملازم أحمد العلي، والملازم ازدشير حيدر، والنقيب سليمان رجب. فعلاً لم يمض وقت طويل على الملازم رفعت الأسد حتى جاء بالضباط الخمسة. وقلت للملازم رفعت الأسد أن ينسق مع المظليين، أي مع الضابط نادر مهنا لأنه مكلف بتسيير أمور كتيبة المظليين بدلاً مني وأنا ذاهب إلى الكسوة، إلى اللواء السبعين من أجل السيطرة عليه. وحين حضر الضباط أخبرتهم بالمهمة المنوطة بنا، فكان أن حدثت مفاجأة، فقد رفض ازدشير حيدر التنفيذ. قال لي: أنا غير مؤمن بهذا العمل، ولن أذهب. حاولت معه، لكنه رفض، لذلك قلت لرفعت الأسد: احبس في هذه الغرفة، التي كنا نجلس فيها، واقطع خط الهاتف فوراً، وممنوع عليه الخروج حتى الساعة السابعة صباحاً. أما الضباط الأربعة الآخرون فقد وافقوا على التنفيذ، وذهبوا معي. ركبنا في سيارة لاندروفر

صالون، ومضيئنا باتجاه الكسوة، إلى اللواء السبعين، لتنفيذ المهمة الموكلة إلينا، والتي فيها موت أو حياة جديدة.

كان آخر من رأيتهم من ضباط القيادة في تلك الليلة هو اللواء حافظ الأسد في أمرية الطيران. أما الضابط الذي كان يسيطر على اللواء السبعين فهو المقدم علي مصطفى، ومعه المقدم مصطفى عمران (ابن عم محمد عمران) رئيس هيئة الأركان، وقد كانا مع محمد عمران كما أسلفت، وهناك النقيب صادق الحموي وهو مع ميشيل عفلق ومحمد عمران معاً. والنقيب علي الضماد قائد كتيبة الدبابات كان مع محمد عمران والقيادة القومية أي مع أمين الحافظ، والنقيب عبد الكريم عفيسي قائد كتيبة مدفعية اللواء وهو مع أمين الحافظ أيضاً، والنقيب عدنان بدر حسن كان معهم أيضاً. في هذا اللواء لم يكن سوى ضابط واحد يتلقى الأوامر المباشرة من اللواء حافظ الأسد هو النقيب سليمان طراف، وهو ضابط الشؤون الفنية في اللواء، وهو من الضباط الشجعان.

السيطرة على اللواء سبعين.. فجراً!

عند الساعة الرابعة فجراً، أي في صباح 23 شباط 1966 تحركنا إلى الكسوة، إلى اللواء سبعين. أخذنا الطريق الشرقي، شرق قرية صحنيا، وكان طريقاً ترابياً، أي بعيداً عن الطريق الاعتيادي المسفلت الذي كان يعج برجال الشرطة والمخابرات، ووصلت إلى الكسوة في الساعة الخامسة إلا ربعاً، وبحسب اتفاقي مع العقيد أحمد الأمير، أشعلت ضوء السيارة مرتين، وهذه علامة تعني أنني وصلت بسيارة اللاندروفر، وما عليه إلا أن يرفع (العارضة) دون أن يسألني أحد من أنا؟ وماذا أريد؟ بحيث استمر في طريقي إلى مرآب الدبابات. وفعلاً، وكما اتفقت مع العقيد أحمد الأمير، وصلت إلى باب اللواء وأعطيته الإشارة (إشعال ضوء السيارة مرتين متتاليتين) فرفع الحاجز،

ووجدته هو و(أبو) رياح الطويل (محمد رياح الطويل)، ذلك لأن محمد رياح الطويل اختصاصه مدفعية ميدان. وكان فوج المدفعية بجانب اللواء من ناحية الجنوب، وكان أبو رياح الطويل يعرف قائد الفوج، فذهب إليه من أجل الاستنفار أيضاً. المهم أنني وعند حاجز بوابة اللواء السبعين وجدت أحمد الأمير ومحمد رياح الطويل. سلمت عليهما، وقلت لأحمد الأمير: أنا ذاهب إلى مرآب الدبابات مباشرة. كنت أقود السيارة بنفسي، وسرت داخل اللواء مسافة 1.5 كم أو ربما أكثر لأن رقعة اللواء واسعة جداً، وفي المرآب التقيت النقيب سليمان طراف الذي كان واقفاً ينتظرني قرب باب المرآب، وكان قد رتب كل سائقي وقادة الدبابات، وأقنعهم بضرورة الوقوف إلى جانب القيادة القطرية، ثم سيطر على إحدى كتائب الدبابات وتسلم قيادتها. فأنزلت كاسر محمود عنده، واتجهت شرقاً إلى الكتيبة الثانية التي هي كتيبة المقدم علي مصطفى فأنزلت فيها أحمد العلي، ورائف علواني، والتقيت سائقي وقادة الدبابات، وقلت لهم هذان الضابطان هما القيادة الآن، فلا تتلقوا أية أوامر بعد الآن إلا منهما، ورجعت باتجاه الغرب، ذهبت نحو مكان تواجد عدنان بدر حسن فألقيته نائماً في براكيته، ففتحت الباب ودخلت إليه. كانت بندقيته معلقة إلى جواره، فأيقظته فوراً، وقلت له: عدنان، صار انقلاب. أمين الحافظ ذهب. ارجع إلى الكتيبة! فذهل. قلت له: اذهب إلى الكتيبة.

والآن أقول إن عدنان تعاون معي بشكل فوري. وقال لي: ابق هنا. حتى لا تحصل مشكلات نحن بغنى عنها. أخاف أن يقتلك أحد، أو يطلق أحد ما عليك النار بطريق الخطأ، أو بطريق الانفعال. فقلت له: اذهب إلى الكتيبة، ولا تهتم بي. وأوصلته بالسيارة إلى عند كاسر محمود. ثم اتجهت فوراً إلى الكتيبة الميكانيكية، أي ذهبت إلى النقيب صادق الحموي مباشرة، وكنت قد مررت بأحمد الأمير في طريقي، وطلبت منه أن يركب إلى جوارتي. فسألني: لماذا؟ قلت ستعرف بعد قليل، تعال. أخذته إلى صادق الحموي لكي يعتقله، ذلك لأن صادق الحموي ابن دورتي، ورفيقي في أيام المدرسة، وقد خجلت من أن أقوم

باعتقاله، لذلك طلبت من أحمد الأمير أن يعتقله. فعلاً دخل أحمد الأمير إلى غرفته، فوجده نائماً، وكان معه الملازم أول حسن عروس قائد سرية الشرطة العسكرية في اللواء فقام الاثنان باعتقال صادق الحموي وأخذه، وكلف النقيب سليمان رجب بقيادة الكتيبة الميكانيكية المشاة. بعد ذلك اتجهت بالسيارة نحو مقر المقدم علي مصطفى، وحين دخلت إليه وجدته يغط في نوم عميق في براكيته، كان قد وضع صندوق قنابل يدوية تحت طرف السرير، فأخرجتها، وأبعدت البندقية المعلقة قرب رأسه، وأخذت مسدسه أيضاً، أي لم أدع له شيئاً يقاتل به إذا ما أراد ذلك، بالطبع لا بد لي من أن أذكر بأن شخيره كان عالياً ومطمئناً لي بأنه يغط في (سابع نومة). وكان يحرس براكيته بناقلة جنود مع حراس. وحين شاهدي رئيس الحرس المشرف على الناقلة والجنود عرفني مباشرة فحياني، وقال: خير سيدي. فقلت له: خذ هذه الناقلة والجنود، وابتعد من هنا، لأن الأمور خطيرة بعدما ذهب أمين الحافظ فاستجاب إلي وأخذ الناقلة والجنود. وأخيراً اقتربت منه، ريت على خده بهدوء، ففتح عينيه، ونظر إلي، فما كان مني إلا أن قبلته، وقلت له: العوض بسلامتك أمين الحافظ مشى. وابتسمت. فقال بفزع: ماذا؟ وراح يتلفت حوله. فقلت له مؤكداً: حدث انقلاب، وطار أمين الحافظ. قال بانفعال: أنا لست معكم! قلت له: (ولو، علي، ازرعها بذقني هذه المرة، واطو الموضوع كله). قال لي: أنا لست معكم، وسأقاتلكم بأسناني. وهنا أخذني الغضب، وقلت له: علي، أقول لك حدث انقلاب، ويوجد إطلاق نار، وهناك قتلى، وتقول لي أنا لست معكم! قال مؤكداً: لست معكم، سأقاتلكم. قلت له بحزم: إذا كنت مصمماً على القتال، فأنا لن أدعك تقوم من فراشك، ما رأيك؟ ومع ذلك أقول لك ازرعها بذقني، وكن هادئاً! قال، وقد أسقط في يده: أذهب إلى السجن! فقلت: شرف إلى السجن!

في خارج البراكية كانت تقف سيارة العقيد أحمد الأمير ومعه الملازم حسن عروس قائد الشرطة العسكرية في اللواء، فأركبته في سيارة أحمد الأمير، فأخذه أحمد الأمير إلى غرفة الحرس حيث وضع هناك في الحبس

إلى جوار النقيب صادق الحموي. هذان الاثنان هما فقط من تم حبسهما في محرس عناصر الحراسة. أما النقيب علي ضماد فلا أدري أين كان. وبذلك أصبحت السيطرة كاملة على اللواء. وبسرعة راح بعض الضباط يعلنون من مكبر الصوت أن انقلاباً ضد أمين الحافظ حدث، وأن أمين الحافظ انتهى، وقيادة اللواء الآن مسندة إلى محمد إبراهيم العلي بدلاً من العقيد أحمد الأمير الذي غادر إلى دمشق للالتحاق بالقيادة القطرية.. فرأيت الفرحة تعم اللواء، وسمعت عناصر اللواء يهللون، والحماسة بادية عليهم، أدركت أنهم متحمسون للنزول إلى دمشق لحسم الأمور لصالح الحركة الجديدة. فقلت لهم لا داعي لذلك لأن كل شيء مرتب ومعد ومنظم، وما علينا إلا أن نجسد العمل في اللواء حتى تتضح الأمور بشكل مؤكد.

طبعاً كانت الاتصالات مع القيادة مقطوعة. وكان عليّ أن أتصل باللواء حافظ الأسد في أمرية الطيران كي لا يرسل الطيران فيقصف اللواء، وكان لابد من وسيلة لإبلاغه بما حدث في اللواء، وأن سيطرتنا عليه كاملة. وحين طلع النهار راح الطيران يحلق فوق اللواء، فتخوفنا من أن يتم قصف اللواء. كان من الممكن أن أرسل أحداً إلى أمرية الطيران لإبلاغ اللواء حافظ الأسد بنجاح مهمتنا، لكنني تريت لأن المقدم مصطفى عمران رئيس أركان اللواء غير موجود، ولم يأت بعد. وعدم الوقوف على حقيقة أمره يعني أننا لم ننجح بمهمتنا النجاح الكامل، لذلك انتظرناه. فعلاً، عند الساعة التاسعة صباحاً، وقد كان يوم 23 شباط 1966 نهراً مشمساً رائعاً لا أمطار ولا رياح.. جاء المقدم مصطفى عمران. وحين علم بما حدث في اللواء قال: أنا لست موافقاً لهذا عمل تخريبي! ومصطفى عمران كما هو معروف رجل طويل، وبرتبة مقدم، ورئيس أركان اللواء. حين وصل إلى باب اللواء، منع من الدخول، لكنه تسلل عبر السياج ودخل. قلت له: مصطفى، أبو بسام، لا تغلط، كن عاقلاً. أنصحك أن تكون هادئاً، فالحركة ناجحة 100٪، وإن أنت تعاونت معنا في هذين اليومين، وساعدتنا على تهدئة الأوضاع، وضبط العناصر الذين يريدون

المشاغبة، فإنني أعذك بأن تكون ملحقاً عسكرياً في فرنسا. لأن القيادة الجديدة لن تتركك هنا في هذا اللواء. وأعذك أيضاً بأنه لن يلحقك أي أذى. طبعاً أنا أعرف عقلية مصطفى عمران، فهو رجل ليس صدامياً، عقله ليس صدامياً. حين سمع كلامي، نظر إليّ بإمعان شديد، وقال لي: هل أنت صادق في وعدك؟ قلت له: إذا لم أنفذ فلا أكون محمد إبراهيم العلي. قال: طيب. فقلت له: عليك أن تجلس في أركان اللواء، أعني في مكتبك، وكلما اتصل بك أحد وسألك: ماذا نعمل؟ قل له: تعال إليّ، فيأتون ويجلسون عندك، ومن دون أن نلجأ إلى الاعتقالات.

قال: (ماشي الحال). فذهب إلى مكتبه وجلس فيه. وحين عادت الاتصالات باتجاه واحد، الاستقبال، وليس الإرسال، بات يقول لكل من يتصل به من جماعة أمين الحافظ، أو جماعة محمد عمران: تعال إليّ لنشرب القهوة ونتحدث بالتفاصيل، وهكذا تقاطر إليه عدد من ضباط اللواء السبعين الذين دخلوا إلى مكتبه وجلسوا فيه من دون اعتقال. لقد ساعدنا المقدم مصطفى عمران في عمله هذا بالفعل.

وأودّ أن أذكر أنني وبينما كنتُ أتنقل داخل اللواء بسرعة كبيرة بوساطة سيارة اللاندروفر جاءتني عدة طلقات من رشاش سبانو المضاد للطائرات أصاب السيارة إصابة مباشرة من الخلف واخترق (شادر) السيارة، فذهلت، وقلت لنفسي أبعد السيطرة على اللواء تأتي هذه الرشاش المتلاحقة، ورحت أتساءل من أين جاءت هذه الطلقات؟ ثم التجأت إلى أقرب مكتب. فقبل لي إنها من رشاشات المدفعية المضادة للطيران، وهي موجودة حول اللواء، فوق التلة المطلّة على المعسكر!

وسألني بعض العناصر ألم تحسبوا حسابها يا سيدي! قلت لم أعرف بوجودها لأحسب حسابها، هنا أخذت الهاتف، وتكلمت مع قائد سرية م/ط، وكان برتبة ملازم واسمه يونان، قلت له من يتكلم، فقال أنا الملازم يونان! فقلت

له: أنا النقيب محمد إبراهيم العلي قائد الحرس القومي، أنا قائد اللواء السبعين الآن. فقال لي: أمرك سيدي. ماذا تأمر؟ قلت له: أنت الذي أطلقت النار على سيارة اللاندروفر، قال: نعم سيدي. قلت: لماذا أطلقت النار؟ قال: سيدي، عندي قائد مدفعية اللواء النقيب عبد الكريم عفيسي، وهو من أمرني برمي سيارة اللاندروفر التي تسير في اللواء. قلت له: عبد الكريم عفيسي عندك (كان هو قائد مدفعية اللواء)؟ قال: نعم سيدي موجود عندي. قلت له بلهجة حازمة: اعتقله وأرسله إليّ، وجمّد عمل رشاشات (السبانو)، وأنزل معه فوراً إلى قيادة اللواء. واعط أمراً بعدم إطلاق النار إلا بأوامر مباشرة مني! فقال: أمرك سيدي!

وفعلاً، بعد دقائق كان النقيب عبد الكريم عفيسي عندي معتقلاً. ثم طلبت من عناصر السرية المتمركزين فوق التلة إلى جوار اللواء أن ينزلوا إلى قيادة اللواء.

وحين قيض لنا الاتصال بدمشق، في حوالي العاشرة صباحاً، اتصلت باللواء حافظ الأسد، وأخبرته بأن سيطرتنا على اللواء كاملة، وأبلغته بما حدث وبالتفصيل، وطلبت منه أن يرسل إلينا سيارة الاتصال بالطيران، سرّ اللواء حافظ الأسد بأخبارنا، وأرسل إلينا السيارة، ومع وصولها لم نعد نرى الطيران محلقاً في أجواء اللواء. وبينما كان الوضع هادئاً في اللواء، أخبرتني القيادة بأن أحد الألوية في السويداء يتحرك باتجاه دمشق لمناصرة أمين الحافظ، وكانوا غير متأكدين من هذه المعلومة، ومع ذلك طلبوا مني أن أقطع الطريق على القوات القادمة. عندئذ، جهزت فصيلة (ب.ت.ر) وأرسلتها في مهمة استطلاع، على أن تذهب كل عربة ومعها جهاز لاسلكي حتى لا ينقطع الاتصال بها، وأرسلت مع فصيلة ال (ب.ت.ر) ملازماً من منطقة شهاب، (ولا أريد أن أذكر اسمه)، فسلك طريق شهاب. وحين لم يجد أية قوات في الطريق، لم يعد إلينا وتركنا من دون اتصالات، ومن دون أخبار. فظننت أن فصيلة ال (ب.ت.ر) قد

انضمت إلى اللواء المتمرد، وصار الوقت عصراً ولم نعرف شيئاً عن الملازم وفصيلة ال (ب.ت.ر). وتخوفت من الأمر، فرحت أشرح لعناصر اللواء الموقف، قلت لهم قد تظهر إذاعة معادية ومضادة لإذاعة دمشق، علينا ألا نصدق أخبارها، وقد تنقل إذاعة حلب أخباراً كاذبة، علينا أن نكون متبهيين لكل الإشاعات. أي أنني وضعت عناصر اللواء في أجواء كل الاحتمالات المتوقعة، وحصنتهم ضد كل خبر يسمعون من الإذاعات.

ولم يكن أمامي لجلو الموقف ومعرفة حقيقة ما يحدث على طريق السويداء، إلا أن أرسل عربية (ب.ت.ر) ثانية لنعرف الأخبار، ولم يمض سوى وقت قليل، حتى عادت العربية وأخبرتني بأنه لا يوجد لواء، أي لا يوجد أي تحرك عسكري باتجاه مدينة دمشق، وأن الأخبار كانت مجرد إشاعة ليس غير. طبعاً كنا ننتظر عودة الملازم الذي تأخر في إعلامنا، وقد عرفنا فيما بعد أنه ذهب إلى بيت صديقة له بواسطة عربية (ب.ت.ر) وبقي لديها وقتاً طويلاً.

في المساء تكثفت الاتصالات، ولم أترك اللواء إلا عند منتصف ليل 23 شباط 1966 أي بقيت في اللواء إلى أن جاءت قوة وأخذت الضباط الذين تم اعتقالهم في اللواء، أي أخذوا علي مصطفى، وصادق الحموي، وعبد الكريم عفيسي، وبشكل طبيعي عاد المقدم مصطفى عمران إلى دمشق، والضباط الآخرون الذين لم نتهمهم بشيء، ذهبوا إلى منازلهم، وللعلم أقول: إن النقيب سليمان حداد قائد السرية (215) كان من جماعة صلاح البيطار وأمين الخافظ ومتحمساً لهما، مع عدد من الضباط، وفي حوالى الساعة الحادية عشرة من نهار 23 شباط 1966 حاولوا الوصول إلى اللواء السبعين عن طريق تل كوكب أي الجهة الشمالية الغربية للواء السبعين وقد وصلوا إلى عند الأسلاك مستقلين سيارتين من نوع لاندروفر صالون، لذلك كلّفت الملازم أول حسن عروس قائد سرية الشرطة العسكرية في اللواء أن يذهب إليهم ويقنعهم بالعودة، ويمنعهم من دخول اللواء. وهكذا تم فعلاً، فعادوا إلى دمشق. وكون

النقيب سليمان حداد من أصدقائي المقربين لم أرغب باعتقاله عند الأسلاك. ورغب النقيب سليمان حداد أن يذهب عن طريق صحنايا إلى قطننا فاعتقل عند مفرق صحنايا - جديدة عرطوز من قبل النقيب جلال الجنبي (قائد مدفعية م/ط في منطقة المعصمية) وكذلك اعتقل النقيب أحمد نديم خديجة الذي كان ذاهباً إلى قطننا، وأرسل الاثنان إلى مطار المزة. وظللت في اللواء إلى ما بعد منتصف الليل بقليل. ثم عزمتم على أن أنزل إلى دمشق لأرى ما حدث، وأعرف أخبار الحركة وحديثاتها هناك. أخذت سيارة اللاندروفر ومضيت بها. كانت الطرق مقطوعة، والتجول ممنوعاً. دخلت إلى مقر هيئة الأركان، إلى مكتب الرائد مصطفى الحاج علي، وقد كان معاوناً لرئيس شعبة المخابرات (رئيسها آنذاك كان أحمد سويداني الذي رقي إلى رتبة لواء وأصبح رئيساً للأركان العامة للجيش والقوات المسلحة فيما بعد). سألته عن الأخبار، فقال بأسى: لا يوجد أحد مع الحركة!

قلت: كيف؟ معلوماتي أن كل الناس معنا. قال مؤكداً: أنا أطمئنك بأن لا أحد معنا. قلت: من هم ليسوا معنا سيصبحون معنا. المسألة مسألة وقت. كن متفائلاً يا رجل. وخرجت من عنده بعد حوار تشاؤمي، وبأس مطبق من رجل يشرف على عمل المخابرات. تركت دمشق فوراً وعدت أدراسي إلى اللواء سبعين، أي لم أر أحداً من أعضاء القيادة القطرية، ولم أذهب إلى أممية الطيران لأرى اللواء حافظ الأسد قائد القوى الجوية. لقد أخافني كلام معاون رئيس شعبة المخابرات. وفي الطريق اتصلت بسليم حاطوم. قلت له: ماذا في الأمريا (أبو) ذوقان، كيف ترى الدنيا؟ قال: والله صعبة قليلاً. قلت له: رأيت معاون رئيس شعبة المخابرات، وقال لي كلاماً محبطاً، وأنت الآن تقول كلاماً مشابهاً.. لماذا يا رجل؟ فقال: لا تهتم (أبو الندى) سنكمل المشوار حتى النهاية.

طبعاً في ذلك الوقت، أي في الواحدة أو الثانية بعد منتصف الليل كانت دمشق هادئة تماماً، وثمة أنسام رطبة لا تخلو من أجواء منذرة بالمطر. لا

طلقات نار، ولا ضجيج، ورأيت وأنا في الطريق الشوارع مغسولة تماماً لعل فرق النظافة قامت بغسل الدماء التي سالت في بعض الشوارع في أثناء إطلاق النار.

ولم أمر ببيتنا على الرغم من أنه قريب جداً، وقد كان عليّ أن أمر بالبيت لأطمئن أسرتي عليّ لأن الهاتف في البيت كان مقطوعاً. ومع ذلك لم أذهب إلى البيت، ذهبت إلى قيادة الحرس القومي، وأعطيت تعليماتي للملازم حديثة مراد، ثم مررت ببيت أمين الحافظ ورأيت آثار الرصاص والدمار. نظرت إلى البيت ثم قفلت راجعاً إلى الكسوة، إلى اللواء السبعين.

ولم يشرق صباح اليوم التالي إلا وقد استتب الأمر لحركة 23 شباط بعد أن تم اعتقال أمين الحافظ، وعدد من معاونيه، وبعض الضباط الذين رفضوا الانخراط في توجهات حركة 23 شباط. ولكن الأمور كانت متشنجة وصعبة، والنفوس متوترة بعض الشيء. فالثورة والحزب، والقيادة كلها مقبلة على مرحلة جديدة. لا أحد يستطيع التكهن بالمآل الذي ستكون عليه. طبعاً بعد نجاح الحركة، كانت الأنظار السورية متجهة إلى استطلاع مواقف الدول العربية والأجنبية حول معطيات هذه الحركة.

بعد ذلك تشكلت قيادة قطرية مؤقتة، كما تشكلت وزارة جديدة (*) برئاسة يوسف زعين، تسلم فيها اللواء حافظ الأسد مهمات وزير الدفاع بالإضافة إلى مهمته كقائد للقوى الجوية، ورفع أحمد سويداني إلى رتبة لواء وصار رئيساً لهيئة الأركان بعد أن كان رئيساً لشعبة المخابرات.

(*) شارك في هذه الوزارة: د. إبراهيم ماحوس (للخارجية)، جميل شيا (وزير للإعلام والثقافة)، صالح الحميد (للشؤون البلدية)، د. مصطفى حداد (للتربية)، اللواء ممدوح جابر (للأشغال العامة)، عبد الكريم الجندي (للإصلاح الزراعي)، مشهور زيتون (للتصميم)، محمد عيد عشاوي (للدخالية)، مرفق الشرنجي (للمالية)، عبد السلام حيدر (للعديل)، غالب عابدون (للأوقاف)، عبد الحميد الحسن (للتخطيط)، سميح عطية (للمواصلات)، د. عبد الرحمن الأكنع (لصحة)، محمد رباح الطويل (للشؤون الاجتماعية)، د. أحمد مراد (للاقتصاد)، د. أسعد تقلا (للعنافة)، محمد رباح الطويل (للشؤون الاجتماعية والعمل).

بقيت في اللواء السبعين حوالى أربع وعشرين ساعة لأن التعليمات كانت مشددة بعدم النزول إلى دمشق، وأن درجة الاستنفار هي القصوى وعلى الجميع الالتزام بمواقعهم.

بعد الأربع وعشرين ساعة التي مرّت عليّ وأنا في قيادة اللواء السبعين، اتصل بي اللواء حافظ الأسد، سألني عن أحوال اللواء، وعن الضباط، وعن السيطرة على اللواء، فأجبتُه بأن الهدوء يعم اللواء، وأن الضباط مرتاحون للحركة وتوجهاتها، والسيطرة كاملة على اللواء. طبعاً كنا نسمع أخبار الضباط والقوات في جميع المحافظات وخصوصاً في الجبهة، ومدينة حلب. فقي الجبهة تباينت الآراء مع وضد حركة 23 شباط 1966، ولكن توصلت القيادة إلى فتاعة كاملة كان هدفها تجميد عمل الجبهة وحركتها. أي أن تظلّ الآراء المتنافرة داخل الجبهة وحسب. أما في حلب فقد علمنا بأن الأمور ليست واضحة تماماً على الرغم من مرور أربع وعشرون ساعة على قيام الحركة.

اللواء حافظ الأسد..

يطلب منى إنهاء التمرد في حلب!

اتصل اللواء حافظ الأسد بي مرة ثانية، في المساء، وسألني عن أحوال اللواء، فقلت الوضع تحت السيطرة، والهدوء يعم أرجاء اللواء، والجميع مع حركة 23 شباط. قال: إذن ما رأيك أن تأتي إليّ لنشرب الشاي معاً. قلت له: سيدي. مسافة الطريق، وأكون عندكم! فعلاً أخذت سيارة 180 مرسيدس قديمة وذهبت بها إلى رئاسة الأركان. كانت الساعة الثامنة مساء 24 شباط 1966. دخلت إلى مكتب اللواء حافظ الأسد، فوجدته يجلس في مكتب وزير الدفاع في الأركان وحيداً. فاستقبلني بحرارة كعادته، وجلست أشرب الشاي معه. ففاتحني بقوله: ما رأيك لو كلفناك بمهمة ثانية؟ قلت: أنا جاهز، فما

تطلبه أنفذه فوراً. قال: أنت ليس اختصاصك مدرعات. سننقلك من اللواء السبعين. قلت: تعرف سيدي، أنا قائد الحرس القومي، كيفما تحركت أظل قائداً للحرس القومي. قال وهو يبتسم: أعرف ذلك، ولكن يوجد أوباش في حلب يحاولون التمرد. هناك ناصر الدين ناصر، وبدر جمعة. ويبدو أن أحمد أبو صالح حرضهما. وقد ذهب حمد عبيد إلى هناك أيضاً، ونحن لا ندري ماذا سيعمل. لقد سمى نفسه قائداً للمنطقة الشمالية. باختصار شديد توجد مشكلات، كما يوجد متمرّدون، الهدف الأساسي لهم هو احتلال الإذاعة، من أجل إذاعة بيانات تهدد وحدة الصف، وتتادي بعودة أمين الحافظ إلى رئاسة الدولة. المهم نريد حلاً لهذه المشكلات. لهذا أقترح عليك أن تذهب إلى حلب وتحل هذه المشكلات. وتشد من أزر الكتيبة وتنتهي تمرد المقدم ناصر الدين ناصر. أريدك أن تنجز هذه المهمة، وسوف أعينك قائداً للكتيبة (102) إضافة لعملك في قيادة الحرس القومي. فناصر الدين ناصر راح يخلق فوضى في حلب بعدما نشر الكتيبة من دون أوامر، ويريد التمرد، وقد خطب في الجنود، قال لهم سنقاتل حتى آخر قطرة من دمنا من أجل عودة أمين الحافظ.

وقال لي اللواء حافظ الأسد إنه أعطى الأوامر لكتيبة دبابات يقودها خالد بدوي موجودة في حمص، من أجل أن تتحرك إلى غرب مدينة حلب، فإن رأيت ضرورة لكي تتدخل هذه الكتيبة لحل المشكلة فما عليك إلا أن تطلب التدخل من خالد بدوي، ولديه الأوامر بأن ينفذ طلبك مباشرة. وإن لم تكن هناك من ضرورة لتدخلها دعها في مكان تمركزها في غرب حلب. وسألني إن كنت أريد أحداً من الضباط لكي يذهبوا معي كمعاونين لي في هذه المهمة. فطالبني منه ضابطاً برتبة ملازم أول اسمه طاهر سلطان مدير سجن المزة، فسألني اللواء حافظ الأسد لماذا اخترت هذا الضابط بالاسم، فقلت له: لأنه عندما كان برتبة ملازم كان يخدم في المخابرات عند بدر جمعة في حلب، فهو يعرف حلب جيداً، لذلك فأنا أقترح أن نعينه قائداً لسرية الشرطة العسكرية في حلب بدلاً من قائد الشرطة العسكرية المتمرد أيضاً. وطلب اللواء حافظ

الأسد مني بأن أذهب إلى الرفيق صلاح جديد في القيادة القطرية لآخذ منه بعض التعليمات حول مهمتي، ولكي أستأنس برأيه. ودعت اللواء حافظ الأسد وذهبت إلى مكتب الرفيق صلاح جديد، أي إلى القيادة القطرية، وكان مقرها في شارع المالك. قلت له أرسلني إليك اللواء حافظ الأسد لأعرف منك ما يحدث في حلب ولأتزود منك بالتعليمات التي تراها مناسبة. فقال لي: يوجد تمرد يقوده أحمد أبو صالح، لكننا سنبذل جهوداً لتتلافى نتائج هذا التمرد بأقل الخسائر الممكنة. وأخبرته بما قاله لي اللواء حافظ الأسد، فاقترح عليّ أن يذهب معي جميل شيا وزير الإعلام وعضو القيادة القطرية المؤقتة. كي لا أصطدم بحمد عبيد، فجميل شيا صديقه ويعرفه، وقادر على احتواء حمد عبيد وإقناعه. فعلاً، اتصل الرفيق صلاح جديد بجميل شيا، وطلب منه القدوم إليه فوراً من أجل الذهاب إلى حلب مباشرة. وبينما كان الرفيق صلاح جديد بانتظار وصول جميل شيا، ذهبت عائداً إلى اللواء حافظ الأسد لآخذ أوامر التعيينات، وأخبرته باقتراح الرفيق صلاح جديد، أي بذهاب جميل شيا من أجل احتواء حمد عبيد. فوافق على ذلك، وأثنى على هذا الاقتراح.

وفي حوالي الساعة الحادية عشرة ليلاً، تحركنا من دمشق باتجاه حلب. ركب الملازم أول طاهر سلطان في سيارتي، بينما ركبت أنا مع جميل شيا في سيارة الوزارة الحديثة، وقد قلت له: لقد ركبت في هذه السيارة مع نور الدين الأتاسي عندما كان وزيراً للداخلية لكي نحل مشكلة بانياس، واليوم أركب في السيارة نفسها من أجل حل مشكلة جديدة في حلب.

فقال لي بحزن: ومتى لم تكن لدينا مشكلات. نحن نخرج من مشكلة لكي نواجه مشكلة جديدة.

كان جميل شيا قلقاً، ومتخوفاً مما قد يحدث في حلب. وكنت على عكسه تماماً، صاب في الذهن، رائق المزاج، فرحت أمارحه بسعة صدر ونبرة تفاؤل. كان يسألني: هل ستصطدم بحمد عبيد؟ وماذا ستعمل؟ فأقول له مطمئناً: سوف

نحل المشكلة من دون صدام مع أحد! فهل أنت خائف علي؟ قال: طبعاً خائف،
فالأمر ليس سهلاً. قلت: عليك ألا تخاف. فنحن سنستخدم العقل وليس
السلاح. السلاح سيكون آخر الحلول وأشنعها. فعلاً، ظللنا طوال الطريق
نتجاذب أطراف الحديث حول جماعة المتمردين في حلب، نقيم الأشخاص
وإمكاناتهم، ودورهم في تعزيز صفو نجاح حركة 23 شباط. ومع أنني وضعت
جميل شياً في جو من التفاؤل والاطمئنان إلا أنه ظل متخوفاً من جو حلب،
وطبيعة الأشخاص الذين سنقابلهم، وصعوبة الحوار الذي سنجره معهم.
وصلنا حمص حوالى الساعة الواحدة صباحاً وتوقفنا عند استراحة البيروتي،
وكانت المدينة غارقة في هدوء مطبق بسبب منع التجول في سورية، فأخذت من
الاستراحة بعض الأطعمة لنا. وفي تلك الأثناء تذكرت أنني كنت قد التقيت
الرفيقيين حافظ الأسد وصالح جديد في هذه الاستراحة أثناء انعقاد مؤتمر
حمص أيام الانفصال إثر حركة الضباط الأحرار بحلب، أكلنا الطعام، ثم تابعنا
السير باتجاه مدينة حلب.

قرب حلب، وعند منطقة خان العسل على الطريق القديم، وهو طريق
صعب، وقد ازدادت صعوبته أكثر مع نزول الأمطار الغزيرة. أقول، عند خان
العسل أوقفنا بعض عناصر الجيش. فقد كانت الكتيبة (102) الميكانيكية
استطلاع، التي يقودها ناصر الدين ناصر منتشرة إلى منطقة خان العسل
(الواقعة جنوب حلب بـ عشرة كيلومترات على طريق دمشق)، وكان فيها سرية
دبابات فرنسية (M.X)، خرج إلينا رقيب؛ فنزلت من السيارة، وطلبت من جميل
شيء أن يبقى في داخل السيارة، لكنه قال: أنا ذاهب إلى فندق البارون، فإذا
رأيت حمد عبيد فقل له إنني في الفندق أنتظره. وقلت للملازم أول طاهر
سلطان ألا ينزل أيضاً. قلت للرقيب بهدوء شديد: مرحباً ابني. ماذا يوجد
هنا؟ قال لي: هنا سرية الدبابات من الكتيبة (102). قلت له: لماذا نشرتم
الدبابات هنا؟ وبسرعة قلت له مضيفاً: أنا النقيب محمد إبراهيم العلي، قائد
الحرس القومي، فقال: احترامي سيدي. قلت: أجبني. قال: نريد أن يرجع

أمين الحافظ للحكم، هكذا قالوا لنا. قلت له: من هو قائد السرية؟ وأين هو؟ قال: قائد السرية هو الملازم أول نديم عباس^(*)، وهو في عربة الـ (ب.ت.ر) وأشار إليها، فمضيت قدماً إلى عربة الـ (ب.ت.ر)، ورأيت الملازم أول نديم عباس. سألته: نديم، ماذا تفعلون هنا؟ فقال: جاءت أوامر لنا بالانتشار هنا. فأخرجت أمر تعييني قائداً للكتيبة ودفعته إليه، فقرأ، وقلت له: أنا أمر الكتيبة. عليك ألا تتلقى أي أمر إلا مني شخصياً. وإياك أن تنفذ أية أوامر مرسلة إليك مع المراسلين. ودع سريتك في محلها. والآن احضر صف الضباط وأخبرهم بتعييني قائداً للكتيبة، أفهمهم فحوى الأمر كي لا يلعب بعقولهم أحد، وذلك لكي يفهم الجنود بدقة ما هو المطلوب منهم فلا يحرك أي منهم أي شيء من مكانه، بالفعل نفذ الملازم أول نديم عباس ما طلبته منه لأنه كان يعرفني سابقاً وتربطني به صداقة عائلية قديمة. جمع صف الضباط وأبلغهم بأنني القائد الجديد للكتيبة.. وأن الأوامر ستصدر عن القائد الجديد للكتيبة. وبهذا التعرف تم إخراج سرية الدبابات الوحيدة في الكتيبة من يدي قائد الكتيبة (102) المقدم ناصر الدين ناصر.

وعند منطقة خان العسل واصل جميل شيا طريقه إلى حلب من أجل أن ينتظر حمد عبيد في فندق البارون. بعد ذلك قطعت مرحلة تالية من الطريق، فإذا بسرية (ب.ت.ر) تقطع علينا الطريق. فنزلت أيضاً، وبالطريقة ذاتها سألت عن قائد السرية فقبل لي إنه الملازم أول إبراهيم سلهب. فذهبت إليه. سلمت عليه، وسألته عن أحواله. وقلت له أنا قائد الكتيبة. الأوامر تأخذها مني، ابق كل شيء في مكانه. وسأتصل بك بمجرد وصولي إلى حلب، ولم يبد أي اعتراض. وواصلت مسيري ومعني الملازم أول طاهر سلطان إلى حلب. وحين وصلت إلى حلب، كنت على يقين بأن الكتيبة انتهت أمرها، ولم يعد ناصر الدين ناصر يسيطر عليها، وصلنا عند الفجر تقريباً إلى مدخل حلب، فتوقفنا

^(*) وهو الذي أصبح برتبة لواء، وتبوأ مناصب عسكرية عديدة في القوات المسلحة.

عند إذاعة حلب، وكان يقود السرية الميكانيكية المشرفة على حراسة الإذاعة (التي هي من قوام الكتيبة 102) الملازم علي حسن(*) وقد أخبرته بمهمتي فوافق فوراً. لأنه كان يحبني ويقدر موافقي. ومن عنده ذهبنا إلى قيادة المنطقة مباشرة. كان الظلام مخيماً وقت دخولي إلى قيادة المنطقة، التي يقيم فيها اللواء حمد عبيد لأنني أردت حل مشكلة حمد عبيد أولاً. جميل شيا رفض أن يذهب معي مباشرة إلى قيادة المنطقة لخوفه من أن الاصطدام سيحصل لا محالة مع حمد عبيد. لذلك ذهب بسيارته إلى فندق بارون، ثم ركبت سيارتي ومعني الملازم أول طاهر سلطان، وذهبت إلى قيادة المنطقة (التي نصب اللواء حمد عبيد نفسه قائداً لها). أبقى طاهر سلطان في السيارة، ونزلت إلى قيادة المنطقة، وعند الباب، استقبلني اثنان من أفراد قوات العشائر. فقلت لهما على الطريقة البدوية أنا فلان قائد الحرس القومي أريد رؤية اللواء حمد عبيد، فقالا لي: الأوامر لدينا تمنع أي شخص من الدخول. قلت: لكنني أنا النقيب محمد إبراهيم العلي قائد الحرس القومي، وحمد عبيد صديقي. ودخلت وسط دھول الحارسين. أحدهما قادني إلى غرفة حمد عبيد، فتح الباب، فوجدت حمد عبيد نائماً: صرخت بصوت عال: صباح الخير أبو جلال. كيفك؟ كيف أحوالك؟ سلمت عليه وقبلته، وسألته عن أحواله؟ فسألني: ماذا جئت تعمل هنا؟ فقلت له: أنا صرت قائد الكتيبة (102) وناصر الدين ناصر..

(*) الذي أصبح برتبة لواء، وقائداً للحرس الجمهوري. ومما أذكره الآن أنني وحين ذهبت معزياً برفادة والدته، وقف والد في العزاء، وأمام الناس المعزين، وقال: أريد أن أعرفكم بهذا الرجل، وكان يقصدي، قال: كنت قد أخذت ابني إلى الكلية الحربية، وعند فحصه رسموه في الامتحان طياً. وعندما خرجنا، تصادف مرور ضابط مغوار، فتجاوزنا قليلاً ونحن ننظر إليه، فعاد وسألنا ماذا تفعل هنا؟ فقلت له أريد أن يصبح ابني ضابطاً، لكن اللجنة المشرفة على القبول رسته طياً. فقال لي تعال معي، وفي الداخل، التقى اللجنة الفاحصة، وأعطاهم تعليمات من أجل قبول ابني في الكلية الحربية. سمعته يقول لهم: هذا الشاب نريده أن يكون ضابطاً في القوات المسلحة. ثم التف إلى وقال: اذهب، واعتبر ابنك ضابطاً في القوات المسلحة.

راح! فقال: راح.. إلى أين؟! قلت: راح إلى بيت خالته! وضحكت. قال: لكن الضباط سيتحسسون من الطائفية! قلت: أبو جلال.. أنت من يناقشني بالطائفية؟! أنت.. حمد عبيد ابن جيل العرب، يناقش في الطائفية! يا رجل أنت ابن البعث لا يجوز أن تلفظ كلمة الطائفية مطلقاً. فسكت حمد عبيد. أحس بحراجة الموقف. فأراد أن يغيّر اتجاه الحديث، فأعدته إليه حين قلت له: جميل شيا معي، إنه هنا في حلب. قال بانفعال: أين؟! قلت: إنه في فندق بارون، ينتظرك. فلبس ثيابه، وخرج وحيداً إلى فندق بارون ومعه عدد من حراسه الذين جاؤوا برفقته من قوات الهجانة والعشائر. والحقيقة هي أنني أنا من طلب إليه أن يأخذ حراسه معه. وبقيت وحيداً في قيادة المنطقة، بعد أن طلبت من الملازم أول طاهر سلطان أن يلحق بحمد عبيد حتى يتأكد من دخوله إلى فندق البارون ومن ثم يتركه ويعود إلي.

أنا وناصر الدين ناصر.. وجهاً لوجه!

حين أصبحت وحيداً في قيادة المنطقة الشمالية، طلبت عامل المقسم. قلت له: ابني، أنا قائد المنطقة، اطلب لي ناصر الدين ناصر. ابحت لي عنه في كل مكان من الممكن أن يتواجد فيه، وقل له إن قائد المنطقة يريده فوراً، وعليه أن يأتي إلى قيادة المنطقة بالسرعة القصوى. ونزلت فوراً إلى غرفة المقسم، وتحدثت شخصياً باسم المجند عامل المقسم مع ناصر الدين ناصر. وذلك كي لا يستفسر ناصر الدين ناصر أكثر عن قائد المنطقة، وإذا ما أعاد الاتصال بالمنطقة فإن ما من أحد سيرد عليه، لذلك سيكون مضطراً للمجيء فوراً إلى قيادة المنطقة. وجاء ناصر فعلاً. دخل إلى قيادة المنطقة، كنت أراقب دخوله من النافذة، وعندما دخل إلى غرفة مكتب قائد المنطقة. كنت أقف خلف الباب مباشرة، فأغلقتة وراءه بشدة وبالمفتاح. وحين استدار ناصر نحوي فوجئ

بوجودي. وسيطر الصمت علينا، مثلما سيطرت المفاجأة على ناصر الدين ناصر. وهنا، قلت له: حركة 23 شباط ناجحة. وأمين الحافظ في السجن، ولا مجال للتمرد، وقد عينت قائد للكتيبة (102) بدلاً منك. اقعد ناصر في الكرسي. وإياك أن تأتي بأية حركة. وإذا ما حاولت أن تمد يدك إلى مسدسك^(*) سأقطعها قبل أن تصل إليه. أمامك خيار واحد هو أن تؤيد حركة 23 شباط، وأن ترسل برقية تأييد للواء حافظ الأسد تنهي فيها التمرد، وتؤيد الحركة. قال: أنا موافق. اتصل بوزير الدفاع.

أذكر أنني لم أجلس على الكرسي طوال حديثي مع ناصر الدين ناصر. وأن حالة المفاجأة ظلت ملازمة له. طلبت عامل المقسم. قلت له: اطلب لي وزير الدفاع. فطلبه. قلت للواء حافظ الأسد: احترامي سيدي. المشكلة انتهت في حلب. وناصر الدين ناصر أمامي في مكتب قائد المنطقة. وهو يعلن إنهاء التمرد، كما أنه على استعداد لكتابة برقية تأييد لحركة 23 شباط. قال: انتبه إليه جيداً. ودعه يرسل البرقية، ولكن ابقه في قيادة المنطقة. فرئيس هيئة الأركان اللواء أحمد سويداني في الطريق إليك. لقد أقلع بالطائرة وسيكون عندك في الساعة تقريباً. طبعاً كنا في حوالى الساعة الخامسة والنصف أو السادسة إلا ربعاً. أخبرت ناصر الدين ناصر بأن رئيس هيئة الأركان في الطريق إلينا وسيصل بالطائرة. هنا أصبحت الأمور تحتل الحوار مع ناصر الدين ناصر. فقال لي: توجد مصالح لأسرتي في حلب أرجو أن تحافظ لي عليها؟ قلت: تكرم. قال: ولي أخ اسمه بكري الناصر أرجو أن يتم استدعاؤه إلى حلب ليكون في الحرس القومي كي لا يقال في حلب أن دور العائلة قد انتهى. قلت له سأخبر وزير الدفاع. لذلك طلبت اللواء حافظ الأسد مرة ثانية: وقلت له: إن ناصر الدين ناصر يريد استدعاء أخيه واسمه بكري ليكون في الحرس القومي. فقال وزير الدفاع: أنا موافق، وسأرسل برقية استدعاء لأخيه

(*) كان يحمل مسدساً طويلاً يشده برباط على فخذيه، وله مخزن طويل يختوي على عدد كبير من الطلقات.

ليلتحق بالحرس القومي في حلب. فأخبرت ناصر الدين بموافقة وزير الدفاع. فارتاحت أساريه، وأصبح في حالة نفسية أحسن.

ولم يمض وقت طويل حتى وصل رئيس هيئة الأركان اللواء أحمد سويداني. وقد كان غاضباً وشرساً، تهاجم على ناصر الدين ناصر وقرعه لأنه أعلن التمرد، ووقف في صف أمين الحافظ. وطلب منه أن يجمع الكتيبة لكي يجري الاستلام والتسليم بيني وبينه أمام ضباط الكتيبة وجنودها. نزلنا إلى الكتيبة بحضور رئيس هيئة الأركان، وتحدث ناصر الدين ناصر إلى الضباط والجنود حديثاً مفيداً أيد فيه حركة 23 شباط. وقدمني إليهم باعتباري قائداً لكتيباتهم، ثم ذهب مع رئيس هيئة الأركان لكي تقلهم الطائرة مع عشرة ضباط آخرين إلى القيادة بدمشق. وبذلك انتهى تمرد ناصر الدين ناصر.

وللعلم أن جميل شيا وحمد عبيد غادرا إلى دمشق فور وصول حمد عبيد إلى فندق بارون. شمال مدينة حماة شاهدهما النقيب خالد بدوي، فتوقفا عنده قليلاً. وقال له حمد عبيد، إن الكتيبة (102) منتشرة في خان العسل، وعليه أن ينزل الدبابات عن الناقلات كي لا يصطدم مع الكتيبة (102) ويتفاجأ بها. وهنا قال له النقيب خالد بدوي إن الدبابات لن تنزل عن الناقلات. ولذلك واصل خالد بدوي تقدمه نحو حلب. فوصل إليها في حوالى الظهيرة. التقيت به فعرف مني كل الأخبار. لهذا مضى إلى ثكنة المهلب الواقعة إلى غرب مدينة حلب فتمركز هناك.

ولابد لي من أن أذكر أنني كلفت الملازم أول طاهر سلطان بمتابعة أخبار أحمد أبو صالح والرائد بدر جمعة بعدما عرفنا أنهما هربا. وقد بقيت مهمة قيادة فرع المخابرات شاغرة أياماً عدة. وقد استلم الملازم أول طاهر سلطان سرية الشرطة العسكرية من النقيب غازي حصيد الذي غادر بالطائرة مع

اللواء أحمد سويداني (*) ومعه مجموعة الضباط، وكانت الساعة حوالى الحادية عشر صباحاً.



(*) ورد في بعض الكتب التي كتبها بعض الضباط أنني عندما ذهبت إلى اللواء سبعين كنت مع العقيد أحمد الأمير وهذا لم يحصل، لأنني ذهبت إلى اللواء السبعين مع أربعة ضباط، وقد التقينا أحمد الأمير عند بوابة اللواء. لأنني اتفقت معه على أن يكون عند البوابة لكي يدخلنا إلى معسكر اللواء دون أن يتعرض لنا الحراس بالأسئلة.

كما ورد أيضاً في بعض الكتابات عن تمرد حلب يوم 25 شباط 1966، أنني ذهبت برفقة اللواء أحمد سويداني بالطائرة، وهذا غير صحيح لأنني ذهبت ليلاً إلى حلب مع الرفيق جميل شيا وأنهيت التمرد قبل وصول اللواء أحمد سويداني إلى حلب في الصباح.

وأصحح أيضاً: أن قائد كتية الدبابات النقيب خالد بدوي وصل إلى حلب في حوالى الساعة الواحدة والنصف ظهراً والدبابات على الناقلات، وكان عندئذٍ قد غادر اللواء أحمد سويداني مدينة حلب ومعه الضباط الذين تمردوا على متن الطائرة /اليوشن 14/.

حلب.. كما عرفتها، كما عرفتني

الفصل

الرابع

حلب..

كما عرفتُها، كما عرفتني

بعد أن انتهى تمرد ناصر الدين ناصر وبدر جمعة وأحمد أبو صالح في حلب، وحلّ الإشكالية مع حمد عبيد وعودته إلى دمشق، واستقرار الأمور في حلب، رحت أفكر بصوت مسموع مع خالد بدوي قائد كتبية الدبابات التي جاءت من حمص واستقرت في غرب مدينة حلب. فأنا على قناعة بأن خالد بدوي وطني من الطراز الأول، ورجل يحب الحوار والنقاش من أجل إنضاج الأفكار وبلورتها. رحت أفكر معه في وضع المجتمع في حلب، ونتساءل كيف نستطيع أن نجعل هذا المجتمع ملتجماً مع الثورة، وتوجهات حركة 23 شباط. أي كيف نجعل مجتمع حلب كتلة واحدة مع الثورة. كنت أنظر في جميع شرائح المجتمع.. (العمال، الفلاحون، التجار، رجال الدين، الطلبة.. صفار الكسبة.. الخ) وأدرسها لكي نفعل شيئاً مهماً ونوعياً داخل مجتمع حلب. وللحقيقة.. فأنا أعرف المجتمع الحلبّي، أعرف التوجهات الفكرية، والسياسية، ونمط العلاقات الشائعة ما بين فئاته جميعاً، أعني التجار، والسياسيين، ورجال الدين.

وتوصلنا كحصيلة لنقاشنا الطويل، أنا وخالد بدوي، إلى ضرورة تعيين أمين فرع لحزب البعث العربي الاشتراكي في حلب، بعدما انتهت مهمّات أمين وأعضاء قيادة الفرع قبل 23 شباط. إذ لم يكن موجوداً من المسؤولين الكبار في المحافظة سوى المحافظ، واسمه عبد الفني السعداوي. كنت أشعر بضرورة وجود أمين فرع للحزب كي يصبح للمحافظة شأن، أي أن يشعر الناس بوجود فرع الحزب وفاعليته في حياتهم. وكذلك كي تتحدث إذاعة حلب عن اجتماع فرع الحزب في حلب، وأن يكون له دور أساسي في تسير الشؤون العامة في

المدينة. لذلك اتصلت باللواء حافظ الأسد. قلت له: إنه من الضروري تعيين أمين فرع للحزب في حلب، كي لا تظل الأمور عائمة على هذا النحو مدة طويلة، أي لابد لنا من السيطرة على المدينة وفي جميع الاتجاهات. قال: موافق. وعليك أن تبحث أنت ومن حولك من الرفاق عن رفيق له صفات جيدة تؤهله ليكون أميناً لفرع الحزب في المدينة. وأضاف قائلاً: اتصل بالرفيق صلاح جديد، وأخبره بهذا الأمر.

إذن استجابة القيادة معنا كاملة. وهي موافقة على توجهاتنا. لذلك رحنا نبحث عن رفيق جيد يصلح لأن يكون أميناً لفرع الحزب في حلب. واستقر رأينا على اختيار عبد العزيز مشارقة، وهو ضابط احتياط يخدم في منطقة قطنا، ويحمل إجازة في الحقوق. فاتصلت باللواء حافظ الأسد مرة أخرى، وأخبرته بأن مشاوراتنا جميعاً استقرت على اختيار ضابط اسمه عبد العزيز المشارقة وهو ضابط احتياط، رفيق جيد، ويحمل شهادة الحقوق، وسمعته في المجتمع جيدة. ونحن نقترحه ليكون أميناً لفرع الحزب. فقال: طيب. ويبدو أن الاتصالات تمت مع عبد العزيز مشارقة فوراً، لأنه عين أميناً لفرع الحزب في حلب في اليوم التالي، وظلت رواتبه على ملاك وزارة الدفاع، أي أنه لم يسرح مباشرة. طبعاً، حين اقترحت الاسم على اللواء حافظ الأسد وزكيته، قال لي: اتصل بالرفيق صلاح جديد وأخبره بذلك. فاتصلت بالرفيق صلاح جديد وأخبرته، فوافق هو فوراً أيضاً. لا أدري إن كان يعرف عبد العزيز مشارقة، أو سمع عنه. وجاء المشارقة إلى حلب ليتسلم مهمته كأمين لفرع الحزب، ورحلت وإياه نختار أعضاء قيادة الفرع. فالفرع يحتاج إلى خمسة أعضاء. وكان البحث عن هؤلاء الأعضاء الخمسة صعباً، ولكن استطعنا أن نعين أربعة أعضاء وليس خمسة، أذكر أنه كان من بينهم زهير مشارقة، ومراد مراد، ومحمد عيد، والمحافظ.

بعد ذلك صارت أخبار الفرع، اجتماعاته، وقراراته، وزياراته الميدانية، ونشاطاته بعمامة تذاق من إذاعة حلب ما بين الساعة الثالثة والساعة الخامسة

مساءً، وقد خصصنا نصف ساعة من أجل اجتماعات فرع الحزب وأخباره. وقد كان لإذاعة حلب شأن على غاية من الأهمية والحضور بين الناس، لذلك.. ومن أجل تعزيز دورها، والإشراف الكامل عليها، طلبت من اللواء حافظ الأسد ضابطاً ليتسلم السرية المرابطة في إذاعة حلب، تكون لديه ميول إعلامية وثقافية. فأجابني: اختر أنت ضابطاً من الحرس القومي وعينه في الإذاعة. وقد اخترت الضابط إسماعيل ناصيف ليكون قائد السرية المرابطة في إذاعة حلب، وقد كنت أعرف أن لديه ميولاً أدبية، ويتمتع بثقافة جيدة، فقد عمل في التوجيه السياسي في الحرس القومي. وبالفعل تم نقل إسماعيل ناصيف إلى حلب، وتسلم سرية الإذاعة، فطلبت منه أن ينتبه جيداً إلى ما يذاع في الإذاعة، وأن يوجه العاملين في الإذاعة سياسياً من أجل كسب الناس لتصير إذاعة حلب مسموعة من قبل الناس. وللحق والإنصاف، فقد قام إسماعيل ناصيف بدور مهم جداً خلال عمله في سرية الإذاعة من الناحيتين الأمنية والتوجيه السياسي. وسارت الأمور في حلب كما نرغب تماماً، ولكن ظلت حالة الاستنفار قائمة، حتى أن المؤتمر القطري الاستثنائي الذي عقد في آذار 1966 لم أحضره علماً بأنني كنت عضواً فيه. لقد أخبروني في القيادة حين سألتهم هل من الضروري عليّ أن أحضر اجتماعات المؤتمر. فقالوا إن الأوضاع الأمنية دقيقة وحساسة جداً في حلب. وعليّ أن أبقى فيها.. وهذه الظروف تجيز لي الغياب عن أعمال المؤتمر.

بقيت في حلب مدة شهر أو أكثر لم أغادرها ولو لمرة واحدة. وقد نشطت داخل المجتمع الحلبّي، إلى درجة أن الناس كانوا يصفونني بالرجل الذي لا ينام. وقد كنت حازماً تجاه نوازح الحياة فلا أذهب لأي مكان عام، ولم أعقد أية علاقة قد تسيء إلى سلوكي وشخصي. كنت أقدر بأن لمدينة حلب حساسية خاصة عليّ أن أراعيها، وأن أكون قدوة للآخرين في السلوك والسمعة. وقد تعاونت مع النقابات في المحافظة ونشطتها، واتصلت بالسياسيين، خصوصاً مع جماعة الوجدويين الاشتراكيين، أدهم مصطفى،

وقايز إسماعيل، دخلت معهما في حوارات عديدة. كنت أعرف واقعهم، وما حدث لهم.. لذلك أعدت إليهم آلات النسخ، والآلات الكاتبة التي صودرت منهم قبلاً، وقلت لهما: لكما حرية العمل فالوطن للجميع، لقناعتني بأنهم مهما عملوا لن ينتجوا شيئاً ذا بال. وحاورت الحزبيين الذين لهم اتجاهات معادية لحركة 23 شباط بعد أن ضبطت المنشورات التي كان يوزعونها. لقد أشعرتهم بأن أعمالهم المخفية معروفة تماماً، وأنها تحت بصرنا ويدنا معاً. واهتممت بجريدة الجماهير التي مازالت تصدر حتى الآن في حلب، ورحنا نشحنها بالمقالات الوطنية والقومية المؤيدة لاتجاه حركة 23 شباط. أما ضباط الشرطة المدنية فقد جعلت لهم اجتماعات دورية. وكان في المدينة شعبية للحزب تضم ضباط الجيش وضباط الشرطة، فقامت وقسمت هذه الشعبية إلى شعبتين، واحدة لضباط الجيش، والأخرى لضباط الشرطة. ورحت أزور القرى المحيطة بمدينة حلب لشرح أفكار الثورة للناس، وكنت آخذ معي دائماً أحد أعضاء قيادة فرع الحزب في المدينة من أجل تعزيز دور الحزب بين الناس، وتدعيم هبة الثورة.

كلّفتني مع رجال الدين.. في حلب!

كنت أشعر أن بعض الإرباكات تأتي من بعض رجال الدين في المدينة، هؤلاء الذين يجتمعون بالناس، ويتحدثون إليهم في شؤون السياسة، وأحوال البلد الاجتماعية والاقتصادية. لذلك درست واقع رجال الدين في المدينة دراسة واقعية من أجل اتخاذ القرارات والتوجهات المناسبة والحكيمة كي لا نشير الناس، أو نخدش شعورهم بأي موقف قد يكون مرتجلاً.

كان يوجد في حلب حوالي (600) رجل دين يعملون في مساجد المدينة. وهؤلاء ينقسمون إلى زمر واتجاهات تتبع للشيخ الكبار في المدينة.. فمثلاً الشيخ الحكيم له مجموعة، والشيخ السردار له مجموعة، والشيخ النبھاني له

مجموعة، والشيخ الشامي له مجموعة، والشيخ الخطيب له مجموعة، وكان للناصرين شيخ له مجموعة أيضاً. إذن هؤلاء الشيوخ يتوزعون إلى جماعات عدة، كل جماعة تتبع شيخاً كبيراً. أما مفتي المدينة فكان الشيخ محمد بلانكو، وهو كردي وحوله مجموعة من شيوخ الأكراد. بدأت أتصل بالشيوخ الكبار لمعرفة توجهاتهم، كنت أجتمع بكل شيخ على حدة في حوار طويل، ونقاش مستفيض حول واقع المدينة، والثورة، والتوجهات السياسية بعامة. كنت أجتمع بالشيخ وعدد من جماعته (هو من يختارهم) ويدور الحوار. كنت أستمع إليهم بانتباه شديد للوقوف على حقيقة فتاعاتهم وتوجهاتهم.

وأذكر أنني زرت الشيخ السردار في بيته، فوجدت عنده حوالى (20) شيخاً، كان حديثه منصباً على انتقاد الجماعات الإسلامية الأخرى التي تلتف حول شيوخ آخرين في المدينة. ووجدت أنه لا يريد إلا أن نضعه في مجال اهتمامنا، وأن نعطيه بعض الحظوة، فقلت له: نحن معك، وسندعمك. ونحن مع انفتاحه في الحديث على جهات عديدة، اجتماعية، ودينية، وسياسية إلا أنني أحسست أنه كان حذراً، يعد كلماته ويصطفئها قبل أن يتفوه بها. كما قمت بزيارة للشيخ محمد الحكيم وهو بين مريديه. هذا الشيخ كنت أعرفه، وقد سمعت عنه الكثير، فقد سمعت له خطبة أيام حكم عبد الناصر، في أثناء الوحدة، في الجامع الكبير. وهو شيخ مثقف ثقافة عالية يتحدث اللغتين الإنكليزية والألمانية بطلاقة. أود أن أذكرها كما سمعتها.. في تلك الخطبة، قال: لقد زارني رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ليلة البارحة، فمددت يدي لأصافحه، فمد يده اليسرى وصافحني بها، فقلت له عفوك يا سيدي يا رسول الله، ما بالك تصافحني بيدك اليسرى، فقال: اسكت يا محمد الحكيم. إن يدي اليمنى مشغولة بيد عبد الناصر. وقد سجلت هذه الخطبة وأذيعت من إذاعات حلب، ودمشق، وصوت العرب في القاهرة. وأذكر أن عبد الناصر حين زار حلب، ذهب وصلى في الجامع الكبير، وسلّم على الشيخ محمد الحكيم، وكنت على يقين أن هذا الشيخ له أهداف سياسية منذ أيام عبد الناصر، لذلك

قلت في نفسي لماذا لا أقرّبه من الثورة، فهو لاشك، إن وجد الاهتمام به من قبلنا، سيتحدث عن الثورة - بين مريديه بالخير، لهذا رأيت أن أعزز مكانة الشيخ محمد الحكيم فجعلت بيته لا يخلو من الزوار والمحبين، وبذلك جعلت له قيمة كبرى في حلب. على الرغم أن قيادة الثورة أممت له بعض أملاكه في حلب، وفيما بعد أعادتها إليه من أجل كسبه إلى جانب الثورة. وقد كان عضواً في مجلس الإفتاء في حلب. ورحلت أفكر في السبل والطرق التي تتيح للشيخ محمد الحكيم أن يكون مفتياً في مدينة حلب.

ظلت عندي مشكلة في هذا المجال (أي في مجال كتلة رجال الدين) وهي تتعلق بالشيخ النبهاني، فأنا لم أزره بعد، ولا بد أن خبر زيارتي للوجهاء ورجال الدين قد وصل إلى أسماعه. الشيخ النبهاني كان موضع تقدير كبير في حلب، فما من محافظ جديد، أو رئيس فرع مخابرات أو ضابط ذي قيمة إلا وتعيّن عليه زيارة الشيخ النبهاني، وكأنه يقدم فروض الطاعة له. كان الرجل يعد نفسه سلطة دينية كبرى في حلب وهو من زعماء الحلف الإسلامي^(*) في حلب. لذلك قدرت الموضوع ودرسته بالتفصيل وناقشته أولاً بيني وبين نفسي، ثم ناقشته مع الرفاق المقربين الذين يعرفون الشيخ النبهاني معرفة مباشرة. كان ما يشغل بالي هو ابتعاد النبهاني عن خط الثورة. فأردت استمالة عن طريق بعض الرفاق، غير أنه ظلّ على موقفه. أي ظلّ لا يقيم وزناً لأحد، ظلناً منه أنه هو السلطة الفعلية القادرة على فعل كل شيء في حلب، لذلك قررت أن أجعله نكرة في حلب، على الرغم من حضوره الطاغوي، وكثرة عدد المريدين الذين يلتفون حوله. فبعد أن جمعت المعلومات الكافية عنه عرفت أنه يمتلك عدداً من القرى في منطقة (أبو الظهور)، والدولة لم تشجع قانون الإصلاح الزراعي كي يشمل قرى النبهاني وأرضه الشاسعة الواسعة. لقد شعرت أن استثناء قرى

(*) الحلف الإسلامي، كان أحد الأحلاف التي سعت أمريكا إلى إيجادها في المنطقة وتقويتها (مثل النقطة الرابعة، وحلف بغداد) وغايته ربط بعض الدول الإسلامية (بما فيها العربية) فيما بينها وبمجموعة أمريكا (من الناحية السياسية).

النبهاني من قانون الإصلاح الزراعي أمر يضر بمصداقية الثورة، وسبب الخوف من النبهاني هو أن له أتباعاً منتشرين في الجزيرة والقامشلي والرقعة، وأنه كان صاحب طريقة اسمها (النبهانية). كما أن له امتدادات خارجية تأتيه عن طريقها الأموال. كل هذا كان في ذهني، بالإضافة إلى أمر آخر هو أن الرجل عرف بمجيئي إلى حلب، وقد بات اسمي على كل لسان، ولم أزره، وفي هذا (كما قدرت).. عدم اهتمامي به، ولعله سمع بزيارتي المتعددة لرجال الدين، ولقائاتي معهم التي صارت حديث إذاعة حلب، والناس وكذلك اجتماعاتي مع العمال، والطلبة، والاتحاد النسائي، وسائر النقابات الأهلية الأخرى. لعله. دونما شك. تساءل لماذا هذا الضابط الجديد لا يأتي للسلام عليّ. لقد فكرت بهذا الأمر حقيقةً، وقلت لتظلّ الإجابة لغزاً عند الشيخ النبهاني. طبعاً كانت أخبار لقاءات الطلبة مع عناصر الجيش والعمال في المباريات الرياضية حديث المدينة. ذلك لأنني أردت أن أقرب المسافات ما بين الشرائع الاجتماعية ليصبح المجتمع عجينة واحدة، وإن كانت متعددة الطيف. كنت على علاقة حميمة مع الطلبة في الجامعة، ومع العمال في اتحاد العمال والمعامل، ومع المعلمين في نقابة المعلمين، وأندية الفتوة، والمحامين... الخ.

في هذه الفترة كانت بعض الدول العربية تتحدث عن التحالفات الإسلامية، وكان الشيخ النبهاني يكرر في خطبه وجلساته الدينية الكلام عن الحلف الإسلامي، وكان يريد لسورية أن تكون طرفاً في الحلف. والحقيقة أن ضبابية كانت تشوب توجهات هذا الحلف وغاياته، ولذلك تريثت سورية بالرد على الدعوات التي وجهت إليها من أجل أن تصبح عضواً في هذا الحلف. باختصار شديد كانت الثورة في تلك الفترة لا تريد أن تعزز علاقاتها ببعض الدول العربية التي وصفت بالرجعية آنذاك. والخطورة في أمر النبهاني هو أنه كان يذهب إلى قراه في ريف حلب، ويتحدث عن الحزب حديثاً كريهاً ومن منطلق ديني، أي أنه كان يقول إن الحزب كفر، والذين هم فيه كفر، وإن هذا الحزب يُعلم الإلحاد، وكل المنتسبين إليه عبارة عن ملحدين لا يعرفون الله أو

الدين. كما كان يدعو صراحة إلى الحلف الإسلامي الذي ساندت الدعوة إليه الولايات المتحدة الأمريكية. وقد قررت أن أزور منطقة (أبو الظهور) فور خروج النبهاني منها بعد اجتماعه بالأهالي والفلاحين وحديثه المعادي للحزب والثورة، ودعوته العلنية للحلف الإسلامي.

أرسلت إلى الفلاحين في (أبو الظهور) من يبلغهم أنني قادم للاجتماع بهم، وأرى أن يكون مكان الاجتماع في المضافة التي كان يتحدث فيها الشيخ النبهاني. وذهبت إليهم. فوجدتهم مجتمعين في مضافة كبيرة وواسعة، وقد ضاقت عليهم لكثرة عددهم. سألتهم عن أحوالهم، وأحوال الموسم، ثم قفزت بالحديث إلى موضوع الحلف الإسلامي، وقلت لهم أنا لست فقيهاً في علم الأديان، ولكن نحن لا نعرف ماذا يراد لسورية من وراء زجها في الحلف الإسلامي الذي تدعمه أمريكا، إنه أشبه بدعوة حق يلغها باطل. وأذكر أنني ضربت لهم مثلاً، قلت: أنتم تعرفون طيور الزراير في فصل الشتاء وأوائل الربيع، فهي تأتي بكثرة إلى قرانا. وعندما يريد الفلاح اصطياد الزراير، فإنه يأخذ معه حماره، يدع الحمار يمشي في المقدمة، وهو يتبعه بحذر. فالزراير لا تخاف من الحمار، وحين يصل إلى مسافة مناسبة، يضع (الجفت) على ظهر الحمار، ويطلق النار على الزراير، فيقتل أكبر عدد منها في كل طلقة. وسألتهم: أليس هذا صحيحاً، فصرخوا بصوت واحد: نعم صحيح.. قلت لهم: أمريكا تريد أن تصطادنا (بالجفت)، ولذلك تريد وضع هذا (الجفت) على ظهر أحد ما، أو دولة ما، أو حلف ما لكي تصطادنا بكل يسر وسهولة. قلت هذا من دون أن أتطرق إلى الشيخ النبهاني. لم أذكر اسمه إطلاقاً. وتابعت قولي للفلاحين: لذلك أقول لكم لا تصدقوا هؤلاء الذين يأتون إليكم ليحدثوكم عن الحلف الإسلامي، وعن الكفر والإلحاد في الثورة والحزب، نحن جميعاً نحب الإسلام ولكن لا نريد له أن يكون مستهدفاً بالأحلاف التي تدعمها أمريكا لأن غايات أمريكا معروفة. وأقول لكم مرة أخرى لا تصدقوا هؤلاء الذين يتحدثون عن الإسلام، وهم الذين يفتصبون أراضيكم ويجعلونكم أجراء

في أراضيكم. إنني أسألكم لماذا لم توزع أراضي قراكم عليكم؟ لماذا بقيت بحوزة الإقطاعيين الذين يتحدثون عن الإسلام، والأحلاف. إنهم غير صادقين. لو كانوا صادقين لتخلوا عن الأراضي لصالحكم. انظروا إلى القرى المجاورة لكم، وإلى حال الفلاحين فيها وقد أخذوا حقهم من أراضي الإقطاعيين الذين اغتصبوها.. أنتم لماذا لم تأخذوا حقكم من هذه الأرض التي عشتُم وتربيتُم عليها؟ السبب الكامن وراء هذا الأمر يتلخص في أن بعض الوجهاء يتسترون بالإسلام، والإسلام بريء منهم، لأنهم يفتصبون حقوق الآخرين، كما يفتصبون جهدهم وقوتهم، ويجعلونهم عبيداً في قراهم. قلت كل هذا الكلام دون أن أذكر الشيخ النبھاني بكلمة واحدة. وقد أحسست بتأثير كلامي في نفوس الفلاحين الذين بدوا وكأنهم يستيقظون من نوم عميق، لقد وعيتهم على حقيقة النبھاني، وشككتهم بمصداقيته. طبعاً كان معي الضابط إسماعيل ناصيف يسجل كلامي من أجل بثه في إذاعة حلب التي يشرف عليها. وعدتُ إلى حلب مباشرة، وراحت إذاعة حلب تبث محتويات الشريط، أي تبث كلامي الذي قلته في مضافة (أبو الظهور). وقد فعل هذا الشريط فعله في أذهان الفلاحين الذين استمعوا إليه أكثر من مرة، وباتوا يضحكون من أي شيخ يأتي إليهم ليحدثهم عن (الحلف الإسلامي)، عندما يشرع في حديث كهذا، يتغامز الفلاحون، ويطلقون كلمات السخرية، ويسمعون بعضهم بعضاً كلمات مثل (الجن) و(الزراير) و(الحمار).. أي أنهم يستعيدون قصة المثل الذي سقته للفلاحين في منطقة (أبو الظهور). وقد عرفتُ من خلال لقاءاتي المتعددة مع الفلاحين، أن شيوخ الدين ما عادوا يجرؤون على الحديث في هذا الموضوع لأن الفلاحين لن يقنعوا بشيء، لا بل سيسخرون من حديثهم.

العمال.. ينظّاهرون في معمل الغزل والنسيج!

ومما أذكره في هذا الشأن، أن العمال تظاهروا في أحد معامل النسيج من

أجل زيادة أجورهم، وخلقوا بعض الفوضى، فانزعج أمين فرع الحزب عبد العزيز مشاركة واحتار بأمره، وقد ذهب إليهم إلا أنهم رفضوا استقباله، وطردوه تقريباً، كذلك المحافظ عبد الغني السعداوي عجز عن القيام بأي شيء. ويبدو أن الأمور تفاقمت في معمل الغزل والنسيج حين قام بعض العمال بتخريب بعض الآلات، وقد كان المعمل حديثاً. لذلك قررت أن أحل المشكلة بنفسني. ذهبتُ إلى المعمل، وقد كانت الفوضى في داخله وليس في الخارج، أخذت معي بعض الحرس. وحين رأى العمال سيّارتي، قالوا: جاء محمد إبراهيم العلي. طبعاً في تلك الفترة كنتُ معروفاً جداً في حلب. سمعتي معروفة. وانضباطي شديد. ودوري حيوي جداً في المدينة. بدأتُ أشعر بأن أصواتهم راحت تتخفّض. طبعاً كنت مجازفاً بنفسني، لأنه من الممكن أن أتعرض للضرب والأذى من العمال وهم في حالة فوضى عجيبة. وسمعت بعضهم يحذر بعضهم الآخر من الاقتراب مني، أو أن يتعرض أحد ما لأذيتي، أو شتمني. وقفت في مدخل المعمل، وقلت لهم بصوت عالٍ: أخوتي العمال، جئتُ لأحل المشكلة. كل طلباتكم مجابة، ولكن لا بد من الهدوء. بالتفاهم والأخوة سنحل كل المشكلات التي تعترض سبيلكم. أريد منكم أن تقولوا لي باختصار شديد ما هي طلباتكم، لقد سمعت أنكم تريدون رفع الأجور. أنا أعددكم أن هذه المسألة ستناقش وتحل فوراً، وأعدكم أنني سأتصل بالقيادة في دمشق لإرسال لجنة تحاوركم، وتسمع طلباتكم، وتحل المشكلة من جذورها.. وفوراً. ما قولكم؟ طبعاً بعد هذه الكلمات الصريحة والواضحة، صمتوا، وطالبوني بحضور لجنة من القيادة لتدرس أوضاعهم وتزيد أجورهم. فعلاً هدأت الاضطرابات في المعمل بعد أن اتصلت من المعمل بالقيادة في دمشق. قلت للرفيق صلاح جديد: أرجو من القيادة أن ترسل لجنة مختصة لتعالج مطالب العمال، ومن دون إرسال هذه اللجنة (لكي يشعر العمال بقيمتهم) لن تحل المشكلة. فقال: طيب. غداً، مع الصباح تكون اللجنة في وسط المعمل. وهكذا بالفعل. ففي اليوم التالي جاءت اللجنة من دمشق لتدرس وضع العمال المضربين عن العمل، لكنها كانت

لجنة صغيرة غير مؤهلة لحل المشكلة لذلك تحدثتُ مباشرة مع الرفيق صلاح جديد ثانية ومع عدد من أعضاء القيادة، قلتُ لهم: لا بدّ من حضور لجنة من القيادة، من بينها رئيس اتحاد العمال خالد الجندي لكي نحل المشكلة من جذورها. واستجابت القيادة لرأبي مرة ثانية وأرسلت بالطائرة لجنة مؤلفة من وزير الداخلية محمد عيد عشاوي، ووزير الشؤون الاجتماعية محمد رباح الطويل، وخالد الجندي رئيس اتحاد العمال، وانضم إليهم محافظ حلب، وأمين فرع الحزب، وأنا، واجتمعت هذه اللجنة بمندوبي العمال، وحلت مشكلاتهم حين رفعت الأجور، وبذلك انتهت المشكلة نهائياً.

إضراب الطلبة.. أيضاً!

أمر آخر حدث في المدينة، وذلك حين تظاهر الطلبة في كلية الهندسة في حلب بعدما سرت شائعة أن رئيس اتحاد الطلبة اعتقل من قبل المخابرات، وأنهم سيظلون في حالة تظاهر وإضراب عن الدراسة حتى يعود رئيس اتحاد الطلبة إلى مزاولة عمله، أي إلى أن تفرج المخابرات عنه. وقد أردتُ أن أستثمر هذه الحادثة، أي أردت أن يحرض الطلبة على التظاهر والإضراب أكثر، ذلك لأنني أعرف أن الاعتقالات كانت ممنوعة، وأن رئيس اتحاد الطلبة موجود في بيت صديقه، ولم يكن معتقلاً إطلاقاً. وبينما كان الطلاب في حالة هيجان، واضطراب، وتظاهرات ذهبتُ إليهم، بعد أن تأكدت تماماً من أن رئيس اتحاد الطلبة في بيت صديقه، اجتمعت بالطلبة، وقلت لهم: لماذا تحتجون، وتضربون، وتعطلون الدراسة من أجل إنسان غير كفوء، رجل مستهتر، وغير أخلاقي، لا علاقة للمخابرات به، فهو ليس معتقلاً، وإنما هو موجود في بيت (صديقه) ما قولكم؟. ذُهل الطلاب! فتابعت قائلاً: إن لم تصدقوا ما عليكم إلا أن تتأكدوا بأنفسكم، ليذهب عدد منكم إلى البيت (الفلاني) ويُخرج رئيس اتحاد الطلبة

الذي تزعمون أنه معتقل، من هناك، أي من بيت صديقه! وفي لحظة الصمت المطبق، قلت للطلبة: خذوا سيارتي إلى ذلك البيت، وهناك ستجدون رئيس اتحاد الطلبة في واحدة من مغامراته العاطفية. أخرجوه من هناك بأنفسكم. فعلاً ذهب عدد من الطلبة إلى ذلك البيت ووجدوا رئيس اتحاد الطلبة فيه، فضربوه، وشتموه، و(بهدلوه بهدلة غير عادية). ومن تلك الحادثة صارت كلمتي كلمة ثقة وصدق في حلب، وتعرزت علاقتي بالطلبة أكثر فأكثر.

مشكلتي .. مع محافظ حلب!

من الأمور الأخرى المفصلية التي واجهتني في حلب، أمر يتعلق بالمحافظ، فقد كان رجلاً فظاً، يتكلم بغطرسة شديدة، لا يحترم محدثيه أو زواره. منذ اللحظات الأولى التي عرفته فيها لم يترك لدي انطباعاً طيباً. ومع ذلك قلت في نفسي، هو حر في سلوكه، وتصرفه، وطريقة حديثه مع الناس. فهو محافظ ويقدر الأمور التي تروق له والتي لا تروق له أيضاً.

المهم في الأمر أن هذا المحافظ، وقد كان معنا، صار حديث الناس في حلب، ذلك لأنه يذهب إلى بيت صديقه بسيارته. يوقف السيارة أمام بيتها طوال وقت تواجده فيه. وقد كان هذا الأمر مدعاة للحرج لنا أمام الناس. فالمحافظ محسوب على الثورة، والقيادة، وأي تصرف يسيء إلى سلوكه ومركزه، يسيء للثورة والقيادة معاً. لذلك ذهبت لمقابلته. ولم يكن في ذهني سوى أن أنصحه بأن ينتبه لسلوكه، وأن حديث الناس عن صديقه وعلاقته بها، وهي ذات سمعة سيئة، بات مسموعاً ويسيء لأخلاق الثورة ومسيرتها! قلت له بالحرف: لقد سمعت إشاعات بأن سيارتك تقف عند باب بيت (فلانة) فما صدقت. قلت لعل السائق هو الذي يذهب بالسيارة إلى هناك. فقالوا: لا، المحافظ نفسه هو من يذهب إلى (فلانة). وأنا أنصحك، إن كنت أنت من يذهب إلى بيت (فلانة) بأن تضع السيارة في مكان بعيد عن بيتها، كي لا تثير

كلام الناس حولك. والناس في حلب، هذه الأيام، في منتهى الحساسية. يبحثون عن أي شيء يسيء إلى الثورة والحزب

قلت له هذا الكلام، وبهدوء شديد، وبمودة شديدة أيضاً، فما كان منه إلا أن استشاط غضباً. انفعل، وراح يثرثر بكلمات جوفاء من أجل تبرير موقفه. وهنا قلت له بهدوء شديد: هوّن عليك لقد جئتك ناصحاً، وإلا فإن تصرفاتك السيئة ستحسب عليك. وخرجت. بعد ذلك عرفت أنه تحدث مع القيادة في دمشق، وشكاني، وتحدث عني حديثاً ملفقاً. وهنا عدتُ إليه مرة ثانية، وقلت له: مادمت قد شكوتني للقيادة، فعليك أن تتحمل نتائج تصرفك، وخرجت أيضاً. لقد أردت أن أفهمه بأنني أعرف ما يقوم به. وحقيقة الأمر أنه شكاني للرفيق صلاح جديد. ووعد الرفيق صلاح جديد خيراً. ولأنني كنت متحمساً للثورة، ومقدراً لحساسية الشارع الحلي، والمحافظ لا يزال يمارس سلوكه، أي يذهب إلى صديقه أمام أعين الناس، ذهبتُ إليه مرة أخرى وقلت له: مادمت لا تريد أن تسمع النصيحة، ولا تكثر بأراء الناس وحديثهم الذي صار واضحاً جداً بعد أن كان همساً، أريد منك أن تظلّ في البيت. ممنوع عليك الخروج من البيت. ممنوع أن تداوم في مكتبك، وممنوع أن تلتقي بأحد من أهالي حلب. وقطعت عنه الهاتف، لم أبق له سوى هاتف واحد، قلت له: هذا الهاتف أتركه لك من أجل أن تتصل بالقيادة. وقل لهم إن محمد إبراهيم العلي حبسني في بيتي.

فعلاً، اتصل بالقيادة وشكاني للرفيق صلاح جديد مرة أخرى، فما كان من الأخير إلا أن أرسل لجنة مؤلفة من: مصطفى رستم ومحمد رباح الطويل، وكنا عضوين في القيادة القطرية، على وجه السرعة. وقال لهما: اذهبا إلى حلب، وانظرا في أمر المحافظ، وحلّا المشكلة. عند وصول مصطفى رستم ومحمد رباح الطويل، طلبا مني وجمعاني بالمحافظ. طبعاً أنا لم أكن على خلاف مع المحافظ حول تصريف الأمور في حلب، ولا أريد أن أتدخل في

شؤونه، ولكن كنت ضد سلوكه في ذهابه إلى صديقه في وضع النهار، وأمام الناس، وبسيارة المحافظة.. وبشكل يومي تقريباً. قلت لمصطفى رستم: سيارة المحافظ فضيحة، وصارت علامة على تواجد المحافظ اليومي في بيت (فالنة) وهذا أمر لا يليق بسمعة الثورة، ولا بالتقاليد الشعبية والأخلاقية في حلب. وأنت أدري بالظروف الحالية. وقد قلت للمحافظ إن أراد الذهاب إلى بيت صديقه، فليذهب، هو حر في شؤونه الخاصة، ولكن عليه ألا يذهب بسيارة المحافظة لأنه كمحافظ يمثل الدولة، وعليه أن يحترم الدولة والثورة معاً، وعلينا ألا نمكن أعدائنا منا، ألا نضع أي مستمسك بين أيديهم ضدنا (وإذا بليتيم بالمعاصي فاستتروا). وقال المحافظ لمصطفى رستم: وأنا ليس لدي أي ملاحظة على محمد إبراهيم العلي. فهو رجل نشيط، وثوري متحمس، رجل كما يقال عنه لا ينام إلا بعد أن ينام الجميع. لم أسمع عنه إلا كل خير. وتحدث مصطفى رستم طويلاً عن الثورة والظروف والحساسيات بين الرفاق، وسمعة الثورة بين شرائح المجتمع، وضرورة الالتزام، وعدم فتح أي ثغرة للآخرين كي يتحدثوا بالسوء عن رفاقنا.. كي لا نسيء للثورة، والحزب.

المهم أن الأمور الإشكالية بيني وبين المحافظ حُلّت وانتهت، وسارت كما نحب. فما عاد المحافظ يذهب إلى بيت صديقه إلا سراً، ومن دون سيارة المحافظة، وما عدتُ أسمع أحاديث الناس عنه، وقد زرتة، فاستقبلني بحرارة، وقلت له: الآن أستطيع أن أقول لك يا سيادة المحافظ إن الألسنة التي كانت تتناولك بالسوء خرس تماماً. فسرّ بهذا الكلام. على الرغم من كل ما حدث بيننا إلا أنني أستطيع القول إن المحافظ عبد الفني السعداوي (وقد كان مهندساً)، هو من أحسن المحافظين الذين تسلموا أمور محافظة حلب، وقد كان حازماً وساهراً على أمن المدينة، وشؤونها العامة، وعمرانها بخاصة.

امرأة.. واحدة، ورجال كثيرون!

وحدثت مشكلة أخرى، ملخصها أن امرأة لعوباً، تعشق تعدد العلاقات مع الرجال المسؤولين، صارت حديث الناس في حلب، وذلك أن هذه المرأة كانت على علاقة مع عدد كبير من المسؤولين في الجيش والدولة، ويبدو أنها كانت تتحدث عن أصدقائها وعشاقها بالأسماء الصريحة من أجل إخافة الآخرين. طبعاً، نحن كنا بعيدين عن هذه المرأة، لم نتعرف إليها إلا عندما اشتكى ملازم أول من سلاح القوى الجوية عليها في الشرطة العسكرية، فقام الملازم أول طاهر سلطان قائد الشرطة العسكرية في حلب باستدعائها إلى قيادة الشرطة العسكرية لأنها قامت بضرب الملازم الأول ضربات عدة بسكين (كندرجية) فجرحته جروحاً عدة. وعندما أصبحت في قيادة الشرطة العسكرية أقامت الدنيا ولم تقعد لها. فاتصل الملازم أول طاهر سلطان بي، وأخبرني بالمشكلة، وقال لي: هذه المرأة تهددني بفلان وفلان من قيادة الجيش، والوزراء.. فماذا أعمل؟! قلت له: دقائق، وأكون عندك!

فعلاً، ذهبت إلى قيادة الشرطة العسكرية، ورأيت المرأة في حالة عريضة، والملازم أول وقد جرح جروحاً عديدة. يبدو أنه كان على علاقة بها، لأن حادثة الضرب تمت في بيتها! سمعت المرأة تقول لطاهر سلطان: اسمع يا طاهر نجومك (تقصد رتبته) أمحوها! أي أنها كانت تهدده وبشراسة. طبعاً هي لا تعرفني، وأنا لا أعرفها. هنا نهضت، وناديت طاهر سلطان، فلاحق بي، قال: نعم سيدي. قلت له: اصفعها على وجهها بكل ما تملك من قوة، علّمها الأدب، ثم احبسها في دورة المياه. قال: أخاف من النتائج يا سيدي. قلت له: لا تخف، إن اتصل بك أحد، قل له إنك تنفذ أوامر محمد إبراهيم العلي، ولكن سجل لي أسماء الذين يتصلون بك! قال: حاضر. قلت: إن قالت لك إنها ستتحرر. قل لها: سأعطيك مسدساً في الحال، أو سكيناً كما ترغبين.

فعلا، قام الملازم أول طاهر سلطان ونفذ ما قلته له تنفيذا حريفاً، صفعها بقسوة شديدة، وحبسها في دورة المياه. كنت راغباً في معرفة جميع الأسماء التي لها علاقة بتلك المرأة التي راحت تهدد بهم. ولم يمض وقت طويل حتى بدأت الهواتف تنهال على الملازم أول طاهر سلطان من دمشق، وغير دمشق. اتصالات على مستويات كبيرة جداً. طبعاً كانت الاتصالات تأتي أولاً لطاهر سلطان لأن المرأة موقوفة في قيادة الشرطة العسكرية، ثم تتحول الهواتف إلي، فكنت أقول لمن يتصل بي: هل من المعقول أن يحبس طاهر سلطان امرأة؟ سوف نطلق سراحها فوراً ليس من المعقول أن تحبس امرأة في قيادة الشرطة العسكرية! والحقيقة أننا لم نفرج عن المرأة، ظلت مسجونة طوال اليوم الأول، وفي اليوم الثاني توافد العديد من أعضاء القيادة، والوزراء، وضباط الجيش إلى حلب. منهم من جاء بحجة زيارة المعامل والاطلاع على شؤون العمال، ومنهم من أراد الاجتماع بفرع الحزب، وآخرون أرادوا الاجتماع بالمحافظ... الخ. طبعاً المرأة كانت جميلة جداً، ولكنها (لويضة) جامعة للعديد من الرجال حولها في وقت واحد. في اليوم الثاني، أحلناها إلى القضاء، وقلنا: على القضاء أن يبت بأمرها. ولم أدر أنني بتصرفي هذا أصبحت هدفاً مكشوفاً للرفاق ومن جميع الجهات، هذا ناهيك عن استهدافي من بعض الجهات في حلب. لذلك راحت التقارير تكتب بحقي وترفع إلى القيادة في دمشق مثل السهام في ظهري.

وهنا أود أن أقف وقفة صراحة مع القارئ، الذي لا بد من أنه تساءل كيف لضابط برتبة نقيب أن يتصرف كل هذه التصرفات في مدينة مهمة مثل مدينة حلب، فيلتقي شيوخ الدين، والطلبة، ومسؤولي النقابات، وله علاقة واسعة مع المحافظ وأمين الفرع، بل إنه ينتقد سلوك المحافظ، وأمين فرع الحزب، ويسعى إلى تعيين مفتي للمدينة، ويحل مشكلات العمال إن أضربوا، والطلبة إن بادروا إلى تعطيل الدراسة.. الخ!

الحق، أنني لم أقل سوى الحقيقة ليس من أجل أن أبحث عن أمجاد

شخصية، وليس من أجل أن أضع نفسي في غير موضعها، وذلك لأن الكثيرين ممن أتحدث عنهم مازالوا على قيد الحياة، وهم يعلمون حقيقة ما كان يحدث.. كل ما في الأمر أنني كنت أتمتع بثقة القيادة، ولا أفعل شيئاً إلا بعد مشاورة القيادتين السياسية والعسكرية، ثم إنني كنت صاحب رصيد اجتماعي، وأخلاقي، وسياسي في حلب منذ بداية الستينيات حينما قمت مع بعض الضباط الأحرار بحركة ضد الانفصاليين والتي دعت إلى عودة الوحدة مع عبد الناصر. ثم إنني كنت ملتزماً جداً، على الرغم من كل الإغراءات التي تعرضت لها في حلب، فحرصني على سمعتي وسمعة الحزب والثورة أمر لا يقبل النقاش قط. ثم لا بد أن يدرك قارئني بأن القيادات السياسية في حلب التي كانت ضد الثورة قد أصبحت خارج المدينة. وأود أن أؤكد بأنه لم يخطر ببالي أن أصبح رجلاً ذا نفوذ في مدينة حلب. كل ما طمحت إليه هو خدمة الحزب والثورة والمواطنين في تلك المرحلة وفق قناعاتي الوطنية.

اللواء حافظ الأسد.. في حلب!

في نهاية الربيع، وأوائل الصيف زار اللواء حافظ الأسد مدينة حلب، فاستقبلناه في المطار بشكل رسمي، زار قيادة المنطقة، ثم المحافظة، واجتمع بالعسكريين والمدنيين في اجتماع موسع في قيادة الكتيبة (102) في منطقة الراموسة، هذه الكتيبة التي أقودها، وقد تمّ هذا الاجتماع في مكنتي. وفي بداية الاجتماع قدمت اللواء حافظ الأسد للمجتمعين، وتحدثت عن الكتيبة وضرورة إصلاح عتادها لأنها كانت عائدة من شمال العراق حيث شاركت في قوات اليرموك، وهي كتيبة ميكانيكية، وفيها آليات وعربات (ب.ت.ر) عديدة تعادل ملاك كتيبتين، وسرية دبابات، وسرية هاون، أي أنها لواء مصغر. وفي أثناء كلمة اللواء حافظ الأسد أعطاني الإذن بأن أشرع في إصلاح العربات، وإعادةتها إلى كامل جاهزيتها. وقد قدرنا أنها بحاجة إلى سنتين من الصيانة

والإصلاح، ولكن هذا العمل استغرق فترة قصيرة جداً كانت عبارة عن شهرين أو ثلاثة، فقد استقدمت مجموعة من الأرمن المهرة في الميكانيك، وشجعت ضابطاً معاقباً على الإسراع في تجهيز آليات الكتبية، ووعدته إن نفذ هذه المهمة خلال وقت قصير سينال مكافأة ترفيع. وفعلاً أنجز هذا الضابط المهمة خلال مدة أشهر ورفّع إلى رتبة أعلى مكافأة لجهوده.

المهم أن زيارة اللواء حافظ الأسد كانت مهمة لمدينة حلب، فقد شعر الناس، على مختلف مستوياتهم، أن القيادة تولي حلب أهمية خاصة، وقد حلت مشكلات عديدة بوجوده في المدينة، وبعضها حملها معه إلى دمشق لمناقشتها في القيادة واتخاذ القرارات المناسبة بشأنها.

وكنتُ أشعر أنني محبوب في مدينة حلب، حتى ممن كنا نسميهم بالرجعيين، لقد كانوا قريبين مني، يبحثون عن حلول لمشكلاتهم لدي، وكنت أرحب بهم، وأحاول، قدر استطاعتي، مساعدتهم. وقد قمت بزيارات عديدة إلى الرقة، ودير الزور، ومنطقة الغاب، والتقيت مع الناس. كنا نحاول أن نعيد عدداً كبيراً من الحزبيين الذين تركوا الحزب بسبب الأحداث التي جرت، والانقسامات التي حدثت بسبب الولاء للأشخاص لا للحزب والثورة والدولة. كنا بحاجة إلى شد الجهاز الحزبي في المنطقة. كان الرفيق صلاح جديد يطلب مني أن أكثف زياراتي ومحاضراتي في هذه المحافظات، وكنت أصطحب على الدوام الرفيق زهير مشاركة، بعد أن تمّ تعيينه مديراً لدار المعلمين بحلب، وتعيين رشيد اختريني موجهاً لديه في المدرسة، كان الرفيق زهير مشاركة يجيد الحديث باللغة العربية الفصحى. كما كنت استقدم بعض الشخصيات الاعتبارية من المحافظات الأخرى لكي تلتقي بالناس، ومما أذكره أنني استقدمت الرفيق عيسى درويش وكان يومذاك مديراً للشؤون الاجتماعية والعمل في محافظة اللاذقية. فألقى محاضرات عديدة لاقت قبولاً من الذين حضروها.

نعيين مفتياً جديداً.. في حلب!

في 7 أيلول 1966، فكرت، بعد مشاورات عديدة، أن الأوان قد آن لكي نعين مفتياً جديداً لحلب. وأنه لا بدّ من تبديل المفتي لأن لنا عليه ملاحظات عديدة. كان المشايخ يأتون إليّ في الكتيبة مساءً، بعد صلاة العشاء، فأقدم إليهم طعام العشاء. أذكر أن الشيخ محمد الحكيم جاء إليّ ومعه عدد كبير من المشايخ، فتناولوا طعام العشاء في الكتيبة، وكان هو يدخل الأركيلة، فأحضرت له واحدة، وأراكيل أخرى للمشايخ الذين رغبوا في تدخينها أيضاً. وبينما كان جالساً عندي اتصلت هاتفياً برئيس الدولة نور الدين الأتاسي من مكتب مجاور لنا. قلت له: الشيخ محمد الحكيم عندي في الكتيبة مع عدد من مشايخ حلب. وقد تحدثت إليك سابقاً من أجل تعيينه مفتياً لحلب، فماذا حدث سيدي؟ قال: سأتصل بك بعد قليل. وأغلق الخط. ثم اتصلت بالرفيق صلاح جديد. قلت له: لقد وعدتني بأن يعين الشيخ محمد الحكيم مفتياً لحلب، وهو الآن عندي مع مجموعة من مشايخ حلب، لكن المرسوم لم يصدر بعد. فقال: انتظر خيراً. وبعد قليل اتصل رئيس الدولة نور الدين الأتاسي من دمشق، وأبلغني بأن المرسوم القاضي بتعيين الشيخ محمد الحكيم مفتياً لمدينة حلب سيصدر في الصباح، وقال لي: قل للشيخ، مادام هو عندك إنني أبارك له بمنصبه الجديد كمفتي لمدينة حلب.

لذلك وبينما أنا أودع الشيخ محمد الحكيم وجماعته في حوالى منتصف الليل، قلت له أهنتك، فأنت منذ الصباح ستكون مفتي حلب. لقد أردت إبقاء الخير للحظة الأخيرة، فما كان منه إلا أن عانقني، وأخبر جماعته بالخبر، فعادوا وسلموا عليّ مرة ثانية. وبعد أن ذهبوا، عاد الرفيق صلاح جديد وتحدث إليّ مرة أخرى قال لي ما هي أخبارك، وكيف هي الأحوال؟ أحسست بلهجته غير العادية، قلت له: كل شيء على ما يرام. قال أريد أن أتحدث إليك

طويلاً، فاذهب إلى فرع المخابرات، واتصل بي من الهاتف غير الخاضع للرقابة، أي الهاتف السري (سيكرهون)، فذهبت إلى فرع المخابرات واتصلت به، بعد السلام الاعتيادي. قال لي: استتفر الكتيبة واجعلها في الجاهزية الكاملة، وأريدك أن تشرب القهوة معي عند الساعة السادسة والنصف صباح الغد في منزلي بدمشق. فقلت له: حاضر.

طبعاً، الساعة كانت في الواحدة بعد منتصف الليل، والمسافة بين حلب ودمشق تقدر بخمس ساعات أو أكثر. أي كان عليّ أن أنطلق فوراً إلى دمشق، لذلك عدت إلى الكتيبة، وجمعتها ليلاً، واستتفرتها، وشدت الحراسة على الإذاعة لأنني تحسبت لخطورة الأمر، لأن الرفيق صلاح جديد الذي يريدني فجراً في دمشق، يعني أن أمراً خطيراً وقع أو هو على وشك الوقوع.

ولم أتباطأ، ركبت السيارة وتوجهت فوراً نحو دمشق. ووصلت إليها عند الساعة السادسة والنصف تماماً، وأخذت طريقي إلى بيت الرفيق صلاح جديد، وقد كنت أهجس بيني وبين نفسي بأنني ارتكبت خطأ لأنني لم أخبر اللواء حافظ الأسد وزير الدفاع، لكن كيف أخبره وقد أصبحت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، وأنا لا أعرف خطورة الأمر، أو فحوى الموضوع أصلاً. وتوصلت إلى قرار بأنني سأزوره عندما أصل إلى دمشق. حقيقة خفت أن يكون نائماً، وأنني سوف أسبب له إزعاجاً بإخباري إياه أنني سأنزل إلى دمشق بطلب من الرفيق صلاح جديد. المهم وصلت إلى دمشق، وذهبت إلى بيت الرفيق صلاح جديد فجراً، كانت دمشق غارقة في غبشة الصباح، والصمت المديد. طرقت باب بيت الرفيق صلاح جديد، ففتح هو لي الباب بنفسه، كان يرتدي ثيابه الرسمية، يبدو أنه استيقظ مبكراً. وقال لي مرحباً: القهوة جاهزة تعال، وأخذني من يدي إلى صالون البيت. بدا من اللحظة الأولى ودوداً، ولطيفاً. وما أن جلسنا حتى راح يحدثني عن مؤامرة كبيرة تحدث في دمشق، وفي الجبهة.. يقودها سليم حاطوم، وأن هناك تمرداً وقع في لواء قطنا،

في كتيبة دبابات يقودها النقيب محسن عقباني، وكى لا يتطور الموضوع أكثر، تم اعتقال النقيب محسن عقباني. وقال لي: أنت باعتبارك بعيداً عن تعقيدات الأحوال والعلاقات في دمشق، فأنا أطلب منك أن تقدم النصح لسليم حاطوم، وأن تفهم منه أهدافه ومراميه. وقال لي: إنه، أي الرفيق صلاح جديد، قرر أن يذهب مع نور الدين الأتاسي وجميل شيا إلى السويداء للاجتماع بمجلس فرع الحزب هناك، وطلب مني أن أذهب مع سليم حاطوم إلى هناك، وأن ندخل عليهم ونحن معاً، فحين يرانا البعثيون المجتمعون وقد دخلنا إلى الاجتماع، تزول الإشاعات والشكوك التي تثار حول سليم حاطوم بأنه يقود مؤامرة، أو تمرداً. قلت: أنا جاهز لتنفيذ هذه المهمة.



الفصل

الخامس

مؤامرة 8 أيلول 1966

(سليم حاطوم.. التخطيط الفاشل بامنياز)

خرجتُ من عند الرفيق صلاح جديد، وفكري مشغول، فلم أكن أتصور أن الخلافات الموجودة بين أعضاء القيادة، أو بين بعض الضباط ستؤدي إلى تأمر. وكنت أعرف أن بعض أعضاء القيادة ليسوا راضين عن تصرفات سليم حاطوم في مبنى الإذاعة والتلفزيون حيث يسيطر هو على منطقة الإذاعة والتلفزيون. كانت سمعته غير جيدة، وتصرفاته تثير الشكوك حول سلوك بعض البعثيين الذين راحوا يتصرفون على هواهم ووفق أمزجتهم، وحسب ما تقتضيه مصالحهم الشخصية وبتغطية من سليم حاطوم، وأمر كهذا كان يصيب جسد الثورة بجراح عديدة. وأظن أن بعض الانتقادات والملاحظات القاسية وصلت إلى سليم حاطوم، لكنه لم يكن يفعل شيئاً لتصويب سلوكه وسلوك من هم حوله. لقد تملكه بعض الفرور، فأجهزة الإعلام بيده، كما أنه يسيطر على كتيبة المغاوير، وهذان الأمران يعطيانه امتيازاً على الآخرين من الضباط أصحاب الرتب الصغيرة. كما أنني لم أكن أتوقع أن يقوم بعض الضباط بحالات العصيان والتمرد في لواء قطنا، وأن تقضي الأمور إلى الاعتقالات على هذا النحو المتسارع (أعني اعتقال محسن عقباني وزجه في سجن الشرطة العسكرية). لم أشرب عند الرفيق صلاح جديد سوى القهوة الصباحية. وكان قد سألني إن كنت راغباً بتناول طعام الإفطار معه، فقلت له: لا أريد. القهوة كافية.

عند عدنان دباغ في الشرطة العسكرية..!!

حقيقة الأمر أن هذه الأخبار المزعجة تجعل المرء ينسى الطعام أصلاً. ومنذ لحظة خروجي، وضعت في ذهني زيارة عدنان دباغ قائد الشرطة العسكرية. أي أنني لم أفكر بالبيت والأولاد. على الرغم من أنني لم أرَ أسرتي منذ مدة طويلة. عدنان دباغ صديقي، وهو قريب مني، كنت وإياه في مصر، وهناك تعززت صداقتي به، ثم كنا معاً في أحداث حلب 1962، وهو ضابط مظلي مثلي. قلت عليّ أن أذهب إليه لأعرف الأخبار، وعدد المعتقلين، وحقيقة الأسباب التي دعت إلى اعتقالهم. كان مقر الشرطة العسكرية في منطقة البرامكة، قريباً من كلية الحقوق، دخلت من الباب الرئيسي، وقد كان أفراد الحرس يعرفونني لكثرة ترددي على المكان. وذهبت إلى المكتب الذي يتواجد فيها عدنان دباغ، فوجدته مستيقظاً، والساعة لم تصل بعد إلى السابعة والنصف. طبعاً، استغرب عدنان دباغ وجودي في دمشق، فهو يعرف أنني موجود في مدينة حلب، كما استغرب وجودي في مقر الشرطة العسكرية في هذا الوقت المبكر نسبياً. سألتني عن أحوالي، فقلت له: بخير. وسألته عن الأخبار، والاعتقالات، ومحاولات التآمر، فقال: يبدو أن سليم حاطوم يلعب بذيله. توجد اتصالات كثيرة من قبله بالضباط الذين يعرفهم في العديد من المحافظات، والقطعات العسكرية، وهو يحاول أن يفرض شيئاً ما على القيادة وبقوة الضغط. باختصار إنه يحاول التآمر ضد الثورة، ونهج الحزب. واتصالاته حول هذا الأمر امتدت إلى الجبهة، وقطنا، فقد حاول محسن عقباني أن يخلق تمرداً في قطنا، فاعتقلناه، وهو موجود عندي في السجن، هنا..!

طبعاً، كنت أعرف محسن عقباني.. فهو ضابط من دورتي، وهو صديقي أيضاً. لذلك قلت لعدنان: معقول يا عدنان يحدث هذا؟! هل أنت مقتنع بأن محسن عقباني يتآمر ضدنا؟! قال: هذا ما حدث، ومحسن مسجون. سألته:

وما هي أخبار قطننا الآن. قال: نريد استنفار قطاعات الجيش، ولكن ليس بشكل كامل كي لا تتفاقم الأمور أكثر، وكي لا نحدث بلبلة في الجيش، فتحدث صدامات غير محمودة العواقب والنتائج.

أحمد الأمير وسليم حاطوم.. في الشرطة العسكرية أيضاً!!

وبينما كنت أتحدث إلى الرفيق عدنان دباغ، وصل الرائد سليم حاطوم والعقيد أحمد الأمير، وقد فوجئ سليم حاطوم بوجودي، أما أنا فلم أفاجأ بمجيئه هو وأحمد الأمير لأن الأمور في حالة ارتباك، فمجيء سليم حاطوم إلى الشرطة العسكرية حيث يعرف أن محسن عقباني موقوف فيها أمر بدهي جداً. وسبب مفاجأته بوجودي يعود إلى معرفته بأنني في حلب. ومباشرة، سبقني سليم حاطوم إلى الكلام. قال متألماً: أهكذا يا محمد؟! تصور إنهم يقولون إن محسن عقباني متآمر، وقد حبسوه عند عدنان دباغ، فهل هذا يجوز؟! قلت له: طول بالك (أبو ذوقان) كل مشكلة ولها حل. ورحنا ندير الحديث حول الثورة، والانفصال، وحركة 23 شباط، أي أننا لم نخض في حديث خاص حول المزارع والشكوك التي تقول بوجود تآمر ضد الثورة، وأن تحرك محسن عقباني تحرك ليس منفصلاً عن بقية تحركات قد تحدث في بعض المحافظات والجهة. ومضى على حديثنا قرابة ساعة إلا قليلاً، أي أن الساعة أصبحت في حدود الثامنة والنصف تقريباً، لحظتُ، مرت ثلاث سيارات من سيارات القيادة، فرأينا فيها الرفاق نور الدين الأتاسي، وصلاح جديد، وجميل شيا، وذلك لأننا كنا نجلس حول بركة ماء تطلو الكراج الخاص بالشرطة العسكرية، وكان كل ما هو حولنا مكشوفاً، وكنا نرى السيارات المارة بالقرب منا بوضوح شديد. كانت السيارات الثلاث ذاهبة إلى السويداء، حسب ما قاله لي الرفيق صلاح جديد. وهنا بادر سليم حاطوم إلى القول: ها هم

صلاح، ونور الدين، وجميل.. ذاهبون إلى السويداء، فمن يقول إنه يوجد تآمر! ونظرنا إليه بإمعان. فأضاف: لو كان يوجد تآمر لما ذهب أي منهم إلى السويداء. ومضينا في متابعة حديثنا الذي قطعه سليم حاطوم فجأة، وقال: عندي رغبة أن أذهب إلى السويداء. فقلت له مشجعاً: تفعل خيراً، وإن كنت ترغب بمرافقتي سأرافقك! فهز رأسه موافقاً طبعاً، كنت أود أن أشجعه على الذهاب إلى السويداء من أجل أن أدخل وإياه إلى قاعة الاجتماع كما طلب الرفيق صلاح جديد مني، لأن رؤية الناس لنا ونحن ندخل إلى الاجتماع ستبعث الطمأنينة في نفوسهم، وتبعد الشكوك من أن ثمة تآمراً يحاك ضد الثورة. وأضفت: علينا أن نذهب جميعاً إلى السويداء ما رأيكم؟ فقال سليم حاطوم: فرع الحزب في السويداء قلق، ومضطرب، ويوجد لدى أعضائه شعور بأن كل الضباط الدروز مسجونون، وشرع سليم حاطوم يتحدث عن الطائفية. وهنا أردت أن أوقفه كي لا يستفيض لأنني أريد كسب وده. فقلت له: سليم، ما هذا الحديث عن الطائفية. نحن أبناء البعث يا رجل. والبعث وجد من أجل إذابة الطائفية في بوتقة الوطن. ولكي أثبت لك هذا، أريد الآن أن أتحدث إلى وزير الدفاع من أجل إطلاق سراح محسن عقباني. فأمر مثل هذا لا يجوز. فعلاً، أخذت الهاتف، واتصلت باللواء حافظ الأسد وزير الدفاع. قلت له: أنا أتكلم مع سيادتكم من عند عدنان دباغ في الشرطة العسكرية. ففوجئ اللواء الأسد. وسألني: ما الذي أتى بك إلى هنا؟ قلت بهدوء شديد: لقد وصلت الآن، وسأحكي لك. وسألني من يوجد عندي فأخبرته، فقال: تعالوا إلي. وهنا، اقترح سليم حاطوم أن نذهب إلى وزير الدفاع (أنا، وأحمد الأمير، وعدنان دباغ، وسليم حاطوم) من أجل أن ندعو وزير الدفاع، ورئيس الأركان، وبعض أعضاء القيادة، وضباط الجيش لكي نذهب جميعاً إلى السويداء ونتناول هناك طعام الغداء في منزل سليم حاطوم، وبذلك ننهي كل ظن أو شك، وأن أهالي السويداء سيقدرّون عالياً وجود القيادة في ربوعها. قلنا: فكرة جيدة. هيا نذهب إلى وزير الدفاع أولاً من أجل أن يطلق سراح محسن عقباني، ركب

معهم في إحدى سياراتهم، بعد أن أرسلت سيارتي وسائقني إلى البيت. قلت له: قلّ لأُمّ ندى، محمد هنا في دمشق، ولكن لديه عملاً كثيراً، وأنه سوف يأتي بمجرد الانتهاء من أعماله.

حافظ الأسد... بانتظارنا!

دخلنا إلى مبنى هيئة الأركان، وانقسمنا إلى طرفين، ذهبنا وحيداً إلى مكتب وزير الدفاع اللواء حافظ الأسد، وقد وجدته بانتظاري. صعدت إلى المكتب عن طريق الدرج الرئيسي، وليس عن طريق الباب الجانبي، أما سليم حاطوم وأحمد الأمير فقد ذهبا إلى مكتب رئيس هيئة الأركان أحمد سويداني. وبادرني اللواء حافظ الأسد بسؤال سريع: هل سليم حاطوم هو الذي طلب منك أن تتوسط لمحسن عقباني؟ قلت: نعم. قال: قل له هذا التآمر لا يفيد، وأن تحركه مكشوف ومعروف، وإذا كان مصمماً على التآمر فسأقطع له أذنيه، تماماً مثلما يفعل الرعيان بالغنم (سأقطش أذنيه).

كان اللواء الأسد هادئاً جداً، نبرته واثقة، ومعرفته دقيقة بما يقوم به سليم حاطوم. ولا بد أن سليم حاطوم كان مراقباً، لأنه انفعالي يتحدث هنا وهناك وبشكل أهوج. حدثني وزير الدفاع عن اتصالات سليم حاطوم بالضباط. وأن أخبار الجميع لديه، ثم سألتني عن سبب مجيئي من حلب. فأخبرته باتصال الرفيق صلاح جديد وطلبه مني أن أكون عنده في السادسة والنصف صباحاً من أجل هذا الموضوع تحديداً. قال لي: لو أخبرتني لكنت نصحتك بعدم المجيء، لأن سليم حاطوم سيظل يتآمر. قلت له: ولكن سليم حاطوم يدعونا إلى تناول الغداء عنده في السويداء. قال: اذهب معه، ولكن عد بشكل فوري. وتعال إليّ، لأنني أريدك أن تعود مباشرة إلى حلب. قلت: لكنني وعدته بإخراج محسن عقباني من السجن. قال: سيخلي عدنان دباغ سبيله، لأنك وعدته، ولكن عليه أن يذهب إلى بيته، ويوضع تحت المراقبة الدائمة. وأن

يمنع من الخروج منعاً باتاً. ولم يمر وقت طويل حتى دخل سليم حاطوم وأحمد الأمير إلى مكتب وزير الدفاع. فقال له اللواء الأسد: من أجل خاطر محمد، سأفرج عن محسن عقباني.

فعلاً، اتصل وزير الدفاع اللواء حافظ الأسد، مع عدنان دباغ، وأمره أن يفرج عن محسن عقباني، وأن يرسله إلى بيته، والتبّيه عليه ألا يخرج، وأن يعلمه بأنه موضوع تحت المراقبة. والتقت إلينا وقال للرائد سليم: لقد أخبرني محمد أنك ذاهب وإياه إلى السويداء. أرجو ألا تتأخران. فالظروف الحالية تعرفانها، ولا بدّ من التواجد في مواقعنا. ما أن ينتهوا الرفاق من اجتماعاتهم، عودا معهم. وهنا قال سليم حاطوم: لكننا قد نتأخر لأنني، سأقيم لهم حفلة غداء. فقال اللواء حافظ الأسد: هذه ليست مشكلة. تناولوا الطعام وارجعوا فوراً. قال سليم حاطوم: وأنت ستأتي معنا سيدي. فقال اللواء الأسد: لا، أنا دعوني من حفلات الغداء، فالظروف لا تسمح! ويبدو أن أحمد سويداني رئيس هيئة الأركان اعتذر أيضاً.

في الطريق إلى السويداء... مع سليم حاطوم

في سيارة واحدة..!!

ركبت في سيارة سليم حاطوم، بعد أن خرجنا من مكتب اللواء حافظ الأسد، وبعد أن ودعنا أحمد الأمير عند الباب الذي اعتذر أيضاً بسبب أشغاله. كانت سيارة سليم حاطوم من النوع النادر في سورية عندئذ، لأنها سيارة قُدمت هدية لعبد الكريم النحلاوي من المشير عبد الحكيم عامر أثناء الوحدة. ركبت إلى جوار سليم حاطوم الذي كان يقود السيارة، وفي السيارة التي تليها، كان مرافقه. بالإضافة إلى سيارتي لاندروفر، وسيارة فولكس فاغن صغيرة تسيران وراءنا، وبعد أن قطعت السيارة مسافة لا بأس بها. سألتني سليم

حاطوم: ما رأيك أن نأخذ معنا العقيد طلال أبو عسلي؟ قلت: لا بأس! فالعقيد طلال أبو عسلي كان قائد لواء يوم حاول أن يتمرد، وكانت الأجهزة العسكرية والأمنية تبحث عنه، وهو متوارٍ عن الأنظار. أي هارب. ولم أكن أعظم بذلك. لم ينبهني أحد لهذا الأمر. ولكن حدسي هو الذي جعلني أكتشف بأن الرجل خائف، وهارب. فقد ذهبنا إلى داريا، ومنها إلى أشرفية صحنايا وهناك رحنا نبحث عن العقيد طلال أبو عسلي، أذكر أننا دخلنا إلى بناء غير مكتمل البناء، ومن غرفة إلى غرفة حتى وجدنا العقيد طلال أبو عسلي جالساً وحيداً ومنزواً في غرفة صغيرة. وعندما واجهته، سألته: يا رجل.. ما الذي يجعلك تقعد في هذا البناء وحيداً، هل أنت هارب أو مختبئ؟ فقال: أتركها (على الله)! ولم نجلس عند طلال أبو عسلي. فلم يكن في الغرفة سوى سرير واحد ينام فيه، ويقعد عليه. سليم حاطوم؛ قال له: امش معنا. فمشى وكأنه كان جاهزاً ينتظر مجيء سليم حاطوم. ركب معنا في السيارة. جلس في الصف الخلفي.. بينما جلست أنا إلى جوار سليم حاطوم الذي كان يقود السيارة. وسألني سليم حاطوم: هل نمر بالمقدم عزت جديد وندعوه إلى الغداء (عزت جديد كان موجوداً في اللواء سبعين على طريق الكسوة) فقلت له: إن دعوته سيقتذر، ونحن كي لا نتأخر، علينا أن نمضي سريعاً قبل أن ينتهي اجتماع القيادة بفرع الحزب. فوافقني على رأسي. ومضت السيارة بنا في طريق السويداء شهاباً. وقد لاحظت أن سليم حاطوم يشرد وهو يسوق السيارة لعله كان يفكر بأمر ما. لذلك قلت له: أبو ذوقان أراك شارداً وأنت تقود السيارة. إن كنت تعبان دعني أسوق السيارة عنك. فقال: لا. أنا على ما يرام.

طبعاً، كنت خالي الذهن من أي شيء يمكن أن يقوم به سليم حاطوم، لذلك وزيادة في الطمأنينة، سحبت مسدسي منذ ركبت في السيارة إلى جواره من حزامي، ووضعت في داخل حقيبة السيارة الأمامية (التابلو). أي أنني بقيت من دون سلاح فردي.

سليم حاطوم يفكر.. بنصفين في حرش (قنوات)!

اجتزنا قرية شهباء بمسافة ليست قليلة، فأوقف سليم حاطوم السيارة داخل حرش صغير، يقع بالجوار من قرية (قنوات). أوقف السيارة، وقال: رأسي يؤلمني كثيراً. وخرج من السيارة ومشى نحو مرافقه في سيارتي اللاندروفر، والفولكس فاغن. ووقف معهم قليلاً من الوقت، وحدثهم. ثم رجع إلى السيارة. بدا لي مضطرباً، ومتربداً في فعل شيء ما. قلت له مرة أخرى: أبو ذوقان إذا كنت تشعر بالتعب، دعني أسوق السيارة يا رجل! فقال: لا، سأسوقها بنفسني. واندفع بالسيارة مرة أخرى باتجاه السويداء. فجأة، وبعد مسافة قصيرة جداً، ونحن مازلنا في داخل الحرش، أوقف السيارة مرة ثانية بعد أن كان مسترسلاً في صب جام غضبه على الرفيق صلاح جديد. راح ينتقد صلاح جديد بشدة، ويمتدح حافظ الأسد. كما كان ينتقد صلاح البيطار بقسوة، ويمتدح ميشيل عفلق. ولم ينج من لسانه وغضبه ضباط مثل عزت جديد، وشفيق عبده، وسليمان العلي. نزل من السيارة، مشى بين أشجار الحرش، ثم عاد. كان قلقاً ومتوتراً. وسألته أن أقود السيارة بالنيابة عنه مرة أخرى إلا أنه رفض، وقال لي: إن الطائفية متغلغلة في الجبهة، وفي قطاعات الجيش المختلفة. وأضاف: دع العقيد طلال أبو عسلي يروي لك العجائب عن الطائفية. أسأله ماذا فعل به سليمان العلي. وهنا بدأ طلال أبو عسلي يتكلم ويتكلم إلى درجة أنني غضبت، وما عدت قادراً على الاستماع إليه. فقد تحدث عن الطائفية بشكل مؤلم وموقع معاً. فقلت له: ما هذا الذي تقوله؟! وما دور الحزب والثورة في دمج هذه الطائفية في بوتقة مجتمع الثورة. العقلاء لا يتحدثون عن الطائفية وإنما عن الوطن. ومع ذلك استمر هذا الحديث عن الطائفية مسافة الطريق المتبقية إلى السويداء. كانت الساعة قد اقتربت من

الثانية عشرة ظهراً. لذلك ذهبنا مباشرة إلى قيادة الفرع، إلى القاعة التي كان فيها الاجتماع، أي حيث يوجد الرفاق صلاح جديد، ونور الدين الأتاسي، وجميل شيا. ودخلنا إلى الاجتماع من دون إذن. وعندما دخلنا، أنا وسليم حاطوم... وقف المجتمعون وصفقوا. فصرخ بهم نور الدين الأتاسي: اقعدوا يا رفاق، نحن في اجتماع حزبي. طبعاً طلال أبو عسلي دخل معنا إلى قيادة الفرع، لكنه لم يدخل إلى قاعة الاجتماع. كان البناء الذي يضم المجتمعين تابعاً للحرس القومي، وأنا قائد الحرس القومي. ولم نجلس في قاعة الاجتماع، لأننا لم نكن مدعوين للاجتماع أصلاً، الرفيق نور الدين الأتاسي الذي كان يدير الاجتماع، قال لنا: اجتماع حزبي.. من فضلكما.. انتظرا قليلاً. لذلك عدنا وخرجنا مثلما دخلنا، وكأن المطلوب منا هو أن يرانا المجتمعون لتولد الأثر الإيجابي في نفوسهم وحسب. خرجنا، ودخلنا إلى مكتب قائد الحرس القومي في السويداء، فرحب قائد الحرس القومي بنا، وأحضر لنا فواكه، وقد فوجئ بوجودي مع سليم حاطوم. جلس سليم حاطوم قليلاً، ثم استأذن مني لأنه - كما قال لي - سيذهب إلى أهله من أجل الاطمئنان على جاهزية طعام الغداء.. وخرج. وقد أخذ معه العقيد طلال أبو عسلي. ولم تمض سوى نصف ساعة، حتى اتصل سليم حاطوم بي حيث كنت موجوداً في مكتب قائد الحرس القومي في السويداء. قال لي: أنا في فرع المخابرات العسكرية. لدي أصدقاء، هم قادة كتائب اللواء في السويداء. أخبرتهم بأن محمد إبراهيم العلي موجود هنا، فأحبوا أن تأتي إليهم ليروك. ما رأيك؟! قلت: أنا قادم فوراً.

الفرع الفخز..!

فعلاً، قمت من فوري، وذهبت إلى فرع المخابرات العسكرية. ولم تكن المسافة الفاصلة بين مقر الحرس القومي في السويداء ومقر فرع المخابرات العسكرية.. كبيرة، فقطعتها مشياً. دخلت إلى فرع المخابرات العسكرية

فاستقبلني الملازم أول عبد الرحيم بطحيش رئيس الفرع، وهو من مدينة النبك، رحب بي، ودخلت إلى مكتبه فوجدت مائدة عليها الطعام، وشراب الويسكي. ومن حولها الضباط المقدم علي مخلوف، والرائد أحمد حسن، والنقيب علي غانم، وفي صدرها يجلس سليم حاطوم، سلمت عليهم جميعاً. وقد عرفت فيما بعد أن سليم حاطوم هو من استدعاهم. قال لهم: لدي محمد إبراهيم العلي، وهو يرغب بأن تأتوا للسلام عليه. حقاً، فرحت بوجود هؤلاء الضباط، فأنا أعرفهم جيداً، وهم أصدقائي. وبحرارة بادية دعاني سليم حاطوم إلى أن أجلس إلى جواره، قال لي معترفاً: جئت إلى هنا، فوجدت هذه المائدة، فأكلت بعض اللقيمات، (حقيقة، حين دخلت، رأيته يأكل ويشرب الويسكي مع الضباط الموجودين) وأضاف مرحباً: اقترب وكل.. لأنك لم تتناول طعام الإفطار بعد. فعلاً لم أكن قد ذقت شيئاً في ذلك النهار باستثناء القهوة في بيت الرفيق صلاح جديد. ما أن جلست، ووضعت أول لقمة في فمي (وكان الطعام عبارة عن لحم مشوي، وسلطة، وبعض المقبلات) حتى نهض سليم حاطوم معترفاً لكي يغسل يديه، وقد سبقني في تناول الطعام. طبعاً، مادامت توجد صداقة، فأنا مطمئن، لذلك لم أسجل عليه أية ملاحظة.. ولكن يا للمفاجأة، فما أن خرج، حتى دخل علينا الملازم أول عبد الرحيم بطحيش ومعه ثلاثة ضباط.. وهم يشهرون السلاح في وجوهنا. أمرونا بجلافة وقسوة أن نرفع أيدينا، وأن نرمي أسلحتنا الفردية..!! الضباط الثلاثة قادة كتائب لواء السويداء، رموا أسلحتهم الفردية (المسدسات)، أما أنا فلم يكن معي مسدسي، لأنني وضعت في الحقيبة الأمامية (التابلو) لسيارة سليم حاطوم. أخذوا المسدسات، وخرجوا. أغلقوا باب الغرفة علينا، ورحنا نتبادل النظرات المحيرة ونحن نسمع إطلاق نار، في سماء السويداء، ابتهاجاً بنجاح حركة سليم حاطوم ذلك لأننا بدأنا نسمع هتافات مؤيدة له. فسألنا الحراس عما حدث، فقالوا: أبو ذوقان أصبح وزيراً للدفاع، وأميناً عاماً للحزب. قلت: وصلاح جديد ونور الدين الأتاسي، قالوا: الله يرحمهما، إنهما تحت الأرض!!

كانت الغرفة التي نحن فيها مسيجة بقضبان حديد حول النوافذ، والباب، أي أن الخروج منها شبه مستحيل. وبعد أن تضاغت أصوات إطلاق النار، قدرنا أن سليم حاطوم أعطى أوامره باعتقال الرفيقين صلاح جديد ونور الدين الأتاسي، في اللحظة التي تم فيها اعتقالنا.

وكان أن نقلنا رئيس فرع المخابرات العسكرية الملازم أول عبد الرحيم بطحيش إلى غرفة ثانية لا توجد فيها هواتف، أي أنه نقلنا إلى غرفة جرداء. كانت أصوات إطلاق النار تسمع بين حين وآخر. والضجيج يتناهى إلينا. لقد أحسست باضطراب الضباط الثلاثة، قادة الكتائب في لواء السويداء. وقد عرفوا أنهم وقعوا في فخ سليم حاطوم كما وقعت فيه أيضاً. لذلك قلت لهم: لا تخافوا، ولا تضطربوا حتى نعرف النتائج، فقالوا بأسى: أية نتائج. المسألة صار فيها اعتقال وموت. فقلت لهم: ليس مهماً، إن متنا نكون متنا، وإن لم نمت سنواصل مسيرة الثورة. المطلوب الآن هو أن تتماسكوا، وألا تتهاروا.

فعلاً أثرت كلماتي فيهم. فتماسكوا، وقد كان أكثرهم جرأة وتماسكاً النقيب علي غانم. طبعاً كانت الانتقادات منصبية على سلوك بعض الحزبيين الذين يقومون بتصرفات قرصنة هدفها تخريب الحزب مثل الحركة التي يقوم بها سليم حاطوم الآن.

اللواء حافظ الأسد.. ومكالمة هانفية حادة!!

بعد حوالي 40 دقيقة رنّ جرس الهاتف في غرفة رئيس فرع المخابرات العسكرية. فردّ الملازم أول عبد الرحيم بطحيش. كنا نسمع صوته. يقول: احترامي سيدي. ثم قال: أرجوك سيدي لا داعي للطيران. هنا عرفت أن من يتكلم معه هو وزير الدفاع اللواء حافظ الأسد. وسمعتة يقول: إن شاء الله لن

يحدث إلا ما تريدونه سيدي. نتمنى ألا تحدث مجزرة يا سيدي. أرجوك لا تهددنا يا سيدي.. طبعاً الأحاديث الضاجة في الشارع، التي كانت تصل إلينا، نتحدث عن احتلال دمشق، وأن الجبهة مع سليم حاطوم، وأن قطننا معه أيضاً. بل، الجيش بكامله معه. وما علينا إلا أن ننتظر بياناً من إذاعة دمشق يوضح الأمر، لقد بدأت مكبرات الصوت تذيع هذه الأخبار في شوارع السويداء.

تلك المكالمات أراحت نفسي. وجعلتني أطمئن أكثر، فلو كان سليم حاطوم مسيطراً على دمشق لما جاء إلى السويداء. وكل هذه الحركة التي يقوم بها ليست إلا مساومة من أجل غايات تخصه. لذلك قلت للشباب الضباط: لا تقلقوا. المحاولة فاشلة 100٪، أما قصة أن نموت أو لا نموت فهذه فلا أستطيع تأكيدها أو نفيها. وأتمنى إذا جاب الطيران أجواء السويداء ألا يقصفها، فإذا ما قصفها سنموت مع الآخرين.

أنا وضباط آخرون.. في سجن فنوان!!

مرت علينا ساعة أو ساعتان. ثم جاؤوا إلينا، أخذوا الضباط الثلاثة، إلى أين؟ لا أدري، وتركوني وحيداً في الغرفة. وبعد ساعة أو أكثر، عادوا إليّ، فتحوا الباب، وقالوا لي: شرف. قلت إلى أين؟ فقالوا: شرف. أركبوني في سيارة لاندروفر، فيها عدد من الحراس، وانطلقوا بي إلى قرية قنوت، وهناك احتجزوني في غرفة كبيرة، كان قد سبقني إليها الضباط الثلاثة. كانت غرفة مبنية حديثاً، نوافذها لاتزال من دون شبابيك، ولكنها مسيجة بقضبان حديدية أي أنها من دون بلور. كنا نسمع صوت راديو يحمله أحد حراسنا. أصوات متتالية (للمرش) العسكري. بالمصادفة المحضة كان سجاننا عريفاً أعرفه، كان يخدم عندي في سرية المظلات، واسمه محسن خضير. وقد سجن معي حوالي سنة لأنه كان من جماعة التنفيذ في أحداث حلب 1962. كنت أسأله: محسن، ما الأخبار؟ فيقول لي: لقد سيطروا. سيطر أبو ذوقان! لكنني لم أكن مقتنعاً

بكلامه. كان يكذب. النقيب علي غانم كان يقترب مني، ويسألني عن رأيي بما يحدث. فأقول له: علي.. صدقتي إنها حركة فاشلة.. لو لم تكن فاشلة لما أتوا بنا إلى هنا بعيداً عن السويداء، ولو كانت ناجحة لقام هذا العريف (الوبش) بإسماعنا إذاعة دمشق وهي تذيع بيانات عن نجاح الحركة. ولأنها فاشلة، فالعريف.. ي بقي الراديو بعيداً عنا. كنا، ومن سجننا الجديد في قرية (قنوات) نسمع أصوات الطيران. وبعد الغروب، فُتح باب الغرفة، ودخل علينا عدد من الضباط. جاؤوا بهم من منطقة إزرع. لقد أمر سليم حاطوم باعتقالهم، وبذلك صرنا أكثر عدداً في السجن، كما صرنا في حالة شوق لمعرفة ما يجري في الخارج.

أخي أحمد العلي.. مصاباً بطلق نارٍ!

كانت، في منطقة إزرع، كتيبتان، الأولى: مشاة، والثانية: دبابات. ويبدو أن المنطقة تعرضت لمحاولة السيطرة عليها من قبل جماعة سليم حاطوم، فتم اعتقال ضباط ثلاثة، وكانوا غير حزينين، وهم منير إبراهيم، ومنير صقر، والضابط الثالث نسيت اسمه وكان برتبة مرشح. وحين سألناهم من اعتقلهم. قالوا: سليم حاطوم، وقد شاهدوه في إزرع. واستغريوا هذا التصرف من سليم حاطوم لأنهم ليسوا بعثيين. سألتهم: هل رأيتم سليم حاطوم؟ قالوا: نعم، رأيناه في إزرع. قلت: وهل بقي في إزرع؟ قالوا: لا، اعتقلنا، ثم عاد إلى السويداء. وسألتهم ثانية: ومن اعتقلوا معكم من الضباط أيضاً؟ قالوا: أحمد العلي! قلت: أحمد العلي أخي؟ قالوا: نعم.

أحمد العلي كان ضابطاً برتبة ملازم، موجوداً في إزرع. قلت لهم: وأين هو الآن؟ قالوا: هرب بوساطة سيارة مدنية. أطلقوا النار عليه، فهرب، أوقف سيارة تكسي مدنية (أجرة) فيها عدد من الركاب. أزاح السائق، وقاد السيارة بدلاً منه على الرغم من صياح الركاب وخوفهم، وهرب بالسيارة. وقد أطلقوا

النار على السيارة، ولا ندري إن كان قد أصيب، ولكن سمعنا أن أحد ركاب السيارة قتل. قلت: أما سمعتم عنه شيئاً بعد هروبه؟ فقالوا: سمعنا أن سليم حاطوم اعتقله. وهو موجود لديه!

طبعاً، كنا في تلك اللحظة نقرب من منتصف الليل، ونحن في حالة من الحيرة، والمخاوف، والانتظار، والترقب. ذلك لأن أخبار الإذاعة مقطوعة. فلا نعرف ماذا حدث بالضبط، وكيف تطورت الأمور. لم يكن لدينا من معلومات جديدة سوى أن سليم حاطوم سيطر على منطقة إزرع أيضاً. وأن ضباطها معتقلون معنا، وأخي أحمد العلي معتقل، أيضاً في مكان ما.. عند سليم حاطوم!

وبينما نحن في هذه الهواجس، والحيرة. وقد اقتربنا من منتصف الليل، كما قلت، فتح باب غرفتنا، ودخل أحمد العلي، أخي، فهرعت إليه، فأحس أنني متفاجئ بوجوده، فقال: أنا في حالة ذهول، كل ما أعرفه أنك موجود في حلب. فكيف جئت إلى هنا ومتى؟ قلت له: طوّل بالك، سأحكي لك القصة كاملة، ولكن أراك متألماً، ما الأمر؟ قال: أصبت بطلق نار في خاصرتي، وكشف لي عنه. كانت إصابته خفيفة، وجرحه سطحي، رأيتة ملفوفاً، وعليه (مكروكروم). قلت له: قل لي ما الذي حدث بالضبط. قال: سليم حاطوم يريد السيطرة على قوات إزرع، ووضعها تحت قيادته، فرفضنا. جاء إلينا مفاوضاً، ثم، وبعد أن دار الحوار بيننا أوعز إلى عناصره باعتقالنا. واستطاع أن يعتقل بعض الضباط، وأشار إلى الضباط الموجودين معنا في غرفة السجن (في قرية قنوات) بينما تمكنت من الإفلات. أوقفت سيارة تكسي (أجرة) بقوة السلاح، ثم سحبت سائقها من داخلها، وقدمتها بنفسها، والركاب موجودون فيها، وقد لحق بنا رصاص جماعة سليم حاطوم، فقتل أحد ركاب السيارة، وجرح. ثم أخذوني إلى سليم حاطوم. لي أكثر من ساعتين أناقشه حول ما قام به. أقول له: إن فعله غلط، فيحدثني عن الطائفية. وقد دهشت حين قال لي إنك عنده في

السويداء. قلت له مستحيل. محمد في حلب، ما الذي جاء به إلى السويداء. قال: محمد معنا. عليك ألا تتمرد. لم أصدق له لأنني أحسست بأنه يكذب، لذلك قلت له فوراً: إذا كان محمد معك فهو متآمر مثلك وساقاتلك أنت وإياه. فالوطن والحزب أهم من أخي. سوف أطلق النار على أخي أولاً. حاول كثيراً، ولكن دون جدوى، وأخيراً أمر باعتقالي فجاءوا بي إلى هنا! وضحكنا!

لقد أحسست أن عمل سليم حاطوم فاشل جداً، فهو إن كان يحاور أحمد العلي ساعتين ولا يقنعه، فما هي حالته مع الآخرين إذا؟ لقد أدركت أن فشل محاولة سليم حاطوم آت لا محالة.

في هذه الأثناء، كان البرد شديداً جداً، ويبدو أن أخي أحمد يعرف أمين فرقة حزبية من قرية قنوات فسأل الحراس عنه، فقالوا له إنه صاحب الغرفة التي أصبحت سجناً لنا. فطلب من الحارس أن يخبروه بأن أحمد العلي معتقل، في الغرفة، وأن الدنيا برد، وهو يريد حرامات من أجل أن يتغطى بها المعتقلون. فأخبروه. واستجاب الرجل لطلب أحمد العلي. فجاءت البطانيات، كما جاء الطعام. خبز، ودبس، ولبن مصفى. ولم يقترب أحد من الطعام سوى أحمد العلي. تربع في وسط الغرفة، وراح يأكل وكأن لا مشكلة تحدث في الخارج، أو لكانه غير مصاب أيضاً.

الحراس ينشاجرون، ويطلقون النار...!!

فجأة، ونحن في هذه الحال تشاجر الحراس في الخارج، وأطلقوا النار فيما بينهم. وعلا الصياح، وثار الضجة. وهنا صرخت بالعريف محسن خضير. سألته عن ما يجري في الخارج، ولماذا يطلقون النار؟ فقال: لقد جاء عدد من العناصر من عند سليم حاطوم يريدون حراسة الغرفة، أي السجن، ولكنني منعتهم. قلت لهم: أنا مكلف بالحراسة مع عناصر، وأي إنسان يقترب

من هنا سأطلق النار عليه. لدي أوامر بأن ما من أحد يقترب إلا بأمر مباشر من سليم حاطوم. والصراحة أنني خفت من هؤلاء الحراس الجدد، فأنا لا أعرفهم، أحسست أنهم جاؤوا بصفة حراس من أجل أن يقتلوكم. قلت: ماذا؟ قال: هكذا أحسست، لكنني خوفتهم، وأطلقت عليهم النار، فعادوا. وسوف أ منع أيأ كان من الاقتراب منكم حرصاً مني على سلامتكم! فقلت لمحسن خضير: انتبه يا محسن، لا تطلق النار على أحد، كي لا يطلقوا النار عليك وعلينا فنذهب (فرق عملة). قال: اطمئن سيدي!

طبعاً، حالة بعض الضباط داخل الغرفة كانت صعبة جداً، بعضهم انهار بفعل الضغط، والقلق، والخوف من المجهول. وبعضهم شتم الحزب وما آل إليه، وصاح بأعلى صوته خائفاً كذا.. كذا. أما أشجعهم حقيقة فقد كان النقيب علي غانم قائد كتيبة مشاة في السويداء، فقد ظل متمسكاً هادئاً، وناقش بموضوعية كاملة. فنحن لا ندري ماذا نفعل غير الانتظار. لا بد أن جزءاً من الغموض يلف محاولة سليم حاطوم. ورحنا نتساءل، هل حقيقة قتلوا صلاح جديد، ونور الدين الأتاسي؟ ولكن من دون إجابات. كان لدينا مجرد توقعات، أما صوت الإذاعة فهو غير مسموع إلا على شكل همهمات مشوشة تصل إلينا من راديو محسن خضير، الذي يعتمد ألا يسمعنا شيئاً من الأخبار.

مفاوضات.. نبشر بفشل المحاولة!

في وقت الفجر تقريباً، في حوالى الساعة الرابعة صباحاً، جاء إلينا أمين فرع الحزب بالسويداء عبد الكريم عزي. جاء إلينا من أجل أن يقول لنا إننا في أيدي أمينة، وأن التعليمات تقضي بعدم التعرض لحياة أي واحد منا. ولكنه غير مخول بإخراجنا، كما أنه لا يعرف متى سنخرج. وأنه لا يملك أي معلومات عن سليم حاطوم، ولا يعرف أيضاً أية تطورات جديدة. وقال علينا أن نرى سليم حاطوم ونتفق معه. قلت له: وأين هو سليم حاطوم؟ فقال: لا أدري.

قلت: كيف سنتفق إذا؟ قال: لا أدري. وخرج. شعرنا بقوة أن هذه المفاوضات تعني تأكيداً لفشل محاولة سليم حاطوم. فلو نجح، لو سيطر، لكانت لهجة أمين الفرع ليست كهذه اللهجة الاستعطافية التي جاء بها. بل لما كانت المفاوضات أصلاً. وكلامه حول الأخوة، وأبناء الوطن الواحد، وأبناء ثورة وحزب.. إنما يدل على ضعف الموقف في السويداء، وضبابية المعلومات حول سليم حاطوم. فلو نجح في حركته لأذاعت الإذاعة أخباره، وهو الذي - كما قيل لنا - أنه يسيطر على الإذاعة في دمشق، ولو نجح فعلاً.. لقامت الأفراح والابتهاجات في مدينة السويداء وقراها. باختصار، كان مجيء أمين الفرع إلينا يشير ولو على نحو تقريبي أن سليم حاطوم مُني بالفشل الذريع. لكن ما من شيء مؤكد. إحساسنا هو الذي يجعلنا نصل إلى هذه القناعة.

بعد خروج أمين فرع الحزب، جاء آخرون من السويداء. قالوا لنا: الأمور تعقدت أكثر. وما من أحد يعرف مصير سليم حاطوم، ولا الظروف التي تحيط به. وطلبوا منا أن نساعد سليم حاطوم، وأن نتعاون معه من أجل إيجاد حل للمشكلة، وتسوية الأمور قبل أن تتفاقم. وإلا فإنهم لا يستطيعون منع أي مكروه قد يصيبنا. هنا تغيرت اللهجة. أصبحت أشبه باللهجة الوعيد والتهديد. وهنا قلت لهم بقوة: أنا غير مستعد للتعاون مع سليم حاطوم، ولن أقف معه. هذا رجل غدار، وقد خان الروح الرفاقية. وأعلمكم بأنه لن ينجح. وأن الثورة باقية. وستأتيكم أخبار فشله في الصباح مع طلوع النهار.

كنت أتحدث بثقة كبيرة، من دون خوف أو ارتباك. وكان آخر ما قلته لهم: إنني وحالما أخرج من هذا المكان سأكون ضد سليم حاطوم مثلما أنا هنا في هذا السجن الحقيقى ضده (حتى العظم). وقد احتدم النقاش و طال، فيما بيننا، إلى وقت الفجر.

قائد الحرس القومي في السويداء.. يغير موقفه كذباً!!

وبينما نحن كذلك، حدثت ضجة خارج غرفة السجن، وعلا الصياح فيما بين الحراس في الخارج. وقد عرفت أن قائد الحرس القومي في السويداء جاء إلى قرية (قنوات)، أي إلى السجن كي يحررني. سمعته يقول لهم: أنا لا أقبل، ولا أَرْضَى أن يسجن (معلمي) قائد الحرس القومي في سورية، ويجب أن يخرج فوراً.

دهشت حقيقة من هذا التصرف المتقلب، فقائد الحرس القومي في السويداء، الذي كنت عنده في الظهيرة، هو نفسه مع سليم حاطوم، فيما الذي تغير! هنا، ازدادت قناعتني بفشل محاولة سليم حاطوم. وكاد الاشتباك بالأسلحة يقع ما بين قائد الحرس القومي في السويداء وحراسنا، وقد كان برفقته حوالي عشرة مسلحين. أحسست أن هذا الضابط يقوم بمسرحية رخيصة، لذلك لم أتدخل. بعد هذه (الهمروجة) عاد إلينا أمين فرع الحزب بالسويداء الذي جاء إلينا قبل ساعات. جاء ليقل لي شخصياً: إن سليم حاطوم هرب! واللّه وحده يعلم في أي مكان هو الآن! وقال أيضاً: إن صلاح جديد ونور الدين الأتاسي وجميل شيا بخير، وجميعهم موجودون في بيت أهل العقيد طلال أبو عسلي وذلك على اعتبار أن عائلة (أبو عسلي) هي من العائلات الكبيرة في السويداء. لقد أصرّ الرفيق جميل شيا على أن يذهب هو، مع الرفيقين نور الدين الأتاسي، وصلاح جديد إلى بيت (أبو عسلي).. كمكان اعتقال لهم بعدما أراد سليم حاطوم ذلك. ووجود هؤلاء القادة في بيت عائلة (أبو عسلي) يشكل حماية لهم، فما من أحد يجرؤ على اعتقالهم أو إلحاق الأذى بهم. وقد أراد سليم حاطوم الحوار معهم، فرفض الرفيق صلاح جديد رفضاً تاماً، قال بوضوح شديد: لن أحاور أو أفوض أو أتحدث إلا للقيادة في دمشق. وقال أمين فرع الحزب لي: لعله يعتقد بأنهم سافروا إلى دمشق في هذه اللحظات. أو أنهم

سيتريثون قليلاً ليعرفوا كل الملابس، والظروف ثم يغادرون السويداء إلى دمشق.

فاوضوني لكي أخرج من السجن وحدي.. فرفضت!!

وهنا، طلب مني متمنياً أن أوافق على الخروج من السجن وحيداً، وأن أذهب إلى قيادة الحرس القومي في السويداء. فرفضت. قلت له: لن أخرج وحيداً من دون هؤلاء الضباط، فهم رفاقي. وإن كان لابد من الخروج فيجب أن نخرج جميعاً. قال: ليست لدي أوامر أن تخرجوا جميعاً، اخرج أنت الآن لأننا بحاجة إليك كي لا تتفاقم الأحداث أكثر لأن قوة عسكرية كبيرة تتقدم عن طريق شهباء، وهي تريد احتلال السويداء، وقصفها بالمدفعية، وأن تنهي تخوف الأهالي من قصف الطيران للمدينة إذا ما طلع النهار. قلت له: هذا هو قراري. لن أخرج من السجن وحيداً. يجب أن يخرج رفاقي معي. أي أن لا يبقى أحد في هذه الغرفة التعميسة. قال: أرجوك (أبو الندى) لا نريد أن نعيد مآسي الشيشكلي التي مازالت ذيولها باقية إلى يومنا الراهن. قلت له: هذا هو قراري. وعليه أن يعود إلى أصحاب القرار ويبلغهم رأيي. قال: الموقف غامض، ونتخوف من عودة سليم حاطوم. قد لا يكون هارباً كما يتحدث الناس عنه. قلت: لن أخرج وحيداً. ها أنذا قاعد في هذه الغرفة فلا أخرج منها إلا بخروج رفاقي جميعاً.

إطلقوا سراحنا.. فجراً!!

فعلاً، في حوالي الساعة السادسة والنصف صباحاً من يوم 9 أيلول 1966 خرجتُنا أخرجونا، جاءت سيارات لاندروفر، أخذت الضباط إلى قطعاتهم العسكرية، أي أعادوهم إلى إزرع بعد أن ودعتهم، وذهبت في سيارة لاندروفر

تابعة للحرس القومي مع أمين الفرع عبد الكريم عزي باتجاه شهباء حيث أخبروني بأن المقدم سليمان العلي يتقدم نحو السويداء ومعه لواء فيه دبابات ومدفعية، ومغاوير ومشاة؛ فعلاً، ما أن قطعت سيارتنا اللاند روفر مسافة قصيرة حتى التقينا بقوات استطلاع اللواء المتقدمة على مبعده قليلة جداً من قرية (قنوات) حيث كنت مسجوناً، أي أن قوات اللواء باتت لا تبعد عن السويداء سوى عشرة أو خمسة عشر كيلومترات فقط. كانت قوات اللواء قد تحركت من الكسوة.

مكالمة ميجانية.. مع اللواء حافظ الأسد!!

حين وصلت إلى قوات اللواء، ذهبت إلى مقر قائد اللواء وهو عبارة عن خيمة بداخلها هاتف. رحّب قائد اللواء المقدم سليمان العلي بي. وهنأني بالسلامة. كانت معنوياته قوية جداً، والغضب يملكه. قلت له: سيادة المقدم أوقف القوات، فلا داعي للتقدم باتجاه السويداء. فالناس في حالة رعب، وهم متخوفون جداً. إنهم يستعيدون الأحاديث عن مآسي الشيشكلي يا رجل! فقال بغضب: لا، لن أوقف القوات إلا إذا جاءني أوامر من وزير الدفاع شخصياً. علينا أن نربي هؤلاء الضباط الذين يتحدثون باسم الطائفية، وعلينا أن نقضي على هذه الظاهرة. قلت له: دعني أتحدث إلى وزير الدفاع. قال: تفضل: فأخذت الهاتف، واتصلت باللواء حافظ الأسد. قال لي: خرجت؟! قلت: نعم خرجت. قال: الحمد لله على السلامة. قال: ما هي الأخبار؟! قلت: أنا عند المقدم سليمان العلي. وأنا أرى ألا تتقدم القوات إلى السويداء، لأن تقدمها سيخلق مشكلات لا حصر لها، فالناس خائفون. وسليم حاطوم هرب. علينا أن نطمئن السكان بأنهم غير مستهدفين. قال: هذا هو رأيك. قلت: نعم. وسوف أعود إلى المدينة وألتقي الناس وأتحدث إليهم من أجل أن يطمئنوا. قال: لا، لا تعد إلى المدينة. غيرك سيذهب إلى هناك. المهم هو أنني قلت لسليمان العلي:

تكلم مع وزير الدفاع. فقال له: اعط محمد سيارة لكي يصل إلي فوراً، قل له لا يتوقف إلا في مكنتي. وأنت أوقف القوات، وأبق في مكان تمررك بانتظار الأوامر. ثم قال له: أعطني محمد! أخذت سماعة الهاتف، وقلت: نعم سيدي. فقال: محمد، قلت لسليمان يعطيك سيارة، تركبها فلا تتوقف إلا عندي في الأركان. ثم تحدث إلى سليمان العلي مرة ثانية، قال له: ممنوع إطلاق طلقة واحدة باتجاه السويداء أو باتجاه إحدى قرأها. يجب ألا يؤذى أحد. فقد هرب سليم حاطوم، ولا داعي لأن نغرق الجروح أكثر.

في طريق العودة من السويداء إلى اللواء حافظ الأسد!!

ودعت المقدم سليمان العلي، وركبت السيارة، وانطلقت بها إلى دمشق، إلى مقر قيادة هيئة الأركان، ولم أتوقف فعلاً إلا عند مكتب وزير الدفاع. دخلت إليه فوجدت عنده أعضاء القيادة القطرية جميعاً مجتمعين، ومن بينهم الرفاق نور الدين الأتاسي، وصالح جديد، وجميل شيا بعد أن أفرج عنهم. فوقفوا جميعاً لاستقبالي وهنأوني بالسلامة. وقال اللواء حافظ الأسد: خفت عليك كثيراً لأنني ما عدت أعرف إلى أين ذهبوا بك. بينما عرفت أن الرفاق صالح ونور الدين كانا مع الرفيق جميل شيا في بيت (أبو عسلي) وقد تحدثت إليهم عبر الهاتف. (وقد عرفت فيما بعد أن سائق الرفيق صالح جديد هو من أخبر وزير الدفاع بما حدث في السويداء، عندما هرب بسيارته باتجاه منطقة الكسوة). وسألني اللواء حافظ الأسد: أخبرنا بما جرى؟! فحدثت الجميع عن الليلة السوداء التي قضيناها في سجن قرية (قنات)، وأخبرتني عرفت فيما بعد أن سليم حاطوم حاول تصفيتي مرتين في الحرش القريب من السويداء، ولأنني خلو من أي شك تجاهه وضعتُ مسدسي في حقيبة سيارته

الأمامية (التابلو). قال وزير الدفاع، وهو يهز رأسه: الآن، الحمد لله على السلامة.

وسألني: كم يستغرق سفرك إلى حلب من وقت؟ قلت: خمس ساعات تقريباً. قال أريدك بعد خمس ساعات أن تتكلم معي من حلب. ونهضوا جميعاً وودعتهم، وخرجت، والأفكار تعصف برأسي. مررت، وأنا في طريقي إلى حلب، ببיתי. سلّمت على زوجتي أم ندى. قلت لها إنني بخير (وذلك لأن الإذاعة أذاعت اسمي من بين المعتقلين في السويداء) فوددت أن أطمئنها، وقلت لها إنني ذاهب إلى حلب مباشرة. وعليها أن تطمئن. ومضيت، والأفكار تجول في رأسي شرقاً وغرباً.. وبعد خمس ساعات تكلمت مع اللواء حافظ الأسد وزير الدفاع. قلت: سيدي أكلّمك من حلب(*)!

(*) خطة حركة سليم حاطوم في 8 أيلول:

عقدت اجتماعات متعددة للمتأمرين غايتها البحث في تفاصيل الخطة العسكرية، وبعد المناقشات التي استغرقت ساعات طويلة، تم الاتفاق فثائياً على وضع الخطة في كافة المناطق والقطعات العسكرية وهي خطة مركزية تعتمد على ما يلي:

1- تقوم كتيبة سليم حاطوم بالانقضاض على القيادة القطرية والأركان والإذاعة، وتجميد مدرسة المدرعات في القابون.

2- تقوم قوات قطنا بعد السيطرة عليها وقتل واعتقال الضباط المواليين لقيادة الحزب، بالتحرك في اتجاهين الأول باتجاه الصبورة على شكل مجموعة تضم مدرعات ومشاة ومدفعية باتجاه محطة الإذاعة في الصبورة لاحتلالها والسيطرة عليها.

المجموعة الثانية: تتجه نحو مطار المزة لقصفه ومن ثم السيطرة عليه بالتعاون مع العناصر المتأمرة في داخل المطار أمثال تحسين هلال ومجلى القائد.

المجموعة الثالثة: تبقى في قطنا لحماية مركز القيادة التي ستكون مقراً لفهد الشاعر وزمرته المتأمرة، وقد سلمت هذه الخطة المؤلفة من عشر صفحات إلى الرائد شريف الشاقي.

3- خطة حمص:

تقوم على خطف واعتقال قائد اللواء الخامس وقادة الكتائب مع عدد من ضباط الصف ومن ثم دخول -

= اللواء بمساعدة عناصر من الكلية العسكرية بقيادة النقيب راجح خالد، وبعدها يسيطر على اللواء صلاح غور، بدر جمعة، عبد الغني برو، حسين زيدان. وقد سلمت هذه الخطة مع كلمة السر إلى المقدم حسين زيدان الذي سلمها بدوره إلى النقيب راجح الخالد. باعتراف جميع الموقوفين الذين حقق معهم.

4- خطة الجبهة:

وقد سلمت من قبل فهد الشاعر إلى العقيد طلال أبو عسلي الذي تلاها أمام المتآمرين المسؤولين عن القطاعات المختلفة في الجبهة مثل فايز جريس ورياض حلاق..

وخلصتها:

أن تتم السيطرة على الجبهة من قبل المتآمرين ثم تحرك ثلاث مجموعات باتجاه دمشق بما يعادل لوائين من مختلف صنوف الأسلحة على النحو التالي:

- 1- مجموعة تتحرك عن طريق الجبهة - سعسع، الجمارك، دمشق، الإذاعة.
 - 2- مجموعة تتحرك عن طريق الجبهة سعسع المزرة، الأركان.
 - 3- ثالثة تتحرك عن طريق الجبهة سعسع - صحنابا - دمشق، المجتهد.
- الاتصالات تتم بواسطة أجهزة لاسلكية، ثم التشديد على الحذر من غدر ضباط الصف.
- والقوات النازلة من الجبهة تستهدف تجميد اللواء السبعين في الكسوة واحتلال بعض المناطق الرئيسية والمحاور الأساسية في مدينة دمشق.
- أما القطيفة فتتم السيطرة عليها من الداخل وقد تسير منها كتية مدفعية باتجاه حمص لدعم المتآمرين هناك، أما بقية القطاعات على أساس أن تخدم من الداخل وتصبح غير قادرة على الحركة.
- كل شيء أصبح جاهزاً والمناصب الرئيسية في الجيش والدولة وزعت والتعاون مع الفئات السياسية المختلفة أصبح أمراً منتهياً، والكل في حالة تأهب للانقضاض.
- أما الذي حصل فإن القيادة قد وضعت يدها على أحد المتآمرين نتيجة تحركات غير طبيعية في الجبهة وحققت معه فاعترف منذ الجلسة الأولى بكل شيء مما أدى إلى اعتقال سريع للرؤوس المتآمرة وبالتالي إحباط المؤامرة الواسعة التي كانت تستهدف الحزب والثورة.

الفصل

السادس

حلب القديمة .. الجديدة!

(مهمات، نفاريير، إضرابات، علاقات اجتماعية)

حلب.. الهادئة.. والعودة منها!

وصلت إلى حلب التي كانت هادئة جداً. الحركة عادية، والناس في شؤونهم اليومية.. ومع ذلك فكتيبتني في حالة استنفار شديد. وحين تحدثت إلى اللواء حافظ الأسد، قال لي: اذهب إلى مركز المخابرات العسكرية، وحدثني من هناك.

وحين ذهبت إلى فرع المخابرات وكلمت وزير الدفاع، قال لي: توجد ذبول لسليم حاطوم في حلب. حاول أن تتقصى الأمور. يوجد ضابط شؤون فنية. وضابط آخر ربما كان في كتيبتك، وهما من جبل العرب. حاول معرفة علاقتهما بسليم حاطوم، ولكن بحرص وهدوء. فتحن لا نريد إثارة المشكلة ومضاعفة نتائجها بعد أن تجلت الأمور وهدأت.

فعلاً، بعد أسئلة عديدة، عرفت أنه يوجد ضابط في الشؤون الإدارية، وهو برتبة نقيب، كان أساساً صف ضابط ثم رفع إلى رتبة ملازم ثم وصل إلى رتبة نقيب. كان لديه علم بما سيقوم به سليم حاطوم ولكنه ظلّ ساكناً، لم يتصل بأحد من الضباط سوى ضابط من جبل العرب برتبة ملازم أول موجود لدي في الكتيبة. اجتمعت بالضابطين وعرفت منهما كل ما طلبه سليم حاطوم منهما من أجل إنجاح محاولته في حلب، أو على الأقل ضمان وقوف حلب إلى جانبه. طبعاً كان من المستحيل أن يقوم هذان الضابطان، بأي عمل لو أرادا،

من أجل أن يكسب حلب إلى جانب سليم حاطوم، وذلك لأنه لا أهمية لهما من حيث النفوذ والسيطرة أو كسب مواقف الآخرين في حلب. ولم أطور الحوار معهما. وطمأنتهما كي لا يظلا على قلق بأنهما لن يتعرضا لأي مكروه! وأخبرت اللواء حافظ الأسد وزير الدفاع بكل التفاصيل، وقلت له رأيي بصراحة، أي أنه من الأفضل أن نطوي الأمور لأن هذين الضابطين لا تأثير لهما. فوافقني، على أن ننتبه لهما.

نفي مرعب بلقي .. نرفعه فيأخذ الفرع في حلب!

بقيت في حلب حوالى سنة تقريباً. وقد بت أعرف الخريطة الاجتماعية للفتات والشرائح داخل المجتمع في المدينة، كما بت أعرف الخريطة السياسية للأحزاب في حلب، ولم أكن أترك حلب إلا للضرورات القصوى، فمثلاً الاحتفالات والمناسبات التي كانت تقام في العاصمة لا أحضرها إلا عندما تتصادف مع وجودي في دمشق، وأمور الحرس القومي كنت أقودها وأنا في حلب.

أذكر أنني ذهبت إلى دمشق، بعد احتفالات آذار 1967، بطلب من الرفيق صلاح جديد، وكان يومذاك في القيادة القطرية (أميناً مساعداً للحزب)، وقد أصبح مقر القيادة القطرية قرب منطقة الجمارك. أخبرت وزير الدفاع اللواء حافظ الأسد قلت له: أنا في دمشق، طلبني الرفيق صلاح جديد. فقال: حسناً، بعد أن تنتهي منه، تعال إليّ.

كان وزير الدفاع قد منحني تخويلاً بزيارة دمشق متى رأيت ضرورة لذلك باعتباري قائداً للحرس القومي في سورية لكي أصرف أموره.

حين دخلت إلى مكتب الرفيق صلاح جديد. كان عابساً. رحّب بي بفتور ظاهر. ودعاني للجلوس إلى جواره. فجلست على كرسي قبالتة، وبقي هو

جالساً وراء مكتبه. كان الرفيق صلاح جديد، عادة، جدياً تماماً. لا يتبسط مع زواره ورفاقه. يظل الحوار معه رسمياً جداً. وما أن جلست حتى ناولني تقريراً مؤلفاً من أربع عشرة صفحة مطبوعاً على الآلة الكاتبة. قال لي باقتضاب شديد: اقرأ. هجست في نفسي أنه لا بد من أن يكون التقرير يخصني، لذلك التهمت الكلمات والأسطر التهاماً. كان التقرير مرفوعاً من قيادة فرع الحزب في حلب. وملخصه أنني نشيط جداً في حلب، وقد التفّ الناس حولي، وأن الأحزاب السياسية على مختلف تعددها في حلب تناصروني في عملي، والجهاز الحزبي يثق بي أكثر من قيادة فرع الحزب وأنتي بلعت فرع الحزب وتجاوزته، وكأن التنظيم الحزبي يتبع إلي وليس لقيادة الفرع، وأنتي، يوماً بعد يوم، أستقطب المزيد من الناس حولي. والخلاصة هي أن فرع الحزب في حلب يخشاني، ويخشى أن أصير ظاهرة على طريقة بدر جمعة، فأتهمرد على القيادة لأن مدينة حلب أصبحت تمشي وفق أوامري ورغباتي.

كان التقرير سيئاً جداً. فهو يمتدحني، ولكن يقول الحالة التي أنا فيها ويحرفها أيضاً، فأنا، كما يزعمون، أعمل لشخصي بدلاً من أن أعمل لصالح الثورة والحزب، وأنتي بت شخصية متنفذة ومخيفة، حتى أن فرع الحزب لا يستطيع العمل من دون مشورتي، وأن قراراتي أتخذها بعيداً عن مشورة فرع الحزب، وبعيداً عن أي تنسيق مع المحافظ أيضاً.

لذلك كله.. فهم يطلبون من القيادة القطرية اتخاذ قرار بنقلي من حلب لأنني بت مخيفاً في حلب، وأنتي أحجم دور الحزب والمحافظ في المدينة.

قرأت التقرير، ثم أعدته إلى الرفيق صلاح جديد الذي كان يراقب علامات وجهي. سألتني: ما رأيك في التقرير؟ قلت: لن أعود إلى حلب. قال، وقد بدأت أساريه تنفرج: هؤلاء، يقصد فرع الحزب في حلب، رفاقنا، يبدو أنهم أحسوا بأن الناس يحبونك لذلك حسدوك. قلت: هذا ليس مهماً. المهم هو أنتي لن أرجع إلى حلب. فأنا قائد الحرس القومي. وسوف أعود إلى

مزاولة عملي في الحرس القومي. وقد ذهبت إلى حلب من أجل تنفيذ مهمة (إنهاء تمرد ناصر الدين ناصر، وأحمد أبو صالح، هيدر جمعة) وقد نفذت المهمة، ومضى عليّ في حلب زمن قدره سنة، وأظن أن هذا الوقت كافٍ، خصوصاً وأن المهمة نفذت، والأمور في حلب بخير. وأنا لست متضايقاً من الحسد والغيرة، وإنما متضايق لقصر نظر رفاقنا، وعدم معرفتهم بـ محمد إبراهيم العلي، وعدم وفائهم أيضاً لأنني أنا من زكاهم ليكونوا أعضاء في قيادة فرع الحزب، قال الرفيق صلاح جديد: لا داعي للغضب. إنهم رفاقنا. قلت: ولكن لن أعود إلى حلب. وأرجو عرض هذا التقرير على القيادة القطرية كي تتخذ قراراً بعودتي. وإنهاء مهمتي في حلب. ولن أذهب إلى حلب مادامت عقلية رفاقنا على هذه الحال. وخرجت، والرفيق صلاح جديد يطيب خاطري.

فعلاً، كان الأمر فوق ما كنت أتوقعه وأتصوره، فأنا عملت في حلب مثل خلية النحل، نشطت الطلبة في الجامعة، وطلاب الفتوة في الثانويات العامة، وكنت على اتصال دائم بالفرع، والمحافظ، والنقابات، واتحادات العمال، والفلاحين، والمرأة. كنت لا أنام الليل من أجل متابعة الصغيرة والكبيرة. يضاف إلى ذلك حرصي على سمعتي وسلوكي، فقد كنت منضبطاً جداً. لم تثر أية أقاويل عني، وهذا ما كان يحير الجميع، الأصدقاء والخصوم في آن معاً. فمع أنني شديد الصلة بالناس، ويقصدني الكثيرون والكثيرات إلا أن سلوكي وتصرفاتي لم تحد عن الخط المستقيم. وهذا أمر كان فوق طاقة إنسان مثلي.. وفي موقعي، فقد كنت في مطلع الشباب، وبين يدي سلطات كثيرة، ولي مكانة وحظوة في مدينة صار فرع الحزب فيها يخشاني، والمحافظ يهابني.

خرجت من مكتب الرفيق صلاح جديد، وذهبت مباشرة إلى مكتب اللواء حافظ الأسد وزير الدفاع. فرحب بي، وسألني عن طلبات الرفيق صلاح جديد، فرويت له كل ما جاء في التقرير، وقلت له أيضاً.. لن أذهب إلى حلب، لاسيما وأنني نفذت المهمة التي كلفت بها. قال: لا تغضب، ولا أريدك أن

تتشاجر مع أحد، لا مع فرع الحزب، ولا مع المحافظ. الأمور الآن معقدة بيننا وبين العدو الصهيوني. فهو يلوح بعدوان وشيك علينا. وأنا أريد نقل كتيبتك (102) من حلب إلى منطقة الجبهة. وبذلك فإن هذا التقرير خدمنا من حيث لا ندري. سأصدر أمراً بنقل الكتيبة لكي تتحرك من حلب إلى دمشق فوراً. فعلاً، اتصل مباشرة بشعبة العمليات، وطلب من رئيسها إصدار أمر بنقل الكتيبة (102) من حلب إلى قرية خان أرنية الواقعة في محيط مدينة القنيطرة، غرب منطقة سعسع مباشرة. وسألني اللواء حافظ الأسد: هل تريد أن تعود إلى حلب وتقل الكتيبة. فقلت له: لا، لن أذهب إلى حلب، وسأطلب من النقيب رزق الياس رئيس أركان الكتيبة أن ينقلها. قال: (ما في مشكلة). وهذا ما حدث فعلاً، فقد انتقلت الكتيبة (102) من حلب، وجاءت إلى منطقة خان أرنية، وكنت في استقبالها حيث اخترنا لها مكان التمركز.

طبعاً لم أتأثر بالتقرير لأنه لم تكن له أهمية، ولكن تأثرت من قلة الوفاء. فأعضاء قيادة الفرع في حلب يومياً عندي، يأتون إليّ فتأكل معاً، وبتناقش معاً في كل الأمور وبوضوح شديد. أي أنني لم أكن أتوقع أن يكتبوا تقريراً إلى القيادة القطرية يشكون فيه من سعة نفوذتي، ومقدرتي على استقطاب الناس. وأذكر أن حوالى (100) حافلة ركوب كبيرة (باصات) جاءت من حلب وهي محملة بالطلبة لزيارتي في موقع الكتيبة، التي تمركزت في منطقة خان أرنية.. ذلك لأنني كنت على علاقة حميمة جداً مع الطلبة ومدرسي الفتوة في الثانويات. ولم أشأ أن أقطع علاقتي بهؤلاء الطلبة، وكان عددهم حوالى ثمانية آلاف، فقد أردت خلال وجودي في حلب أن أطبق الثورة الثقافية في ثانويات حلب، وذلك على طريقة الثورة الثقافية الصينية. أردت أن أعزز مكانة الحزب داخل كل بيت في مدينة حلب لقناعاتي بأن حلب لها خصوصية وظروفاً تستدعي تطوير عمل حزب البعث العربي الاشتراكي فيها. لذلك قمت بتقسيم جهاز الفتوة في الثانويات إلى كتائب، وسرايا وفصائل وأسندت المهمات الثقافية لقادة هذه التشكيلات، وقد كلفت العديد من الرفاق، مثل الملازم

موريس قدسية، والملازم إسماعيل ناصيف، أن يلقوا محاضرات على قادة الكتائب والسرايا والفصائل الطلابية على الطريقة الصينية في تثقيف الطلبة(*)، وقد جعلت الموضوعات الرئيسية في معسكرات الفتوة تدور حول الحزب، ومنطلقاته النظرية، وأهدافه العامة، وتوجهاته في التعامل مع القضايا والمسائل المحلية والعربية والعالمية. وقد كان الهدف من وراء ذلك هو توسيع أفق الطلبة ليكونوا واعين بما يجري في بلادنا، وبما يجري في العالم الذي يحيط بنا أيضاً!

عودة جديدة إلى حلب.. في مهمة جديدة!

في حوالي 20 نيسان 1967 أضربت منطقة الميدان بدمشق، أغلقت سوق الميدان، كما حدث إضراب آخر في أسواق حلب، في منطقة السويقة تحديداً، وقد أدى هذا الأمر إلى اضطراب داخلي. لذلك استدعاني الرفيق صلاح جديد مرة أخرى، وفي الصباح الباكر. فذهبت إليه. قال لي: أسواق حلب مغلقة. يوجد إضراب للتجار، مثلما هي سوق الميدان مغلقة، وشيوخ الدين تدخلوا في الأمر. هنا الشيخ الحبنكة تدخل في الإضراب، وهناك في حلب، تدخل أكثر من شيخ دين. وما يقلقني أكثر هو إضراب حلب. وعليك أن تذهب إلى حلب من أجل حل مشكلة الإضراب. قلت للرفيق صلاح جديد: دع فرع الحزب هناك يحلها. فقال: لا، أريدك أن تذهب إلى حلب وتحلها من دون أن

(*) وأذكر أنه زارني في ربيع عام 1966 السفير الصيني في سورية، وقدم لي هدية، عبارة عن قصيدة للزعيم ماوتسي تونغ محفورة على لوحة معدنية. وأهداني الكتاب الأحمر للزعيم ماوتسي تونغ، وبعض كتبه الأخرى، وحدثني مطولاً عن الثورة الثقافية في الصين، وقد كانت لدي رغبة حقيقية لمعرفة كيفية نشر الأفكار الثورية في الصين، وأخبرته بذلك. فوعدني بإرسال الملحقين العسكري والثقافي الموجهين في السفارة الصينية، وقد جاءا إليّ وشرحاً طريقة نشر الثورة الثقافية بين الطلبة، والناس في المدن والأرياف الصينية. وقد قمت بتطبيق أسس الثورة الثقافية الصينية وأساليبها على الطلبة في مدارس حلب.

يتحسس فرع الحزب منك. أريدك أن تعرف الأوضاع بشكل جيد ودقيق. قلت له: إما أن يحل المشكلة فرع الحزب، وإما أن أحلها بمفردي. قال: أريدك أن تحلها من دون مشكلات. عليك أن تجد طريقة لحلها. فوافقت، وقد رأيت متشبتاً برأيه لكي أذهب إلى حلب. لقد ضغط عليّ كثيراً لذلك استجبت لرغبته، لعله كان قد سأل، واستشار العديد من الناس المعروفين في حلب، فتصحوه بأن يرسلني إلى حلب لمعالجة المشكلة ذلك لأنه كان متمسكاً برأيه لكي أذهب وأعالج المشكلة.

وذهبت إلى حلب. انطلقت من دمشق في الساعة السابعة صباحاً، فوصلت إلى حماة في العاشرة. قلت لنفسي لأستطلع الأمر في حماة. فذهبت إلى مكتب المحافظ، وكان الرفيق محمد سعيد طالب. سلمت عليه، وسألته عن الأخبار، فقال: بخير، ومن مكتبه، تحدثت إلى الملازم أول بكري الناصر قائد الحرس القومي في حلب، وإلى النقيب يوسف كنعان رئيس فرع المخابرات العسكرية، واستطلعت منهما آخر ما يجري في حلب. قال لي: السوق مغلقة بكاملها، والمشايخ هم الذين يحرضون التجار على الإضراب. تماماً مثلما حدث في الميدان حيث قام الشيخ حبكة بالتحريض على الإضراب. قلت لهما: لا بأس. وطلبت من يوسف كنعان أن يطلب المفتي من أجل أن أجمع به، وقد كان الشيخ محمد الحكيم الذي عيناه مفتياً قبل شهور قليلة، وطلبت منه أن يكون برفقته بعض المشايخ الذين أعرفهم جيداً، وذكرت له أسماءهم، وأخبرته أنني في الطريق إليه.

كانت حماة هادئة، والمطر الخفيف الناعم يلفها، وأخذت طريقي باتجاه مدينة حلب، ولكن للأسف، وقعت لي حادثة في الطريق، فبينما كانت مجموعة من التلاميذ الصغار، تلاميذ مدارس ابتدائية، كانوا يمشون في الطريق دون أن ينتبهوا للسيارات المارة، يبدو أنهم كانوا ذاهبين إلى مزار (الإمام زين العابدين) لزيارته في رحلة مدرسية، فمشوا بشكل عشوائي فوق الطريق. فوجئت بأن

سائق سيارتي كاد يدخل في جموع التلاميذ الصغار، فصرخت به لكي يحرف السيارة بعيداً عن التلاميذ، ولأن الأمر كان مفاجئاً اختل توازن السيارة وانقلبت مرات عديدة، بعد أن اصطدمت بعمود محاذ للطريق. وقد ظن الجميع أن جميع من في السيارة لاقوا حتفهم. بعد أن انقلبت السيارة بحيث صارت دواليبها إلى الأعلى. فهرع التلاميذ الصغار ومن معهم من الأساتذة لإنقاذنا بعد أن استقرت السيارة. خرجنا واحداً واحداً، كنا ثلاثة في السيارة أنا والسائق والمرافق. ولم يصب أحد منا بأذى. حتى أن بلور السيارة لم ينكسر، كل ما حدث هو أن مروحة محرك السيارة تأثرت قليلاً، أصلحناها، ومضينا في طريقنا إلى حلب بعد تأخير غير مقصود. وصلت إلى حلب في الساعة الثانية بعد الظهر. كانت أعصابي متوترة بعدما حدث لي ما حدث في الطريق، ثم لأنني أعود إلى حلب لمعالجة مشكلة ليس لدي تفاصيل كثيرة عنها.

ذهبت مباشرة إلى فرع المخابرات، فوجدت النقيب يوسف كنعان(*)، والمفتي الشيخ محمد الحكيم وعدداً من المشايخ الذين أعرفهم.. ينتظرون وصولي. سلمت على الجميع، وسألت المفتي عن رأيه في حل المشكلة مع الأسواق المضرة، فقال: نحلها إن شاء الله، ولكن علينا ألا نستخدم العنف، أو المصادرة، أو كسر الأقفال. قلت: علينا أن نباشر بالحل، وسوف أتصل بالمحافظ وأمين فرع الحزب من أجل إيقاف الأوامر العرفية والمصادرات بحق التجار. فسرّ المفتي، وقال: هذا أمر جيد، أرجو أن يستجيبوا لرغبتك. قلت: سنرى. واتصلت مباشرة بالمحافظ وقلت له: إنني في حلب بتكليف من القيادة القطرية من أجل حل مشكلة الأسواق المضرة. أرجو أن نتعاون لحل هذه المشكلة. قال، وقد كان ودوداً جداً: وما المطلوب؟! قلت: إيقاف الأوامر العرفية، وإلغاء المصادرات. قال: موافق. والكلام نفسه قلته لأمين فرع الحزب. فقال: موافق أيضاً.

(*) وقد كان قائداً للحرس القومي في حلب قبل أن يتسلم فرع المخابرات في حلب.

ومضيت أنا والمفتي الشيخ محمد الحكيم، ويوسف كنعان رئيس فرع
شعبة المخابرات في حلب إلى الثانوية الشرعية حيث قام المفتي بالاتصالات مع
رجال الدين في المدينة لكي يجتمعوا في الثانوية الشرعية، واسمها
(الخسراوية) وتقع إلى جوار الجامع الكبير. وانتحيت بيوسف كنعان جانباً،
وقلت له (بخّر) الشيوخ. لابدّ من أن تطيب خاطرهم. فقال: حاضر. وذلك
لقناعتي أن الكلام وحده لا يكفي.

دخلنا إلى القاعة، وكان فيها حوالي 400 شيخ. كنت في لباس الميدان
الكامل. في البداية تحدث المفتي محمد الحكيم عن معنى القائد العسكري،
ودوره في الإسلام، ثم عرّج عليّ، وامتدحني، وعدد مزاياي، والأدوار الطيبة
التي قمت بها في حلب في السنة الماضية (1966). ثم قام عدد من الشيوخ،
وألقوا كلمات حول الأحداث في حلب، والإضراب، وكيفية معالجة الأزمة. ثم
تحدثت في الجمع المحتشد حديثاً طويلاً بدءاً من ظهور الإسلام وعصر
الرسول صلى الله عليه وسلم وحتى تأسيس الدولة العربية الحديثة في العصر
الأموي. ومما قلته لهم إننا نريد أن نجعل من دمشق عاصمة للعرب كما كانت
في العصر الأموي. وقلت لهم إن الإسلام لم يُبنَ على بضعة تجار يريدون
استغلال الناس عن طريق دفع بعض المال إلى شيوخ الدين، أي أن يتحول
المشايع إلى حملة دعائية لصالح التجار. الإسلام يبنى على شيوخه الذين
يحملون رسالته بصدق وأمانة، لذلك على مشايخ الدين ألا يقعوا في فخ
التجار، ألا يكونوا أداة بأيديهم. ثم تحدثت عن الربا، والاحتكار في الإسلام،
وتطرقت إلى الاشتراكية الإسلامية، والوحدة العربية.. وقلت لهم: أتمنى أن
نخرج الآن ونحل مشكلة الأسواق. طبعاً استغرق الاجتماع ساعات عدة، أي أننا
أصبحنا في وقت الغروب. لذلك طلبت من المفتي ورجال الدين أن ننزل جميعاً
إلى الأسواق من أجل فتحها بعيداً عن العنف والقوة والقسوة. فاستجابوا إليّ.
ومضينا فعلاً إلى سوق السويقة.. وفتحنا المحلات والدكاكين على مرأى من
الناس، وألغيتُ أمر مصادرة الدكاكين التي صدرت بحققها قرارات المصادرة.

وبذلك انتهت المشكلة. ورجعت ليلاً من حلب بعد أن زرت المحافظ، وأمين فرع الحزب وأخبرتهما بما حدث.

في الصباح الباكر ذهبت إلى مكتب الرفيق صلاح جديد، فوجدته بانتظاري بعد أن أخبرته من حلب أن الأمور عادت إلى طبيعتها الاعتيادية. سألتني عما فعلته في حلب وكيف حلت المشكلة. فأخبرته بالتفاصيل، وقلت له إن رجال الدين، والأمن تعاونوا معي جيداً، وإنتي أخبرت المحافظ وأمين فرع الحزب بما قمت به. فشكرني الرفيق صلاح جديد. أظن أن أكثر من تقرير وصل إلى الرفيق صلاح جديد حمل إليه أخبار ما قمت به في حلب، وقد عرفت أن جماعات كتبت للرفيق صلاح جديد من أجل إعادتي إلى حلب لأنني من يعرف أجواءها، ومن يمسك بالأعصاب الفاعلة فيها! طبعاً، الرفيق صلاح جديد لم يطلعني على أي تقرير من تلك التقارير على مبدأ الإنكليز الذي يقول: [Good News, No News] أي عندما تكون التقارير جيدة، فالتقارير غير موجودة أصلاً.



الفصل

السابع

الضباط الفلسطينيون يتنافسون

على مواقع القيادة!!

(اغتيال النفيب يوسف عرابي)

اغتيال النقيب يوسف عرابي!

في 1966/5/10 مساءً، اتصل بي المساعد سلامة ديوب رئيس ديوان الحرس القومي، وأنا في حلب، وأبلغني أن الحارس القومي أي الحاجب الموجود في القيادة، عبد المجيد زغموت قد توقّف وجرى اشتباك بين عناصر من فتح، أدى إلى مقتل النقيب يوسف عرابي والملازم أول محمد حشمة. كان الملازم الأول محمد حشمة في حركة فتح وليس في الجيش السوري. وأن عناصر من فتح اقتتلوا فيما بينهم.

واستدعوا من عندنا اثنين من قسم التسليح هما المساعد محمد عبد ربه والمساعد عيد قابوني، وهما المسؤولان عن قسم التسليح في الحرس القومي. وأن ياسر عرفات (محمد رؤوف وهو الاسم الحقيقي له) توقّف أيضاً، ومعه خليل الوزير.

أقلقني الخبر وهزني، لذلك عدت فوراً من مدينة حلب إلى مدينة دمشق، حيث كنت قائد الكتيبة 102/ في منطقة الراموسة في مدينة حلب. وتساءلت بيني وبين نفسي ما هي الأسباب التي دعت إلى أن يتقاتل هؤلاء العناصر، وما

الذي دعا زغموت إلى أن يطلق النار على المغدورين. لقد ساورتني أفكار كثيرة وأنا في الطريق، لكن من خلال علاقتي بحركة فتح والتي بدأت منذ 1963، ومن خلال معرفتي الشخصية بالفلسطينيين وخبرتي بهم فهم يتنازعهم الحسد على زعامة الحركة وذلك منذ بداية تأسيسها. وكون حزب البعث العربي الاشتراكي، وعبر مقررات المؤتمر القطري الثالث، والمؤتمر القومي التاسع، اعتبر القضية الفلسطينية هي قضية حزب البعث العربي الاشتراكي والقضية المحورية لنضاله وللنضال العربي عموماً. لذلك أصبح بعض البعثيين من الرفاق الفلسطينيين يبذلون أقصى الجهود للوصول إلى قيادة حركة فتح. وخاصة بعد أن عملت القيادة القطرية ووزير الدفاع اللواء حافظ الأسد على تدعيم حركة فتح وتبنيها ودعمها بالسلاح والعتاد وتدريب كوادرها باسم الحرس القومي وإيمانياته، حيث كنت أنا المسؤول المباشر عن الحرس القومي وقائداً له في سورية إضافة إلى قيادة الكتيبة /102/ استطلاع، وكما أعرف سابقاً وقبل وقوع الحادث أن الضباط الفلسطينيين يتزاحمون على قيادة المنظمة (حركة فتح)، وكان من بين هؤلاء الضباط النقيب يوسف عرابي، والملازم أول أحمد جبريل، والنقيب قسام دخل الله، والملازم صلاح معاني، والنقيب مصطفى أبو دبوسة، هؤلاء الضباط كانوا يتنازعون فيما بينهم على من يقود هذه المنظمة، ويرغبون بإبعاد ياسر عرفات، أو المدنيين منهم، أي كان العسكريون منهم يعملون على إبعاد المدنيين من هذه الحركة، إلى أن وصل التزاحم فيما بينهم إلى أن وقعت هذه الفاجعة التي أدت إلى مقتل النقيب يوسف عرابي والملازم أول محمد حشمة، وقد كان عبد المجيد زغموت يحمل شهادة بكالوريا، وهو ليس مجنداً في الحرس القومي، وإنما هو حارس قومي مندب من حركة فتح كمراسل بين حركة فتح وقيادة الحرس القومي. لكن هذا الرجل كان عصبياً حاد المزاج، وكان ينقل الرسائل بأمانة بين قيادة حركة فتح (ياسر عرفات) وقيادة الحرس القومي، وهو متحمس للقضية الفلسطينية، ويبدو أنه كان يعاني من اضطراب في جهازه العصبي لأن يديه كانتا ترتجفان

على الدوام، خصوصاً عندما يتحدث، وكثيراً ما جرى نقاش بيني وبين هؤلاء الضباط حول قيادة حركة فتح، وكان رأيهم يتلخص في أنهم هم الأحق في استلام قيادة حركة فتح من ياسر عرفات، وخاصة بعد أن أصبح لحركة فتح صوتاً مدوياً في الوطن العربي، وبعد أن أصبحت مدعومة من قبل الجزائر، كما صار لها صدى في القاهرة، وأصبح أحمد الشقيري يحسب لها حسابات كثيرة، لقيامها بنشاط مكثف في كل أنحاء الوطن العربي وأوروبا، حيث أصبحت منظمة رسمية، وأصبح الكثير من الناس يقومون بالترويج لهذه الحركة في الوطن العربي، وقد أشرت في الجزء الثاني من كتاب (حياتي والإعدام) إلى ما قدمت لها في نهاية عام 1964 وبداية عام 1965 حين ذهبت إلى الجزائر من أجلها. ومن هنا ظهر هذا التزاحم بين هؤلاء الضباط الذي أدى إلى هذه الحالة المأساوية فيما بينهم. فكان المرحوم يوسف عرابي متحمساً كثيراً لأن يكون الرقم الأول في القيادة وكل من هؤلاء الضباط يرغب في أن يشكل منظمة ثانية يتبناها حزب البعث، لكن حزب البعث حتى تلك الساعة كان يتبنى حركة فتح فقط، وقد توقف ياسر عرفات (محمد رؤوف) وخليل الوزير في مطار ضمير، عند وزير الدفاع قائد القوى الجوية اللواء حافظ الأسد. ثم أحييت هذه الإضبارة بكل ملحقاتها إلى المحكمة الميدانية (محكمة أمن الدولة) التي كان يرأسها المقدم مصطفى طلاس، وبعضوية الرائد رثيف علواني، والرائد رفيق حلاوة، والنقيب موسى العلي، والنقيب خالد بدوي. وقد اجتمعت هذه المحكمة وبعد التحقيق تبين أنه لم يكن هناك طرف جرمي أو لم يكن هناك أبعاد جرمية أو سابق تصميم على القتل من قبل عبد المجيد زغموت، بينما الإشكالية المكتوبة في المحضر تبين بأنه لم يكن هناك سابق تصميم أو قصد للقتل، ولكن هناك إشكالية سياسية بين هؤلاء المتنازعين أكثر مما هي جرمية أدت إلى القتل وإلى السجن المؤبد، ورحم الله الجميع، فقد توفوا جميعاً، حيث توفي عبد المجيد زغموت بعد 30 عاماً من سجنه.

نصر المحكمة...!!

باسم الشعب العربي في سورية
إن المحكمة العسكرية الاستثنائية المؤلفة من:
المقدم الركن مصطفى عبد القادر طلاس رئيساً.
وعضوية كل من الرائد رثيف علواني والرائد رفيق حلاوة والنقيب موسى
العلي والنقيب خالد البدوي.

ویمؤازرة كاتب الضبط الموظف المدني مروان الصباغ.
بعد اطلاعها على:

1. ادعاء النيابة العامة رقم /2/ المؤرخ 1966/11/15 المتضمن إقدام كل
من المتهمين:

1. الحارس القومي عبد المجيد بن عمر زغموت من أهالي فلسطين .
الصفصاف ومقيم حالياً بدمشق . مخيم اليرموك عمره 22 والدته نزهة
الموقوف في 1966/5/10 .

2. زكريا بن إبراهيم عبد الرحيم من أهالي فلسطين . يافا ومقيم حالياً
بدمشق . محلة المزرعة عمره 32 والدته فايضة الموقوف في 1966/6/9 .

3. عبد الكريم بن عبد العزيز العكوك من أهالي فلسطين . قرية دير بلح
ومقيم حالياً بدمشق . محلة المزرعة عمره 29 والدته هاجر الموقوف بتاريخ
1966/6/9 .

لارتكابهم جرم قتل المغدور النقيب يوسف عرابي بالنسبة للمتهم عبد
المجيد والتحريض على قتله من قبل المتهمين زكريا عبد الرحيم وعبد الكريم
العكوك وهو الجرم المنصوص عنه والمعاقب عليه بأحكام المادة /533/ بالنسبة
لأول بدلالة المادة /216/ بالنسبة للثاني والثالث.

2. وعلى محضر الكشف على جثة المغدور محمد حشمة المؤرخ
1966/5/10.

3. وعلى محضر الكشف على جثة المغدور النقيب يوسف عرابي المؤرخ
1966/5/10.

4. وعلى محضر الكشف الجاري على مكان الحادث المؤرخ 1966/5/10.

5. سائر الأوراق والتحقيقات الجارية في هذا الشأن ونتيجة المحاكمة
الوجاهية الجارية علناً تبين:

منذ أن قامت ثورة الثامن من آذار أخذت تقوم وتسعى لرفع مغنويات
أبناء القطر العربي الفلسطيني لإيجاد بعض الحلول للقضاء على العصابات
الصهيونية التي سلبت فلسطين من أبنائها. فقامت تكتل بعض الشباب من
أبنائها الذين آمنوا بأن خير طريق للعودة هو الكفاح المسلح داخل الأراضي
المحتلة والذين انسجمت آراؤهم بالدعوة التي آمن بها ثورة الثامن من آذار
وفتحت لهؤلاء المؤمنين صدرها وسمحت لهم بالقيام بنشاطهم من أجل كفاحهم
المقدس وهو استرجاع فلسطين فزودتهم بالتأييد المعنوي والمادي.

ولكن هذا العمل الذي قامت به ثورة الثامن من آذار أقلق الاستعمار الذي
صنع إسرائيل، فالقضية المطروحة ليست مجرد قتل عادي وإنما هي جريمة
سياسية كبيرة وهي اغتيال أحد ضباط هذه القوات وهو النقيب يوسف عرابي
الذي آمن بقضية أبناء فلسطين لذلك قرروا التخلص منه وأوعزوا لأعوانهم
بالتخلص منه.

وقبيل تاريخ 1966/5/10 بأيام معدودة حضر أحد أفراد أبناء فلسطين
من الأردن إلى سورية باعتبار أنه فرد من أفراد العاصفة وهو المدعو أحمد أبو
حمشة وكان قد تسرب إلى علم قادة هذه المنظمة بأن أحمد المذكور قد باع
سلاحه المسلم إليه من قيادة المنظمة فقرروا التحقيق معه للوقوف على صحة

هذا الخبر وشكلوا لجنة للقيام بذلك ومن جملة أعضاء هذه اللجنة المغدور النقيب يوسف وكان من مهمة هذه اللجنة أن لا تترك مجالاً لأحمد بأن يشعر بأن التحقيق معه. واجتمعت اللجنة بتاريخ 10/5/1966 في مقهى الحجاز صباحاً وقرروا تأجيل التحقيق للمساء وفي نفس اليوم حضر المرحوم النقيب يوسف إلى أحد مراكز هذه القوات للاجتماع بأحمد أبو حشمة للتحقيق معه فوجد في المركز المدعو وليد شعبان وعندما سأله عن مكان وجود الأول نفى علمه بذلك مما دعا النقيب يوسف إلى أخذ وليد وتهديده لكي يعلمه عن مكان وجوده وبالنسبة تمكن من معرفة المكان وإثر ذلك أطلق سراح وليد.

وعلى أثر التصرف الذي قام به النقيب يوسف من خطف وليد وتهديده اتخذ أعداء هذه المنظمة حجة فأثاروها وضخموها بين مؤيديهم وأوعزوا إلى بعض عناصرهم استغلال هذا التصرف ذريعة للتخلص من النقيب يوسف عرابي الذي آمن بأهداف هذه المنظمة ومنهم المتهم عبد المجيد زغموت وحين علمهم بموضوع الخطف توجه فوراً إلى مركز الحرس القومي لأخذ سلاحه ولكن المساعد المناوب عيد لم يعطه سلاحه مما دعا عبد المجيد إلى الحصول عليه عنوة وعاد إلى مركز الصخر لترصد النقيب عرابي، وعندما حضر المساعد محمد عبد ربه إلى مركز الحرس القومي أعلمه عيد بما فعل المنهم عبد المجيد فاتصل مع ممدوح صيدم هاتفياً وطلب منه الحضور إلى مركز الحرس ومعه البارودة لاسترجاعها منه فلم يذعن لطلبهما، ثم عادا واتصلا به ثانية ولكنه لم يلبّ طلبهما وإنما احتج بأنه لا يستطيع الحضور إلى المركز نظراً لعدم وجود أجرة سيارة معه فأوعزا إليه بانتظارهما على رأس الزقاق حتى حضورهما وأخذهما له. وعلى أثر ذلك ذهب المساعد عبد ربه ومحمد صيدم فلم يجدا المتهم عبد المجيد فعادا إلى مركز الحرس ظناً منهما أنه عاد إليه، لكن عبد المجيد ركب سيارة واتجه بها إلى مركز المزرعة وبيده البارودة وحين وصول المساعد عبد ربه وممدوح صيدم إلى مركز الحرس لم يجدا المتهم عبد المجيد فعاد واتصل به ممدوح ثانية إلى مركز المزرعة وأنبه على

عمله هذا مؤكداً له الحضور إلى مركز الحرس القومي وإعادة البارودة لكنه لم يعد، وبقي في مركز المزرعة.

وأثناء وجود المتهم عبد المجيد في مركز المزرعة حضر كل من خليل الوزير ومحمد رؤوف فأعلمهما عبد الكريم وزكريا اللذين كانا في المركز عن موضوع خطف وليد فتار محمد رؤوف من عمل المرحوم النقيب يوسف وقام واتصل هاتفياً بأحد المسؤولين الذين أعلمه بأنه على علم بالقضية وأنه قد أطلق سراح وليد، فهذا محمد رؤوف وذهب مع خليل إلى منزل أحد الرفاق.

وبقي المتهم عبد المجيد في المركز بدلاً من أن يذهب إلى مركز الحرس القومي منتظراً قدوم النقيب يوسف عرابي باعتباره يعلم بصلته مع أفراد هذا المركز وأنه أي يوسف كثير التردد على هذا المركز بالإضافة إلى إعلام رفاقه عما توصل إليه نتيجة التحقيق مع أحمد حشمة، وذلك للاجتماع به وتنفيذ رغبته التي يببيتها في نفسه وهي نية التخلص منه باعتباره مصمماً على هذه النية وكان في المركز المتهمون زكريا عبد الرحيم وعبد الكريم العكوك والمدعو محمد حشمة والمساعد محمد عبد ربه الذي حضر إلى المركز لأخذ البارودة من المتهم عبد المجيد زغموت وأثناء ذلك قرع جرس الباب فقام عبد المجيد وفتح الباب وإذ بحضور كل من النقيب يوسف ومعه الملازم الأول عدنان العالم وعدنان دبور فدخلوا إلى الغرفة التي كان يجلس فيها الموجودون وجلسوا فيها فبادر فوراً المتهم عبد المجيد إلى إخراج البارودة التي أحضرها من مركز الحرس القومي وتبعه محمد حشمة حيث تبادل الاثنان بعض الكلمات ثم عاد محمد حشمة والنقيب يوسف عرابي إلى الحديث حول موضوع هذه المنظمة والخلاف الذي ينشب في صفوفها، وأثناء النقاش والتحدي أقدم محمد حشمة على إشهار مسدسه على النقيب يوسف واتجه نحوه لصدر الغرفة وفي هذه الأثناء وقف عبد المجيد على باب الغرفة وهو يشهر البارودة صائحاً (ألقوا سلاحكم ارفعوا أيديكم) وعندما شاهد المساعد عبد ربه هذا التصرف خرج من الغرفة وأثناء خروجه قال لـ عبد المجيد (شو هاد) فأجابه (اسكت وإلا

برشك) ثم تبعه زكريا وأثناء نزولهما على السلم سمعوا صوت الرشة التي أطلقها عبد المجيد وأصاب صديقه محمد حشمة حيث أردته قتيلاً وعلى أثرها تراجع عبد المجيد عن الباب ووقف في البهو منتظراً خروج النقيب يوسف لكي يطلق عليه النار لتنفيذ مأربه بقتله، لكن النقيب يوسف لم يتحمل هذا الموقف وهو إيجاد أحد رفاقه جريحاً والدم ينزف منه بغزارة فصرخ ببعض العبارات وهي طلب الإسعاف لكي يبرهن على حسن نيته تجاه أفراد هذه المنظمة نظراً لاندفاعه بشأن تحقيق الأهداف والمبادئ التي أوجدت هذه المنظمة من أجلها، وحاول الخروج من باب الغرفة فمد يده اليسرى وهو يحمل بها مسدسه محترساً من إطلاق النار عليه وقذف بالمسدس إلى البهو لكي يدلل على حسن نيته لكن المتهم عبد المجيد أطلق النار فأصابه بطلقة في يده اليسرى خرجت منها ودخلت ثانية تحت إبطه حيث نفذت من فوق ثديه الأيمن وعلى أثر إصابته سقط على الأرض، وعندما شاهده عبد المجيد بهذه الحالة حاول الخروج من المركز بعد أن نفذ مأربه وتمم مهمته التي حضر من أجلها إلى مركز المزرعة لكن رجال الشرطة الذين حضروا بناءً على استدعاء عدنان العالم لهم هاتفياً وألقت القبض عليه.

لقد تأيدت هذه الوقائع بالأدلة التالية:

1. باعترافات المتهم عبد المجيد نفسه سواء كانت أثناء التحقيق الفوري أو أمام المحكمة وقد جاء فيها (اتصل بي هاتفياً جواد وطلب مني الحضور عندها ذهبت ولم أجد موسى فأخذت سيارة وذهبت إلى المزرعة فوجدت عبد الكريم وبقيت هناك.. ثم اتصل معي جواد وحدثته بالهاتف ووبخني.. وإثر دخولي الغرفة التي كانوا جالسين فيها ومن جملتهم المغدور يوسف لاحظتهم منرفزين وطلبت منهم رمي السلاح ولكن محمد حشمة أشهر مسدسه، وسمعت طلقة ولكن لا أعرف مصدرها وعلى أثرها لا أعرف ماذا جرى معي ثم خرجت من الغرفة.. وأطل النقيب يوسف من الغرفة ووجه المسدس إلي وبحالة لاشعورية أطلقت النار من بندقيتي وبعد لحظة سمعت وجود جريح

وهو النقيب يوسف ثم نزلت لأسفل الدرج فشاهدت رجال الشرطة المدنية حيث طلبت منهم الصعود إلى المنزل..).

2. باعترافات المتهم زكريا سواء كانت أثناء التحقيق الفوري أو أمام المحكمة وقد جاء فيها (.. فسأله محمد حشمة عما جرى فأجابه ما دخلت وبهذه الأثناء دخل المتهم عبد المجيد إلى الغرفة مشهراً سلاحه وطالباً رمي سلاح الأشخاص الموجودين بهذه الأثناء خرجت مع المساعد عبد ربه وبعد برهة سمعت صوت إطلاق رصاص..).

3. باعترافات المتهم عبد الكريم سواء كانت أثناء التحقيق الفوري أو أمام المحكمة وقد جاء فيها (.. كنت في المطبخ، حضر عبد المجيد وهو حامل ببندقية حيث وضعها على الأرض وقال لي ما هو سبب حضور يوسف ورفاقه وبعد برهة حمل عبد المجيد ببندقيته بعد أن لقمها خرج إلى الغرفة قائلاً للموجودين ارموا سلاحكم.. فذهلت من الأمر ودخلت لغرفة أخرى وسمعت صوت طلقة نارية فأخذت أصرخ على الناس وكان عبد المجيد يهدد الحاضرين ويطلب منهم عدم التحرك ورمي السلاح.

4. ما ورد في أقوال الشاهد المساعد محمد عبد ربه سواء كانت أثناء التحقيق الفوري أو أمام المحكمة وقد جاء فيها (جاء عدنان إلى الحرس وهناك علمنا بأن عبد المجيد قد أخذ سلاحه واتصل جواد مع الرائد مصطفى وأعلمه بالأمر.. وذهبنا إلى الشعبة السياسية وأعلم جواد أحد المسؤولين ثم اتصل جواد بمركز الصخر وتحدث مع عبد المجيد وسأله عن سبب أخذه البندقية، عدنا إلى المركز ومنه إلى مركز الحرس القومي حيث اتصلنا مع عبد المجيد وطلبنا منه انتظارنا للحضور لأخذ البندقية ولكننا لم نشاهده.. حضر النقيب يوسف ومعه شخصان مدنيان وجلس على يميني والشخص الآخر ورفيقه بالصدر وكان النقيب يوسف يسأل عن سبب وجود السلاح ومباشرة قال لأبي القاسم (شو كنا منحكي منفعل) كما تحدث باللغة الإنكليزية وبعد دقيقة خرج أبو القاسم ومجيد ودخل عبد المجيد وكان بيده

بندقية روسية وأبو القاسم أي محمد حشمة بيده مسدس وصرخ عبد المجيد ارفعوا أيديكم وارموا سلاحكم ثم ذهبت أنا ولحق بي زكريا (مجدي) وبخروجي من باب الدار سمعت صوت طلقات من بندقية روسية.. وأن البارودة صدر منها إطلاق النار قبل سماعي أي صوت طلق ناري..).

5. ما ورد في أقوال الشاهد عدنان دبور (.. فشاهدت فجأة عبد المجيد زغموت يدخل وهو مشهر بيده البندقية الروسية وطلب رفع الأيدي ورمى السلاح فاستهجن الأمر وفجأة صدر منها طلقات وشاهدت محمد حشمة مصاباً وبهذه اللحظة شاهدت النقيب يوسف وبيده مسدس وكنت قريباً من الباب ولكن ليس مشهراً المسدس وكان يصرخ بقوله: قتلوا أبا القاسم.. وكان يود الخروج من الغرفة فمنعته ثم رمى مسدسه الذي كان بيده اليسرى وهو يقول بدكم السلاح هذا السلاح وفجأة سمعت صوت رشة وأصيب النقيب يوسف..).

6. ما ورد في شهادة الشاهد ممدوح صيدم (.. أعلمني موسى أن النقيب يوسف قد حضر وخطف وليد وكان برفقته عدة أشخاص وقد أخبرت الشرطة العسكرية أن عبد المجيد زغموت موجود عندي في المركز ومعه بارودة روسية ومسدس فذهبت فوراً إلى مركز الحرس وقابلت مساعد يدعى عبد ربه وطلبت منه أن اتصل هاتفياً بحضوره بعبد المجيد وكلمته فوراً بلهجة قاسية جداً على أن يعود إلى مركز الحرس القومي وأن يحضر السلاح معه فقال لي لا توجد معه سيارة فقلت له استأجر سيارة تكسي واحضر فأعلمني أنه سيحضر خلال عشر دقائق وانتظرته على الباب لكنه لم يحضر واتصلت به هاتفياً مرة ثانية وطلبت منه أن يخرج من المركز وينتظرني على رأس الشارع وركبت سيارتي واتجهت إلى هناك فلم أجده في الشارع فذهبت إلى مركز الصخر وأعلمني موسى عرفات بخروج عبد المجيد وركوبه سيارة تكسي فعدت ثانية إلى مركز الحرس القومي ولكنني لم أراه..).

7. بتقرير الطبيب الشرعي العطري المؤرخ 1966/5/10 والمتضمن إجراء الكشف على جثة النقيب يوسف عرابي وإصابته بفوهة دخول لرمي ناري في ناحية العضد الوحشي للثالث العلوي للعضد الأيسر وفوهة دخول الطلقة نفسها في جوف الصدر من الناحية الإبطية اليسرى وكسر في الثالث العلوي من عظم العضد الأيسر وفوهة دخول أخرى على الثدي الأيمن بمقدار أربعة سنتيمترات للصدر بدون فوهة خروج وأن سبب الوفاة هو النزف الشديد الرضي الناجم عن دخول المرمى لجوف الصدر وتمزيق الأحشاء الهامة في الصدر والأوعية الهامة.

8. بتقرير الطبيب الشرعي المؤرخ 1966/5/10 والمتضمن إجراء الكشف على جثة المغدور محمد توفيق سعيد حشمة وإصابته بالنزف الشديد الناجم عن تمزق الأوعية الرقبية الشريانية الناجم عن دخول مرمي ناري نافذ وقاطع لهذه العروق الدموية الهامة مما أدى للوفاة مباشرة.

لما كانت النيابة العامة قد سردت وقائع الدعوى وأدلتها وطلبت بالنتيجة تجريم المتهم عبد المجيد زغموت بجناية قتل المغدور يوسف عرابي عمداً وتطبيق فعله على أحكام المادة /535/ من قانون العقوبات وبراءة المتهمين زكريا عبد الرحيم وعبد الكريم العكوك لعدم ثبوت الأدلة ضدهما.

لما كان المتهم عبد المجيد زغموت قد اعترف بارتكابه جناية قتل المغدور يوسف عرابي إنما كان من قبيل الخطأ لأنه لم يكن يقصد قتله وطلب الرحمة والعدالة.

ولما كان المتهمان زكريا عبد الرحيم وعبد الكريم العكوك قد طلب في دفاعهما بإعطاء القرار ببراءتهما لأنهما لم يحرضا المتهم عبد المجيد قتل المغدور يوسف عرابي.

لما كان إقدام المتهم عبد المجيد زغموت على الذهاب إلى مركز الحرس القومي وأخذه البارودة الروسية عنوة من قبل المساعد المناوب في المركز بعد

تهديده ثم الاتصال به هاتفياً من قبل المساعد محمد عبد ربه والمساعد المناوب إلى مركز الصخر بعد ذهابه إليه بشأن إعادة البارودة للمركز دون أن يلبي رغبتهما ثم ذهابه إلى مركز المزرعة لترصد حضور النقيب يوسف عرابي للخلاص منه وتنفيذ نيته التي صمم عليها وعدم الامتثال لرغبة المساعدين المذكورين بإعادة البندقية بعد أن اتصل به ثانية مدعياً بأنه لم يتمكن من الحضور إلى مركز الحرس لعدم وجود نقود لديه لدفع أجرة سيارة وطلباً منه البقاء حتى حضورهما لأخذ البندقية منه، وعند ذهابهما لم يشاهدا ثم عادا وذهبا إلى مركز المزرعة حيث ذهب إليه المتهم عبد المجيد لمقابلة النقيب يوسف هناك وأثناء وجودهم هناك أقدم على الدخول إلى الغرفة التي كان جالساً فيها المغدور يوسف عرابي برفقة المغدور محمد حشمة وأشخاص آخرين وهو مشهر البارودة طالباً منهما رفع أيديهما ورمي سلاحهما ثم إطلاقه النار من البندقية مما أدى لإصابة المغدور محمد حشمة خطأً في حين أنه كان يتوحي قتل المغدور يوسف وبعد خروجه من الغرفة إلى البهو لكي يقف على حقيقة الشخص الذي أصابه وعندما سمع صوت النقيب يوسف الذي كان يصيح بطلب الإسعاف وكان يحاول الخروج من الغرفة بعد أن مدّ يده اليسرى من الباب وهو ممسك سلاحه وبعد أن قذفه إلى البهو أقدم المتهم عبد المجيد على إطلاق النار ثانية من بارودته على النقيب يوسف حيث أصابه، وعلى أثرها حاول الخروج من المركز إلا أن رجال الشرطة حضروا وألقوا القبض عليه.

وحيث إن إطلاقه النار على النقيب يوسف ثانية بعد أن كان سبق له وأن أصاب المغدور محمد حشمة دون أن يصيب المغدور يوسف يشكل جريمة القتل عمداً المنصوص عنه في المادة /535/ من قانون العقوبات العام.

وحيث إن ما ورد في الوقائع والأدلة التي وردت في الدعوى نجد أنه لم يتوفر أي دليل بحق المتهمين زكريا عبد الرحيم ويعد الكريم العكوك على أنهما قد ارتكبا جرم التحريض على قتل المغدور النقيب يوسف عرابي وهو الجرم

المنصوص عنه في المادة /533/ بدلالة المادة /216/ من قانون العقوبات وقد ادعاء النيابة بحقهما مجرد الشبهة.
وحيث إن الشبهة حسب اجتهاد محكمة النقض المستمر يفسر لمصلحة المتهم.

لهذه الأسباب ووفقاً للطب وعملاً بالمواد /535/ و/205/ و/216/ من قانون العقوبات العام والمادة /309/ من أصول المحاكمات الجزائية تقرر بالإجماع ما يلي:

1. براءة كل من المتهمين زكريا عبد الرحيم وعبد الكريم العكوك من جرم التحريض على الفعل المنصوص عنه في المادة /533/ بدلالة المادة /216/ من قانون العقوبات العام لعدم توفر الأدلة الكافية عملاً بأحكام الفقرة الثانية من المادة /309/ من قانون العقوبات بل أصول المحاكمات الجزائية وإطلاق سراحهما فوراً إن لم يكونا موقوفين بجرم آخر.
 2. تجريم المتهم عبد المجيد زغموت بجناية قتل المغدور النقيب يوسف عرابي ومحمد حشمة عملاً والمنصوص عنها والمعاقب عليها بأحكام المادة /535/ من قانون العقوبات العام والحكم عليه بالإعدام شنقاً حتى الموت.
 3. تضمينه عشر ليرات سورية رسم المحاكمة مع النفقات البالغة خمسون ليرة سورية.
 4. تسطير مذكرة إلى مكتب الأمن بالقيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي في دمشق لمتابعة النواحي السياسية التي دفعت إلى ارتكاب الجريمة والتي كان من أهدافها تمزيق صفوف منظمة العاصفة وتصفية القيادات بصورة خاصة التي لم تكن ولاءً لحزب البعث العربي الاشتراكي.
 5. رفع الإضبارة إلى الحاكم العربي للتصديق.
- قراراً وجاهياً غير قابل لأي طريق من طرق الطعن صدر بتاريخ 30 تشرين ثاني 1966 وأفهم علناً.



الفصل

الثامن

حرب 1967

(المفاجأة، المواجهة، الهزيمة، النتائج)

في 7 نيسان 1967، وحوالي الساعة السادسة مساءً، قامت إسرائيل بتتويج تحرشاتها بالمواقع الأمامية في الجبهة بشن هجوم واسع النطاق بالطيران والمدفعية على العديد من المناطق والمواقع والقطاعات العسكرية المنتشرة في الجبهة، وقد كان نصيب منطقة العال، وسكوفيا، والكروسي.. الأوفر من حيث قصف الطيران الإسرائيلي للمواقع العسكرية والقرى قصفاً مركزاً أدى إلى قتل العشرات من المدنيين، وقد اتسع نطاق عمليات الطيران الإسرائيلي فقام بقصف قرى: نعران، والسنابر، والعليقة.. وجميع المواقع العسكرية المحيطة بها. وقد تصدت المدفعية المضادة للطيران للهجمات الشرسة والمتوالية لطيران العدو، كما قام الطيران السوري بمواجهة حقيقية مع تشكيلات الطيران الإسرائيلي، ولكن المواجهة كانت غير متكافئة، لأن عدداً من طائرات الميغ (17) والميغ (21) سقطت في هذه المواجهة.

وقد اطلعت على التقارير الواردة إلينا، وكلنا نعلم، أن الطيران الإسرائيلي كان متسيداً للفضاء الجوي السوري، وأنه أصاب أهدافاً مباشرة عسكرية ومدنية، وأن الإصابات في صفوف المدنيين كانت عديدة، وأن القصف الإسرائيلي أصاب بعض المواقع العسكرية التي كانت خالية من بطاريات المدفعية. ويبدو أن الطيارين الإسرائيليين قد حملوا هذه المواقع على خرائطهم المحمولة معهم في الطائرات فقصفوا على الرغم من خلوها من بطاريات المدفعية، كنت آنذاك في قيادة الكتيبة (102) في خان أرنبه.

وكان تقدير القيادة السياسية والعسكرية لما حدث بأنه يوم مأساوي يؤكد على تفوق القوات الإسرائيلية بطيرانها، واستطلاعها، وقدرتها على المفاجأة، وتحديد أوقات الهجوم، وكان أن اجتمعت القيادتان العسكرية والسياسية لاتخاذ القرارات اللازمة تجاه ما حدث، ولعل من أبرز هذه القرارات التي اتخذت آنذاك يتلخص في رفع مذكرة شكوى إلى مجلس الأمن، والتعويض على المدنيين الذين خربت بيوتهم وممتلكاتهم، أو الذين قتل حيواناتهم وهي في الحقول، أو الذين استشهدوا، هذا في الجانب المدني، أما في الجانب العسكري، فقد كشف الهجوم الإسرائيلي الكثير من العيوب في خطوط الجبهة، وقطاعاتها الشمالية والوسطى والجنوبية، وعدم فعالية الاتصالات بين القوات المتقدمة، والقوات المتمركزة على الخطوط المتوضعة في الخلف، لذلك اتخذت قرارات حاسمة لشدّ روابط قطاعات الجبهة، وتلافي ما حدث، وتفعيل دور الاستطلاع في الخطوط الأمامية للجبهة، ورصد تحركات العدو، وتعزيز دور بطاريات المدافع المضادة للطيران وتجهيزها بالتجهيزات اللازمة لردع سلاح الطيران الإسرائيلي، وشلّ حركته بحيث لا يستطيع القيام بالطلعات الجوية في مشاهد من العريضة التي تضرب بروح المقاومة عند الجندي والمواطن العادي في آن معاً.

باختصار شديد كان ذلك اليوم (7 نيسان 1967) أشبه بالمكاشفة الحقيقية لما نملكه من قوى عسكرية وفيما إذا كانت هذه القوى قادرة على مواجهة القوات الإسرائيلية، كما أنه كان بمثابة الكشف عن صلابة المواطن الذي يتمسك بأرضه ويدافع عنها، لأن ما قامت به «إسرائيل» في 7 نيسان 1967 كان حرباً حقيقية، وقد عديته بعد أن عايشت حرب 5 حزيران 1967 بروفة أولى وأخيرة لحرب الأيام الستة.

في يوم 7 نيسان 1967، أي في يوم المعركة نفسه، خطب رئيس الدولة الدكتور نور الدين الأتاسي مساءً خطاباً شنّ فيه هجوماً عنيفاً على (إسرائيل)،

والقوى الرجعية العربية، والحكومات الإمبريالية التي تساند (إسرائيل) وتدعمها. ومن المفارقات المضحكة أن الخطاب تزامن مع القصف الإسرائيلي الشديد للجبهة.. فكان وقعته في نفوس المواطنين.. مؤلماً وموجعاً، خصوصاً في نفوس المواطنين الذين فقدوا أبناءهم في القرى الأمامية.

فلق الرفيق صلاح جديد

من تصريحات أميركا.. ونهديات (إسرائيل)!

أذكر بعد هذا العدوان الإسرائيلي، في 7 نيسان 1967، طلبني الرفيق صلاح جديد، وقال لي بود، ما رأيك أن ترافقني في زيارة ميدانية للجبهة لكي نستطلع المواقع، ونتعرف على جاهزية القوات. قلت له: حاضر. طبعاً كان هو برتبة لواء والأمين العام المساعد لحزب البعث، وأنا برتبة رائد. كنت آنذاك قائداً للحرس القومي، وقائداً للكتيبة (102) المتمركزة في محيط خان أرنية. ذهبت مع الرفيق صلاح جديد إلى الجبهة. أمضينا هناك يوماً واحداً. منذ الصباح الباكر وإلى وقت الغروب. أذكر أنه كان حريصاً على زيارة المواقع، والتعرف على عدد العناصر في كل لواء، وفوج، وكتيبة، وراح يسأل عن العتاد، والأسلحة، كنت أدون معه الملاحظات التي تتطلب إجابة من قبل القيادة العسكرية في الأركان العامة. كما كان يسأل عن المواقع الإسرائيلية المواجهة لمواقعنا، وتقديرات ضباطنا لعددها وعتادها وقواها، وكنت أشعر بأن المعلومات التي تعطى له ارتجالية وغير دقيقة.

المهم أننا عدنا من الجبهة بعد عمل يوم مرهق، وبينما كنا في الطريق، وقد صرنا على مسافة قريبة من دمشق، مخلفين القنيطرة وقراها خلف ظهورنا، قال لي: تصريحات أميركا غير مريحة. أشعر أنها تبئت أمراً سيدفع (إسرائيل) إلى مهاجمتنا بضرارة. والأجواء السياسية التي تلعب بها الولايات

المتحدة تنذر بحرب غير عادية هزم المرة، وتصريحات قادة (إسرائيل) ذات وتيرة غير مسبقة. ووضعنا العسكري غير مريح. والسوفييت غير متحمسين لمساعدتنا كما نرغب. والثقة مع مصر لاتزال ضعيفة. والمحيط العربي يقبع في مقاعد المتفرجين.

شعرتُ أن روحاً تشاؤمية تسود لهجة الرفيق صلاح جديد، الذي كان من النادر أن يعبر بصراحة عن مشاعره أمام الآخرين. لعله كان يتوقع بحرب 5 حزيران 1967، لاسيما حين تحدث عن الأعمار الصناعية الإسرائيلية والأمريكية (وغير الأمريكية) التي تقوم بعمليات تجسس لصالح (إسرائيل) من أجل تحميل المواقع العسكرية، والطرق في الجبهة على الخرائط الطبوغرافية الإسرائيلية.

طبعاً، منذ 7 نيسان 1967، بقيت قواتنا المسلحة في حالة استنفار شديد تخوفاً من هجوم إسرائيلي واسع النطاق وشيك الوقوع. وقد جرت في هذه الفترة بعض الاتصالات ما بين القيادات السياسية والعسكرية، في سورية ومصر من أجل التنسيق فيما بينهما، وقراءة التهديدات الإسرائيلية قراءة جدية لأنها قد تنفذ في أي وقت. وأذكر أن الرفيق صلاح جديد أوصاني بعد وصولنا إلى دمشق، أن أكرر زيارتي لقطاعات الجبهة لرصد ما تقوم به قواتنا من تحضيرات جدية في حال نشوب معركة مع «إسرائيل»، لذلك كثرت زياراتي إلى الجبهة، وقد رأيت فعلاً نشاطاً ملحوظاً في القطاعات العسكرية على صعد عديدة من حيث التدريب، ورفع جاهزية الجنود، وتشديد الحراسات، والاهتمام بالرصد والاستطلاع، وعمليات التمويه.. الخ.

والصورة العامة لوضع القوات المسلحة كانت مرتبكة إلى حد ما، فقواتنا في الساحل كانت في حالة خوف من إنزالات بحرية للقوات الإسرائيلية، وتصريحاتنا العسكرية الصادرة عن رئيس الأركان اللواء أحمد سويداني كانت انفعالية وغير واقعية، وخطب رئيس الدولة الرفيق نور الدين الأتاسي جميعاً

كانت بلا جدوى، وفيها الكثير من الكلام النظري الذي يراد به التخدير لا العمل بوعي يدرك حقيقة واقع قوات العدو وإمكاناته العسكرية فتُبْنى وفقها التصورات المنطقية بعيداً عن عالم المبالغة أو الاستخفاف بها.

بعد يوم واحد من الاعتداء الإسرائيلي على المواقع الأمامية في الجبهة، أي في 8 نيسان 1967، صدر قرار بتسمية الحرس القومي بـ الجيش الشعبي، وإسناد قيادته إليّ، لذلك قمتُ بتشكيل الكتائب الاحتياطية لهذا الجيش في ظلّ ظروف التهديدات الإسرائيلية، بحيث تكون كتائب احتياط للجيش الشعبي في كل محافظة، تعمل بتنسيق مع قيادات المناطق. كان الكثيرون من القيادات السياسية يحدسون يومياً بأن الحرب واقعة لا محالة.

وأذكر أن القيادة العسكرية أقامت مهامب احتياطية، قرب مطار المزة العسكري، وهذه المهامب تمتد من عند الإذاعة قرب الأركان إلى مطار المزة، وقد كانت هذه المنطقة عبارة عن بساتين لأشجار الصبارة. هذه المهامب كانت جزءاً من الأعمال العسكرية التي قامت بها وزارة الدفاع تحوطاً لما تنذر به الأوضاع السياسية والعسكرية آنذاك. على طرف هذه المهامب أُقيمت منصة لمشاهدة عرض عسكري شعبي أُقيم في عيد الجلاء 17 نيسان 1967، وقد كان العرض العسكري أشبه برسالة تهديد ووعيد لإسرائيل عرضت فيه دبابات، ومدفعية ميدانية، ومدفعية مضادة للطيران، وقد شاركت فيه كوكبة من كتائب الفتوة، والعمال، والفلاحين، وطلبة الجامعة، والاتحاد النسائي، وكتائب الفتيات، وقد فوجئت بالرفيق صلاح جديد حين طلب مني أن أقف أمام العرض العسكري مع العميد عبد الرزاق الدردري رئيس شعبة العمليات في هيئة الأركان. فهو سيقف في العرض لأن في العرض جانباً عسكرياً سيمثله هو، وفيه أيضاً قوات من الجيش الشعبي سأقوم أنا بتمثيله باعتباري قائداً للجيش الشعبي. وسبب المفاجأة، هو أنني، وأنا في رتبة رائد، لا أملك بدلة عسكرية مخصصة للعرض. لذلك قلت للرفيق صلاح جديد: لكن ليس لدي بدلة

عسكرية مخصصة للعرض، فقال: بسيطة. لدي بدلة سأعطيك إياها لتلبسها في العرض. وهذا ما حدث فعلاً، علماً بأنه لم تكن لدي رغبة حقيقية للوقوف في هذا العرض. ومع هذا لبست بدلة الرفيق صلاح جديد، ومشيت مع القوات في العرض العسكري مدة ثلاث ساعات ونصف الساعة، وكنت إلى يمين العميد عبد الرزاق الدردري، ومما أذكره أن (جاكيت) البدلة كانت في قياسي تقريباً، بينما (البنطلون) كان قصيراً، لذلك لبست من أجل إخفاء قصره الجزمة العسكرية الطويلة. وبعد انتهاء العرض أعدت البدلة للرفيق صلاح جديد.

حرب الأيام الصعبة.. 1967!

صباح يوم 5 حزيران الساعة السادسة وربع وأنا في السيارة في طريقي إلى عملي سمعت نشرة الأخبار أن الطائرات الإسرائيلية بدأت منذ الفجر بشن هجوم جوي عنيف على المطارات المصرية، وأن خسائر كبيرة ألحقت بالقوات الجوية المصرية، وأن الأنباء مضطربة. مصر تقول شيئاً ينفي مزاعم (إسرائيل) وتصريحاتها، و(إسرائيل) تقول كلاماً يثبت أنها دمرت الطائرات المصرية وهي جاثمة على مدارج المطارات!

لكأن الأرض دارت بي. إذاً كل التصورات المسبقة عن وقوع الحرب كانت صحيحة. فها هي الجبهة المصرية تنهار أمام الضربات الإسرائيلية المفاجئة. طيران مصر يدمر فوق المدارج، عند الصباح الباكر. والحرب، كما نعرف، مفتاحها الأساسي المفاجأة، وقد حققتها (إسرائيل)، بتعيينها ساعة الصفر، وساعة التفيز.

ذهبت مباشرة إلى قيادة الجيش الشعبي. وقد كنت في طريقي إليها. كان الوقت مبكراً، حوالى السادسة والربع.. أي أنني سمعت أخبار ما يحدث في مصر في النشرة الصباحية الأولى.

ما أن وصلت إلى قيادة الجيش الشعبي حتى بدأت اتصالاتي برئاسة الأركان. تحدثت إلى وزير الدفاع اللواء حافظ الأسد، وسألته عن الموقف. فقال: ضربوا طائراتنا أيضاً، استتفر قوات الجيش الشعبي، ووزّع الأسلحة على القطاعات الشعبية وبمعرفتك. واتصلت برئاسة الأركان، تحدثت إلى اللواء أحمد سويداني، وشعبة العمليات وسألته عن الأخبار وما هو أمر القتال فطلبوا مني ما طلبه وزير الدفاع.

اتصلت بقيادة الدفاعات التي كانت في بداية تشكيلها، بحيث لم يكن لدينا سوى كتائب احتياطية في الدفاعات. اتصلت بها في جميع المحافظات وعممت عليها برقية الاستنفار الشديد لأخذ الحيطة، والاستعداد لتلقي الأوامر.

طبعاً بدأت الأخبار تنهال علينا، فقد عرفت أن الطائرات الإسرائيلية، وفي الصباح، أي عند الضحى تقريباً، في حوالى التاسعة إلا رباعاً قصفت تسعة مطارات أو عشرة مطارات مصرية، بحيث دمرت الطائرات وهي لا تزال واقفة على المدرج، فقد قصفت مطارات: بني سويف، والعريش، وبير تمادة، وكبريت، والقاهرة الغربية، وفاید، وبير جفجافة، وأنشاص.. في أوقات متقاربة جداً. ثم راحت أخبار تقدم القوات البرية الإسرائيلية تتالى. كانت أخباراً محزنة على الجبهتين المصرية، والأردنية، فقد أخذت القوات المصرية تتراجع القهقري نحو قناة السويس، وكذلك القوات الأردنية تراجعت وأخلت الكثير من المدن الفلسطينية في الضفة الغربية.. تبعاً.

الخوف من الطيران الإسرائيلي !!

كان الهاجس الأكبر يتمثل في كيفية المحافظة على سلامة أرضنا، وكيفية العمل على تقوية دفاعاتنا. فمنذ اليوم الأول للحرب كان لابد للقوات السورية

من أن تكون في قلب المعركة خصوصاً وأن اثنين من مطاراتنا القريبة من دمشق قد قصفا بالطائرات الإسرائيلية، مما أدى إلى تدمير العديد من الطائرات الموجودة فيهما، وذلك بعد أن قام عدد من طائرات الميغ 21 السورية بقصف مصفاة حيفا صباح يوم مباشرة الحرب (5 حزيران 1967)، كما قامت القوات البرية الموجودة في الخط الأمامي للجبهة بقصف العديد من المواقع الإسرائيلية المواجهة لها.

غرفة عمليات حربية.. في القنيطرة!!

أمرت القيادة العسكرية بإحداث مقر قيادة متقدم بأمره رئيس هيئة الأركان اللواء أحمد سويداني يعاونه العديد من ضباط القيادة في الأركان، واتخذت هذه القيادة الميدانية من مدينة القنيطرة مقراً رئيساً لها للإشراف على سير المعارك. طبعاً لم تقم القوات السورية البرية بمبادأة الهجوم باتجاه قوات العدو الإسرائيلي ذلك لأنها قوات ضعيفة أعدت أصلاً للقيام بواجب الدفاع، ثم لمعرفة قيادتنا أن الميزان العسكري في حال الهجوم يميل إلى صالح القوات الإسرائيلية المزودة بعتاد وأسلحة تفوق ما لدى قواتنا من عتاد وأسلحة وبأضعاف مضاعفة. ولم تتقدم القوات الإسرائيلية براً باتجاه أراضينا إلا في 9 حزيران 1967، وعلى عرض الجبهة، وخصوصاً في القطاع الشمالي! كانت الأخبار الواردة إلينا من أرض الجبهة ومواقع المواجهة غير مطمئنة. لذلك انصب تفكيرنا على تعزيز الجبهة الداخلية ورص صفوفها وقد وقعت هذه المسؤولية عليّ لاسيما وأنتني أشرف على قيادة الجيش الشعبي الذي يعد الرديف الأول والحقيقي للجيش.

السجناء.. طلقاء بسبب الحرب!

أذكر أن القيادة السياسية أصدرت قراراً بالإفراج عن السجناء المتورطين

بأعمال عدائية ضد الثورة، وقد كان من بين هؤلاء عدد من الضباط والسياسيين الذين رفضوا العمل مع حركة 23 شباط 1966، أي الذين وقفوا في وجه الحركة، ولم يتحالفوا معها.

حين أطلق سراح الجميع، جاء عدد غير قليل من الضباط إلى قيادة الجيش الشعبي. فقد أرسلت القيادة إلى حوالي 30 ضابطاً من جماعة أكرم الحوراني والتيارات السياسية الأخرى التي كانت معارضة لحركة 23 شباط 1966، فوزعتهم على القطعات، من أراد منهم أن يذهب إلى محافظته أرسلته، ومن أراد منهم العمل في القيادة أبقيته لدي، ومن الضباط الذين عملوا معي في القيادة، من دون تعقيدات الرائد اسكندر سلامة(*) (رحمه الله)، وقد كان سجيناً وأفرج عنه. وهو ضابط هندسة. وقد كلفته باغم الطرق والعبارات الموجودة خارج مدينة دمشق التي قدرنا أنه من الممكن للعدو أن يستفيد منها. وقد نفذ اسكندر سلامة كل ما طلبته منه وبهمة عالية. كما وجد لدي العديد من الضباط الذين أفرج عنهم، بعضهم كان يعمل، فيقوم بالمهام التي نطلبها منهم، وبعضهم الآخر كان لا عمل له سوى الشمانة واللوم. ولن أذكر أسماء هنا، كي لا أؤذي مشاعر أحد، ذلك لأن الظرف كان استثنائياً، وحالة التوتر تلف الجميع، والوقت ليس وقت تسجيل ملاحظات على الآخرين. وأكثرهم قد توفوا رحمهم الله جميعاً!

انهيار القيادة المدنية..!

لا أشك إطلاقاً بأن وقع خسارة الحرب مع العدو الصهيوني علينا كان عصبياً، وموجعاً، بل وصل إلى حد التدمير الذاتي. فإسرائيل وخلال أيام قليلة سيطرت على مساحة كبيرة من الأراضي السورية والمصرية والفلسطينية تفوق

وقد رفني إلى رتبة لواء، وتسلم إدارة المهندسين، ومن ثم إدارة الأشغال العسكرية، وقد كانت تربطني به صداقة قوية.

المساحة التي احتلتها عام 1948. وخسارة العرب على هذا النحو المريع والمؤلم تركت آثارها الموجعة في نفوسنا، ولكن لا بد من التماسك في هذه الظروف الصعبة جداً.

لقد عرفنا جميعاً، وعن طريق الأخبار أن الرئيس عبد الناصر تلقى الهزيمة بحزن عميق جداً دفع به إلى إعلان استقالته وانسحابه من الحياة السياسية والعسكرية المصرية لأنه . كما قال: (يتحمل نتائج الهزيمة بالكامل). وكان لا بد لهذا الحدث الزلزال من أن يترك آثاره المدمرة على أعضاء القيادة في سورية (المدنية، والعسكرية معاً). لذلك أصيبت القيادتان المدنية والعسكرية في سورية بحالة من الذهول، وقد ظهرت حالات الانهيار، والتمزق، والسلبية.. على العديد من أعضاء القيادة السياسية. فقد علمت أن رئيس الدولة نور الدين الأتاسي طلب أن تجتمع رئاسة الدولة، والحكومة، وقيادتا الحزب، من أجل صياغة بيان مشترك يذاع على المواطنين يعلن بوضوح عن تحمل مسؤولية الهزيمة، وعن انسحاب القيادتين السياسية والعسكرية من مواقع السلطة. وقد كانت آراء العديد من أعضاء القيادتين القومية والقطرية للحزب تركز على هذا الجانب، وتتبنى صياغة مثل هذا البيان وإذاعته على الناس، والانسحاب من الحياة السياسية، وكان يتزعم هذا الاتجاه رئيس الدولة نور الدين الأتاسي، ورئيس الوزراء يوسف زعين، ووزير الخارجية إبراهيم ماخوس، وقد كنت على احتكاك مباشر معهم في أثناء أيام الحرب، ولكن بعد وقوع الهزيمة، وصدور قرار مجلس الأمن القاضي بوقف الحرب، ما عدت أرى هؤلاء الثلاثة.

فالرفيق نور الدين الأتاسي ذهب إلى بيته واعتكف، وكذلك فعل الرفيق يوسف زعين، أما الدكتور إبراهيم ماخوس فما عدت أراه ولا أسمع أخباره. وهكذا صار الحديث عن انهيار القيادة السياسية وتواربها حديثاً يتناقله الجميع.. الأمر الذي أصاب القيادة العسكرية بقلق. فتساءل أعضاؤها: ما العمل؟! وهل نحذو حذو القيادة السياسية إذا ما اقتنعت بإذاعة بيان استقالتها

للشعب، وهل الحل موجود بانتخاب قيادة جديدة تقود دفة الحكم في البلاد؟ أم على القيادة العسكرية أن تتماسك وتعيد الثقة إلى الجيش عن طريق إعادة تشكيله، ودراسة أسباب الهزيمة دراسة واقعية؟

وحيلاً.. مع حافظ الأسد وصلح جديد!!

أذكر، ونحن في خضم هذه الروح اليائسة، أنني ذهبت إلى القصر الجمهوري القديم الواقع إلى الغرب من حي المالكي، حيث نقلت القيادة القطرية إليه. دخلت إلى مكتب الرفيق صلاح جديد، فوجدت وزير الدفاع اللواء حافظ الأسد موجوداً عنده. كان جالساً، بينما الرفيق صلاح جديد يذرع غرفة المكتب ذهاباً وإياباً وقد عقد يديه خلف ظهره، بدا الاثنان مهمومين، وعلى درجة كبيرة من القلق والحزن. لا أزال أذكر أنني رأيت اللواء حافظ الأسد عاصباً رأسه بكفيه. فسألته إن كان يعاني من عارض صحي. فقال: رأسي يكاد ينفلق. وحين صمتنا. قال الرفيق صلاح جديد: الرفاق نور الدين الأتاسي، ويوسف زعين، وإبراهيم ماخوس.. في اجتماع من أجل صياغة بيان الانسحاب من الحكم.. فما العمل؟ أحسست أن الكلام موجه إليّ، لأن وزير الدفاع كان في حالة صمت. قلت مازحاً: ما هذه القيادة التي تتادي بتحرير العرب من المحيط إلى الخليج، ثم ومن أول مواجهة تدير ظهرها، وتريد الانسحاب من الحياة السياسية. وهنا لم أدر لماذا توقف الرفيق صلاح جديد في مكانه، وانتبه بكليته إلى ما قلته، ولماذا فكّ وزير الدفاع يديه عن رأسه. للوهلة الأولى ظننت أنني أخطأت في الكلام، لكنني وعندما قال لي وزير الدفاع: محمد ماذا قلت؟ أدركتُ أنهما كانا يبحثان عن مخرج للأزمة التي تعيشها القيادة. لذلك قلت لهما: أعتقد أن طروحات حزب البعث واضحة، وطروحات الثورة واضحة، وأن مصير سورية من مصير العرب، وما يؤثر في العرب يؤثر في سورية، ولكن هذا لا يستدعي أن نقيم المنذبة واللطم. لقد

خسرنا معركة، ولم نخسر كل شيء. لقد انهزمنا، وخسرنا الحرب، ولكن لا بد من النضال والصبر حتى آخر لحظة، تاريخنا الطويل منذ الفتوحات الإسلامية علّمنا أن نصبر، وأن نعد العدة من أجل محو الهزيمة، والانتصار...، فصراعنا مع العدو طويل، فالمغلوب اليوم قد يصبح غالباً غداً. وكلنا يعرف ظروف جيشنا وعتاده وقواه مقارنة بعتاد وقوى الجيش الإسرائيلي. ودور المناضلين والقادة الحقيقيين هو الآن من أجل جمع شمل الجيش، وفئات الشعب لأن الهزيمة فتكت بالمجتمع ودمرته، ومسؤولية بناء الجيش وبناء المجتمع مسؤولية المناضلين الذين كتبت عليهم المواجهة والمقاومة لا الاستسلام والانقياد والجلوس في البيوت. على الحزب والثورة ألا يهربان من المواجهة الأولى، وإلا كيف لنا أن نصدق بأننا نحن قادة الأمة من المحيط إلى الخليج. وصمتٌ منتظراً تأثير كلامي فيهما. لقد شعرت أنهما تحاورا وتناقشا إلى الحد الذي جعلهما لا يخرجان من وطأة الهزيمة، ونتائجها المدمرة. ولم أدر أن كلامي أثر في الرفيقين صلاح جديد وحافظ الأسد. وأنتي شحنت مغنوياتهما. لذلك سأنتي الرفيق صلاح جديد: طيب، وما العمل؟ قلت: علينا أن نشد من أزر السياسيين، وأن نتشلهم من انهيارهم. فالمسؤولية واقعة علينا نحن البعثيين. ثم إنني أسألكما.. لمن نترك الدولة؟ لتركها.. للانفصاليين، والرجعيين؟ لا، علينا أن نعيد الثقة إلى السياسيين قبل أن يسيطر اليأس عليهم، وقبل أن تدمرهم الهزيمة نهائياً.

وقرّ الرأي على أن أذهب بتكليف من وزير الدفاع حافظ الأسد والأمين القطري المساعد صلاح جديد وأجمع السياسيين.. من أجل المناقشة والحوار للوصول إلى صيغة عمل جديدة. فعلاً، ذهبت إلى بيت الرفيق يوسف زعين، وأتيت به إلى القصر الجمهوري، وكذلك ذهبت إلى بيت الرفيق نور الدين الأتاسي وجئت بصحبته إلى القصر، ثم حضر الرفيق عبد الكريم الجندي، ثم جاء آخرون، وهكذا اجتمعت القيادتان السياسية والعسكرية، وبدأ الحوار الجدي بين الطرفين من أجل الوصول إلى صيغة بعيدة عن تثبيت الآثار المدمرة

التي ولّدتها الهزيمة. والحقيقة التي كنا نعيها جيداً هي أننا خسرنا الحرب، وأن القيادتين السياسية والعسكرية تتحملان مسؤولية الهزيمة التي رشحت آثارها إلى جميع شرائح المجتمع^(٥).

أحمد سويداني.. غاضباً!

من آثار الهزيمة القاسية، شعور أحمد سويداني بالإحباط الشديد. كان يقول لمن يقابله إن أسباب الهزيمة الجوهرية تتلخص بأنه لم يكن يتصرف كما تقتضي مسؤوليته كرئيس لهيئة الأركان وذلك لأنه مرتبط بوزارة الدفاع، وأن وزير الدفاع اللواء حافظ الأسد يقيد حريته، ويمتنع من أن يتصرف بمرونة كافية تمكنه من اتخاذ قرارات فورية لصالح العمل العسكري. لذلك راح يطالب بعدم التدخل بشؤونه إذا ما أريد له أن يستمر في منصبه كرئيس لهيئة أركان القوات المسلحة. وطالب بضم المخابرات الجوية إلى المخابرات العسكرية، أي أن يتم فصل مخابرات القوات الجوية عن قيادة القوى الجوية وإلحاقها بفرع

^(٥) بعد يوم أو يومين من وقف إطلاق النار، شاعت أخبار أن سليم حاطوم وبدر جمعة قد تسللا مسن الأراضي الأردنية إلى الأراضي السورية من جهة السويداء. قيل إنهما يريدان استغلال الظروف الصعبة التي يمر بها البلاد الراحة تحت آثار الهزيمة لتتهيج عواطف الناس ضد القيادة السورية (العسكرية والسياسية)، انطلاقاً من مقولة أن القيادتين العسكرية والسياسية مسؤولتان عن الهزيمة، وعليهما أن تخليا مواقع المسؤولية للآخرين. وقد ألقى القبض عليهما في إحدى ضواحي السويداء، قرب شهباء، من قبل عناصر مخفر حدودي، وسلما إلى القيادة بدمشق.

وعرف من بحريات التحقيق الأولى معهما (وقد كان التحقيق قصيراً) أنهما دخلا إلى سورية من أجل قلب نظام الحكم وتسلم القيادة، على اعتبار أن الدولة غير موجودة، والإحباط يسيطر على الجميع. وأنهما دفعوا لانتفاذ هذا الموقف. وقد تم إصدار حكم بالإعدام عليهما، أما الضباط الآخرون المتعاونون معهما فكان مصيرهم السجن بعد صدور أحكام قضائية بحققهم متفاوتة في مددها الزمنية. وقد صدق حكم الإعدام رئيس الدولة نور الدين الأسد، وتم تنفيذ الحكم في سجن المرة العسكري بحضور المحكمة العسكرية الميدانية التي ترأسها المقدم مصطفى طلاس عضو القيادة القطرية. وقيل إن سليم حاطوم كان في حالة انفعال كامل، بينما كان بدر جمعة متمسكاً، فقد رفض أن يعصب عينيه.

من فروع شعبة المخابرات، كي تكون تحت سيطرته المباشرة. وكان يريد من وراء ذلك أن يضعف قوة وزير الدفاع اللواء حافظ الأسد لكي يسيطر هو على الجيش سيطرة كاملة.

وأحب أن أذكر أن أحمد سويداني كان ضابطاً في أثناء فترة الانفصال، ورتبته رائد، وهو لم يسرح من الخدمة، ففي شهر آذار 1962 اتخذت الحكومة الانفصالية قراراً بتعيينه ملحقاً عسكرياً في الصين، وقد استخرج جواز سفر، وبطاقة السفر، وفي أثناء أحداث حركة الضباط الأحرار التي وقعت في حلب بتاريخ 1 أنيسان 1962 حاول الالتحاق بها والانضمام إلى ضباطها لأنه كان من البعثيين وأصحاب الاتجاه الوحدوي، إلا أن فشل هذه الحركة جعله يذهب إلى الصين قبل أن يستدعى إلى التحقيق. ولكونه ضابط مدفعية وزميلًا لصالح جديد، استدعاه الرفيق صلاح جديد من الصين بعد قيام الثورة. وهو للحقيقة رجل مشاكس، وعنيد، ولم تكن عقليته عقلية مخطط أو مبرمج. كما أنه ليس غيباً كما أراد البعض أن يوصفه، فهو عسكري محترف. أحضره الرفيق صلاح جديد بعد قيام الثورة وسلمه فرع الشرطة العسكرية، وأبقاه فيها حتى أوائل عام 1965، بعد ذلك نقل إلى شعبة المخابرات فاستلم رئاستها، والتصق بصالح جديد أكثر. وهو رجل عسكري نشيط جداً، له طموحات كبيرة. كان قريباً من اللجنة العسكرية، وصاحب رأي، وشجاع. ومما أذكره أنه، في أحد مؤتمرات الحزب، وكان مكان انعقاده في قصر الضيافة، قام أحمد أبو صالح فشن هجوماً شرساً على العسكريين، وقال: كل واحد من العسكريين يدعي الثورية والحزبية وهو في الحقيقة يختبئ وراء رتبته. فغضب أحمد سويداني، وخلع رتبته من فوق كتفيه ورمها في وجه أحمد أبو صالح وشتمه، وقال نحن نعرف الثورية والنضال والحزبية ولا نختبئ وراء رتبنا. وكاد الموقف يتفجر ما بين العسكريين والمدنيين. لكن أعضاء القيادة من الطرفين، المدني والعسكري، ضبطوا إيقاع المؤتمر، فسوي الأمر، وزالت حدة التوتر، وهدأت النفوس.

أحمد سويداني.. يطالبني ليلاً!!

ومما أذكره، هو أن مخالطتي لأحمد سويداني كانت عادية، ليست بالقليلة ولا بالكثيرة! فذات مرة، وفي أواخر عام 1967، والدنيا يلفها برد شديد، ومطر غزير، وليل دامس.. اتصل بي اللواء أحمد سويداني عبر الهاتف. كنت موجوداً في البيت. قال لي: ماذا تعمل؟ قلت له: أنا في البيت. قال: تعال لعندي. فذهبت إليه حيث كان في مبنى هيئة رئاسة الأركان. وجدته بلباسه العسكري الميداني، وقد كان ينتظرني أمام باب القيادة في الساحة. سلمت عليه وعلى العقيد أحمد الأمير الذي كان إلى جواره. سألت اللواء أحمد سويداني ما الأخبار؟! فقال: اصعد معنا. فصعدت. سارت السيارة باتجاه طريق درعا. قال: نريد أن نذهب إلى الخطوط الأمامية لكي نرى كمائن الحراسة. كانت سيارة لاندروفر تسير وراءنا تابعة لهيئة رئاسة الأركان. قلت له ناصحاً: إن رؤية الكمائن ليلاً، وبهذا الجو العاصف الماطر صعبة جداً. غير أنه أصر على ذلك. فوافقته مكرهاً. مررنا بقطاع لواء يقوده المقدم مصطفى شربا، ورئيس أركانه المقدم علي حسين، فتفقد الكتائب، والسرايا. كان عصبياً في تعامله مع الضباط وغاضباً من أي شيء لست أدري! لقد صفع أحد الضباط على وجهه قرب جسر الرقاد لأنه عدّه مهملأ، ولم يقم بواجبه العسكري. وهنا تدخل العقيد أحمد الأمير فقال لرئيس هيئة الأركان: (طول بالك أبو وائل) نحن في الخط الأمامي. والحق أن العقيد الأمير كان هادئاً بملاحظته، عكسي تماماً فقد كنتُ غاضباً جداً، فقلت لأحمد الأمير لا يجوز لرئيس الأركان أن يضرب ضابطاً وهنا على الخط الأمامي. ماذا لو ثارت كرامة هذا الضابط فجأة فأطلق علينا النار في هذا الليل البهيم؟! وأنا على قناعة بأن الضابط محق في تصرفه حين يمنعنا من الوصول إلى الكمائن ليلاً خوفاً من أن يتفاجأ الحراس بنا فيطلقون علينا النار، فنذهب (فرق عملة) في هذا الليل! ثم اجتمع بالضباط ونحن معه في إحدى السرايا، فشتم وسب

ولعن.. وقد بلغ الغضب منه مبلغه، وهدد وتوعد بالعقوبات وأوصى بالانضباط العسكري. بدا مهزوزاً، وقلقاً أمام الجميع. وعدنا ليلاً بعد تلك الزيارة الليلية العجيبة إلى بلدة (نوى) ببلدته، حيث نمنا في بيته، كنا متعبين لذلك لم نتناول طعام العشاء لأنه لم يكن أحد موجوداً في البيت المتواضع. وفي الصباح، تناولنا عنده طعام الإفطار، ثم أخذنا في جولة صباحية إلى وادي طعيم، فقرب هذا الوادي جرت معركة الواقوصة، وبينما نحن هناك جاء المقدم مصطفى شربا، فانفرد بي جانباً وقال لي: أرجوك، يا محمد حاول أن تقنعه بأن لا يعاقب الضباط لأنهم إن عوقبوا فلن يترفعوا، والترفع بعد أيام. وهم فقراء، وشرفاء، ووطنيون. وليس لهم أي ذنب! هو من كان غاضباً ومتوتراً دون أن نعرف لماذا! فقلت له: لا بأس. أشعر أنه الآن هادئ في هذا الصباح. وسأحدثه بشأن العقوبات لكي يلغيها إن رأى ذلك مناسباً. فعلاً بعد وقت قليل، فاتحته بشأن العقوبات. وشرحت له أوضاع الضباط، وظروفهم، ورجوته أن يلغي العقوبات إذا كان ذلك لا يزعجه. أي أنني توسلت لديه من أجل إلغاء العقوبات. فقال: طيب. اعتبر العقوبات لاغية. فانشرح صدري!

أحمد سويداني.. يشكو في القيادة القطرية!!

الدهش والمفارق في وقت واحد، هو أننا، وحين عدنا إلى دمشق، وفي اليوم التالي، وفي أثناء اجتماع للقيادة القطرية، وقد كان أحمد سويداني عضواً فيها. نرفز في الاجتماع واستشاط غضباً، وقال للمجتمعين بلهجة استنكارية: أي رئيس أركان هذا الذي يذهب للتفتيش ليلاً على قواته في الخطوط الأمامية، ويفرض عقوبات بحق بعض المقصرين من الضباط، ثم يأتي رائد فيلغيها؟!!

وهنا سأله المجتمعون وقد دهشوا: متى فرضت العقوبات؟! ومن هذا الرائد الذي ألغاه؟! فقال: البارحة. ذهبت إلى الخطوط الأمامية، وفرضت

عقوبات بحق ضباط مقصرين، فقام الرائد محمد إبراهيم العلي بإلغائها. فدهشوا جميعاً، لكن العقيد أحمد الأمير الذي كان عضواً في القيادة القطرية، قال له أمام الجميع بأنه هو من فرض العقوبات وهو من ألغها أيضاً، وليس الرائد محمد إبراهيم العلي. وأنه كان في ليلة أمس عصبياً وغازباً لذلك فهو ينسى، ويريد أن يحمل المسؤولية لـ (أبو الندى) الذي لا ذنب له سوى أنه أراد الرأفة بالضباط الذين توعدهم بالعقوبات، بينما هم ينتظرون الترفع. ومع ذلك، طلبني الرفيق صلاح جديد. وسألني، ما قصة العقوبات؟ قلت: أية عقوبات سيدي؟ طبعاً لم أكن أتوقع أن أحمد سويداني سيتحدث عن مثل هذا الأمر أمام الرفيق صلاح جديد أو أي من أعضاء القيادة. قال الرفيق صلاح جديد: أحمد سويداني، رئيس هيئة الأركان قال إنه فرض عقوبات بحق ضباط مقصرين في أداء واجبهم في الجبهة! فقممت أنت وألغيتها! حقيقة، صغقت! فقلت للرفيق صلاح جديد: أحمد سويداني هو الذي طلبني، وأخذني معه إلى الخطوط الأمامية، وقد كان معه العقيد أحمد الأمير. وهو الذي توعد بعض الضباط بعقوبات انضباطية، وأنا توسطت لديه بعد أن حدثني المقدم مصطفى شربا قائد اللواء عن أوضاع هؤلاء الضباط وظروفهم الصعبة. فوافق، وألغى العقوبات التي هدد بها الضباط. فهزّ الرفيق صلاح جديد رأسه بأسى وحزن. وقال لي: يبدو أن أحمد بدأ (يخريط) وهو لن يستطيع الاستمرار، في رئاسة هيئة الأركان. قلت: وما ذنبي أنا لكي أتحمّل (خريطاته). قال: هذا ما حدث! يبدو أن الهزيمة مازالت تفعل فيه الأعاجيب. وخرجت من عند الرفيق صلاح جديد، وأنا غير مصدق لما فعله أحمد سويداني، ولكنني في الوقت نفسه، كنت حزناً.. أيضاً لأنني ربطت حالته النفسية بهزيمة 1967.

انصلا! أحمد سويداني.. المشبوهة!!

في تلك الفترة شعر أحمد سويداني بضرورة استقطاب العديد من

الضباط إلى جانبه، فشرع يتصل بالضباط ويستميلهم إليه، لكنه كان غليظ القلب، قاسياً، ليس ودوداً مع الآخرين، والطاعة له كانت طاعة المرؤوس لرئيسه، وليست طاعة محبة وتقدير. ويبدو أن اتصالاته بالضباط كانت مكشوفة، أو مراقبة. وقد أحس الرفيق صلاح جديد، وبعض أعضاء القيادة بما يرمي إليه.. لذلك أرادوا أن يلجموا حركته بعدما تضاعفت وازدادت وضوحاً بين غمز وهمس في أوساط الضباط. وقد كانت تصرفات أحمد سويداني العصبية هي السبب الجوهرى في إزاحته من رئاسة الأركان، يضاف إلى هذا السبب أسباب أخرى من أهمها أنه راح يجس نبض بعض الضباط من أجل أن يتسلم واحد منهم رئاسة الأركان إذا ما أصبح هو في منصب وزير الدفاع. كانت عين أحمد سويداني على وزارة الدفاع، لذلك راح يبحث عن ضابط يستطيع السيطرة عليه إذا ما سلمه رئاسة الأركان. كان الضباط، وأعضاء القيادة القطرية يعرفون ويدركون جيداً من هو اللواء حافظ الأسد من جهة، ومن هو اللواء أحمد سويداني من جهة أخرى. وإذا ما تمت المقارنة فإنها لصالح اللواء حافظ الأسد بلا منازع، والوصول إلى هذه القناعة لم يكن يحتاج إلى ذكاء خارق.

عزل أحمد سويداني..!!

حين اجتمعت الأسباب الموجبة لعزل أحمد سويداني من رئاسة هيئة الأركان، اتخذت القيادة القطرية قرارها بالإجماع، وأحيل أحمد سويداني إلى العمل في قطاع الشببية حيث تسلم رئاسة مكتب الشببية والرياضة. هذا القرار جعله يفقد توازنه نهائياً. ولاسيما أنه راح يسمع الأقاويل التي تدور حول تلف أعصابه وتعبها، وعن عدم سيطرته على أحكامه وتصرفاته. وأنه رجل غير متوازن. وشاعت إشاعات عديدة آنذاك فحواها أن الرفيق صلاح جديد يريد العودة إلى الجيش، وأنه يريد تسلم وزارة الدفاع، وقد اختار المقدم

مصطفى طلاس ليكون رئيساً لهيئة الأركان لأنه كان يعد مصطفى طلاس من الضباط المقربين إليه. لكن ما حدث هو أن وزير الدفاع اللواء حافظ الأسد ظلَّ في مكانه، وجاء مصطفى طلاس، وتسلم رئاسة الأركان بعد أن رُقِّع إلى رتبة لواء. والحق أن مصطفى طلاس رجل دمث، ومهذب، يتحمل المسؤولية، وهو على دراية كبيرة بالأمور العسكرية. وفي ظني أن الأمر الذي قصم ظهر أحمد سويداني لم يكن إقالته من رئاسة هيئة الأركان ولا إدراكه للفارق الكبير بينه وبين اللواء حافظ الأسد، وإنما لأن الرفيق صلاح جديد تخلى عنه فجأة..

أحمد سويداني.. والمزيد من النخب!

أحسَّ أحمد سويداني أنه دمر، وأن لا مستقبل له، وأن تصرفاته تجاه الضباط وخلق المشكلات اليومية معهم، وعلاقته السيئة مع وزير الدفاع اللواء حافظ الأسد.. هي التي أدت إلى هذا المآل الذي صار إليه في رئاسة مكتب الشبيبة، والرياضة.

ومع شعوره هذا، فقد باشر أحمد سويداني بالدوام في مكتب الشبيبة والرياضة، وشرع يزور فروع الحزب في المحافظات ليشرح وجهة نظره التي ملخصها، أن بمقدور عضو القيادة القطرية أن يعمل في أي قطاع تراه القيادة مناسباً له. ولكن حقيقة الأمر تتمثل في أن أحمد سويداني كان يغلي من الداخل، وأن أحقاده تكبر تجاه القيادتين العسكرية والسياسية معاً، لذلك راح يتصل مع بعض الضباط سراً، ويتحدث إليهم أحاديث لا تنصب حول الأمور العسكرية وإنما حول الثلالية بهدف تشكيل تيار عسكري داخل القوات المسلحة مضاد للقيادة العسكرية الحالية أي ضد اللواء حافظ الأسد على وجه التحديد.

وأريد أن أذكر هنا أنه وقبل اتخاذ قرار إزاحة أحمد سويداني من رئاسة الأركان، كلفني الرفيق صلاح جديد بأن أطوف على عدد من الشعب العسكرية

الحزبية في مختلف الألوية العسكرية لأشرح لهم وجهة نظر القيادة التي كانت تزعم إزاحة أحمد سويداني من رئاسة الأركان، وتعين المقدم مصطفى طلاس بدلا منه، وطبعا هذا هو رأي الرفيق صلاح جديد. وقد التقيت فعلا بعدد من الضباط في عدد من القطاعات العسكرية وشرحت لهم وجهة نظر القيادة كما شرحها لي الرفيق صلاح جديد، وأن خلافاته مع وزير الدفاع تتسع يوميا، وكل هذا ليس في مصلحة الجيش، ونحن في ظروف صعبة تتطلب منا إعداد الجيش، وتكوين الأطر العسكرية الفاعلة.

وقد ذهبت إلى مصياف، في الصباح الباكر، واجتمعت بالرائد خالد بدوي قائد اللواء، واجتمعت مع شعبة الحزب العسكرية هناك وشرحت لهم الموقف حول رأي القيادة بإقالة أحمد سويداني وترشيح المقدم مصطفى طلاس ليكون بديلا له. وانتهى الاجتماع في الظهيرة، وقد أحسست بأن الضباط يوافقون على رأي القيادة في الإقالة والترشيح معا. وقد أرسلوا للقيادة موافقتهم على ترشيح المقدم مصطفى طلاس.

عملية جراحية.. مفاجئة!!

وفي اليوم نفسه بعد الظهر عدت إلى دمشق ومن ثم ذهبت إلى منطقة بصير في محافظة درعا، واجتمعت هناك بقيادة اللواء المتمركز في تلك المنطقة، وكان يقوده المقدم مصطفى شربا، واجتمعت بعدد من ضباط اللواء وشرحت لهم الأسباب التي ستكون أساسا في إقالة أحمد سويداني من رئاسة الأركان، وأيضا في ترشيح المقدم مصطفى طلاس إلى رئاسة الأركان.. وقد رأيت أمارات الارتياح على وجوه الضباط. لذلك أرادوا أن يستبقوني على العشاء، وكأنهم يحتفلون بهذه المناسبة، فاستجبت إليهم، وتناولت العشاء معهم، ولكن كنت على أعصابي، حيث شعرت في أثناء تناول العشاء ببرد يلفني. وكان لابد من إبلاغ الرفيق صلاح جديد بما فعلته، لذلك لم أبق لديهم طويلاً، وعدت

إلى دمشق في حوالي الساعة التاسعة ليلاً، أخبرت الرفيق صلاح جديد بما حدث، ثم غادرته إلى مكنتي ونمت فيه. آنذاك كنت مفرغاً للعمل في قيادة العمل الفدائي (قائداً لمنظمة الصاعقة) وعضواً في المكتب العسكري وقد خصص لي في القيادة القطرية مكتباً أمارس أعمالي فيه. أما رئيس المكتب فكان الرفيق مصطفى رستم. وفي الليل أحسست بنوع من الألم يشبه المغص لكنه قوي جداً، وما عدت أستطيع تحمله، وكل ما أذكره هو أنني فتحت الباب وصرخت، ثم وقعت إلى جوار الباب، فأصاب طرفُ الباب جبيني فانشق، وراح الدم ينزف. وسرعان ما جاء نفر من أفراد الشرطة العسكرية الذين يحرسون مبنى القيادة القطرية، فوجدوني ملقى على الأرض، والدم ينزف من جبيني. فهلّموا لأنهم خمنوا بأنني تعرضت لاعتداء، فظنوا أن أحداً ما أطلق النار عليّ وأصابني في جبيني. لأن منظر الدم أفزعهم وأخافهم. وأخبروا الرائد علي المدني قائد الشرطة العسكرية فجاء مباشرة إلى القيادة، ثم نقلوني إلى مشفى المزة، ولحق بي الرفيق الدكتور إبراهيم ماخوس وزير الخارجية. قلت لهم: الألم هنا في خاصرتي وليس في جبيني. وجدوا أن الزائدة الدودية في حالة التهاب شديد، ويبدو أنها في حالة صعبة، لهذا أجروا لي عملية جراحية فورية، واستأصلوا الزائدة الدودية. وقد قام بإجراء العملية المقدم الدكتور ماجد العظمة مدير الخدمات الطبية، والدكتور إبراهيم ماخوس وزير الخارجية. ومما أذكره أن عدد قطب جبيني كان أكبر من عدد القطب في العملية الجراحية. وفي اليوم نفسه زارني الرفيق صلاح جديد وعدد من أعضاء القيادة القطرية. وبعد المجاملات، والسؤال عن صحتي. قال لي الرفيق صلاح جديد: أحمد سويداني متضايق، وغير متوازن. لهذا أريدك حين تخرج من هنا أن تذهب إليه من أجل تهدئته. ضحكت في نفسي. فأنا مريض، وفي عملية جراحية، وهو يأتي لزيارتي من أجل أن يطمئن على صحتي، ومع ذلك، ولكي أستنهض معنوياتي، وأستعيد عافيتي، أشعركي بأنه بحاجة إليّ لكي أرمم الشرح الذي يحدثه أحمد سويداني، وقد سرّني بحديثه هذا لأنني شعرت

بقريه مني. بل من أجل أن يكلفني بمهمة جديدة بشأن أحمد سويداني المضطرب. ومع ذلك قلت للرفيق صلاح جديد: حاضر! كنت أعرف أن الرفيق صلاح جديد يدرك جيداً أن علاقتي بأحمد سويداني معقولة وأنتي أستطع التأثير عليه، وأن الرجل يطمئن إليّ، وقد باتت علاقتي به حميمية خصوصاً بعدما أصبحنا أنا وإياه في مكتبين متجاورين في القيادة القطرية. وفي اليوم نفسه مساءً خرجت من المشفى إلى منزلي في الروضة وفي حوالى الساعة التاسعة مساءً زارني اللواء حافظ الأسد وزير الدفاع وهنأني بالسلامة. وقال لي: أعرف أنك ركضت من مصيف إلى بصير من أجل أن تزكي المقدم مصطفى طلاس.. لكي يكون رئيساً لهيئة الأركان.. وما حدث لك هو الجزء الطبيعي لعملك هذا، وضحك.. طبعاً كان اللواء حافظ الأسد يتحدث بتحبب ومودة، وهو من أخبرني بأنه كان يريد اللواء عواد ليكون رئيساً لهيئة الأركان. لكن ماذا يعمل والقيادة القطرية كانت تريد المقدم مصطفى طلاس. ولم أمكث طويلاً في البيت للاستشفاء. لذلك عدت إلى مزاولتي عملي. وكنت آنذاك قد تخرجت من كلية القيادة والأركان بعد أن اتبعت دورتها في مدرسة القابون.

مصطفى طلاس.. رئيساً لهيئة الأركان!!

أرى أنه لا بدّ من الالتفات إلى الوراثة، لكي أبين الطريقة التي أوصلت المقدم مصطفى طلاس إلى رئاسة هيئة الأركان. فبعد أن أُقيل أحمد سويداني، كان لا بدّ للقيادة من أن تعلن جهراً عن اسم الضابط الذي سيتسلم منصب رئيس هيئة الأركان، وقد كانت الآراء تتأرجح بين قطبين، الأول هو: الرفيق اللواء حافظ الأسد وزير الدفاع، الذي كان يرغب بأن يكون اللواء عواد باغ رئيساً لهيئة الأركان، بينما كان الرفيق صلاح جديد (ومعه القيادة القطرية) يرغب بالمقدم مصطفى طلاس ليكون رئيساً لهيئة الأركان لأنه عضو

قيادة قطرية. ويبدو أن النقاش لم يحتدم حول من سيكون رئيساً لهيئة الأركان، لذلك اتخذت القيادة القطرية قراراً بترقية المقدم مصطفى طلاس، إلى رتبة لواء وتعيينه رئيساً لهيئة الأركان، وكان ذلك في 14 شباط 1968. وقد استمر اللواء عواد باغ نائباً لوزير الدفاع، وهو حتى يومنا الراهن يشغل منصب نائب لوزير الدفاع.

هروب أحمد سويداني إلى العراق..!!

ويبدو أيضاً أن أحمد سويداني كان موضوعاً تحت الرقابة المشددة، فكل حركاته ونشاطاته ولقاءاته وحواراته مع الآخرين مرصودة، وأن الذين يلتقيهم يتحدثون عن كل ما يقوله أمامهم. لذلك كان الرفيق صلاح جديد يتعامل معه على طريقة الدواء بـ (المسكنات)، ولكن في شهر نيسان من 1968، وعلى نحو غير متوقع، هرب أحمد سويداني إلى العراق؛ هرب عن طريق لبنان؛ ذهب بسيارته إلى منطقة الزيداني، ثم تركها هناك واستقل سيارة أخرى إلى لبنان. لأنهم وجدوا سيارته في منطقة الزيداني فقطروها وسحبوها إلى دمشق. وقد علمنا فيما بعد أنه التقى شوكت شقير^(*) في لبنان، وأن هذا الأخير سهل له الاتصال بالعراقيين، ومن ثم الذهاب إلى العراق.

عودة أحمد سويداني إلى دمشق..

وزجه في السجن!

وفي تقديري أن أحمد سويداني لم يقم بأية اتصالات مع العراقيين، وإلا لكان أمره انكشف تماماً. الاتصالات التي أجراها تمت في بيروت. ويبدو أنهم

^(*) كان رئيس هيئة أركان الجيش والقوات المسلحة في عهد أديب الشيشكلي وقد انتهى عهده أيضاً بعد زوال عهد الشيشكلي.

رحبوا به فذهب إلى العراق، لكنه لم يتحمل الحياة في العراق، أو أن العراقيين لم يرحبوا به الترحيب الكافي الذي يجعله مستعداً للإقامة في العراق. لذلك طلب من القيادة في سورية السماح له بالعودة إلى دمشق، غير أن القيادة في دمشق لم ترحب بعودته. وقالوا له بوضوح: ننصحك بعدم العودة إلا إذا وافق رئيس الدولة الدكتور نور الدين الأتاسي على ذلك. وأخبرهم بأنه على استعداد لتقديم نقد ذاتي لتصرفه الخاطئ الذي حمله إلى بغداد من دون علم القيادة. غير أن رئيس الدولة قال للوسطاء: قولوا له من المناسب له ألا يأتي، لأنه إذا جاء سنحبسه، فلا يخرجنا!

ومع أن هذه التحذيرات كانت جدية تماماً إلا أن أحمد سويداني لم يأخذ بها. وعاد إلى سورية. وقيل إنه كان يفكر على هذا النحو: إذا ما أرادوا سجنني فليسجنوني. لقد غلطت، ولكن ما هذا الأمر العظيم؟ وبالنتيجة عاد أحمد سويداني إلى دمشق.. وسجن فعلاً.

أظن أن توقع أحمد سويداني كان منصّباً على أنه سيسجن (إذا ما عاد إلى سورية من العراق) ولكنه لم يكن يتوقع أن تطول مدة سجنه، ذلك لأنه كان يعمل على نجدة بعض أصدقائه له والانتصار لمواقفه وماضيه. ولكن ظنّه خاب!



الفصل

التاسع

زيارة فيتنام

(والبحث عن طريق من هزيمة 1967)

أشعر الآن، وأنا أهمُّ بالحديث عن زيارتي إلى فيتنام، بأن آثار هزيمة (1967) كانت قاسية، وشديدة الوقع في نفوسنا، لأننا أحسنا بأنها ضربة برؤوس عدة أصابت جميع مناحي الحياة، وليست الناحية العسكرية وحدها. كنا، وباختصار شديد، في حالة صدمة وذهول، ولذلك رحنا نبحث عن مخارج تعيدنا إلى صوابنا أو لنقل إلى مدارنا الطبيعي، لأن الهزيمة عمقت جراحاً داخلية كانت مخفية، وملاحظات كانت بسيطة فصارت مشكلات، وأعراضاً من الإحباط صارت يأساً.

في الحق، إن زيارتنا إلى فيتنام كانت وجهاً من وجوه البحث عن حلٍّ لأزمنا الداخلية والخارجية التي أظهرتها الهزيمة بقسوة شديدة. تشكل الوفد من أربعة أعضاء، هم الرفيق محمد رباح الطويل عضو القيادة القطرية، وزير الداخلية، ومحمد إبراهيم العلي قائد الجيش الشعبي، والضابطان النقيب موريث قدسية، وكان متفرغاً في القيادة القطرية، والملازم أول محمود شنرو من الجيش الشعبي (وهو من أصل شيشاني).

إلى فيتنام.. عن طريق موسكو - بكين !!

ذهبنا إلى فيتنام عن طريق موسكو، أقلعت الطائرة بنا من مطار دمشق (المزة) وهي طائرة مروحية من طراز اليوشن 18 نصف نفثة، وهي طائرة نقل. انطلقنا في الصباح الباكر، ولم يكن في وداعنا أحد. ووصلنا بعد ست ساعات طيران إلى موسكو. استقبلنا الملحق العسكري السوري العقيد عبد الغني إبراهيم ونزلنا في فندق كان قيد البناء، واسمه (راسيا) حيث نزلنا في الجناح المكتمل البناء. دعينا للعشاء إلى مطعم (فارشافا). كنت أتصور أن أبناء شعوب الاتحاد السوفييتي جميعاً يعرفون الكثير عن سورية لكن احتكاكنا بهم واحتكاكهم بنا محاذ هذا التصور فهم لا يعرفون عن بلادنا شيئاً. كانت أجواء المطعم صاخبة بالموسيقى، والغناء، والرقص وقد شعرت أن الشعب الروسي شعب لطيف. وقد احتكنا ببعض رواد المطعم القريبين منا، سألونا من أي البلاد نحن، فقلت لهم نحن من سورية. كنت أظن أنهم يعرفون سورية. وحزنت كثيراً حين سألوني أين هي سورية؟! قلت: إنها في الشرق الأوسط! قالوا: وأين هو موقعها بالنسبة لإسرائيل! تعجبت من أنهم يسمعون بإسرائيل، ولا يسمعون بسورية! سألني بعضهم عن الحرب التي حدثت في الشرق الأوسط. فلم أجب، كنت أشعر بعبء الهزيمة وأثرها فقد كان وقعها كبيراً عليّ.

بقينا ثلاثة أيام في موسكو، تعرفنا خلالها على مدينة موسكو. ومدينة موسكو مدينة جميلة. فالمهندسون الذين خططوها كانوا عمالقة ومهرة حقاً وذلك قبل أكثر من 700 عام. تجولنا في شوارع المدينة وتعرفنا العديد من أمكنتها الهامة. بعد الأيام الثلاثة أقلعت بنا الطائرة يوم 27 تموز 1967 وهي من طراز A-104 وهي بالأصل قاذفة قنابل، وكان عدد الركاب قليلاً لا يتجاوز الأربعين راكباً. قطعت الطائرة مسافة كبيرة هبطت خلالها في ثلاثة مطارات من أجل التزود بالوقود. كان مجموع ساعات الطيران تسع ساعات. وصلنا إلى بكين ظهراً في يوم 1967/7/28 واستقبلنا من قبل السفير الفيتنامي وبعض

المسؤولين الصينيين، ولكون زيارتنا ليست للصين، فإن نائب وزير الداخلية الصيني هو من كان في استقبالنا. ونقلونا إلى فندق بكين، حيث نمنا تلك الليلة.

ثلاثة أيام.. في الصين!!

وفي الصباح، وصلنا الصين في يوم 1967/7/28، أي بعد أقل من شهرين من هزيمة 1967/6/5. وقد ظللنا ثلاثة أيام في الصين ننتظر تأمين طائرة نقلنا إلى فيتنام، لذلك وضع لنا الصينيون برنامجاً يغطي فترة الأيام الثلاثة، فكان أن ذهبنا إلى العديد من المصانع، فتعرفنا على العمال، وأنماط العمل، ودور الحزب الشيوعي في تنظيم حركة الشغيلة في الصين، وكذلك دور نقابات العمال على اختلاف مهنتهم وأشغالهم. وكذلك أخذونا في زيارة إلى سور الصين العظيم الذي كان مذهلاً حقاً بعمارته، وطوله، والذي يشير إلى المقبرة الفاتكة، والصبر العظيم للذين تحلّأ بهما أبناء الشعب الصيني حين صمّموا على بناء هذا السور المدهش^(*).

وكذلك ذهبنا للاطلاع على مشروع عسكري، ينفذ بالذخيرة الحية في إحدى المناطق الصينية، وقد كان شاملاً لجميع أنواع الأسلحة الحربية بما في ذلك الطيران. طبعاً كان يرافقنا عدد من الضباط الصينيين، ومترجم سوري انضم إلينا بمعرفة سفارتنا في الصين.

كنت أتمنى لو أن زيارتنا تمتد داخل الأراضي الصينية ذلك لأن الطبيعة خلابة، والأبنية العمرانية على غاية من الإتقان والتقاني، والتعامل مع

(*) حدثني الدليل السياحي الذي كان يرافقنا إن القائد الإسلامي (الإيديولوجي) كما سمّوه هناك محمد بن القاسم الفاتح العظيم، وقّع مع أباطرة الصين اتفاقية سلام على أن لا يتجاوز السور، حيث يبعد السور عن العاصمة بكين 70 كم، وقد أصبح سكان مقاطعة (سنكيان) بسبب هذه الاتفاقية مسلمين.

الصينيين تعامل حضاري بكل المقاييس حيث قوبلنا بالاحترام، والاهتمام، والتقدير!

أخيراً.. نكلر في فيتنام!!

في اليوم الرابع بلغنا بأن الطائرة التي ستقلنا إلى فيتنام بانتظارنا وعلينا أن نكون جاهزين في حدود ساعة. فعلاً بعد ساعة من الزمن اصطحبنا مرافقونا الصينيون إلى المطار، حيث أخذنا الطائرة، وهي من طراز (اليوشن 14) الخاصة بسلح المظلات وكنا على متنها خمسة سوريين (بمن فينا المترجم السوري الذي رافقنا من سفارتنا في بكين، ويتقن اللغة الفرنسية) وأربعة عشر خبيراً روسياً، وانطلقنا نحو فيتنام. استمرت الرحلة حوالى اثنتي عشرة ساعة ونصف الساعة كطيران مستمر من بكين إلى هانوي، وأربع ساعات توقف في أربع مطارات. كنا في كل مطار نستقبل من قبل أحد المسؤولين الصينيين، وفي آخر توقف أقيمت لنا حفلة عشاء كبيرة، أكلنا فيها لحم القردة. وقد استقبلنا في هانوي استقبالاً رسمياً من قبل المسؤولين الفيتناميين، وقد تعرضت هانوي لغارة جوية أثناء وجودنا في المطار.

المباحثات الرسمية.. تبدأ ليلاً!!

في مساء يوم 1967/8/1، بدأت المباحثات الرسمية بين وفدنا والوفد الفيتنامي، وكان مؤلفاً من نائب رئيس الوزراء، ونائب وزير الدفاع، ونائب وزير الخارجية، وقائد المقاومة الشعبية، ورئيس قسم العلاقات الخارجية في وزارة الدفاع ومترجم فيتنامي يتقن اللغة الفرنسية.

في جولة المباحثات الأولى تمّ التعارف بين أعضاء الوفدين، ثم شرع نائب رئيس الوزراء الفيتنامي بالحديث عن فيتنام من حيث الطبيعة، والتاريخ،

والآمكنة، والسكان، والثقافة، والظروف المعيشية، والمقاومة لقوات الاحتلال الأمريكي، بكل أنواعها وأشكالها.

وبينما كنا في الاجتماع أبلغونا بأن غارة جوية تستهدف العاصمة. ومع ذلك كان الفيتناميون في منتهى الهدوء ورباطة الجأش.

عرفنا، من خلال حديث نائب رئيس الوزراء الفيتنامي أن مساحة فيتنام تقدر بـ (350) ألف كم²، منها حوالي (160) ألف كم² لفيتنام الشمالية، والباقي لفيتنام الجنوبية. وعدد السكان (آنذاك بالطبع) حوالي (30) مليون نسمة، حوالي (17) مليون نسمة في فيتنام الشمالية، و(13) مليون نسمة في فيتنام الجنوبية. وأن نسبة المواليد كثيفة وعالية جداً.

وشرح لنا نائب رئيس الوزراء على خريطة عسكرية معلقة إلى جوار طاولة الاجتماعات وملونة بثلاثة ألوان: اللون الأحمر: هو المساحة المحررة من الاحتلال الأمريكي، واللون الأزرق: هو المساحة المحتلة، واللون الأصفر: هو مساحة الأرض التي تدور فيها المعارك.

ولفيتنام تاريخ قديم جداً، وشعبها يرجع إلى أصول مشتركة، ولهم لغة واحدة، وتاريخ واحد، وعادات، وتقاليد، وثقافات متجانسة. يعود التاريخ الشفهي للشعب الفيتنامي إلى (4000) سنة قبل الميلاد.

في عام (1884) وبموجب معاهدة ظالمة بسطت فرنسا نفوذها على فيتنام، وقسمتها إلى ثلاث مناطق: شمال (الدونكا) ووسط (كوشيشكلي) وجنوب (لاناام) على قاعدة (فرق تسد).

وفي عام (1945) دُحرت فرنسا وخرجت من فيتنام، لكن اليابانيين حلّوا في مكان الفرنسيين الذين لم يستمروا طويلاً، فتحررت فيتنام تحت زعامة الحزب الشيوعي وبإدارة الجبهة الوطنية. وأسست الجمهورية الفيتنامية بزعامة هوشي منه، في فيتنام الشمالية.

لقد أرادت أمريكا أن تجعل من فيتنام قاعدة عسكرية لها في جنوب شرق آسيا، لذلك أمدّوا الفرنسيين ثم اليابانيين بالكثير من السلاح والمال، ولكنها بعد الحرب العالمية الثانية، راحت تتدخل بشكل مباشر مع القوات الفرنسية لجعل فيتنام مستعمرة تخدم مصالحها الإمبريالية. وقد زادت مساعدات أمريكا للفرنسيين مع ولادة الصين الشعبية، وقد كانت الغاية الأساسية لأمريكا تتلخص في طرد الفرنسيين والحلول في مكانهم، أي احتلال فيتنام احتلالاً مباشراً من قبلهم. أما الاستراتيجية التي هدفت إليها السياسة الأمريكية فتتلخص في نقاط عدة:

- 1- تحويل جنوب فيتنام إلى مستعمرة أمريكية دائمة.
- 2- جعل جنوب فيتنام قاعدة دفاعية ضد فيتنام الشمالية.
- 3- منع التطور الاشتراكي والمد الشيوعي في جنوب شرق آسيا.

في الفترة الواقعة ما بين 1954 و1960 أسّس الأمريكيون نظام حكم في فيتنام الجنوبية، كما أسسوا جيشاً مرتزقاً، ولذلك نشطت حركة المقاومة الشعبية من أجل تحرير فيتنام الجنوبية. في 20/12/1960 شكّلت جبهة تحرير فيتنام الجنوبية، وأعلن الشعب الاعتصام في الجبال والمناطق الوعرة، وقامت قوى المقاومة الشعبية بأعمال المقاومة داخل المدن، الأمر الذي أدّى إلى عزل الجيش العميل الذي أسسته أمريكا في فيتنام الجنوبية وجعلته معزولاً عن الشعب. وفي الفترة الواقعة ما بين 1961 و1964 لعب الأمريكيون دور الخبراء في إدارة الحرب ما بين فيتنام الجنوبية وفيتنام الشمالية، يقدر عدد الجيش المرتزق في فيتنام الجنوبية بنصف مليون. وتوجد حكومة مركزية عميلة مؤيدة للإمبريالية.

في عام 1965 أدخل الأمريكيون قطعات عسكرية أمريكية عديدة، ويقدر عدد جنود هذه القطعات بـ (35) ألف مقاتل. وفي نهاية 1965 ارتفع عددهم

إلى (185) ألف. وأصبحوا في عام 1966 (386) ألف. واليوم أصبح عددهم (أي أب 1967) (468) ألف مقاتل. ومع كثرة هذه القوات الغازية ارتفعت نسبة القتلى والجرحى في صفوف الجيش الأمريكي. ففي عام 1965 كانت نسبة القتلى والجرحى 7٪، وفي عام 1966 أصبحت النسبة 11٪، وفي عام 1967 أصبحت النسبة 14٪. وهي في تزايد دائم.

والحرب الجوية التي تشنها الولايات المتحدة الأمريكية حرب وحشية تماماً، فقد استخدم الأمريكيون جميع أنواع الأسلحة الحديثة، عدا القنبلة الذرية. إنهم يغزون فيتنام بحوالي (4300) طائرة (نفاثة، وهليكوبتر) ويوجد تحت تصرف الأمريكيين (13) حاملة طائرات، علماً بأن كل ما يملكونه هو (16) حاملة للطائرات.

الولايات المتحدة (قوة ضاربة) ..

وفيتنام (عزيزة ضاربة أيضاً) !!

يوجد تفاوت كبير ما بين الولايات المتحدة الأمريكية وفيتنام، من حيث عدد السكان، والموقع، والإمكانيات، والظروف، والقوة.. ولكن لدى الفيتناميين سلاحاً أمضى من كل الأسلحة الأمريكية، هو إرادة المقاومة، والإيمان بهوية الوطن، والتطلع نحو الاستقلال. ونقطة الضعف المركزية للأمريكان، تتبع من المقاومة الشعبية طويلة النفس التي يواجهون بها من قبل أبناء الشعب كافة.

ومما عرفناه من كلام نائب رئيس الوزراء الفيتنامي أن الولايات المتحدة الأمريكية تعاني من ظروف اقتصادية صعبة، فقد تدنى مستوى مخزونها من الذهب من (24) مليار دولار إلى (14) مليار دولار. وكان الأمريكيون يصدرون 67٪ من صادرات العالم، لكنهم اليوم لا يصدرون إلا 17٪ من صادرات العالم. وتوجد انقسامات كبيرة داخل المعسكر الاستعماري، الغربي عموماً، أي توجد

خلافات في الحلف الأطلسي نفسه، وتوجد انقسامات داخل المعسكر الواحد نفسه، ففي أمريكا نفسها يوجد فريقان، فريق يؤمن بالحرب، وفريق يؤمن بالسلم، مع أن الفريقين يعيشون سياسة واحدة، أعني سياسة الهيمنة على العالم، ناهيك عن وجود مشكلات في الضرائب المفروضة على الشعب الأمريكي من أجل تمويل الحرب. وأحسبنا أن الفيتناميين يؤمنون بالأمور التالية:

— قوة المقاومة الشعبية وفعاليتها، فالشعب الفيتنامي متفوق على الأمريكيان بهذه المقاومة.

— الإرادة الفيتنامية القوية المصممة على النصر.

— الإيمان العميق بأن يكونوا سادة بلدهم.

— الإيمان بوحدة وطنهم شمالاً وجنوباً.

— والإيمان بتوطيد سلطة الحزب الشيوعي بعدما كسب تأييد المعسكر الاشتراكي في العالم.

— الخبرة الواسعة بمقارعة الأعداء (فرنسيون، بريطانيون، يابانيون، أمريكيان).

وليس من خيار أمام الولايات المتحدة لكي تقتصر عليهم سوى استخدام القنبلة الذرية، ولكن استخدامها سيكون بمثابة الانتحار والموت لها ولقواتها الموجودة على الأرض الفيتنامية. لذلك هم على قناعة بأنهم يخوضون حرباً لا يمكن التغلب عليها، هي حرب التحرير الشعبية. وهم أقوياء بأصدقائهم، وأمريكا في حالة عزلة دولية واضحة. وإذا ما استمر الأمريكيان في حريهم الظالمة ضد فيتنام فإنهم سيمنون بهزيمة مخزية، وستبدأ مصاعبهم في فيتنام الجنوبية، وذلك من حيث التموين، والتنفيذ، والمواجهة. وهم واثقون من النصر بقدر وثوقهم بهزيمة الأمريكيان. لقد أحسبنا إن شعب فيتنام قريب جداً من

النصر، لأنه يمشي نحو النصر، ويكادون يلمسون حافته بأيديهم. وباختصار شديد، كنا على قناعة بأنهم يعرفون كيف يحاربون، وكيف يحصلون على النصر الذي يمشون إليه بثقة وعزيمة.

وتحدثت في هذا الاجتماع الرفيق محمد رباح الطويل عن حضارة سورية وتاريخها، وموقعها الجغرافي، ومساحتها، وعدد سكانها، وطبقاتها الاجتماعية، والمواجهة الوطنية - القومية مع العدو الصهيوني الذي زرعه الإمبريالية في وسط الوطن العربي ليكون بمثابة الإسفين في قلب الوطن العربي الذي يوحد التاريخ المشترك، واللغة، والموقع الجغرافي والإرادة المشتركة أيضاً. كما تحدثت أبو رباح عن حرب 5 حزيران 1967 والدعم الأمريكي والأوروبي للكيان الصهيوني عبر الأساطيل الجوية والبحرية التي شكلت سنداً قوياً وأساسياً لقوات الكيان الصهيوني التي باغتت القوات العربية في هجوم عسكري مفاجئ. وأن شعبنا يعرف تماماً بأننا خسرنا معركة ولم نخسر حرباً، وأننا سنقوم باستعادة الأراضي التي اغتصبها الكيان الصهيوني، ونحن نعدّ العدة لهذا الأمر. وأشار إلى أهمية التعاون مع المعسكر الاشتراكي بزعامة الاتحاد السوفييتي، والدور الإيجابي الذي يقوم به في مساندة البلاد العربية التي تواجه المشروع الإمبريالي الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية. وعبر الرفيق أبو رباح عن اعتزازه بالمقاومة الشعبية الفيتنامية التي تلقن العدو الأمريكي، في كل يوم، دروساً في المواجهة والعدالة وحب الأوطان.

وفي اليوم التالي (1967/8/4) التقينا في اجتماع خاص مع نائب وزير الدفاع الفيتنامي، فتحدثت بدايةً عن الحرب الشعبية، والقوة الأمريكية، والأساليب التي يتبعها المقاومون الشعبيون الفيتناميون لمواجهة الجيش الأمريكي المدجج بأحدث أنواع الأسلحة. وأشار إلى أنه سيحدثنا عن موضوعات ثلاثة: الأول: الجيش، الثاني: المتطوعون، الثالث: حرب الإبادة. وتمهيداً لهذه الموضوعات الثلاثة تحدثت عن طبيعة فيتنام وسكانها، والحرب

الفيتنامية ضد الفرنسيين واليابانيين، وكيف أن الزراعة والاقتصاد الفيتنامي عموماً، قد تأخرا في ظلّ الاحتلال الفرنسي. ثمّ تطرّق إلى الحرب الشعبية ضد الاحتلال الصيني لفيتنام في عام 1500م. وتحدث عن واقع السياسة، والاقتصاد، والثقافة في فيتنام، وتاريخ الحزب الشيوعي، والبدایات الأولى لتأسيس الجيش الفيتنامي. وقال إن لدينا طرقاً شعبية عديدة لمواجهة قوات الاحتلال، منها: قتال العدو عندما يأتي - التفتيش عن العدو لملاقاته ومقاتلته. وهناك طرق مباشرة للمواجهة، وطرق أخرى للمناوشة والإزعاج، وطرق ثالثة هدفها تخريب طرق المواصلات. وإن النضال المسلّح يمشي جنباً إلى جنب مع النضال السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي. ولابدّ من التوكيد على أن اعتمادنا الأساسي ينصبّ على الميليشيات الشعبية، والمتطوعين، لتكون الرديف الأساسي للجيش النظامي. وقد قمنا بمعارك عظيمة الشأن لعلّ من أبرزها معركة (ديان بيان فو) التي سمعتم عنها لاشك. وقد حشدنا في هذه المعركة أربع فرق عسكرية من الجيش النظامي والميليشيات والمتطوعين، وتمكّنا بالصبر والمواجهة من الانتصار على الفرنسيين. بعد الانتصار الكبير في (ديان بيان فو) تحرّر شمال فيتنام، وبعد اتفاقية جنيف أصبحت فيتنام جمهورية، في حين بقي جنوب فيتنام يناضل سياسياً من أجل تطبيق الاتفاقية لإجراء انتخابات عامة توحد الشطرين الفيتناميين الشمالي والجنوبي. ومن أجل تقويض هذه الاتفاقية قام الأمريكيون بتشكيل جيش عميل مؤلّف من حوالي (300) ألف مقاتل، درّبهم قوات أمريكية خاصة، وقد بلغ عدد هذه القوات الخاصة من المدربين حوالي (25) ألف مدرب.

إن استراتيجيتنا الأساسية في مواجهة العدو تتلخص في أن روح الإرادة تهدف إلى إجبار العدو على القتال حسب طريقتنا، أي أن تصبح قوات العدو مهما كان عددها كبيراً غير كافية لمواجهةنا لأننا نفرض شروطنا على المواجهة بالحرب الشعبية، على الرغم من أن القوات الأمريكية جعلت بلادنا مسرحاً لتجريب جميع أنواع الأسلحة التي أنتجتها منذ الحرب العالمية الثانية وحتى

اليوم. ومن المهم أن أقول أيضاً أن الثقة باتت ضعيفة جداً بين صفوف الجيش العميل في فيتنام الجنوبية والولايات المتحدة الأمريكية التي أنشأتها، فالولايات المتحدة الأمريكية كانت تتوقع من هذا الجيش أن يقوم بأدوار عديدة من شأنها تحطيم إرادة الشعب الفيتنامي، إلا أنه مُني بالفشل الذريع، وكذلك كان الجيش العميل يظن أن الولايات المتحدة الأمريكية قوية إلى درجة أنها تكفل له قوته ونفوذه في الساحة الفيتنامية، غير أن الضعف والهزال أصابا الطرفين معاً، فهما الآن (أمريكا، والجيش العميل) لا يثق أحدهما بالآخر، وهذا في مصلحة الشعب الفيتنامي. جميع أبناء الشعب منخرطون في مواجهة الاحتلال، رجالنا ونساؤنا وشبابنا وشيوخنا يقاتلون، ويتعلمون، ويزرعون شتلات الأرز. إننا لن نقبل إلا بحياة حرة كريمة فوق أرضنا.

لدينا أمران نحافظ عليهما بقوة، الأول: تدعيم الصف الشعبي وتطويره. والثاني: المحافظة على الاتجاه السياسي الصحيح. إننا متمسكون بالثورة الوطنية، والثورة الديمقراطية. وقد تعلمنا من القائد (هوشي منه) الأمور التالية:

1- احترام الشعب.

2- مساعدة الشعب.

3- الدفاع عن الشعب.

وفي مقابلها ثلاثة أمور لا نقرّ بها أبداً:

1- عدم أخذ أملاك الشعب.

2- عدم تهديد الشعب.

3- عدم إزعاج الشعب.

وفي داخل الجيش نعمل على تثقيف قواتنا المسلحة والمليشيات والمتطوعين تثقيفاً وطنياً آممياً من أجل التمييز بين الأعداء والأصدقاء. إذ

لابدّ من رفع المستوى السياسي والفكري للمقاومين (نظاميين كانوا أم متطوّعين، ومليشيات)، وبمقدوري أن أقول لكم إن جميع قرانا تمتلك السلاح الكافي، وأهلها قادرون على الدفاع عنها.

بعد هذا الحديث اصطحبنا نائب وزير الدفاع إلى مواقع عسكرية عديدة تضمّ قواتٍ نظامية وأخرى من قوات المليشيا والمتطوعين. فعابنا عن كُتب الجاهزية القتالية للقوات النظامية، ولقوات المليشيا والمتطوعين. وقد كان من الصعب - للوهلة الأولى - أن نميّز بين الطرفين.

لقاء.. مع قائد الجيش الشعبي الفيتنامي !!

في اليوم الثالث، التقينا قائد الجيش الشعبي الفيتنامي الذي تحدّث إلينا عن قوات المليشيا والمتطوعين من خلال النقاط التالية:

- تشكيل القوات في المنطقة.

- طريقة القتال في المنطقة.

وقال: إن القوات - إدارة العمليات في المنطقة.

المسلّحة الموجودة في جميع المقاطعات تتألف من قسمين أساسيين، هما:

- القوات المحلية. - وقوات المليشيا.

ويتمّ التنسيق بينهما في أدنى المستويات وأعلاها. وقوات المليشيا هي قوات محلية، لها دور في المقاومة، كما لها دور في الإنتاج. والمسؤولية مشتركة في تحمّل أعباء المواجهة وتحمّل أعباء الإنتاج. وقادة هذه القوات هم الذين ينسّقون الأدوار التي يقوم بها المتطوعون والمقاومون في القوات المحلية وقوات المليشيا. وتطرّق قائد الجيش الشعبي الفيتنامي إلى الحديث عن مهمّات مثل التجسس على العدو، معرفة القوات الصديقة، بناء الطرق والجسور، تهيئة

أرض المعركة، تهيئة طرق التزويد المحلي لقوات المليشيا والقوات المحلية، تهيئة المستوصفات الميدانية.. الخ. والمهام المنوطة بقيادة المليشيا في أية قرية تتمثل في: الإشارة والاتصال، الاستكشاف والاستطلاع، الهندسة والدفاع المدني، ومعالجة المواد الكيماوية، والإغاثة الطبية والنجدة، وما قد يطرأ من مهام خاصة أخرى.

بعد ذلك، ذهبنا بصحبة قائد الجيش الشعبي إلى العديد من القرى والمقاطعات واطلعنا هناك على ما يربته المواطنون (الفلاحون، والعمال) من أساليب لمواجهة قوات الاحتلال الأمريكي.

وكان لنا أن ذهبنا إلى عدد من المحافظات الفيتنامية لنطلع على الأحوال المعيشية للناس وهم في وسط المواجهة اليومية مع التهديدات الأمريكية. التقينا بعدد من المحافظين، ومدراء المقاطعات، والمسؤولين عن القرى، واجتمعنا بقيادة القوات المحلية، والمليشيات فيها.

وفي اليوم التالي، التقينا، وفي اجتماع رسمي، المسؤولين عن الدفاع المدني في مدينة هانوي، فحدثونا عن المهمات التي يقومون بها من أجل حماية المواطنين، والمدن، والقرى، والمعامل، والمدارس، وطرق المواصلات، والجسور، والأبنية، والسدود، والمنشآت الاقتصادية كافة، والجامعات. وبينما نحن في هذا الاجتماع، وكانت الساعة تقترب من الثانية ظهراً، أُنذرتنا بغارة جوية على المدينة نفسها، لذلك أخذونا، وعلى عجل، إلى ملجأ يقع تحت البناء الذي كنا نجتمع فيه. وفي الملجأ سمعنا انفجارات شديدة، وهديرًا مديويًا للطائرات. وحين انتهت الغارة عدنا إلى المحادثات حول مهمات الدفاع المدني، أي أننا لم نخرج من الملجأ خوفاً من غارة جوية أخرى على المكان نفسه. وأقول، من دون تهويل أو مبالغة، أنني شعرتُ بأن الملجأ الذي كنا فيه راح يرقص من شدة الانفجارات والقصف الجوي، ومع ذلك استمرت المحادثات، فتحدث مسؤولو الدفاع المدني الفيتنامي عن ترحيل السكان من مكان إلى مكان، وترحيل

المستودعات من مكان إلى مكان، وإخلاء البيوت والمدن، وحفر الخنادق، وإقامة المستشفيات الميدانية، وبناء الملاجئ القريبة جداً من البيوت، وتأمين طرق الإغاثة والتموين للملاجئ بوساطة طرق سرية موجودة تحت الأرض. وأستطيع أن أقول إن الغارات الجوية لم تنقطع لا في الليل ولا في النهار أثناء وجودنا في فيتنام. وكنا نسمع أخبار سقوط الطائرات الأمريكية وأسر طيارها وفشلها، على الغالب، في إصابة أهدافها. وفي اليوم التالي عقدنا اجتماعاً في وزارة الدفاع الفيتنامية تحدث فيه محاورونا عن أهمية العمل السياسي في الجيش الفيتنامي، وذلك من حيث التثقيف بالفكر الاشتراكي لبناء منظومة ثقافية تكون أساساً للتعمق في المعارك العسكرية، وكذلك دراسة الواقع السياسي، والبنى الاجتماعية، والقوى الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية، والتوكيد الجوهرية في مجال العمل السياسي داخل قطاعات الجيش ينصب على تجسيد عقائد يؤمن بها المقاتلون قوامها أمران، الأول: الإيمان بالوطن وسيادته، والثاني: الإيمان بالأممية كنهج سياسي، بالإضافة إلى ما يستوجب من أعمال الدعاية المضادة في صفوف العدو. وكل ذلك ينطلق من مركات الفلسفة الماركسية، من أجل الوصول إلى الاشتراكية العلمية.

وتطرق الحديث إلى بيان أنواع الطبقات التي ينتمي إليها المقاتلون في الجيش الفيتنامي وهي طبقات.. (العمال، الفلاحون، البرجوازيون الصغار، المثقفون الثوريون) وجميعها تناصر فكرتين أساسيتين هما: مواجهة الإمبريالية ومقاومتها، ومواجهة الإقطاع واستئصاله. ومن أجل تنفيذ هذه المهمات تعمل وزارة الدفاع الفيتنامية على تهيئة كوادر الموجهين السياسيين في الجيش.

ومما أذكره أننا زرنا عند الساعة الرابعة فجراً من يوم 8/14 وحدة مدفعية الـ (م/ط) فاستمعنا إلى شرح مفصل عن أعمال هذه الوحدة من الموجه السياسي فيها، فعرفنا أن مدافعها الـ (م/ط) أسقطت (36) طائرة أمريكية، وأن التدريب يستمر في أثناء توقف الغارات، وأن المقاتلين يعملون في

زراعة الأراضي المجاورة للوحدة، وهم يوفرون طعامهم من مشاريع إنتاجية خاصة بهم، فهم يزرعون الخضار والحبوب ويربون الدواجن والحيوانات الأهلية الأخرى، بحيث تغدو وحدة مدفعية الـ (م/ط) قرية اجتماعية. وذلك تنفيذاً لسياسة الاعتماد على النفس، والاكتفاء الذاتي.

مع (هوشي منه) .. وجهاً لوجه!!

بعد زيارتنا مساءً لرئيس وزراء الفيتنام (فان فان دونغ)، وكان قد جلس معنا حوالي الساعتين ونصف الساعة، على طاولة المفاوضات. وبعد هذه المفاوضات خرجنا من عنده وكان الوقت ليلاً، وكانت الحديقة مضاءة بأنوار خافتة جداً، وهي حديقة كبيرة، وفيها الكثير من الملاجئ، وقد عرفنا على هذا القصر الذي بناه الفرنسيون أثناء احتلالهم لفيتنام، وبينما نحن نتجول في الحديقة، شاهدتُ على بعد 100 متر، رجلاً يجلس على مقعد في هذه الحديقة، وكان يرتدي بدلة عمل زرقاء، أشبه ببدايات عمال التنظيفات، وكنا نسير باتجاه هذا الرجل، ورئيس الوزراء يشرح لنا عن القصر والحديقة كانت مقرأً للحاكم الفرنسي في فيتنام، وعندما وصلنا إلى هذا الرجل الذي كان يجلس على مقعد خشبي وفي قدميه حذاء (شاروخ)، نهض هذا الرجل، فقال لنا رئيس الوزراء بعد أن حياه باحترام، هذا هو الرفيق (هوشي منه) قائد الثورة، فصافحنا، وكان رجلاً متقدماً في السن أخذنا إلى أحد الملاجئ، ونزلنا حوالي عشرين درجة تحت الأرض، وكان هذا الملجأ مكوناً من ثلاث غرف، وكنا نرتدي اللباس الرسمي، ودرجة الحرارة تقارب (40) درجة مئوية والرطوبة عالية، لذلك طلب منا أن ن فك ربطات العنق وأن نتخلّى عن (ستراتنا). وشرع يحدثنا، فقال: في هذا اليوم أسقط السوريون طائرة إسرائيلية، من صنع أمريكي، ونحن في هذا اليوم أسقطنا سبع طائرات، وقال لنا: إذا ما ظللنا على هذه الوتيرة من إسقاط الطائرات الأمريكية (أنتم في البلاد العربية، ونحن

هنا) فلن تتمكن أمريكا من صناعة الطائرات التي تحاربنا بها، وبذلك سيعود الجنود الأمريكيون إلى أمريكا. وتابع حديثه بأنه درس مع (بن غوريون) في جامعة اسطنبول وقال: أنصحكم ألا تخافوا منه، ولا من التهديدات التي يطلقها هو والإسرائيليون. وجدّثا كثيراً عن اليهود. ثم عاد وحدثنا عن الثروات الطبيعية في سورية، محدداً طول الساحل السوري، وقال لنا: لو أنكم اهتمتم بموارد الساحل السوري (وبالملاح البحري حصراً) لكنت لديكم صناعة هامة. وقام بإعداد الشاي لنا بنفسه، ولم يقبل أن يعد الشاي لنا رئيس الوزراء. ثم عاد ومازحنا قائلاً: أظن أن رئيس الوزراء قال لكم إنني رجل عجوز وعليكم ألا تمكثوا عندي طويلاً. ولكنني أقول لكم أنتم ضيوف أعزاء لديّ.

وقد استمرت زيارتنا للرفيق (هوشي منه) ساعات عدة، ولم نتركه إلا عند منتصف الليل. وقد حدثنا عن الحرب الدائرة بين فيتنام وأمريكا، وسياسة أمريكا في فيتنام خاصة، والهند الصينية (لاوس وكمبوديا) ثم تحدث عن الدعم الصيني - السوفييتي للشعب الفيتنامي دون أن يتطرق لأي وجه من وجوه الخلاف بين الصين والسوفييت.

مغامرة فينظام.. الصابرة!!

في هذا اليوم 8/14 كان من المقرر أن يغادر هانوي مباشرة بعد الانتهاء من حفل الوداع الذي أقامه نائب رئيس الوزراء الفيتنامي وبحضور وزير الخارجية، وقائد الجيش الشعبي، ونائب وزير الدفاع، إلا أن سوء الأحوال الجوية أخر وصول الطائرة الصينية إلى هانوي، التي كان من المقرر أن نستقلها في طريق العودة إلى الصين - موسكو - دمشق. لذلك بقينا في هانوي خارج إطار البرنامج الذي نفذناه بالكامل. في صباح 8/15 قمنا بزيارة لسفارة الجمهورية العربية المتحدة، واستقبلنا هناك القائم بأعمال السفارة، وتبادلنا الحديث حول واقع المقاومة في فيتنام، وحول ذيول هزيمة 5 حزيران. ثم وفي

الظهيره شاهدنا، في مقر إقامتنا، فيلما سينمائيا يروي مشاهد وصورا من مقاومة الشعب الفيتنامي. وفي المساء توجهنا إلى المطار، حيث نقلتنا ناقلة جنود برمائية عبر النهر الأحمر. وبعد ساعة من وصولنا إلى المطار أعلن عن غارة جوية في المطار نفسه، وقد استمرت حوالى الساعة. وبعد ساعة أخرى من الانتظار، أي في الساعة العاشرة ليلا تقريبا، أقلعت الطائرة بنا إلى حدود الصين بعد وداع مؤثر من قبل الرفاق الفيتناميين، حيث قدمت لنا فتيات صغيرات باقات من الورد، وكأن ما من غارة جوية حدثت في المطار، أو لكأننا لم نذهب إلى الملجأ عندما أعلن عن الغارة، وكأننا لم نعد من الملجأ عندما أعلن عن انتهاء الغارة. كنت أنظر إلى الفتيات الصغيرات فأرى في وجوههن بشائر النصر، فهن مستقبل فيتنام القادم.

انطلقت الطائرة بنا، (وهي من طراز يوشن 14) على ارتفاع منخفض، وبعد حوالى الساعة أو أقل وصلنا إلى مطار (داينغ)، ويقع على الحدود الصينية الفيتنامية والذي يبعد عن هانوي (80كم). وقد بتنا تلك الليلة في المطار.

الوفد السوري في الصين.. مرة أخرى !!

في صباح يوم 8/16 أقلعت الطائرة بنا من مطار (داينغ) عند الساعة التاسعة صباحا، وبينما نحن نهم بدخول الطائرة حدث أن لمس الرفيق موريس قدسية عضو الوفد كتف المضييفة التي تقودنا إلى الطائرة وبشكل عفوي، فما كان منها إلا أن تحدثت مع المرافقين، فكان نتيجة هذا الحديث أن أوقفونا قرب الطائرة، وجاؤوا بكرسي، أجلسوا موريس قدسية عليه، وفتحوا كتاب من كتب (ماو تسي تونغ)، وراحت إحدى المضيفات تقرأ منه بعض الأسطر وقد وضعت الكتاب فوق رأس موريس قدسية مباشرة، بينما مضييفة أخرى تتقر

على الدف قرية. حقيقة بدا لنا المشهد غير متوقع ودرامياً، وحين سألناهم لماذا قاموا بذلك، أخبرونا بأنهم أرادوا إعادة تثقيف مورييس قدسية في إطار احترام المرأة. كان المشهد أشبه بطقوس فرق المتصوفة. ومع ذلك وافق مورييس قدسية وامتثل لأوامر المضيفات. بعد ذلك مضينا إلى الطائرة التي انطلقت بنا نحو مدينة بكين، وقد هبطت في ثلاثة مطارات، وقد استغرقت الرحلة حوالي ثمان ساعات. وفي مطار بكين استقبلنا من قبل نائب وزير الخارجية الصيني، والملحق العسكري في السفارة الفيتنامية في الصين.

وفي يوم 1967/8/17، ونحن في بكين، قمنا بزيارة لمجمع شعبي (كمونة)، وكان الوقت صباحاً، وقد سمي هذا المجمع بـ (كمونة الصداقة)، وهناك استمعنا إلى قراءات من مؤلفات الرفيق (ماو تسي تونغ)، وتقدر مساحة هذه (الكمونة) بـ (98) كم²، وتضم (35) قرية، وفيها (7500) أسرة، وعدد سكانها (37000) نسمة، وهي عبارة عن مجمع كبير للإنتاج. وقد التقينا مدير هذه (الكمونة) الذي شرح لنا عن حياة الناس فيها، وأنماط الزراعة، والصناعة، والعمل السياسي، ودور الحزب الشيوعي، وحظائر الحيوانات الموجودة فيها، وهي عبارة عن أبقار ودواجن (دجاج، بط، إوز). وفي داخل هذه (الكمونة) توجد ستة مصانع صغيرة لإنتاج المواد الغذائية، والملابس، والأحذية، والأواني، والدراجات، والآلات الزراعية.

اللقاء الأول مع (تشوان لاي)..!!

وفي يوم 1967/8/18 وعند الساعة الرابعة مساءً، استقبلنا رئيس الدولة الصيني (شو إن لاي)، وقد تبادلنا وإياه الأحاديث حول ضرورة تعزيز العلاقة بين بلدينا سورية والصين، وقد حملنا تحياته للقيادة في سورية، وأبدى استعداداه لدعم الموقف السوري والعربي في مواجهة تهديدات الكيان الصهيوني - المخفر المتقدم للإمبريالية العالمية. وكان قد زارنا قبل ذلك الوقت في الفندق

سفير فيتنام في الصين والملحق العسكري الفيتنامي، وتبادلنا أحاديث المجاملة حول زيارتنا لفيتنام.

في الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر بتوقيت بكين، أخذتنا السيارات عبر ساحة (آمون) إلى قصر الشعب - مجلس رئاسة الدولة، وكان في هذه الساحة حوالي مليون شخص يقرعون الدفوف، وبأيديهم الكتاب الأحمر، وأغلبهم حفاة، وقد شاهدت قسماً منهم شبه عراة، ووصلنا إلى قصر مجلس الدولة، استقبلنا رجال المراسم، وأدخلونا إلى قاعة مستديرة كبيرة، كان فيها (شو إن لاي) رئيس الدولة ومترجم، وكانت الساعة الرابعة بتوقيت بكين، فرحب (شو إن لاي) بنا كثيراً، وكان المترجم صينياً، وراح الرفيق أبو رباح يشرح للرفيق (شو إن لاي) الوضع في الشرق الأوسط بشكل عام، ووضع سورية بشكل خاص، وقد استغرق حديثه حوالي ثلاثين دقيقة.

ثم تحدث الرفيق (شو إن لاي)، فتحدث عن الثورة الثقافية في الصين، وأهميتها، وتعميق الاتجاه الاشتراكي، وتدعيم قيادة الحزب الشيوعي الصيني، ثم تحدث مطولاً عن الاتحاد السوفييتي، فاتهم القيادة السوفييتية بأنها قيادة تحريفية بعيدة عن الأفكار الماركسية اللينينية وأنها تحابي الغرب، وقد استغرق حديث الرفيق (شو إن لاي) ساعتين ونصف الساعة، ثم عاد ليحدثنا عن الصين، وعرج على الوضع في الشرق الأوسط والسياسة الصينية تجاه الشرق الأوسط. ورأى أنه لابد لسورية، والبلاد العربية، من أن تعتمد في علاقاتها على الصين. أذكر أننا شربنا الشاي الأخضر أربع مرات ونحن نستمع إلى حديثه باهتمام، وقد تطرق إلى نضاله السياسي بين صفوف الشعب الصيني، ونظرفته إلى الاستراتيجية العالمية. وأخبرنا بأنه يعمل من الساعة الرابعة بعد الظهر إلى الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي، وعند الساعة الثامنة صباحاً يغادر إلى النوم، وخلال هذه المحادثة الطويلة التي استغرقت أربع ساعات. كنت صامتاً وأنا أنظر إلى وجه الرفيق (شو إن لاي) بتعجب، لعدم قناعاتي

ببعض أفكاره حول الشرق الأوسط والاتحاد السوفياتي، أقصد حول توجهات السياسة الصينية تجاه الشرق الأوسط، وحول انتقاده للقيادة السوفياتية. وفي الدقائق الأخيرة من كلامه وجه الرفيق (شو إن لاي) حديثه إليّ مباشرة، قائلاً: يبدو أن الرائد محمد لم يقتنع كثيراً بوجهة نظري، (لعله كان ينظر في وجهي فاستشفّ عدم قناعتني ببعض ما يقوله بفراسته الخاصة) وأضاف: أقول هذا لأنه لم يتكلم، لهذا أسأله الآن ما رأيته بحديثي؟! هنا قلتُ له وأنا أبتسم: نحن في وفد رسمي، ومقتضيات البروتوكول الرسمي تخوّل رئيس الوفد بالحديث، بينما أعضاء الوفد الآخرون يستمعون ويسجلون وجهات نظر الطرفين. وكأنني لم أنجح في هذا الهروب الدبلوماسي، فقد قال لي ممازحاً: لنندع البروتوكول الدبلوماسي جانباً، ودعنا نسمع رأيك فيما سمعت. هنا قلتُ: أحسب أن الحديث حول الشرق الأوسط عامة، وسورية خاصة، يحتاج إلى المزيد من النقاش المعمّق، لأننا نعيش ظروفاً صعبة وقاسية، وتلعب السياسات الدولية أدواراً كثيرة فيها. وأتمنى أن تُولي جمهورية الصين الشعبية العناية الكافية بقضية الشرق الأوسط عموماً، وقضية الصراع العربي - الصهيوني خاصة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، لأننا ندافع عن قضية عادلة أظن أنها لا تحتاج إلى المزيد من الشرح في حضرتكم أيها الرفيق العزيز (شو إن لاي). أما فيما يتعلق بالقيادة السوفياتية، فنحن لا نتوقف كثيراً عند عبارة (التحريفية) فالذي تراه الصين تحريفياً قد لا نراه كذلك، ولكننا نحترم وجهة النظر الصينية لأنها، لاشك، نابعة من دراسة عميقة. ونتمنى لو أن الفكر الاشتراكي يخضع لدراسات معمّقة لأننا على قناعة بأنه من النظريات الفكرية المهمة التي عرفها التاريخ الإنساني. وتوقفت عن الحديث وأنا أراقب علامات وجهه، فأدركت أنه لم يرتح كثيراً لهذا الحديث، لذلك أنهى المقابلة.

أظن أن وقت المقابلة الذي استمر أكثر من أربع ساعات كان من الطبيعي أن ينتهي عند هذا الحدّ، أو أن الرفيق (شو إن لاي) هو من أراد أن ينهيه على هذا النحو المفاجئ.

اللقاء الثاني المفاجئ.. مع (شوار لاي)!!

بعد انتهاء المقابلة غادرنا إلى فندق بكين، حيث نقيم، وتناولنا طعام العشاء، ولم نخرج من الفندق في تلك الليلة. وكنا نرى من شرفات الفندق الجماهير وهي تسير في شارع بكين الذي يمتد على مسافة مقدارها (20) كم، وهو شارع عريض بحوالي (80) م، وهو مخصص للسيارات، وللدراجات، وللمشاة أيضاً. وأحد أسباب هذه الضجة الصاخبة يتمثل في الطبول التي تُقرع، والتهتافات التي تُردد كما لو أن (آجوج وماجوج) ظهرأ في شارع بكين ومن حولهم الناس يهيجون على هذا النحو الهستيري.

وذهبت مع أعضاء الوفد إلى غرف النوم في حوالى الساعة الحادية عشرة قبل منتصف الليل، وكان برفقتنا طبيب صيني ينام إلى جوارنا في إحدى الغرف، وإليه توكل مهمة الإشراف الصحي علينا، كما كان معنا عدد من المرافقين الصينيين والمترجمين. وفي الساعة الثالثة بعد منتصف الليل في الليلة نفسها أيقظنا أفراد المرافقة، وطلبوا منا أن نرتدي ثيابنا الرسمية، وحين سألناهم لماذا، قالوا إنهم لا يعرفون، ولكن علينا أن نرتدي ثيابنا ونكون جاهزين، وهنا مازحني الرفيق أبو رباح قائلاً: تُرى هل اقترفنا خطأ ما يستوجب قراءة فصل أو أكثر من فصول الكتاب الأحمر للرفيق (ماو) على رؤوسنا؟ قلت: لا أدري، وليس علينا إلا الانتظار! وفي حوالى الرابعة إلا ربعاً صباحاً، طلب منا أفراد المرافقة أن نركب سيارات المراسم. فركبنا السيارات دون أن نعرف وجهتنا. وعند الساعة الرابعة فجراً تماماً توقف سيارات المراسم أمام قصر الشعب في ساحة (آمون).

حوار مباشر بيني .. وبين (شو إن لاي) !!

فوجئنا بأن الرفيق (شو إن لاي) هو من كان في استقبالنا ثانية. كان بادي السرور، ومبتسماً حين التقانا. وعندما جلسنا في غرفة الاستقبال، وجه حديثه إليّ مباشرة، قال: أيها الرائد محمد لقد شعرتُ بأنك لم تقتنع بوجهة نظري، لذلك طلبت مقابلتكم مرة ثانية (على الرغم من إزعاجي لكم)، ولذلك سوف أناقشك الآن وخارج نطاق البروتوكولات الرسمية. لهذا أطلب منك أن تحدثني عن قناعاتك حول أمور ثلاثة هي: الشرق الأوسط، السياسة الصينية، السياسة السوفييتية. في هذه اللحظة أحسستُ بشيء من الإحراج، لذلك استأذنت الرفيق أبي رباح بالحديث (وهنا تدخل الرفيق شو إن لاي مبتسماً فقال: ألم نقل بأننا نريد أن نتحدث حديثاً خارج نطاق البروتوكولات الرسمية)، وقد دعاني الرفيق أبو رباح للحديث. فقلت: أيها الرفيق فيما يتعلق بالشرق الأوسط، أرى أن الصراع العربي - الصهيوني مجسد على النحو التالي: الولايات المتحدة الأمريكية زعيمة الإمبريالية العالمية تساند إسرائيل وتدعمها بكل ما لديها من قدرات، وقد رأينا نتائج هذا الدعم المباشر قبل شهرين في الحرب التي فُرضت علينا في 5 حزيران والنتائج التي آلت إليها، في حين أن البلاد العربية لا تتلقى إلا النزر اليسير من مساعدات المعسكر الاشتراكي، ولا يصلنا هذا النزر اليسير إلا بعد معوقات إدارية كثيرة، وعبر روتين يستهلك الوقت الطويل، ومن أسف أن جمهورية الصين الشعبية التي نكنُّ لها عميق الود والتقدير لا تقدم لنا المساعدات الضرورية لحل مشكلة الصراع العربي - الصهيوني للأسباب التالية: أولاً المسافة الجغرافية ما بين بكين ودمشق بعيدة جداً، وهي مسافة لا تقطع إلا على مدار يومين أو أكثر بالطائرة، وعن طريق البحر تحتاج هذه المسافة (من أجل قطعها) إلى شهور عدة. وثانياً فيما يتعلق بالسوفييت والسياسية التحريفية، فهذا شأن داخلي للاتحاد السوفييتي، ونحن لسنا شيوعيين، ومع ذلك نحن لا نستطيع أن نفكَّ

علاقاتنا مع الإتحاد السوفييتي أو نقل من أهمية علاقاتنا معه بسبب خلاف فكري محض (بينكم وبينه)، وذلك لأسباب جغرافية (المسافة ما بين دمشق وموسكو 4 ساعات بالطائرة، وخلال عشرة أيام تصل البواخر عبر البحر من موسكو إلى دمشق) وكذلك دول المعسكر الاشتراكي في أوروبا هي قريبة جداً من بلدنا، لذلك لا نستطيع الاستغناء عن علاقاتنا مع الإتحاد السوفييتي ودول المعسكر الاشتراكي في أوروبا. وعلى الرغم من أن الصين الشعبية دولة عظمى لكنها ليست عضواً دائماً في مجلس الأمن الدولي له حق استخدام (حق الفيتو)، ونحن نأمل أن تصبح الصين الشعبية عضواً دائماً في مجلس الأمن لها حقوق الدول التي تستخدم (حق الفيتو)^(*). ونحن لم نسمح في يوم من الأيام بإهمال علاقاتنا معكم، علماً بأن الصين الشعبية لم تعترف حتى اليوم بمنظمة التحرير الفلسطينية التي تتولى الكفاح المسلح باسم أبناء الشعب الفلسطيني، لهذا أقترح أن تعترف الصين الشعبية، هذه الدولة العظمى الناصرة دائماً لحركات التحرير العالمية، أن تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية وأن تدعمها أيضاً، وأن تستقبل كوادرها السياسية من أجل تفعيل الحوار معها، وتستقبل كوادرها العسكرية من أجل أن يتدربوا على المهارات العسكرية في الصين الشعبية، وأن تمدوا الفلسطينيين بالسلاح^(*).

كان الرفيق (شو إن لاي) يستمع إلى حديثي باهتمام شديد، وقد أردته أن يكون موجزاً.. فنحن في ساعات الفجر تماماً، لذلك انطلق في الحديث مرة ثانية (ولمدة ساعة تقريباً) شارحاً أهداف الثورة الثقافية ودورها في بلورة عقيدة فكرية تجمع أبناء الشعب الصيني، ثم انتقل إلى الحديث عن قضية الصراع العربي - الصهيوني، والوحدة العربية (فرأى أن الوحدة ما بين مصر وسورية يجب أن تعود) وضرورة تقوية الجامعة العربية، لأن الوحدة هي الكفيلة

^(*) وقد أصبحت الصين فيما بعد عضواً دائماً في مجلس الأمن له الحق في استخدام (حق الفيتو).

^(*) والحقيقة أن جمهورية الصين الشعبية، وبعد هذه الزيارة راحت تحصل بالفلسطينيين، وتتعرف أحوالهم، وتستقبل قيادتهم السياسية، وكوادرهم العسكرية لتدريبها، ثم إلها زودتهم بالسلاح.

بحلّ الكثير من المشكلات التي تواجه العرب، وخصّ بالحديث القضية الفلسطينية، فرأى أنه يوافقني على آرائي التي قلّتها آنفاً. وقد استمرت هذه المقابلة حوالي ثلاث ساعات ونصف الساعة، وخارج نطاق البروتوكولات الرسمية، وفي ساعات الصباح الأولى ودّعنا الرفيق (شو إن لاي)، وعندما كان يصافحني، قال لي: أيها الرفيق محمد، أنت محاورٌ جيد. وأنصح بأن تعزّزوا علاقتكم بالاتحاد السوفييتي. وأعدكم باستقبال قادة منظمة التحرير الفلسطينية وكوادرها العسكرية أيضاً، لأن ما يهتمكم يهمنا ونحن في خندق واحد معكم في مواجهة الإمبريالية العالمية. واعدروني لأنني سأصرف فقط انتهى وقت دوامي وأشعر بالحاجة إلى النوم. وعدنا إلى الفندق لكي نتناول طعام الإفطار ونحن ننظر في وجوه بعضنا بعضاً نظرات الدهشة والتساؤل. وهكذا وفي ليلة واحدة استقبلنا الرفيق (شو إن لاي) مرتين، وعلى مدار ثمان ساعات كاملة.

من بكين إلى دمشق.. عبر موسكو!!

في يوم 19/8/1967 كان من المفترض أن يغادر بكين باتجاه موسكو، فذهبنا إلى المطار وانتظرنا هناك طويلاً، إلا أن الطائرة لم تأت لذلك عدنا إلى الفندق. وفي 20/8/1967 ذهبنا إلى المطار مرة ثانية، وعند الظهيرة تقريباً (أي في الساعة الواحدة)، أقلعت بنا الطائرة باتجاه موسكو، لكنها وبعد طيران استمر ساعتين وربع الساعة عادت الطائرة بنا مرة أخرى إلى مطار بكين، بسبب سوء الأحوال الجوية في الأجواء السوفييتية، لذلك نمنا في فندق مطار بكين. وفي صباح يوم 21/8/1967 أقلعت الطائرة بنا من بكين إلى الاتحاد السوفييتي، فوصلنا إلى مطار (أركسك)، وبعد استراحة قصيرة تابعنا سفرنا إلى موسكو التي وصلناها بعد نحو تسع ساعات. بتنا ليلتنا في العاصمة موسكو، ثم وفي صباح يوم 22/8/1967 أقلعت بنا الطائرة باتجاه دمشق.

وفي نهاية هذه الزيارة، وهي مهمة، حاولت جاهداً أن أجمع الكثير من المعلومات والخبرات الفيتنامية لقناعتي بأن هذا الشعب استطاع أن يكون نموذجاً للصمود والمقاومة في وجه الولايات المتحدة الأمريكية، وقد تأثرت كثيراً بهذه الزيارة لأنني التقيت بالفيتناميين المصيرين على المقاومة حتى انتزاع النصر، وطرد الأمريكان من بلادهم. وقد رفعنا مذكرة مفصلة للقيادة تتضمن ما شاهدناه في الصين وفيتنام، وسجلنا الملاحظات السياسية حول الحرب الفيتنامية - الأمريكية خصوصاً فيما يتعلق بأساليب القتال في المدن، وحماية المدنيين في مزارعهم، ومعاملهم، والأهالي في القرى والأرياف، والتعاون الكثيف والمباشر ما بين العسكريين والمدنيين، وخصوصاً المقاومة الشعبية.

وقد أعجبت القيادتان العسكرية والمدنية بنتائج الزيارة، وكان من نتائجها أننا رحنا نطور علاقتنا بجمهورية الصين الشعبية، ونعزز علاقتنا بالاتحاد السوفييتي، كما أن منظمة التحرير الفلسطينية استفادت كثيراً من نتائج هذه الزيارة، حيث بدأت الاتصالات بينها وبين جمهورية الصين الشعبية، وتم بالفعل استقبال الوفود الفلسطينية، كما تم تدريب عدد كبير من الكوادر الفدائية الفلسطينية في جمهورية الصين الشعبية، وقد زوّدت الصين الفلسطينيين بكميات كبيرة من الأسلحة. ومنذ تلك الزيارة راحت علاقاتنا مع الصين تتطور على نحو غير مسبوق وبوتيرة متسارعة.

وقد شكّلت القيادة لجنة، على ضوء هذه المذكرة، من أجل إقامة مشروع خطة منظمة للمقاومة، وفي أعقاب هذه الزيارة بدأ التفكير جدياً بإحداث منظمة الصاعقة. وفيما بعد تسلم الرفيق محمد رباح الطويل، وزير الداخلية آنذاك، قيادة الجيش الشعبي بمرتبة وزير، وقد نقلت إلى العمل الفدائي وأنا أتبع دورة قيادة وأركان حرب في كلية القيادة والأركان.



الفصل

العاشر

الفاستينون.. في الجهة الأردنية

كنت في عام 1968 أخضع لدورة أركان، وكان المناخ السياسي ممثلاً بالغيوم، وذبول هزيمة 1967 تكاد تفتك بنا، لذلك حين فاتحني ياسر عرفات وخليل الوزير وأبو علي إباد بأنهم يرغبون في أن أتعاون معهم في العمل الفدائي، وأنهم على استعداد لإسناد مهام العمل العسكري داخل الأرض المحتلة إليّ وافقت فوراً. لذلك لم أخبر أحداً بذهابي للعمل في صفوف الفدائيين. حتى زوجتي أم ندى لم أخبرها. جاؤوا إليّ بعدد من الهويات الفدائية، فمضيت إلى الأردن عن طريق درعا، وقد كان اسمي في الهويات مختلفاً ما بين هوية وأخرى، ومازلت أذكر إلى يومنا هذا.. أن (أبو علي) إباد اصطحبني من أمام منزلي، وأخذني معه إلى عمان حيث استقبلني هناك ياسر عرفات، وخليل الوزير، وآخرون وقد سرّوا لوجودي، وقالوا لي، كنا نحاول منذ سنوات أن نستقطبك إلى صفوفنا. ومن عمان، ذهبنا.. أنا، وياسر عرفات، وخليل الوزير، وأبو علي إباد.. إلى أحراش مدينة السلط وعجلون، حيث دخلنا إلى مغارة مع حلول الليل؛ مغارة.. هبطنا إليها بسلم، مدخلها كان أشبه بفوهة بركان، أو بئر ولكنها كانت شديدة الاتساع من الداخل، ومن يكون في خارج المغارة لا يخطر بباله أن تحت قدميه مغارة واسعة. مغارة لها مخارج عديدة.

وفي داخلها كنا نأكل ونشرب وننام ونخطط للعمليات الفدائية. ومنذ أيامي الأولى مع القيادة الفلسطينية طلبت منهم أن أزور المواقع الأمامية في قطاعات الجبهة على الحدود الأردنية: الجنوبي، والأوسط، والشمال. فلبوا طلبي بسرعة. وأذكر أنني قد بقيت في القطاع الجنوبي حوالى أسبوع تعرفت خلالها على منطقة العقبة وما حولها، ثم عشت في منطقة البتراء ووادي عربة حوالى أسبوع. وفي هذه الأثناء أي بعد أن قضيت حوالى أسبوعين، وكنت أنام في منطقة الطفيلة جنوب الكرك، في الأردن أرسلت خبراً لزوجتي، كي لا تقلق علي أكثر، مضاده أنني موجود في الأردن مع الفدائيين الفلسطينيين، وأن اسمي الحركي هو (مختار محمد علي)، وأن أموري بخير، ومتى سنحت الفرصة لي سأكون بطرفها. والحق أن أم الندى كانت غير متفاجئة بما فعلته، فهي تعرف طبيعة عملي العسكري، ولم أكن متخوفاً كثيراً من قلقها، فهي تعرف أن المغامرة في دمي. والآن، أقولها، بصراحة، كنت أتمنى الشهادة وأنا بين صفوف الفدائيين الفلسطينيين على الجبهة الأردنية من جهة ومن جهة ثانية حتى لا أغرق في الخضم السياسي المتأزم في قيادة حزب البعث العربي الاشتراكي.

ليلة الدخان الكثيف... في المغارة!

ومما أود الإشارة إليه هو أننا كنا ننام أنا وبعض الضباط الفلسطينيين في غرفة في منطقة الطفيلة، في شتاء عام 1968، والدنيا برد شديد، والثلج يغطي الجبال من حولنا، وإلى جوارنا مدفأة كاز، وحين نمنا لم يكن قربنا سوى مدفأة كاز تركناها مشتعلة، وكأن طارئاً ما أصابها، فبدأت تخرج دخاناً كثيفاً، ملأ الغرفة الضيقة، ولا أدري كيف استيقظت، فرأيت الدخان يغطي المكان. وبالمناسبة أنا لا أشم، لأنني فقدت حاسة الشم في الزلزلة الإفرادية حيث كنت مسجوناً في سجن المزة العسكري. المهم هو أنني استيقظت فبحثت عن الباب، وحين وجدته فتحتة، وأيقظت الضباط من حولي، وقد تملكني شعور من القلق،

لأنني خفت أن يكون الضباط قد اختنقوا، ولكن حين استيقظوا، وخرجوا واحداً واحداً حمدت الله عز وجل على سلامتهم، ورحنا بشكل معاً جوقة من السعال المتواصل. ومما أعيه الآن في ذاكرتي هو أنني ظلت، مع الضباط، نقذف لعباً أسود طوال أيام عديدة.

في تلك الفترة كنت أناقش قادة فتح كثيراً حول عدم أهمية الإعلام الوهمي عن عمليات مفتعلة، أو ناقصة، أو غير ناجحة.. يكيلون لها المديح والدعاية في الإذاعات والأخبار، والصحف عبر بيانات طنانة رنانة لهجتها عالية صخّابة، وذلك لأنه لا جدوى لتلك العمليات الانفعالية في نفوس المقاتلين. كان رأيي منصّباً على أن نقوم بعمليات فدائية حقيقية، ومن ثم إن أردنا الدعاية لها فلتكن الدعاية على أوسع نطاق لأننا فعلاً أنجزنا شيئاً مهماً تغيه عقولنا وعواطفنا معاً. وعلينا أن نطور العمل الفدائي من الحسن إلى الأحسن وأن ندرّب الفدائيين على المهارات الجديدة لكي يكتسبوها. كان الأخوة في منظمة فتح يقدرّون مشاعري، وصراحتي، لذلك أوكلوا إليّ مهمة التخطيط والتنفيذ لبعض العمليات.

العملية الفدائية الأولى.. ضرب البحر الميت!!

كانت أولى العمليات الفدائية التي خططت لها ونفذتها، عملية ضد معمل صهيوني للفوسفات يقع في جنوبي البحر الميت. درست إحداثيات المعمل من جميع الجهات، ثم اتخذت القرار بضرب المعمل. وقد قمت فعلاً بتجهيز وإعداد عدد من الهاونات، وتم قصف المعمل قصفاً مركزاً، واشتعلت النيران فيه، وفي السيارات الموجودة في داخله وحوله. وظللنا طوال الليل نشاهد النيران وهي تلتهم المعمل ومحتوياته. وقبليل الفجر.. وزعنا أمراً بالاستتفار الشديد لأننا توقعنا أن يقوم الطيران الإسرائيلي، مع أول ضوء، بقصف مواقعنا التي حملها على خرائطه. فعلاً لم يبرز ضوء الفجر حتى قام الطيران

الإسرائيلي بتمشييط الجبهة بقصف شديد . ولم نخسر أحداً من الفدائيين، وقد اقتصر الخسائر على بعض الأضرار المادية . بتلك العملية كانت البداية الفعلية مع الفدائيين .

ومما هو في البال، أن نشوة حقيقية كانت تتملكننا مع نجاح العمليات وتتاليها، ولكن كانت تتتابنا حالات من الحزن الشديد وقد رحنا نفقد بعض الفدائيين .. الذين كانوا يتركون فراغاً لم يكن بمقدورنا سده!

ياسر عرفات .. يطلبني على عجل!!

ومما أذكره أنه كان معي في تلك الفترة ملازم اسمه الحاج إسماعيل، (كما ذكرت سابقاً)، وهو شاب طويل ووسيم، مؤدب وشجاع، وكريم . وأقول كريماً، لأنه ما أن عرف بأن ياسر عرفات طلبني لكي ألتحق به في إربد حيث يدير اجتماعاً هناك لقادة فتح، حتى أسرع بشراء بعض الحاجيات كهدايا أحملها معي إلى أولادي في الشام، لأنه توقع ذهابي إلى دمشق لزيارة الأسرة، بعد أن أمضيت شهراً واحداً في أغوار الأردن . قال لي: من يصل إلى إربد، يصل إلى دمشق .. والمسافة بين المدينتين قريبة جداً . اشترى الحاجيات دون أن يخبرني إلا في اللحظة الأخيرة .

وحين وصلت إلى إربد، قالوا لي: ياسر عرفات ينتظرك في درعا لأن الاجتماع في درعا بدلاً من إربد، وبعيداً عن الرقابة الإسرائيلية . طبعاً كان الأمر مفاجئاً لي، فهاأنذا أعود إلى سورية من حيث لا أدري . ومن دون تخطيط . وعندما وصلت إلى درعا . التقيت ياسر عرفات، وقد استعد للذهاب إلى دمشق . سألته: ما الأمر؟! فقال: اركب معي في السيارة، لقد تغير مكان الاجتماع أيضاً! فركبت وعدت برفقته إلى دمشق . وفي الطريق قال لي: أريدك أن تعمل معي في قيادة فتح، وقيادة فتح في دمشق، وليس في أغوار الأردن .

اللواء حافظ الأسد..

يطلبني مباشرة من ياسر عرفات!!

وهنا أحب أن أؤكد بأن الحقيقة لم تكن كذلك، لأن ياسر عرفات كان فرحاً جداً بوجودي في أغوار الأردن. وكان لا يخفي دهشته وأنا أخطط وأبرمج للعمليات الفدائية، كما كان فرحاً لانضباطي وجديتي في العمل، وتمتعي بروح العسكرية الأكاديمية الصارمة.

قلت: الحقيقة لم تكن كذلك لأن اللواء حافظ الأسد وزير الدفاع، سأل ياسر عرفات عني، أي إذا ما كنت موجوداً عنده. فقال له: نعم! فقال له: نحن بحاجة إليه. دعه يعود مباشرة إلى دمشق. وقد علمت أن محمد رباح الطويل الذي كان قد تسلم قيادة الجيش الشعبي بدلاً مني هو أيضاً من سأل ياسر عرفات عني. لذلك قام ياسر عرفات باستدراجي من عمان، إلى إربيد، إلى درعا، لكي أعود معه إلى دمشق. ولأن أشعر بالحزن لأنني استدرجت إلى دمشق بعدما أقنعت نفسي بأن عملي مع الفدائيين الفلسطينيين هو العمل الأجدى في تلك المرحلة.

العمل في منظمة الصاعقة..!

بعد عودتي إلى دمشق اتصل بي الرفيق صلاح جديد، واستدعاني. قال لي: مادمت مصمماً على النضال في مجال العمل الفدائي، اعمل معنا، فنحن سننشئ منظمة اسمها الصاعقة، على رأسها الرفيق اللواء المتقاعد محمود المعاينة (وقد كان عضواً في القيادة القومية وهو أردني من مدينة الكرك)، اعمل معه كمسؤول عن الشؤون العسكرية. فوافقته، ومن تلك اللحظة رحت أعمل على إنشاء منظمة الصاعقة، الجناح العسكري. والتقيت وزير الدفاع اللواء حافظ الأسد. الذي رحب بعودتي من أغوار الأردن، وأثنى على تجربتي،

وحرصني على أن أكون كبعثي في المواقع الأمامية ناذراً نفسي للاستشهاد في أية لحظة. ورحب بعملتي في منظمة الصاعقة وأخبرني أنه هو من اتصل بزواجتي أم الندى عبر الهاتف وسألها عني. وحين قالت له لا أعلم. أنتم القيادة الذين تعرفون مكانه.. وكل ما أعرفه أنه أخذ حقيبته ومضى دون أن يخبرني عن وجهة سيره.

تسلمنا مبنى في شارع أبو رمانة، من طوابق عدة (مبنى وزارة النقل الآن) وقالوا لنا، (أقصد القيادة القطرية ووزارة الدفاع) اعملوا في هذا البناء. حقيقة لم يعجبني البناء. فصاعقة، وفدائيون.. وفي شارع أبو رمانة. أمر مريك فعلاً، لذلك استطلعت مكاناً في جنوب المزة، بين بساتين الصبارة، وأخذت بناءً هناك، كان البناء غير مستكمل، لذلك استكملناه، وانتقلنا إليه، وأخذنا قطعة أرض واسعة إلى جواره بنينا فيها ملاجئ وعدداً من البراكيات.. واتخذنا من المكان مقراً للصاعقة وسط بساتين الصبارة.

وأولى العمليات التي نفذناها باسم الصاعقة كانت عملية مهمة في الجنوب اللبناني. طبعاً كنا ننقل الذخائر والمعدات إلى لبنان عبر طرق برية عديدة، منها ما كان يرسل عن طريق معبر (المصنع) إلى الجنوب اللبناني. وسرعان ما أخذت منظمة الصاعقة مكانها النضالي إلى جانب العديد من فصائل منظمة التحرير الفلسطينية، وقد غذي الجناح العسكري فيها بخبرة الضباط المدربين تدريباً عالياً، وكنت أشرف شخصياً على العديد من الدورات التدريبية التي أقمناها بعدما فتحنا باب الانتساب إلى منظمة الصاعقة، دربت الكوادر في معسكرات القابون على طريقة تدريب المظليين والمقاومين، وبالفعل تخرج لدينا عدد من الفدائيين الذين خضعوا لتدريبات قاسية جداً تعادل تدريبات الكلية الحربية (وهي دورات مشتركة لمنظمتي الصاعقة وفتح) وأحدثنا فيما بعد مدرسة لتدريب كوادر منظمة الصاعقة في منطقة المعصمية وقد تسلم الإشراف على هذه المدرسة أخي الملازم أحمد إبراهيم العلي.

بعد ذلك، رحنا نفتح الدورات التدريبية داخل القطاعات العسكرية في جتوب لبنان، والأردن (منطقة الأغوار، وجرش). وفي فترة من الفترات رحنا نعاني من مضايقات الأمن العام اللبناني التي كان رجاله يحولون دون دخول العتاد والذخيرة والفدائيين إلى الجنوب اللبناني. لذلك أوجدنا طرقاً برية أخرى لدخول لبنان، منها الطرق الوعرة والفرعية القريبة من جبل الشيخ، كنا نحمل الذخيرة على البغال وكذلك بقية أنواع العتاد، ونشق الطرق الوعرة إلى الجنوب، أما الفدائيون المنتسبون إلى الصاعقة فكانوا يدخلون سراً عبر الطرق البرية المجهولة.

طبعاً لن أخوض في الحديث عن مضايقات الجيش اللبناني لقواعد الفلسطينيين في لبنان منذ إنشائها، كما لن أتطرق إلى المعارك الجانبية التي جرت بين الجيش اللبناني والفدائيين من مختلف فصائل منظمة التحرير الفلسطينية.. كي لا أعمق الجراح أكثر، والتي وصلت الأمور فيها آنذاك إلى الحد الذي جعل الرئيس جمال عبد الناصر يتدخل لكي يفك تلك الاشتباكات والمواجهات اليومية. قيل فيه الكثير، فتناوله قادة المنظمة في أحاديثهم ومذكراتهم كثيراً، وقد ذهب قادة من منظمة التحرير الفلسطينية، وقادة من لبنان ووقعوا (اتفاق القاهرة) الذي نظم العلاقة بين الفدائيين والدولة اللبنانية بعد مباحثات مطوّلة أجراها الجانبان، وبإشراف الرئيس جمال عبد الناصر شخصياً.

حصار الفدائيين في راشيا الوادي..!

كلفنا من قبل القيادة القطرية بفكّ الحصار الذي فرضه الجيش اللبناني على بعض القواعد الفدائية في قلعة راشيا الوادي، وكان الحصار مضروب حول المنطقة التي يتواجد فيها ياسر عرفات.. وأن اللبنانيين يريدون أسره! لذلك جهزت كتيبة من الفدائيين مكونة من فدائيين ينتمون إلى منظمتي فتح

والصاعقة، وكان رئيس أركان الكتيبة الرائد سعيد دباح، وهو ضابط فلسطيني شجاع، يمتاز بالكفاءة العالية (وقد كان معي في أثناء حركة الضباط الأحرار في حلب 1962، وقد سجن معي أيضاً). وقد تم تجمع أفراد هذه القوة في منطقة نبع بردى ومن ثم تم نقلها بواسطة آليات قبل الفجر إلى أول الحدود اللبنانية غرب جديدة يابوس، ودخلت إلى لبنان عن طريق الجبال جنوب شرق المصنع، وعندما أصبحت داخل الحدود اللبنانية وقرب الطريق المؤدي إلى قلعة راشيا الوادي، تناهت إلينا أخبار (اتفاق القاهرة) بين الطرفين الفلسطيني واللبناني، لذلك أوقفت الكتيبة بالقرب من المصنع، وطلبت من العناصر أن ينصبوا الخيام في منطقة حرجية، حوالى عشر خيام، وأمرت عناصر الكتيبة أن يتراجعوا إلى خلف الحدود اللبنانية، أي أن يتواجدوا داخل الأراضي السورية، وذلك لأنني توقعت قصف الطيران المعادي للخيام المنصوبة في الصباح، فالمنطقة بكاملها تحت أعين المراقبة الإسرائيلية. أي أنني نصبت الخيام لتكون مصيدة للطيران، في الوقت الذي أخرجت الفدائيين من أية إشكالية قد تخلقها لنا القوات اللبنانية، أو الطيران المعادي. عاد الفدائيون إلى القرب من منطقة الزيداني، وبدؤوا يعصرون ملابسهم التي بللها المطر الغزير جداً. وعدت ليلاً ونمت في جديدة يابوس بينما تابعت القوة مسيرها إلى الزيداني بقيادة الرائد سعيد دباح، وقد التقيت بعد الغروب بياسر عرفات في جديدة يابوس، الذي عاد هو ومن معه إلى دمشق، بعد أن أذيع اتفاق القاهرة بين الفلسطينيين واللبنانيين. واجتمعت بالعناصر في الصباح المبكر، وقلت لهم إن الأوامر واضحة، وهي تقضي بأن نتقدم إلى شتورة، ولكن علينا أن ننتظر قليلاً لنعرف ما إذا كان للطيران الإسرائيلي تحركات أم لا. طبعاً كنا سنعرف ذلك من طبيعة المناخ، فإن ظهرت الشمس سيكون للطيران الإسرائيلي جولة في المنطقة. فعلاً ما أن أشرقت الشمس حتى توجه الطيران الإسرائيلي مباشرة إلى المكان الذي نصبنا فيه الخيام، أي في المنطقة الحرجية القريبة من المصنع، فشنّ على الخيام غارات عدة فمزقها تمزيقاً. إذأ حدسي كان في مكانه، فلو أن عناصر

الكتيبة ناموا في الخيام لكان مصيرهم الموت المحتم، لكن الرجوع بهم إلى داخل الحدود السورية أنقذ حياتهم جميعاً. وبعد حوالى ساعة جاءني مسؤول من السفارة المصرية في بيروت وقال لي أنا ذاهب إلى سورية، وأريد إخبارك بأن حصار الجيش اللبناني للقواعد الفدائية انتهى، وأن الطرفين الفلسطيني واللبناني اتفقا على تنظيم أمور العمل الفدائي وفق شروط وافق عليها الجميع في القاهرة. طبعاً كنت أعلم بأخباره هذه.. منذ ليلة البارحة. فلم أفاجأ بها، ما فاجأني حقاً هو الخبر الذي جاءني من القيادة القطرية الذي يطلب متابعة التقدم لاحتلال شتورة. وقد التقيت، في اليوم نفسه بياسر عرفات، بعد أن فكّ الحصار عنه في منطقة ميسلون، وكان معه أبو الزعيم (وأنا أعلم أنه كان مرافقاً للملك حسين).

حين رفضت أن أكون مستشاراً عسكرياً

لـ يوسف زعين!

طبعاً ما كنت أدري أن بعض أعضاء القيادة القطرية كانوا يريدون الدخول على (اتفاق القاهرة) بهدف إفشاله، من أجل مناصرة الفلسطينيين، كي لا يقال إنهم خضعوا للاتفاق تحت الحراب اللبنانية أو الضغط المصري. وقد كنت أدرك أن القيادة القطرية ترمي بكل ثقلها من أجل إعطاء العمل الفدائي داخل لبنان زخماً كبيراً، لذلك في أواخر عام 1968، أعفى يوسف زعين من منصبه كرئيس للوزراء وشكل نور الدين الأتاسي الوزارة الجديدة بالإضافة إلى منصبه كرئيس دولة، وذهب يوسف زعين إلى كوبا، وبقي فيها شهراً كاملاً، وحين عاد وجد نفسه مكلفاً بقيادة العمل الفدائي بدلاً من محمود المعاينة، فشكّل مكتباً للعمل الفدائي ضمن مجلس عسكري أو مجلس استشاري تواجد هو فيه مع الرفيق صلاح جديد، ومحمود المعاينة، وفايز الجاسم.. وآخرين، أي تواجد فيه أكثر من نصف أعضاء القيادة القطرية.

وأخبرونني أنني عُينت مستشاراً عسكرياً ليوسف زعين لشؤون العمل الفدائي، فصعقت للتسمية، وقلت في نفسي هل أنا أجنبي لأكون مستشاراً على طريقة المستشارين الروس. فرفضت المهمة جملة وتفصيلاً. إذ ليس من المناسب أن أكون مجرد مستشار أعرض رأياً إن أعجب يوسف زعين أخذ به وإلا فيرفضه، هل هذا هو دوري؟! أبدأ! لذلك رفضت هذا التعيين وقد حاول الرفيقان إبراهيم ماخوس ويوسف زعين إقناعي بقبول هذه المهمة. فرفضت وبشدة.

حوار.. مع صلاح جديد!!

كان أن تأزم الأمر بيننا. فأنا أرفض أن أكون مستشاراً، وهم يريدونني مستشاراً. لذلك جاء الرفيق صلاح جديد إلى مقر القيادة العسكرية للصاعقة في منطقة المزة، وجلس على المكتب الذي كنت أجلس عليه، وراح يوقع البريد. ولم يكن في المكتب (وهو عبارة عن براكية) سوانا الرفيق صلاح جديد وأنا، وسكرتيري النقيب قسام دخل الله (وهو فلسطيني)، وسألني صلاح جديد بحسم وشدة: هل تريد أن تعمل أم لا؟! سؤال مباشر وحاد! وصلاح جديد عادة، إذا ما أراد إقناعي بأمر، فإنه يمهد له ويدغدغ عواطفني، أي يستميلني لكي أوافق. لكنه في هذه المرة. قال بحدة شديدة: هل تريد أن تعمل أم لا؟! قلت له: أنا لا أعمل مستشاراً لأحد. لهذا أرجو أن تُنهى مهمتي للعمل في منظمة الصاعقة. فقال دون أن يسألني أي سؤال آخر: يا قسام، هات برقية لأنهي مهمته. فنهض قسام دخل الله وصاغ البرقية، وأحضرها للرفيق صلاح جديد فوقعها. أخذت البرقية، وتركت الرفيق صلاح جديد في مكنتي، ودخلت إلى البراكية التي يتواجد فيها النقيب قسام دخل الله وهي مجاورة لمكنتي (وهو براكية أيضاً كما قلت) فسألني قسام ألا تريد تسليم السيارة؟! فما كان مني إلا أن رميت له مفاتيحها وخرجت. طبعاً، كانت أعصابي متوترة جداً. حاولت أن آخذ سيارة تكسي إلى وزارة الدفاع فلم أجد، لذلك ركبت في

الباص. وقلت في نفسي: لن أعمل مستشاراً أبداً. ولم أذهب إلى وزارة الدفاع في اليوم نفسه، وإنما ذهبت في اليوم الثاني.

اللواء حافظ الأسد قال لي..!!

دخلت إلى مكتب اللواء حافظ الأسد وزير الدفاع، فاستقبلني. أعطيته البرقية. وتحدث معي طويلاً حول الموقع الذي يريد أن يسلمني إياه. قال لي متسائلاً: ماذا أسلمك؟ إذا ما عينتك في أي مكان سيعتبرونك رئيس الدائرة. إذا سلمتك رئيس أركان لواء سيعتبرونك قائداً للواء، وإذا سلمتك نائباً لمدير الإدارة السياسية سيعتبرك المدير رئيساً له وللإدارة. وطرح عليّ أفكاراً كثيرة، ولكن لم نصل إلى نتيجة.. ثم قال لي: محمد خذ وقتك وفكر بمكان يمكنك العمل فيه.. وحين تصل إلى قناعة تعال وأخبرني.. لا تقلق.

وخرجت من عنده. رتبتي آنذاك كانت (رائد). فذهبت إلى البيت، وبقيت من دون أية مسؤولية طوال شهور، أمضيتهما في حضور أفلام سينمائية مصاغة عن روايات عالمية، وفي لقاءات ودية مع الرفاق وأعضاء القيادة القطرية، وكأن أموري لم يعكّرها شيء.



الفصل

الحادي عشر

المؤتمر القطري الرابع

(وضع النفاط على الحروف)

الرحلة إلى ألمانيا الديمقراطية

وقبل الحديث عن المؤتمر القطري الرابع، والإعداد له، والانتخابات التي سبقته، والإرياقات (الصغيرة) التي أحدثها اصطفااف الرفاق في تيارات وولاءات عائدة لبعض توجهات أعضاء القيادتين القطرية والقومية. أودّ أن أشير إلى أنني قمتُ مع بعض الرفاق بزيارتين إلى كلٍّ من ألمانيا الديمقراطية، وبلغارية.

ففي شتاء عام 1968، قمنا بزيارة إلى جمهورية ألمانيا الشرقية على رأس وفد حزبي، وبسبب ضغط من الاتحاد السوفييتي، وقد كان الوفد مؤلفاً من الرفاق: مصلح سالم عضو القيادة القومية، وعبد الحميد مقداد عضو القيادة القطرية، (وعضو قيادة قومية لبناني)، ورفيق من المفرغين في القيادة القومية، ورفيقيين مفرغين في القيادة القطرية، وعضو آخر من القيادة القومية، وأنا كمتدوب عن العمل الفدائي. ووصلنا إلى برلين الشرقية. كان الطقس بارداً جداً، ودرجة الحرارة أقل من 20 درجة تحت الصفر وقد استقبلنا الرجل الثاني في الدولة الألمانية، ونزلنا في فندق خاص بالحزب الشيوعي. وكانت المفاوضات من أعظم المفاوضات التي عرفت في حياتي، كان يقود المفاوضات

عن الجانب السوري مصلح سالم. وكان يتكلم جملة ثم يشرد نصف دقيقة، ثم يضيف جملة أخرى، ثم يشرد^(١).

بعد ساعة من المفاوضات، ضاق المفاوض الألماني ذرعاً برئيس الوفد السوري فغادر تاركاً الاجتماع للرجل الثاني، ثم بعد نصف ساعة ترك الاجتماع للرجل الثالث وقد كانت امرأة لكنها غادرت المفاوضات بعد نصف ساعة أيضاً، وظلّ مصلح سالم يتكلم ويشرد وكأنه في عالم آخر. وقد ذهبنا إلى زيارة بوتسدام ونمنا فيها، وفي الصباح ذهبنا إلى مدينة ليبزغ، وقد نسينا وراءنا الرفيق عبد الحميد مقداد في مدينة بوتسدام. وقد كان هذا الأمر مفارقاً إذ كيف لنا أن ننسى عضواً في الوفد، وهو عضو قيادة قطرية.

وكانت الرحلة بشكل عام لا بأس بها. وقد استقبلني بمفردي الفريق (هوف مان) وزير الدفاع الألماني، وقد أجريت معه محادثات حول العمل الفدائي والقضية الفلسطينية، وضرورة دعمها، وقد قدّم لي هدية عبارة عن (200) منظار ليلي، وعدد من الرشاشات وبنادق ألمانية (كميتها كبيرة نسبياً) وقد شُحن هذا العتاد إلى سورية لاحقاً. وقد استقبلنا رئيس الدولة في ألمانيا وكان متقدماً في السن. وقد أوصى مدير مكتبه ألا نتأخر عنده لأنه يرهق بسرعة، وأذكر أنه حدثنا عن الحرب العالمية الثانية، وهو من الشيوعيين الألمان. ثم عدنا إلى دمشق، بعد أن استغرقت الزيارة تسعة أيام، وعلى إثرها اعترفت سورية بألمانيا الشرقية دولة مستقلة ذات سيادة، وتمّ التبادل الدبلوماسي بين البلدين.

^(١) يقول، أكرم الحوراني: بعد أن رسب مصلح سالم 12 سنة في كلية الحقوق لقد توسطت له حتى ينجح، وقد أراد مصلح سالم أن يقلّد ميشيل عفلق في طريقة الحديث، أي أن يتكلم ببطء وهذوء وهو يتحدث عن الوحدة والحرية والاشتراكية، لكنه لم ينجح لا في شخصيته الحقيقية ولا في شخصيته المقلدة لميشال عفلق.

الرحلة إلى بلغارية..!!

وفي صيف عام 1968، قمنا بزيارة إلى جمهورية بلغارية الشعبية، وكان رئيس الدولة (جيفكوف)، وهو أمين الحزب الشيوعي في بلغارية أيضاً. وكانت غاية الزيارة تهنئة القيادة البلغارية بالعيد الخامس والعشرين لتأسيس جمهورية بلغارية الشعبية بعد الحرب العالمية الثانية. وكان رئيس الوفد الرفيق حديثة مراد عضو القيادة القطرية، والرفيق عبد الحليم خدام وزير الاقتصاد، وأنا كمندوب عن العمل الفدائي. وكان أن دعي من العراق وفد مكون من ثلاثة رفاق كان برئاسة طه الجزراوي (طه ياسين رمضان)، وقد وضع البلغار رئيسي الوفدين السوري والعراقي مجاورة، فالوفدان يمثلان حزب البعث، ولكن الخلافات بين الطرفين كانت على أشدها. وبينما نحن في الاجتماع وإلى جوارى الرفيق عبد الحليم خدام، قلت، وبشكل هادئ أمة عربية واحدة. كيفك رفيق طه؟ فلم يرد على سلامي وظلّ متشنجاً. وقد امتعض حديثة مراد من تصرفي، بينما قرصني عبد الحليم خدام من رجلي، أما أعضاء الوفد العراقي الجالسون خلف طه الجزراوي فقد انفلتوا في الضحك. وقلت لطله الجزراوي مرة أخرى: من العيب أن نكون بعثيين ولا يكلم أحداً الآخر. فقال لي طه الجزراوي: على هونك أبو جاسم. قلت له: أنا عازمك على العشاء في الفندق! فوافق. أما حديثة مراد وعبد الحليم خدام فلم يحضرا العشاء، وكذلك فعل الاثنان المرافقان لطله الجزراوي. وقد امتعض الرفيق حديثة مراد من تصرفي، وأبلغ القيادة، فتذمر الرفيق صلاح جديد مني حين عدت إلى دمشق. كنت قد تأخرت في بلغارية مدة أسبوع، قابلت خلالها وزير الدفاع البلغاري، وشرحت لهم الكثير عن العمل الفدائي، وقابلت رئيس المخابرات البلغارية، وقدموا لنا آلاف البنادق البلغارية الحديثة من أجل دعم العمل الفدائي. وقد عدت بعد أسبوع من تأخري على طائرة خط سيرها من صوفيا إلى أثينا وقد جلست إلى جوار نائب الرئيس عبد الناصر، رئيس الجمهورية العربية المتحدة الذي كان في

زيارة رسمية لبغارية أيضاً، رمزي استينو، وتحدثت معه مطولاً حول ميثاق 17 نيسان 1963 ولماذا فشل هذا الميثاق، ولماذا لم تعاد الوحدة مع مصر، وعدم وجود الوحدة هو الذي سبب الهزيمة في 1967. وقد فوجئ رمزي استينو بوجودي والقضايا التي أ طرحها، فقد كان هو كبيراً في السن، بينما أنا في مطلع الشباب، وقد طلبت منه أن يبلغ الرئيس عبد الناصر تحياتي لأن الرئيس عبد الناصر يعرفني جيداً. وأتمنى أن يكون رمزي استينو على قيد الحياة بعد أن مضى على هذه الرحلة أكثر من 36 سنة. وقد وصل العتاد العسكري إلى سورية عن طريق البحر.

كان الملحق العسكري السوري في صوفيا الرائد محمد كنعان وهو صديق لي، وقد زاملته في التدريس أيام دير الزور، وقد أعجبت بمدينة صوفيا لأنها كانت أشبه بالحديقة. ومن شدة إعجابي بها قمت بزيارة هذه المدينة مرة ثانية وأنا في قيادة الجيش الشعبي في بداية عام 1980.

المؤتمر الفطري الرابع..!

لم يتسن لنا الوقت الكافي لكي نتلافى ثغرات حرب 1967، ونتائجها الكارثية على كل الصعيد في المجتمع، فقد كانت آثار الهزيمة جارحة وموجعة بالفعل، ولكن لا بد من العمل، والنهوض، والتجاوز وقد كانت النفوس مهيأة لكي نتجاوز وتنهض، على الرغم من أن مشاعر الخيبة والإحباط كانت موجودة لدى أبناء الشعب، ولدى معظم أعضاء القيادتين المدنية والعسكرية.

وقد كانت الآراء جميعها متفقة على أن يتم شدّ المفاصل الأساسية في الحياة العامة، وخصوصاً في المجالين الحزبي، والعسكري، لهذا رأى الرفاق الحزبيون أن تنتظم كوادر الحزب في العمل الفدائي من أجل التزود بالخبرات العسكرية عن طريق دورات الممارسة الحزبية في قواعد العمل الفدائي، وقد كانت حرب الاستنزاف على أشدها في سورية ومصر ضد (إسرائيل)، ورأى

الرفاق الحزبيون أن يتجلى الانضباط الحزبي أيضاً عبر العمل المكثف في الأجهزة الحزبية، إذ لا بد من أن تقوم المؤسسة الحزبية بالعمل الدؤوب والمستمر من أجل رص الصفوف، وإعادة اللحمة الوطنية إلى طبيعتها لكي نقاوم الهزيمة ونمحوها بالعمل لهذا تتادى الرفاق في الجهاز الحزبي إلى عقد المؤتمر القطري الرابع، في شهر أيلول 1968، فكان أن تمت الانتخابات في المؤسسة الحزبية على جميع الصعد لكي تختار الفروع الحزبية أعضائها الذين سيمثلونها في المؤتمر.

وكانت التوجهات العامة تصب في اتجاه واحد يتمثل في تعزيز جبهة التضامن العربي، وشد أزر الأمة العربية مرة أخرى لتجاوز آثار الهزيمة واستيعاب دروسها، وبذلك كانت وجهة نظر الرفاق في المؤسسة الحزبية بشقيها المدني والعسكري متمثلة في ضرورة حضور مؤتمرات القمة العربية، والعمل من داخل مشروع التضامن العربي والحضانة العربية لتصليب خط المواجهة ضد العدو الصهيوني، ولا أستثني هنا من وجهة النظر هذه إلا بعض الرفاق في القيادتين القومية والقطرية الذين عرفوا بالرفاق القطريين الذين كانوا متطرفين في نظرهم إلى أهمية القطرية، هؤلاء القطريون، من الرفاق، كانوا غير متشجعين للعمل القومي بحضور مصر، والرئيس جمال عبد الناصر تحديداً. وقد كانت حجة هؤلاء الرفاق القطريين أن مؤتمرات القمة العربية معنية بالشعارات، والحضور أكثر من أن تكون معنية بالأمور التنفيذية، والعمل الجدي المشترك، وليس حضور هذه المؤتمرات إلا مضيعة للوقت. وقد كانت وجهة نظرهم هذه مسموعة، ولكنها ليس هي الغالبة أو الراجحة.

الرواد (فياض، حيدر، المهدي) ..

دسبونني في الانتخابات!

في تلك الفترة كانت توجد انتخابات في الجيش، فالعضو الذي يريد أن

يتقدم إلى المؤتمر القطري، عليه أن ينجح في انتخابات الفرع، وللحقيقة كانت تجري انتخابات حقيقية وليست شكلية فاجتمعت الشعب الأربع في قيادة الفرع، وكان المطلوب ثلاثة أعضاء من فرعنا من أجل حضور المؤتمر القطري الرابع الذي عقد في منطقة يعفور من عام 1968.. أذكر أن مؤتمر الفرع كان مساءً، وكان أمين الشعبة الأولى الرائد شفيق فياض، وأمين الشعبة الثانية الرائد علي حيدر، وأمين الشعبة الثالثة الرائد علي المدني، وأمين الشعبة الرابعة الرائد يوسف ولا أذكر الاسم الثاني له.. ومنذ البداية شعرت في هذا المؤتمر أنه يوجد تكتيك انتخابي، وكان عدد الأعضاء في الفرع ثلاثة وثلاثين رفيقاً من الضباط، فقلت لهم: منذ البداية أنا لا أرغب في ترشيح نفسي، يجب أن ينجح ثلاثة رفاق فقط لكي يمثلوا الفرع في المؤتمر، وقد كنت أميناً لفرع وحدات القيادة العامة. أحسست مباشرة أنه توجد دربكة في الخفاء..

عندئذ، جاء شفيق فياض وقال لي ليس من المعقول ألا تترشح، وحلف على القرآن الكريم وقال: والله يا أبو ندى لا أحد يترشح غيرك؟

ثم أيده وسانده في هذا الموقف علي حيدر وعلي المدني، وقالوا: ما (بصير)؟ يجب أن تترشح!

لكن هؤلاء الرفاق الثلاثة كانوا قد اجتمعوا مع شعبهم مسبقاً واتفقوا بعد أن حلفوا على القرآن الكريم جميعاً أن لا ينتخبوا محمد إبراهيم العلي كعضو في المؤتمر القطري الرابع، وفعلاً ترشحت ورسبت. إذأ تأمروا علي جميعاً أرادوا ترشيحي من أجل أن يرسبوني، وقد حلفوا على القرآن الكريم من أجل أن يعملوا على رسوبي!

وهنا أقول إنه ما كان يهمني أن أكون عضواً أصيلاً في المؤتمر أو عضواً مراقباً. ذلك لأنني حضرت المؤتمر كعضو مراقب. وقد أرادوا ذلك كي لا أشرح نفسي لعضوية القيادة القطرية. وما حسبوا أنني فهمت اللعبة منذ عام 1963

حين قطع الرفيق صلاح جديد الطريق عليّ وطلب مني ألا أرشح نفسي لعضوية القيادة القطرية.

يقول الرفيق شفيق فياض (بعد 30 سنة من هذا الحدث) معترفاً: إننا تأمرنا عليك ورسبك في تلك الانتخابات ظناً منا جميعاً أنك من جماعة الرفيق صلاح الجديد، وقد ضللنا وأخطأنا يومئذٍ وارتكبنا جريمة بحقك، ثم أردف قائلاً: نحن أتينا إلى المؤتمر القطري الرابع بعد أن ذهب أمين الحافظ وذهب معه عدد من التيارات السياسية مع رجالاتها المتصارعين وبقي في ساحة الصراع وفي القيادة فقط الرفيقتان حافظ الأسد وصلاح جديد، ونحن كنا مع حافظ الأسد، فظننا أنك أنت مع الرفيق صلاح جديد، فقمنا بهذه المؤامرة وقدمناك قرباناً..

فقلت له عندئذٍ: أنا أشكركم جميعاً . لأن القدر رحمني .

إن هذا الرسوب هو الذي خلصني من جميع المآزق وبقدرة قادر . وبسبب نتيجة الرسوب عرف الجميع أنني لم أكن محسوباً على أحد، أي لم أكن محسوباً على الرفيق صلاح جديد ولا محسوباً على الرفيق حافظ الأسد . هذا الأمر جعل الرفيق صلاح جديد يتساءل باستغراب: كيف رسبك؟!

فقلت له: لا أعلم.. ألسنا نحن في حزب ديمقراطي.. ترشحت ولم ينتخبوني، وأنا مقتنع بما حصل. ثم سألته: لو أنني نجحت في هذه الانتخابات، وذهبت كعضو أصيل هل كنت تتحمس لي كي أصبح عضواً في القيادة القطرية قال: لا

قلت له: إذا ما هي الفائدة، قال: تكون عضواً مراقباً .

قلت: إن كنت عضواً مراقباً أو عضواً أصيلاً فالأمر سيان إذا لم ترغبوا أن أصبح عضواً في القيادة القطرية، وبالفعل كنت في هذا المؤتمر عضواً

مراقباً لا يحق لي التصويت، بينما الأصيل يحق له التصويت وقمت بنشاطي الكامل في المؤتمر وكأنني لم أرسب ولا أي شيء كنت أناقش وأظهر للآخرين أن الأمر طبيعي، ولكن للحقيقة كنت منزعجاً. لأنهم تأمروا عليّ بطريقة غير أخلاقية، وقلت في نفسي سوف تأتي الأيام وأحاسبهم، ومادام الشيء بالشيء يذكر أقول: لماذا تأمروا عليّ؟ لأنهم مع حافظ الأسد لا، وإنما لأنهم من جماعة محمد عمران، بينما علي المدني كان من ذبول جماعة أكرم الحوراني، فانتقموا من جماعة 23 شباط ولم يكن أحد أمامهم سواي، وقد اتفقوا فيما بينهم على أن يرهبوا كل رفيق من جماعة 23 شباط، وقد أراد أفراد جماعة محمد عمران أن يضربوا مجموعة 23 شباط، فهذه الجماعة تسعى لأن تتصدر بمجرد إبعاد «الشباطيين» كما كان يسمون، فتبقى الطريق مفتوحة أمامهم ومن ثم يسهل عليهم إزاحة اللواء حافظ الأسد. وبالتالي يعود الرفيق محمد عمران إلى قوته ومركزه، لكن اللواء حافظ الأسد كان يعرف ماذا يجري وماذا يدور في العلن والسري معاً.

حين عقد مؤتمر يعفور أخذ بعداً كبيراً وحصل فيه نقاش عنيف وكان الحوار بين مد وجزر وقد استغرق هذه المؤتمر مدة خمسة أيام، وأرى أنه لا بد من أن أوضح للقارئ لماذا عقد المؤتمر الرابع في منطقة يعفور.

بسبب وجود ثكنة عسكرية في يعفور مجهزة بكافة النواحي من حيث الخدمات والتنمية والأهم من ذلك الناحية الأمنية مأمونة الجانب، وهذا المعسكر هو بالأساس مدرسة رياضة ويتوضع في المعسكر لواء مقاتل، وأذكر أن الرائد نادر مهنا كان رئيس قسم العمليات في اللواء، وهو محسوب على صلاح جديد، والحديث عن هذا المؤتمر كبير جداً وغامض ويحتاج إلى تفاصيل دقيقة، ولكنني أستطيع أن أخص نتيجة هذا المؤتمر بأنه ظهر بشكل واضح وجلي الخلاف بين الرفيقتين صلاح جديد وحافظ الأسد والخلاف مع القيادة القطرية أيضاً، وذلك لأن المؤتمر عقد على أثر أزمة أحمد سويداني وهروبه

إلى العراق، ومن ثم تعيين مصطفى طلاس رئيساً للأركان العامة للجيش والقوات المسلحة. وأيضاً التيار القطري الذي يقوده سليمان الخش وزير التربية قد أعيد تنظيمه في الحزب والديريون أيضاً كانوا معه..

وزارة جديدة.. برئاسة يوسف زعين!!

وقد تعاون الجميع فشكلوا معاً وزارة يوسف زعين في 1968. وتألفت من: رئيس الوزراء يوسف زعين (من القطريين)، إبراهيم ماخوس نائباً لرئيس مجلس الوزراء وزيراً للخارجية (من القطريين)، عبد الفتاح البوشي نائباً لرئيس مجلس الوزراء وزيراً للمالية (وهو من حماة، هو حيادي لكنه ميوله لأكرم الحوراني)، الوليد طالب وزيراً للشؤون الرئاسة (محسوب على أمين الحافظ، وهو من محافظة إدلب، وكان رجلاً عازباً، ويذهب المسؤولون إلى بيته ويقضون الليالي الحمراء، يعني وزيراً لأمين الحافظ)، الدكتور عادل طربين وزيراً للزراعة (من دمشق لا حول له ولا قوة)، صالح المحاميد وزيراً للشؤون البلدية والقروية (محسوباً على صلاح البيطار)، الدكتور مصطفى حداد وزيراً للتربية والتعليم (من ريف إدلب محسوباً على أمين الحافظ وهو رجل متموج محسوباً على الجميع)، الدكتور عبد الرحمن الكواكبي وزيراً للأوقاف (رجل دين «شيخ»)، اللواء ممدوح جابر وزيراً للأشغال العامة (من مدينة حماة كان من خلفه تيار أكرم الحوراني)، السيد علي تل جبيني وزيراً للشؤون الاجتماعية والعمل (كان يشغل منصب رئيس اتحاد عمال حلب ومن ثم سورية وقد جيء به لصالح أمين الحافظ)، السيد إبراهيم البيطار وزيراً للاقتصاد (وهو حيادي)، سليمان الخش قطري وزيراً للإعلام والإرشاد القومي (وأعيد تنظيمه للحزب عند تشكيل هذه الوزارة. وكان شديد الكره لعبد الناصر)، السيد حسين مهنا وزيراً للعدل (وهو حيادي، وقد جاء به صلاح جديد من الساحل)، العقيد عبد الكريم الجندي وزيراً للإصلاح الزراعي (من ضمن الحزب وهو قطري)،

السيد مشهور زيتون وزيراً للتموين (محسوباً على صلاح البيطار)، السيد سميح الفاخوري وزيراً للمواصلات (محسوب بين بين على عدة اتجاهات ولكن في الغالب على صلاح البيطار)، الدكتور هشام العاص وزيراً للصناعة، العقيد محمد خير بدوي وزيراً للتخطيط، اللواء حمد عبيد وزيراً للدفاع، الدكتور صادق فرعون وزيراً للصحة والإسعاف العام، السيد محمد عيد عشاوي وزيراً للداخلية، الدكتور عدنان شويمان نائباً لوزير العمل والشؤون الاجتماعية.

قيادة قطرية جديدة!!

وقد عقد المؤتمر القطري الرابع في منطقة يعفور أواخر أيلول 1968 واستمر أياماً عدة، وتمت فيه مناقشة التقارير المقدمة من القيادة القطرية، والجهاز الحزبي العسكري، ثم اتخذت التوصيات بعد مناقشات مستفيضة وهادئة، وبعد ذلك انتُخبت قيادة قطرية جديدة مؤلفة من الرفاق: نور الدين الأتاسي، يوسف زعين، حافظ الأسد، صلاح جديد، إبراهيم ماخوس، محمد عيد عشاوي، محمد سعيد طالب، مروان حبش، حمود قباني، حديثة مراد، عبد الحميد مقداد، محمد رياح الطويل، أحمد سويداني، عبد الكريم الجندي، حبيب حداد، عادل نعيمة.



الفصل

الثاني عشر

انتصار عبد الكريم الجندي

(فاجعة.. من عيار ثقيل)

لم تكن لي علاقة مباشرة مع عبد الكريم الجندي قبل أن نلتقي في المؤسسة العسكرية. ما أذكره عنه هو أنه كان طالباً في الثانوية العامة، السنة الأخيرة، في ثانوية ابن رشد، في مدينة حماة، عندما كنت في الصف الأول الإعدادي وقد كان بيني وبينه من ناحية الزمن ست سنوات. لم أتعرف إليه في ثانوية ابن رشد تعارفاً يسمح لي بأن أتحدث عنه حديثاً مفصلاً. كل ما أعرفه أنه كان طالباً ذكياً وموهوباً، وقد نال الشهادة الثانوية، وذهب إلى الكلية الحربية، التي ذهبت إليها فيما بعد (1956)، وقد كان موجوداً في الكلية كأحد المدربين. كانت رتبته ملازم أول، درسنا مادة الطبوغرافيا. في الكلية الحربية نشأت معرفة بسيطة معه، ولكنها ليست معرفة قوية. وحين ذهبت إلى القاهرة تعرفت إليه واقتربت منه أكثر. كان برتبة نقيب وقد كان يزورني في مكان سكني، وكنت أزوره في مكان سكنه أيضاً. آنذاك، كان متزوجاً حديثاً. وقد عرفت فيه صفات تكاد تكون نادرة مثل صفاء الذهن، والذكاء الحاد، والحذر، والانتباه العميق، والجرأة العالية، وقد كانت ردود فعله سريعة جداً، وإدراكه لمغازي الحديث وأهدافه مدهشة. وبديهيته ذات حدس عجيب. وكان صاحب منطق علمي. فهو ضابط مدفعية. كل شيء لديه عبارة عن حسابات دقيقة. لذلك لم يقيم كبير وزن للعواطف. وهو أيضاً صاحب فراسة، قادر بصمته، وأسئلته الدقيقة أن يريك محدثه وأن يثير انفعالاته. كنت على علاقة حميمة

معه في القاهرة. وقد عرفت أنه واحد من أعضاء اللجنة العسكرية الخمسة [المقدم محمد عمران، الرائد صلاح جديد، الرائد عبد الكريم الجندي، الرائد أحمد الأمير، النقيب حافظ الأسد. وهذه اللجنة شكّلها محمد عمران في القاهرة] التي ظلت مستمرة في كينونتها الأولى التي عرفت في القاهرة إلى ما بعد منتصف الستينيات. وقد كان عبد الكريم الجندي وطنياً، ونظيفاً، وصاحب عقل استراتيجي، وقد شارك في جميع المراحل الأساسية للحياة السياسية والعسكرية في سورية منذ ما بعد الانفصال وحتى نهاية عقد الستينيات تقريباً. خلال هذه السنوات العشر أوجد عبد الكريم الجندي لنفسه مكانة مهمة بين زملائه الذين عاش وإياهم المشاعر الوطنية والقومية المشتركة، والتي بسببها أيضاً دخل السجن معهم، والتي بسببها كان أحد المناهضين لحكم الانفصال، وقيام ثورة آذار 1963.

عبد الكريم الجندي..

يؤسس مكتب الأمن القومي!

مع بداية الثورة أسس عبد الكريم الجندي مكتب الأمن القومي، أي المخابرات العامة، وراح، بكل ما يملك من حذر وانتباه، يراقب كل أعداء الثورة. ولم يرغب عبد الكريم الجندي أعداء الثورة فقط، وإنما كان يرغب أصدقاءه أيضاً، ذلك لأنهم يعرفون أن عبد الكريم الجندي لا يهادن في مجال الإساءة للثورة. فالأمن العام بالنسبة إليه كان هو الأهم في حياته، لذلك شغل رأس الأولويات عنده.

لقد سجّلت ملاحظات عديدة على عبد الكريم الجندي، منها أنه يشرب كثيراً، ويسهر كثيراً، وأنه يحب النساء ويسعى إليهن. ولكن هذه الاتهامات تظل مجرد اتهامات لأن أعمال عبد الكريم الجندي، وانتباهه الدائم، وحرصه

اليومي على الثورة وأمنها .. كلها تدحض هذه الاتهامات وتنتفيها . فالرجل مقدام، وشجاع، وعقله علمي، ومنظم جداً، وحذر إلى أبعد الحدود، وهو مخلص للوطن والثورة معاً .

وقد كان معروفاً أن عبد الكريم الجندي أقرب إلى الرفيق صلاح جديد من أي عضو قيادي آخر، فعلاقته كانت مرتبطة بالرفيق صلاح جديد ارتباطاً وثيقاً لأنهما من دورة واحدة في الكلية الحربية، واختصاص واحد، هو اختصاص مدفعية ميدان، كما كانت صداقته عميقة مع حافظ الأسد والرفيقين أحمد الأمير، ومحمد رباح الطويل، وقد كانا هذان الأخيران معه دائماً إما في البيت، عنده، أو في مكتبه . يسهرون معاً، ويتحدثون عن أمور وقضايا مشتركة . وقد استلم وزارة الإصلاح الزراعي، وهو الذي شدد في قانون العلاقات الزراعية مع الرفيق محمد عمران، من أجل تنفيذ قانون الإصلاح الزراعي .

وحين نشأ الخلاف بين القيادة القطرية (صلاح جديد) ووزارة الدفاع (حافظ الأسد) كان رأي الرفيق عبد الكريم الجندي أن يتفق الاثنان، ففي اتفاقهما مصلحة للثورة والحزب، وأنهما صديقان وعلى درجة كبيرة من التفاهم، وعليهما ألا يفسحا المجال للخصوم كي يطوروا الخلاف أو يعمقوه .

أفاويل وإشاعات.. حول عبد الكريم الجندي !!

كنتُ، وبحكم علاقتي الطيبة مع عبد الكريم الجندي، أسمع منه كلاماً كثيراً يدور حول ضغوط خارجية تمارس على سورية، وعلى أعضاء القيادتين (الحزبية والعسكرية) وهذه الضغوطات تولّد خلافات كثيرة بين أعضاء

القيادة، وتجعلهم ممزقين أو في حالة ضياع وحيرة. وكان يقول لي إن الضغوطات التي تفرض على البلد كبيرة جداً وإن لا قدرة للبلاد على تحملها، وإنها ستفجر عاجلاً أو آجلاً. كنت أشعر بأنه يائس أو شبه يائس، وأن روحه النضالية ملأى بالإحباط. طبعاً، كان الرفيق عبد الكريم الجندي من دون أولاد لأن زوجته لم تتجب، وربما تكون الأسباب متعلقة به هو وليس بزواجه. وهذا أمر كان له أثره البالغ في نفسه. وبعضهم قال إنه يعاني من العجز الجنسي، وإنه مشوش نفسياً، أي أنه مريض نفسياً غير أن هذه الأقاويل قطعاً ليست سوى تقولات وإشاعات رخيصة هدفها تشويه سمعة الرجل والإساءة إليه، وقد افتعلها حساده، وأعداؤه.

أذكر أنني كنت على اتصال به شبه يومي، وقد كنت لديه في مكتبه في صباح اليوم الذي انتحرف فيه. جئت إليه فوجدته يتناول طعام الإفطار. يجلس إلى طرف مكتبه الذي كان موجوداً في قبة الأمن القومي، (بالمنااسبة عبد الكريم الجندي، كان يعيش الجلوس في الأقبية، دائماً كان يفضل أن يكون مكتبه في القبو) دعاني إلى أن أكل معه؛ فشاركته ببعض اللقيمات، وشربت الشاي عنده. كان يأكل ويتكلم بنبرة حزينة ويائسة، طبعاً كان يتحدث عن خلافات الرفيقتين صلاح جديد وحافظ الأسد، ويقول لي بلهجة مستقبلية (سترون.. فيما بعد)، أظن أنه كان يتحدث وفق ما لديه من معلومات أمنية عن ما تتعرض له البلاد من هجمات لم تتضح صورتها بعد. وقلت له ممازحاً: يا رجل. ما بك أراك مهموماً ويائساً دائماً. فالثورات تحدث فيها مثل هذه الخلافات. وذكرت له أنني قرأت مؤخراً كتاباً حول الثورة الفرنسية، يتحدث بوضوح أنه لم يبق من الذين قاموا بالثورة الفرنسية أحد. جميعهم ذهبوا، وحلّ محلهم آخرون. وقلت له عليك ألا تكون مهموماً، فالمشكلات مصيرها الحل. فهزّ رأسه دون أن يعقب على كلامي بشيء، وودعته وخرجت.

اللواء حافظ الأسد.. أول من عرف بانفجاره!!

في المساء، وبينما كنت عند اللواء حافظ الأسد وزير الدفاع، أي في حوالي الساعة التاسعة تقريباً. رنّ جرس الهاتف عند وزير الدفاع، فرفع السماعه، وقال: نعم، وراح يستمع إلى حديث محدثه في الطرف الآخر، ثم سمعته يصرخ: أبو حسين! ولكن يبدو أن لا أحد يرد عليه. فوضع السماعه، ونظر إليّ، وقال بحزن شديد: انتحر أبو حسين، أي عبد الكريم الجندي. سألته: كيف؟ فقال حدثني حديثاً سريعاً ثم قال لي: اسمع، فسمعت طلقة واحدة ثم وقعت السماعه من يده على ظهر المكتب.

ومباشرة شرع اللواء حافظ الأسد يتصل بسيارات الإسعاف لكي تهرع إلى مكتب عبد الكريم الجندي لإسعافه بالسرعة الكلية، وقد عرفنا أن إحدى سيارات الإسعاف أخذته إلى مشفى الطلياني، ولكنه فارق الحياة!

وبينما أنا في مكتب وزير الدفاع دخل الرفيقان محمد حيدر وعبد الحليم خدام، وقالوا بأنها كانا عند العقيد علي ظاظا رئيس شعبة المخابرات العسكرية، وعلمنا منه أن عبد الكريم الجندي قد انتحرا!

مباشرة، بدت علامات الحزن والتأثر على وجه وزير الدفاع، لكنه لم يفقد سداة الرأي. فقد طلب، عبر اتصالات متلاحقة الاستعجال بنقل عبد الكريم الجندي إلى المشفى لإسعافه إن كان قد حدث له مكروه فعلاً. وطلب منا حين تأكد بأنه انتحر (بعد أن اتصلوا به من مشفى الطلياني وأخبروه بوفاته) أن نذهب إلى القيادة القطرية ونخبر أعضاءها بما حدث. أي أن نقول للرفيق صلاح جديد، وأعضاء القيادة القطرية إن عبد الكريم الجندي حادث وزير الدفاع، ونحن في مكتبه، ثم أطلق النار على نفسه، وقد سمع وزير الدفاع صوت الطلقة عبر السماعه، وأمر بنقله إلى المشفى فوراً من أجل إسعافه، لكنه فارق الحياة.

عبد الحليم خدام، ومحمد حيدر.. يفولان: صلاح جديد لا يطيقنا!

خرجنا نحن الثلاثة، عبد الحليم خدام، ومحمد حيدر، وأنا من مكتب وزير الدفاع، لكي نذهب إلى القيادة القطرية لنخبر الرفيق صلاح جديد بما حدث، ولكن عبد الحليم خدام ومحمد حيدر قالوا لي: نحن لا يطيقنا الرفيق صلاح جديد. وإذا ما ذهبنا إلى إخباره سيظن بنا الظنون، لهذا نقترح عليك أن تذهب أنت إليه وتبلغه بما حدث. ولم أقل لهما شيئاً. فالوقت ليس وقت نقاش أو حوار، لأنني كنت ممثلاً بالحزن. فأنا أحترم عبد الكريم الجندي، وأقدره لأنه رجل ثوري، ومناضل، وجريء، ويتحلى بشجاعة وذهن صاف قلما نجدهما عند غيره. مضى عبد الحليم خدام، ومحمد حيدر في اتجاه، بينما مضيت إلى مشفى الطلياني لأستطلع الخبر فوجدت هناك الرفيق صلاح جديد وعدداً من أعضاء القيادة القطرية. كان الموقف حزيناً جداً، والصمت يسيطر على الجميع. وحين خرجنا من المشفى ذهبنا إلى القيادة القطرية. كان الجو مكفهرًا، والحديث يدور حول انتحار عبد الكريم الجندي وحول الأسباب التي دفعته إلى ذلك.

وفي ظني أن وراء انتحار عبد الكريم الجندي يأسه الذي شعرت به في الأيام الأخيرة، وفي صباح يوم انتحاره. لقد كان متشائماً، وحزيناً جداً.

لقد ترك انتحار عبد الكريم الجندي أثراً مأساوياً في نفوس جميع المسؤولين ذلك لأنه كان يحوز على احترامهم وتقديرهم من خلال حرصه على أمن الثورة وقادتها. كما ترك أثراً حزيناً في نفوس المواطنين، وجعل الحديث عن مستقبل الثورة والحزب، وحالات الخلاف الناشبة بين أعضاء القيادة يتزايد لاسيما وأن أعداء الثورة، والتيارات السياسية الأخرى الموجودة في سورية راحت تغذي هذا الحدث بالحديث عن عمق الأزمة الموجودة بين القيادة

القطرية وقيادة الجيش، وأن البلاد مقبلة على هزة ستؤدي إلى تغييرات جوهرية، وخاصة جماعة أمين الحافظ، وتيار أكرم الحوراني، وبعض الناصريين، وأنصار محمد عمران..

غياب الجندي.. خسارة كبيرة للثورة!

وأودّ، ومن منطلق شخصي، أن أقول إن غياب عبد الكريم الجندي خسارة كبيرة للثورة، لأنه كان واحداً من حراسها الأوفياء، وأنه قبل طواعية أن يعيش في الظل بعيداً عن الكاميرات، ووسائل الإعلام من أجل السرية المطلقة التي من المفترض أن يتحلى بها أو يسعى إليها رجل الأمن الناجح. وقد عاش عبد الكريم الجندي حياة بسيطة تتناسب ومفهوم الثوري الذي تسلم القيادة، لا بل إنه، في وصية كان قد كتبها قبل انتحاره، وهب بيته للدولة ذلك لأنه لم ينجب أولاداً، هذا البيت الذي لا يملك سواه، والآن من يذهب إلى منطقة الروضة بدمشق يقرأ لافتة تحمل عنوان اتحاد طلاب السودان وإريتريا وهذا البيت هو بيت عبد الكريم الجندي. ومثل هذا التصرف يؤكد على نظافة عبد الكريم الجندي^(*)، وحسن تصرفه المسلكي، وتفهمه لروح الثوري وطبيعته

(*) ومن المصادفات، أنني قرأت مذكرات الأستاذ أكرم الحوراني، كما قرأت مذكرات زوجته نزيهة الحمصي، وقد وجدت أنهما معاً يربطان اسمي بعبد الكريم الجندي كونه مسؤولاً عن المخابرات العامة، فيقول أكرم الحوراني، عني، إنني وبعد خروجه من منزله وبطلب من المخابرات، ذهبت إلى بيته مع فضيل من المظليين ودايمته بيته. والحقيقة هي أن لا صحة لمثل هذا الكلام إطلاقاً، فالذين داهموا بيته ربما كانوا من المغاوير، من جماعة سليم حاطوم، وقد كنتُ في ذلك الوقت قد تركت العمل في سلاح المغاوير والمظليين معاً منذ ثورة 8 آذار 1963، حيث توليت قيادة الحرس القومي. ولم أكلف في يوم من الأيام بمداومة أي بيت سواء أكان للأستاذ أكرم الحوراني أم لغيره، فمثل هذه المهمات لم تكن توكل إليّ، وأنا شخصياً، ومن منطلق ذاتي لا أقبل بأن أكلف بمثل هذه المهمات. وأودّ أن أصحح ما جاء في =

الصحيحة. وأنا لا أنفي إطلاقاً أنني أقول هذا ليس من منطلق حبي وتقديري لعبد الكريم الجندي وحسب، وإنما من منطلق واقعي، فقد كان سلوكه ثورياً، ومعيشته ثورية أيضاً. ولا أذكر أن انتقادات موجعة أو مؤلة وجهت إلى عبد الكريم الجندي تدفعه إلى الانتحار، وغالبية هذه الانتقادات كانت إشاعات وتقولات والتي هدفها ظلم الرجل والإساءة إليه كما أنه لم يكن في موقف ضعف آنذاك.

ومن منطلق شخصي أيضاً، أقول إن علاقة اللواء حافظ الأسد بعبد الكريم الجندي كانت علاقة محبة، وثقة، وتقدير، واحترام متبادل، فهما شخصان يعرف أحدهما الآخر جيداً، وهما يدركان المرامي والأهداف التي يسعى كل منهما إليها. فقد كان اللواء حافظ الأسد يعرف أن عبد الكريم الجندي قريب من الرفيق صلاح جديد، ومع ذلك كان يقدره ويحترمه. كما أن عبد الكريم الجندي يدرك أن اللواء حافظ الأسد على خلاف في الرؤية مع الرفيق صلاح جديد، ومع ذلك كان يقدره ويحترمه أيضاً.

وأما فيما يتعلق بزوجة الرفيق عبد الكريم الجندي، فقد تناقلت الإشاعات والألسن حديثاً عنها بقصد الإساءة إليها وتشويه سمعتها، قبل وفاته

= مذكرات الأستاذ أكرم الحوراني بأن من ذكر اسمه (إبراهيم العلي) والذي هو من قرية دير شميل ليس ضابطاً أصلاً، وأنا لست من قرية دير شميل، وإنما من قرية مريود الواقعة شرق صوران ولازالست قيود السجل المدني لأسرتي موجودة في هذه القرية. أما إبراهيم العلي الذي يتحدث عنه فهو رجل آخر كما قلت.

وهنا أود أن أشير إلى أنني أحترم الأستاذ أكرم الحوراني، وأقدر نضاله، وتاريخه الوطني، فهو واحد من الذين لهم فضل كبير على فلاحى محافظة حماة وأهلها، إن لم يكن له الفضل الأكيد على الكثيرين من أبناء سورية. وقد كنا ننظر إليه باعتباره علماً مهماً في الفكر، والسياسة، والقيادة، وقد كان مرجعيتنا في مدينة حماة.

وبعدها. ولكن للحقيقة أقول: أنا أعرف زوجة عبد الكريم الجندي منذ أيام الوحدة، عندما كنا في مصر معاً، فهي سيدة على درجة عالية من الأخلاق والاحتشام والاستقامة، وليس صحيحاً ما يشيعونه ويلفقونه عنها، فبعد وفاته نفذت وصيته بدقة كاملة، ثم ذهبت إلى حمص، وعند مرور أربعين يوماً على وفاته، ومن باب الوفاء له والحزن عليه غادرت الحياة منتحرة على طريقته، وبصورة حزينة أيضاً. ولو كانت كما أشاعوا لما أقدمت على الانتحار.



الفصل

الثالث عشر

الأزمة بين حافظ الأسد

وصالح جديد..!!

المؤتمر القطري الرابع الاستثنائي!

عقد هذا المؤتمر في ظرف استثنائي آذار 1969 لأن الخلافات بين القيادة المدنية للحزب، والقيادة العسكرية اتضحت أكثر وأصبحت حادة، ولا بد من أن يتم الوقوف عندها، خصوصاً بعد انتحار الرفيق عبد الكريم الجندي. وقد عجل بعقد هذا المؤتمر انتحار الرفيق عبد الكريم الجندي، لذلك عقد هذا المؤتمر في المسرح العسكري بدمشق، وقد حاولت القيادة القطرية أن تحشد كل الرفاق الموالين لها في الرأي داخل هذا المؤتمر. ومنذ الساعات الأولى بدأت الخلافات تظهر بين الحزبيين المدنيين والحزبيين العسكريين حول أمور عديدة، من أبرزها الخلاف حول مرجعية الضباط هل «تعود إلى القيادة القطرية أم إلى وزارة الدفاع، ثم دور كل من القيادتين القومية والقطرية في الحياة الحزبية واتخاذ القرارات التنفيذية داخل المجتمع. وقد سمعت آراء تتحدث عن عدم انصياع بعض القادة العسكريين لقرارات القيادة القطرية وضرورة محاسبة هؤلاء من دون هوادة.

وقد تم انتخاب قيادة قطرية جديدة تألفت من الرفاق:

نور الدين الأتاسي، صالح جديد، حافظ الأسد، يوسف زعين، أنيس كنجو، أحمد الشيخ قاسم، مصطفى طلاس، إبراهيم ماخوس، محمد سعيد طالب، مروان حبش، حمود قباني، حديثة مراد، عبد الحميد مقداد، محمد رباح الطويل، حبيب حداد، مصطفى رستم.

تجذير الخلافات بين نيارات الحزب الواحد!

مضى عام 1969 بين مد وجزر والكثير من الصراعات والتحالفات المبطنة تُحاك في الكواليس، يغذيها القطريون وجماعة أكرم الحوراني (الذين عرفوا بهذا الاسم) والناصريون ومجموعة عمران، وأطراف لها مصالح بتأجيج النزاعات والخلافات داخل صفوف الحزب والثورة.

في هذه الفترة اشتدت الأزمة بين وزير الدفاع اللواء حافظ الأسد، والقيادة القطرية، ولم تعد اجتماعات القيادة القطرية تعقد، وتعقد الموقف أكثر بين الطرفين. وفي شهر آذار 1970، وفي أثناءها كنت تركت عن العمل العسكري والفدائي والحزبي، ذهبت مرة أخرى إلى وزير الدفاع حافظ الأسد. وسألته عن وضعي. فقال: رأيي هو أن نعينك مرة ثانية عضواً متفرغاً في المكتب العسكري في القيادة القطرية. تتعاون مع مصطفى رستم (عضو قيادة قطرية مسؤول المكتب العسكري) لأنه لا يعرف شيئاً عن التنظيم الحزبي العسكري. فوافقت على ذلك، رغبة مني في متابعة العمل، وذهبت للعمل في المكتب العسكري، في القيادة القطرية، لأنني كنت معتاداً على العمل الدؤوب.

كانت الأزمة بين وزارة الدفاع (اللواء حافظ الأسد) والقيادة القطرية (صلاح جديد) محتدمة بالفعل، لذلك كانت حواراتي ونقاشاتي مع الرفاق تدور حول السبل والطرق التي تواخي بين الطرفين، لأن الحياة شلت، والجو العام العسكري، والحزبي، والسياسي مكهرب للغاية، وقابل للانفجار في أية لحظة.. لذلك ناقشت الرفيق محمود المعاينة عضو القيادة القومية في الحزب (الأردن) في هذه الأزمة. قلت له لا بد لنا من أن نجد مخرجاً لهذه الأزمة. لا بد من أن نجمع هؤلاء الخصوم في مكان ما لكي يتناقشوا ويتحاوروا من أجل الوصول إلى صيغة عمل مشترك تعيد للأجواء الحزبية، والعسكرية، والسياسية الصفاء محلياً على الأقل. وقد تعاون محمود المعاينة معي في هذا

المجال، وشرعنا نخوض في حوارات منفردة مع الرفاق من الطرفين في (وزارة الدفاع) و(القيادة القطرية). ذهبنا إلى الرفيق يوسف زعين وشاورته في فتح باب الحوار مع المتخاصمين، فرحب بالفكرة. وذهبنا كذلك إلى الرفيق صلاح جديد فرحب أيضاً، ثم ذهبنا إلى الرفيقيين نور الدين الأتاسي وحافظ الأسد فرحبوا بالفكرة. وبقي لدينا أن يختاروا المكان الذي يرضي الجميع. اللواء حافظ الأسد لا يريد الذهاب إلى القيادة القطرية، والرفيق صلاح جديد لا يريد الذهاب إلى وزارة الدفاع لذلك.. كان لابد من أن نبحث عن مكان بديل. ولم يكن هذا البديل سوى بيتي. وكان هذا اقتراح الرفيق حافظ الأسد. فوافقته الجميع!

حافظ الأسد وصلاح جديد..

وآخرون في بيتي!

إذاً، وافق أقطاب الخلاف على الاجتماع من أجل أمور عديدة، في طالعها فتح النقاش حول نقاط الخلاف من أجل الوصول إلى صيغة الاتفاق، أي الوصول إلى المشتركات التي تعيد الانسجام إلى إيقاع القيادة السياسية والعسكرية. أكثر الخلافين سروراً بفكرة الاجتماع كان اللواء حافظ الأسد وزير الدفاع، فقد أبدى ارتياحاً كبيراً واستعداداً تاماً لإجراء اللقاء. وسألته عن المكان الذي قرروا اختياره لتكون الاجتماعات فيه، فقالوا لي: عندك في البيت. فقلت لهم: أهلاً وسهلاً. وقرّ الرأي أن يكون موعد الاجتماع الساعة العاشرة من صباح يوم جمعة. حقيقة كنت فرحاً للصيغة التي توصلنا إليها، وهي الموافقة على عقد الاجتماع لأن أمور البلاد كانت تتراجع وتسوء رويداً رويداً، وحدة الخلاف وآثاره راحت تؤثر في تصرفات أعضاء القيادة، فتشكلت تيارات ضيقة، ونظمت اجتماعات جانبية بعيدة عن الروح الجماعية، والقرارات الجماعية.

في يوم الجمعة الموعد، وعند الساعة العاشرة صباحاً، جاء الرفاق نور الدين الأتاسي، وصالح جديد، ويوسف زعين، وحافظ الأسد، ومحمود المعايطة.. فاستقبلتهم في البيت. في البداية وصل وزير الدفاع حافظ الأسد، فجلست وإياه نشرب القهوة بانتظار مجيء الآخرين. وسألني بشيء من التخوف والقلق، هل سيأتون حقيقة؟ قلت: والله وعدوني بالمجيء. قال: سننتظر.

فعلاً، جاؤوا، لم يطل بهم الوقت حتى جاؤوا، ومباشرة ونحن نشرب القهوة بدئ الحوار، وكان ساخناً وعاصفاً منذ البداية. كان الحديث يدور حول استراتيجيات الثورة والدولة. ومواقف الدول العربية والصديقة من سورية، وأثار هزيمة 1967 وانعكاساتها على الواقع السوري والعربي بكل تجلياته، وعلاقة سورية بالعمل الفدائي، ثم صلاحيات القيادة القومية، والقيادة القطرية، والمؤسسة العسكرية. وتطرقنا إلى الحديث عن تضارب المواقف والتصريحات، ونقل الأحاديث الخلافية ما بين أعضاء القيادتين السياسية والعسكرية والتي ليس من هدف وراءها سوى إثارة الفتنة والبلبل بين صفوف أعضاء القيادة بجناحيها الحزبي المدني والحزبي العسكري. وارتأوا ألا يتاح المجال لأي كان لكي ينقل الأحاديث، والأخبار التي تسيء إلى أعضاء القيادتين القومية والقطرية، أو الضباط في القطاع العسكري، والعمل بروح الثورة وأهداف الحزب بحيث تصير المصلحة الجماعية: أي مصلحة الوطن هي الأعلى والأسمى من كل المصالح الفردية مهما كانت محقة أو موضوعية.

أذكر أن هذا الاجتماع استمر من الساعة العاشرة صباحاً إلى منتصف الليل، لأنني قدمت إليهم طعام الغداء، وعدداً من قطع السندويش في حوالى الساعة العاشرة ليلاً، ولم تنته من نقاش النقاط الخلافية جميعاً. كنا نتناوب على الحوار واستعراض الأفكار والتوجهات، ونقد بعض التصرفات والقرارات، والحالات الخاطئة.. وذلك كله بهدف تصفية الأجواء وتقويتها ما بين الجميع. واتفقنا على أن نعاود الاجتماع في يوم الجمعة التالية، في المكان والموعد

نفسيهما. كنا في شهر أيار، في بدايته تقريباً، بعد الاحتفالات بعيد ميلاد الحزب، أشير إلى هذا لأن الاحتفالات بعيد ميلاد الحزب لم تجمع القادة المختلفين فيما بينهم، وإن جمعتهم على عجل، فذلك كان من أجل الظهور أمام الجماهير أن لا خلاف بينهم. لكن الحقيقة كانت أن الجهازين الحزبي، والعسكري كلاهما كانا يشعران بأن الخلاف بين الرفيق صالح جديد واللواء الأسد وصل إلى أوجه، وأنه لابد من اللقاء بينهما للوصول إلى قناعات مشتركة لإعادة الأمور إلى نصابها.

اجتماع آخر.. ونفاؤل جديد!!

في الجمعة التالية، جاؤوا جميعاً إلى بيتي، في حوالي الساعة العاشرة صباحاً، وكان أول الواصلين إلى البيت اللواء حافظ الأسد. فجلست وإياه، كما في الجمعة الفائتة، نشرب القهوة بانتظار حضور الآخرين. وسألني سؤالاً، كان أشبه بالسؤال المتمم للسؤال الذي سألني إياه في الجمعة الماضية، وهو: ما رأيك محمد. هل يعود أعضاء القيادة القطرية إلى رشدهم، ويضعون في بالهم مصلحة البلاد، فيبتعدون عن النظرات الضيقة، ولعبة سياسة الأحلاف والاصطفاف؟ قلت: أرجو من الله أن تكون نياتهم سليمة، وأن يكون الاجتماع اليوم متمماً للاجتماع الماضي الذي بدا ناجحاً إلى حد ما لأن الحوار كان طويلاً ومفيداً، فقد توصلنا إلى تنقية الأجواء تقريباً بين الجميع من دون الوسطاء الذين ينقلون الكلام مثل الرياح.. يديرونه كيفما شاؤوا ووفق مصالحهم. قال: صحيح. ولكن، هل تظن أن الاجتماع اليوم سيكون ناجحاً؟ قلت: أظن ذلك، وإن كان أعضاء القيادة القطرية مازالوا متشنجين قليلاً. وأضفت قائلاً وأنا أبتسم: الاعتماد على العقل فأنت تعرف المفاتيح التي تفتح الأبواب المغلقة. قال وهو يبتسم أيضاً: أرجو أن نوفق!

وجاء الرفاق نور الدين الأتاسي، وصلاح جديد، ويوسف زعين، ومحمود المعايطه. وبالطبع كنت موجوداً لمشاركتهم في الحوار على الرغم من التوجس والخاوف والحذر إلا أننا كنا جمعاً متفائلين بهذه الاجتماعات.

وقد بدأنا النقاش.. استكمالاً للموضوعات التي ناقشناها في الجمعة الماضية. أيضاً، تحدثنا عن الثورة وضرورة حمايتها، ودور الجيش وضرورة تعزيزه، وعلاقة سورية بالأقطار العربية والدول الصديقة، وضرورة التنسيق في العمل السياسي ما بين أجهزة الدولة والقيادتين القومية والقطرية، وتحدثنا عن ضرورة إعطاء قيمة ومكانة ودور للقيادة القومية وتفعيل عملها داخل سورية، وخارجها عبر تنشيط التنظيم الحزبي في الأقطار العربية، لأن هذا التدعيم يدعم موقف الثورة والحزب داخل سورية، وفي البلاد العربية.

المهم أن النقاش استمر متواصلاً، لم يقطعه سوى وقت اقتطعناه لتناول الغداء الذي هيأته أم الندى لهم في البيت (رز، وفرايخ، وسلطات..)، بل ظللنا نتناقش، ونحن نتناول الطعام.

ولا أخفي إنني بعد انتهاء الاجتماع الأول، في الجمعة الفائتة، كنت متفائلاً، وأن أجواء الثقة بدأت تعود إلى الجميع، لكنني في هذا الاجتماع أحسست بأن الرفيق صلاح جديد ويوسف زعين أخذوا يعودان إلى التصلب والتشدد في مواقفهما، وأن انتقاداتهما كانت حادة ولاذعة، وفيها الكثير من النقد للمؤسسة العسكرية، ومع ذلك كانا يجابهان بردود وزير الدفاع اللواء حافظ الأسد. وقد استمر الاجتماع إلى قرابة منتصف الليل أيضاً، وقد جئت إليهم بسندويشات أكلناها ونحن نتحدث ونشرب الشاي. لكن اجتماع هذه المرة كان أقصر من الاجتماع الماضي بحوالي ساعة تقريباً، وقبل فض الاجتماع اتفقوا على اللقاء في الجمعة التالية في المكان والموعِد نفسيهما أيضاً. أي أنهم اتفقوا على عقد اجتماع ثالث.

اجتماع ثالث.. وحوار عاصف..!

وفي الجمعة الثالثة جاؤوا أيضاً، وبدأنا النقاش حول المسائل والقضايا التي لم تستكمل، كان الحوار عاصفاً، وأكثر حدة من المرتين السابقتين وحين انفض الاجتماع في آخر الليل اتفقوا على مواصلة الحوار في الجمعة الرابعة.

طبعاً لا بدّ للمرء من أن يتصور طبيعة الأحاديث التي دارت بين هؤلاء المجتمعين الستة: حافظ الأسد، وصلاح جديد، ونور الدين الأتاسي، ويوسف زعين، ومحمود المعاينة وأنا، فقد كانت الاستنتاجات تصب في عدم شرعية مثل هذه الاجتماعات الانفرادية التي تشكل تياراً داخل القيادة القطرية، أي قيادة داخل القيادة. لذلك سمعت آراء ولغطاً من بعض أعضاء القيادة القطرية يدينون هذه الاجتماعات، وبعضهم إن لم يدنها فهم لا يرحبون بها.

صلاح جديد.. يرفض المبىء الاجتماع الرابع..!

لكل ذلك.. وربما بسببه لم يعقد الاجتماع الرابع في الجمعة الرابعة. كنت في البيت أنتظر مجيئهم إلا أنهم لم يحضروا. اتصلت بوزير الدفاع، فقال أنا جاهز، هل جاء أحد منهم. قلت: لم يأت أحد. قال: اتصل بهم، وأبلغني. قلت: سوف أتصل. اتصلت بالرفيق نور الدين الأتاسي. فقال: أنا جاهز، ولكن اتصل بالرفيقيين صلاح جديد ويوسف زعين وأخبرني. قلت: حاضر. اتصلت بالرفيق صلاح جديد، فقالوا لي إنه ذهب للقاء ضباط وأفراد لواء في منطقة (المال) في نواحي قرية (الحارة) غربي درعا. لذلك اتصلت بالرفيق يوسف زعين. فقال لي: أنا جاهز. خبر الجميع، وأخبرني. قلت له: اتصلت بالرفيقيين حافظ الأسد ونور الدين الأتاسي وأبلغاني بأنهما سيحضران. قال: بقي صلاح، اذهب وعد

يه من هذا اللقاء في اللواء. قل له إننا بانتظاره من أجل الاجتماع. قلت: طيب. عدت فاتصلت بوزير الدفاع، وأخبرته بما حصل. فقال: اذهب إلى الرفيق صلاح وعد به. ثم اتصلت بالرفيق نور الدين الأتاسي، وأخبرته أنني ذاهب إلى الرفيق صلاح جديد في منطقة (المال) لأعود به. فقال، حين تعود أخبرني.

وذهبت فعلاً إلى منطقة (المال) وهي قرية من قرى حوران تقع شمال قرية الحارة، فوجدت الرفيق صلاح جديد مجتمعاً بالضباط والجنود. أخبرته بما قاله لي أعضاء القيادة، فهم راغبون بالاجتماع، وأنهم ينتظرون عودته. فقال لي: اللقاء مع الجنود أفضل من اللقاءات الجانبية. توجد قيادة قطرية، وتوجد مؤسسات حزبية، والمفروض بدلاً من أن نناقش نقاشات جانبية ونهاجم القيادتين القومية والقطرية أن نفتح النقاش في القيادتين القومية والقطرية، وفي داخل المؤسسات الحزبية. والحديث الأجدى يجب أن يكون داخل القيادة القطرية. ورفض أن يعود معي!

كان موقفه حازماً وحاسماً. فعدت إلى دمشق. وأخبرت الجميع بموقفه. طبعاً كان الجميع موافقين على الاجتماع ما عدا الرفيق صلاح جديد الذي رفض الاجتماع رفضاً قاطعاً.

في ظني، أن الرفيق يوسف زعين تحدث عن الاجتماعات الماضية إلى أعضاء القيادتين القطرية والقومية (فوزي رضا، ومصالح سالم، وفايز الجاسم، ومحمد عيد عشاوي، سليمان الخش وآخرين) أحاديث جانبية وأشار هؤلاء عليه أن هذه الاجتماعات الجانبية مضرّة، وأن للحزب قيادة قطرية، وهي المكان الأنسب لمثل هذه الاجتماعات، ولعلهم أشعروهم بانزعاجهم من هذه الاجتماعات، وعليه أن يوصل رأيهم هذا إلى صلاح جديد باعتباره الأمين القطري المساعد للحزب. وأن يقولوا له إنهم سيستقيلون من القيادة القطرية إذا ما استمرت هذه الاجتماعات الجانبية وأظن أيضاً، أن نور الدين الأتاسي تحدث عن الاجتماعات إلى الدكتور إبراهيم ماخوس، فتذمر الأخير، وكانت له

ملاحظات شبيهة بملاحظات أعضاء القيادة القطرية.. وكذلك هو ظني في أن الرفيق صلاح جديد تحدث عن ما جرى في الاجتماعات إلى أغلب أعضاء القيادتين القومية والقطرية، وسمع رأيهم، لذلك وبناءً على ما توافر للرفيق صلاح جديد من حصيلة آراء.. قاطع الاجتماعات ورفض المجيء إلى الاجتماع في الجمعة الرابعة!

خلاصة الأمر، أن الجميع يريدون أن يعزلوا وزير الدفاع ضمن دائرة محدودة النفوذ، لأن الاجتماع به يعطيه قوة جديدة، لذلك ارتأى الرفيق صلاح جديد مقاطعة الاجتماع الرابع، عندما لم يجد عند وزير الدفاع حافظ الأسد ما يتنازل عنه لصالح القيادة القطرية من جهة ولصالح توجهات الرفيق صلاح جديد نفسه من جهة أخرى. لهذا لم يشأ أن يقوّي موقف وزير الدفاع حين يجتمع به ثلاثة من أعضاء القيادة القطرية وواحد من أعضاء القيادة القومية (من بينهم الأمين العام للحزب الرفيق نور الدين) لمناقشته في نقاط الخلاف.. أعتقد أن الرفيق صلاح جديد فكّر في الأمر على هذا النحو، وأن عدداً من أعضاء القيادة القطرية والقومية غدّوا هذا الموقف وأيدّوه، لذلك لم يتم الاجتماع الرابع. وعلى أثر ذلك تكهّب الجوبين المؤسستين الحزبيتين المدنية العسكرية من جديد، وعلى نحو أكثر حدة، وباتت الأمور تنذر بأخطار وشيكة الوقوع.

طبعاً، أستطيع أن أشخّص الحالة التي عدت بها من منطقة (المال) حين رفض الرفيق صلاح جديد العودة معي للاجتماع بالرفاق حافظ الأسد، ونور الدين الأتاسي ويوسف زعين ومحمود المعاينة، فقد تملكني الغضب، والتوتر، ولم أستطع ضبط انفعالاتي، لأنني شعرت بأن الأمور، التي كان من الممكن لها أن تتفرج، راحت تتعقد أكثر. كنت في حالة من الخوف والتحسب لقناعاتي بأن الفرصة تذهب في الهواء بعد أن سادت روح التفاؤل بعودة الثقة إلى أعضاء القيادة في كل أطرافها المتنازعة.. خلال الأسابيع الثلاثة الماضية.

الفصل

الرابع عشر

الفدائيون.. وأزمة الأردن

(دخول الجيش السوري الأراضي الأردنية.. والنزاع)

أعتقد أنه كان بالإمكان تنادي أحداث الأردن، (في أيلول 1970).
فالفلسطينيون لم يكونوا راغبين بها، والأردنيون ما كانوا بحاجة إليها، والدول
العربية الداعمة للعمل الفدائي لم تكن قد هيئت أو حمّست أي طرف من
الأطراف للانقلاب على الآخر.. كل ذلك كان ممكناً لولا بعض النفوس
الضعيفة التي أرادت الترويج لفكرة غايتها الخلاص من النظام الأردني المجسد
بشخص الملك وعائلته، وذلك انطلاقاً من المفهوم الشائع، آنذاك حول الرجعية
العربية التي كانت تثار كثيراً في تلك الآونة، وأظن أن عدداً من الأردنيين الذين
كانوا موجودين في سورية صوّروا النظام الأردني حكومة وملكاً وجيشاً على
أنهم جميعاً في حالة من الهشاشة التي يرثى لها، وأن بمقدور الفلسطينيين
وحدهم، مع القليل من الدعاية العربية الإعلامية، أن ينسفوا النظام الملكي من
جذوره. ولكن الحقيقة كانت غير ذلك، والواقع كان غير ذلك أيضاً، والنظرة
كانت خاطئة منذ البداية.

ضاي في جمعاني.. والفوغائية الفجة!!

كان لدينا في دمشق الضابط ضاي في جمعاني، وهو عضو القيادة القومية
وعضو القيادة القطرية في الأردن، وهو أردني أصلاً، عمل في منظمة
الصاعقة. هذا الضابط صوّر النظام الملكي في الأردن، أمام القيادتين على أنه
فزاعة، أو هيكل من كرتون. في حين أن الحكم في الأردن كان قوياً ومؤيداً من
قبل العديد من الدول الغربية القوية وعلى رأسها بريطانيا والولايات المتحدة

الأمريكية. وقد اجتمعت بضاي في جمعاني وعملت وإياه في الصاعقة.. وعرفت عنه انفعاليته، وتهوره إلى حد ما. وكثيراً ما كنت أبين له أن الحكم في الأردن قوي، وليس كما يريد تصويره أمام الآخرين، على أنه نظام هش وضعيف. وقلت له إذا ما تعرض النظام في الأردن لأية أخطار فإن التهديد الأمريكي والبريطاني والإسرائيلي سيكون شديداً، وعلينا أن نحذر كثيراً مما يروج له. وقلت له: إن الفلسطينيين بغنى عن افتعال أي صدام مع الحكم الملكي، وعليهم أن يبنوا علاقات طيبة معه لكي يظلوا في الأغوار، وفي الخطوط الأمامية المواجهة لأراضيهم المفتصة، وعلينا أن نفعل الكثير من أجل تحسين العلاقة ما بين الفلسطينيين والأردنيين لأن أي خلاف جدي بينهما سيؤدي إلى ما لا تحمد عقباه. وكنت أسمع من ضاي في جمعاني، ومن غيره أيضاً، أحاديث وأفكاراً كلها تصب في خانة الحرب والمواجهة مع الجيش الأردني من أجل اقتلاع النظام الأردني. وكنت لا أوافقهم عليها بالمطلق، بل كنت دائماً أبحث عن نقاط الالتقاء لأؤكد عليها.

وأذكر أنني ناقشت أغلب أعضاء القيادة القطرية، بمن فيهم الرفيق صلاح جديد، في هذه النقطة تحديداً. قلت لهم يجب أن تظل العلاقة ما بين الفلسطينيين والأردنيين علاقة استراتيجية بعيدة عن التوتر والحساسيات التي ستجعل تنافرهما وعداءهما يصبان في مصلحة الكيان الصهيوني. وقد كنت أنطلق من قناعتي هذه لأنني متخوف على مصير العمل الفدائي. فإذا ما خرج الفدائيون الفلسطينيون من الأردن، أي من أطول جبهة محيطة بالكيان الصهيوني، فإن فعاليتهم القتالية ستكون محدودة تجاه (إسرائيل). لذلك نصحت الجميع ألا يستمعوا للانفعاليين الذين بنوا حياتهم على الضجيج والصراخ والنفاق فيصورون الواقع على غير صورته.

بالمقابل، كنت أشعر بأن الفدائيين في الأردن راحوا يعملون بثقة زائدة وعنجهية، دون أن يقيموا أي وزن للأردن، وكأنه بلد ليس له دستور، وقوانين،

وأعراف يجب مراعاتها. وعليهم أن يعوا بأنهم يعملون ضمن دولة لها مكانتها وعلاقاتها مع البلاد العربية والأجنبية، وأنه لا يجوز الاستهتار بأمنها، وبالعلاقات مجتمعها الداخلية.

ومن منطلق شخصي، واستناداً إلى تجربة عشتها في الأردن أقول، إن الشعب الأردني شعب طيب. محب للآخر. مضياف. ويمكنني أن أقول إن الظروف السياسية دفعت إلى فتح الحدود الأردنية أمام العمل الفدائي، ليكون الفلسطينيون في الخنادق والمفر في مواجهة العدو المشترك، وقد ساعدت الظروف على إيجاد كينونة للفلسطينيين فوق تراب الأردن.

دخول الجيش السوري إلى الأراضي الأردنية!!

على الرغم من التحذيرات الكثيرة، وإشارات التنبيه التي أعطيت لحركة فتح وللجميع أيضاً، حدث ما كان متوقعا، فقد تمت المواجهة ما بين الفدائيين والجيش الأردني لأسباب غامضة لعل من بينها محاولة تصدير الأزمة السورية إلى خارجها. مع بداية المواجهات كانت لكل طرف حججه وأسبابه التي دفعت إلى المواجهة مع الطرف الآخر، وبدأت المناوشات أولاً خفيفة، ثم تطورت مع حلول شهر أيلول، وقد وصلت إلى حد يمكن تسميته بالمجازر، فقد سقط الكثير من الضحايا ما بين الجانبين، وباتت الحياة لا تطاق في المخيمات الفلسطينية المحيطة بمدينة عمان مثل (البقعة، والوحدات، والزرقاء..) بسبب حصارها، ووصول المناوشات والمطارادات إليها فطالت البيوت.. ووجوه الحياة جميعاً. وهكذا، أصبح الأردن ساحة حرب، وبدأنا في سورية نستقبل نداءات الاستغاثة والنجدة من القيادة الفلسطينية، ومن ياسر عرفات تحديداً. فما كان من القيادة القطرية إلا أن اجتمعت واتخذت قراراً جماعياً بالتدخل في أحداث

أيلول من أجل إنقاذ الفدائيين في الأردن. وقد أرسل قرار القيادة القطرية إلى وزارة الدفاع، من أجل التنفيذ.

اللواء حافظ الأسد... في غرفة العمليات الجوية بـ درعا!!

قام وزير الدفاع اللواء حافظ الأسد بتنفيذ قرار القيادة القطرية على أتم وجه انتصاراً للفدائيين الفلسطينيين، لذلك أمر بتجهيز لواء من المدرعات، أسند قيادته إلى المقدم موسى العلي (ابن عمي)، وأرسل إلى الحدود السورية الأردنية، وأعطى الأمر بضرورة الدخول إلى الأردن واحتلال إربد، والرمثا من أجل فك حصار الجيش الأردني عن المخيمات الفلسطينية وقواعد الفدائيين. وقد قام اللواء حافظ الأسد بإنشاء غرفة عمليات متقدمة في مدينة درعا لمتابعة مجريات الأمور. وكذلك انتقل المكتب العسكري في القيادة القطرية إلى مدينة درعا. كانت الحماسة هي التي تقودنا من أجل نجدة الفلسطينيين.

وقد ذهبنا إلى مدينة درعا، وكنت على اتصال بالمقدم موسى العلي.. الذي دخل إلى الأراضي الأردنية، وقد حدث اشتباك فوري بين دبابات اللواء السوري (68) ودبابات لواء أردني هو اللواء الأربعون، وكان الطيران السوري يحلق في سماء المنطقة. وباتت الأمور تتذر بما هو أشد وأخطر في الأيام المقبلة. وحدث أن نصبت القوات الأردنية كميناً لقائد اللواء السوري المقدم موسى العلي، في إحدى نقاط الطريق فما إن أصبحت سيارته قريبة من موقع الكمين حتى أطلق أفراد النار عليها فأصابوها إصابات مباشرة، وجرح المقدم موسى العلي، ونقل إلى مشفى درعا، فقام اللواء حافظ الأسد وزير الدفاع الذي يشرف على قواتنا في غرفة العمليات بتعيين العقيد مروان جوخدار قائداً للواء بدلاً من المقدم موسى العلي.

جمال عبد الناصر.. يدعوك لفهم عربية!!

تسارعت الأحداث أكثر، فقد وصلت إلى القيادة السورية تهديدات من الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وعقد مؤتمر القمة العربي في القاهرة الذي دعا إليه الرئيس جمال عبد الناصر، وقرّ الرأي بعد حوارات مستفيضة على أن تشكل لجنة عربية برئاسة الرئيس السوداني جعفر النميري وعضوية الباهي الأدغم وآخرين وتذهب مباشرة إلى عمان لمعالجة الأمور على أرض الواقع. فعلاً ذهبت اللجنة وبدأت بمعرفة أسباب المشكلة من أجل حلّها. وقد نجحت جهود اللجنة فتمّ الإفراج عن ياسر عرفات وأعضاء قيادة فتح، وسافر عرفات إلى القاهرة، وظهر في قاعة مؤتمر القمة للرؤساء العرب، بعدما سوّيت المشكلة، وطلب من الجيش السوري الانسحاب. ولكن هذا لم يتم إلا بعد أن وقعت الضحايا ودمرت المخيمات الفلسطينية في الأردن.

الصراع الداخلي

ثُلوم في الأفق.. من جديد!!

وحدث في آخر أيام مؤتمر القمة أن توفي الرئيس جمال عبد الناصر في 28 أيلول، وهو يصادف يوم الانفصال المشؤوم. فازداد الشارع العربي يأساً على يأس، وتوتر المناخ العربي بكامله على اعتبار أن الفراغ الذي سيتركه رحيل عبد الناصر سيكون له آثاره على جميع البلاد العربية، وخصوصاً على القضية الفلسطينية وسورية أيضاً التي تبنت العمل الفدائي ودعمته بقوة. ويبدو أن كل هذه الأحداث الخطيرة لم تنته الصراع داخل القيادة القطرية كطرف، وخلافها مع وزارة الدفاع كطرف ثانٍ. لذلك ارتفعت أصوات تنادي بمحاسبة وزير الدفاع وعزله، أو تجميده، أو نقله إلى قطاع آخر بعيد عن قيادة الجيش.

والتبريرات التي ساقها أصحاب هذه المناداة تتلخص في ملاحظات سجلوها على قيادة الجيش منذ هزيمة 1967، وتباعاً حتى الوصول إلى تدخل الجيش السوري في أحداث أيلول الأخيرة. ثم تنادى أصحاب هذا الرأي إلى عقد مؤتمر قومي للحزب لاتخاذ قرارات بهذا الشأن. وراجت أقاويل بأن وزير الدفاع اللواء حافظ الأسد متمرّد، وأنه لا ينفذ قرارات القيادة القطرية. على الرغم من أن قرار تدخل الجيش السوري في أحداث أيلول في الأردن كان قراراً للقيادة القطرية، وقد قام وزير الدفاع بتنفيذه.

إذاً، احتدمت الأمور أكثر. ويبدو أن القيادة القطرية كانت تقيم مواقع القوى في الجيش والقوات المسلحة من أجل إحكام قبضة اليد عليها أو من أجل معرفة مواقفها تجاه القيادة القطرية وقراراتها. وقد كان الرفيق صلاح جديد يعتمد اعتماداً كلياً على العقيد عزت جديد (وهو ليس قريبه كما يظن) الذي كان يقود اللواء سبعين، والعقيد عزت جديد، لمن لا يعرفه، ضابط مغرور، أوهامه أكبر من حقيقته. كان يظن أنه يسيطر على اللواء سبعين، لكن الحقيقة التي لا مرأى فيها أن جميع ضباط وأفراد اللواء كانوا في واد وهو في واد آخر. وقد أدرك وزير الدفاع اللواء حافظ الأسد أن الرفيق صلاح جديد يعتمد على العقيد عزت جديد اعتماداً كلياً، لذلك.. نقل الأخير إلى قيادة العمليات في الأركان، وسلم قيادة اللواء لضابط آخر. وبذلك قصّ الجناح الذي يعتمد عليه الرفيق صلاح جديد. وهذا التصرف كان من الملاحظات التي سجلت على وزير الدفاع، فقليل إنه ينقل الضباط وفق إرادته، ولا يستشير القيادة القطرية في هذا الشأن. وأنا شخصياً لم تكن ثقتي كبيرة بقيادة عزت جديد، لأنني أعرفه عن قرب وأشك في قدرته على أن يسيطر على اللواء سبعين. ومما أذكره أنني تحدثت مطولاً للرفيق صلاح جديد عن عزت جديد، قصصت عليه كل ما أعرفه عنه، ليس من أجل الإساءة إليه، وإنما من أجل أن يعرف الرفيق صلاح جديد أين يضع ثقته. ومع أنني كنت صادقاً في كل ما قلته عن عزت جديد.. فإن الرفيق صلاح جديد ثار في وجهي (لأنه كان يحب عزت جديد ويدافع عنه

باستمرار) وقال لي: علينا ألا نستهلك رفاقنا. قلت له: إن ما أتحدث عنه حقائق رأيتهما وعشتها، وعزت جديد نفسه لا يستطيع أن يكذبها. قال مرة ثانية وبحدة: محمد، لا نريد أن يستهلك بعضنا بعضاً.

المهم أن القيادة القطرية اجتمعت وأصدرت قراراً بعزل اللواء حافظ الأسد من وزارة الدفاع، وإيجاد موقع عمل له بعيداً عن قيادة الجيش، لكن اللواء حافظ الأسد رفض أن ينفذ هذا القرار فعلاً متمرداً. وقيل إنه لا يسمح للقيادة القطرية بالتدخل في شؤون الجيش. وأظن أن أعضاء من القيادة القطرية لعبوا على وتر (الطائفية) استمراراً لأزمة أحمد سويداني والأحاديث والحجج التي كان يسوقها حول الطائفية والمذهبيات. وراجت أقاويل أيضاً مفادها أن التباؤن واقع بين اثنين هما الرفيق صلاح جديد والرفيق حافظ الأسد وكلاهما من طائفة واحدة، وأنه لا بد من الخلاص من أحدهما.

إذاً، اتضح الخلاف فهو لم يكن بين القيادة القطرية من جهة ووزارة الدفاع من جهة أخرى.. وإنما كان بين شخصين هما الرفيق حافظ الأسد والرفيق صلاح جديد. وقد دفع أعضاء القيادة القطرية الرفيق صلاح جديد دفعاً من أجل الخلاص من الرفيق حافظ الأسد. والرفيق صلاح جديد شخص شديد الحساسية من كلمة (الطائفية)، لذلك كان ميالاً لإرضاء بعض أعضاء القيادتين القطرية والقومية والأطراف الأخرى خصوصاً: فوزي رضا، ومحمد عيد عشاوي، ومصلح سالم، وفايز الجاسم، ويوسف زعين، وسليمان الخش.. الخ، فوافقهم على القرار القاضي بإبعاد اللواء حافظ الأسد عن وزارة الدفاع كي لا يقال إن (الطائفية) لعبت دوراً، فمال صلاح جديد إلى حافظ الأسد لكي يبقى في موقعه في وزارة الدفاع. وما كان الرفيق صلاح جديد يدري أن هؤلاء الأعضاء هم الذين يلعبون لعبة الطائفية من أجل الخلاص من نفوذ واحد من اثنين حافظ الأسد أو صلاح جديد، ولأنهم كانوا الأكثر قرباً من الرفيق صلاح جديد والأكثر تأثيراً في نفسيته أرادوا الخلاص من الرفيق حافظ الأسد الذي كان يعرف غاياتهم. وقد اتصل بي العديد من أعضاء

القيادة القطرية، وقالوا لي لابد من المواجهة العسكرية للخلاص من وزير الدفاع. وكنت أنصحهم بعدم اللجوء إلى الحل العسكري. وأنني شخصياً ضد أي عمل عسكري. لكنهم لم يقتنعوا. وقلت لهم إذا كنتم تتوقعون خيراً من عزت جديد، رحمه الله، فأنتم واهمون. عزت جديد، أمه لا تحبه. فكيف بالجنود والضباط إذا ما طلب منهم التنفيذ ضد اللواء حافظ الأسد. وقلت لهم صراحة إن لدى عزت جديد أوهاماً كثيرة، ويبدو أنه زرعها في نفس الرفيق صلاح جديد فأثبتت، لذلك فإن الرفيق صلاح جديد مصمم على مواجهة اللواء حافظ الأسد للخلاص منه. واللواء حافظ الأسد، كان على وعي ودراية وإدراك لكل ما حدث خلال مخاض الثورة منذ عام 1963 ويعرف جيداً مصائر الآخرين الذين قبلوا بالتنازل، ولعل آخر مثال كان يدركه جيداً، هو قبول أحمد سويداني بترك رئاسة هيئة الأركان والعمل في مكتب الشبيبة كعضو للقيادة القطرية، وما استتبع ذلك التنازل من تنازلات أدت (فيما بعد) إلى دخول أحمد سويداني إلى السجن!

ثم هناك أمر آخر، وهو أنني على قناعة بأن اللواء حافظ الأسد كان شديد الحذر، والانتباه، والمعرفة بضباط الجيش، فقد قام وعلى نحو سريع بنقل جميع الضباط الذين شعر أنهم على علاقة قوية أو متوسطة القوة مع الرفيق صلاح جديد. أي أنه نقل عزت جديد من اللواء سبعين، وبذلك أنهى أي دور عسكري له، ثم نقل المقدم موسى العلي إلى مقر القيادة لكي يكونا تحت أنظاره وتحت يده، وقد كانت لموسى العلي أفكاراً خاصة به. كما نقل العديد من الضباط، أذكر منهم: العقيد سليمان العلي، المقدم خالد بدوي، الرائد علي غانم، المقدم سهيل حسن، الرائد أنيس خير بك وعدد آخر من الضباط. ومع ذلك ظلّ العقيد عزت جديد يتوهم أنه وهو في القيادة قادر على تحريك اللواء سبعين لصالح القيادة القطرية، ولكن الحقيقة لم تكن كذلك، لأن ضباط وجنود اللواء تنفسوا الصعداء حين نقل عزت جديد وترك اللواء.

صلاح جديد.. مثقوف من الصحاح العسكري!

في تلك الأيام، وهي أيام عصيبة بحق، هو أنني التقيت بالرفيق صلاح جديد. فقال لي متخوفاً: أخشى أن يحدث صدام عسكري مع وزارة الدفاع، فتذهب الثورة، ويذهب الحزب. قلت له: لا تخف، فالأمران لن يحدثا، لا الصدام العسكري، ولا ذهاب الثورة والحزب. وقلت له: أريد أن أنصحك نصيحة، أرجو أن تأخذ بها. قال: ما هي؟ قلت: لا تعتمد على عزت جديد لأنك لن تلاقى منه ما يرضيك! قال: يا أخي دائماً تحذرنني من عزت جديد! قلت: وسأظل أحذرك منه لأنه يتوهم بأن اللواء سبعين في متناول يده. وهذا ليس صحيحاً. فالرجل مكروه من مرؤوسيه، وهو الآن بلا دور، وبلا فعالية.

سأل: وحافظ الأسد؟ قلت: إنه يعرف جيداً بأن ما من قطعة عسكرية قادرة على الوقوف إلى جانبك إلا وشلها. فهو يعرف الضباط جيداً، وهم جميعاً إلى جانبه، ومن لم يكن معه، فقد قصّ جناحيه! واستمر الحوار بيني وبينه طويلاً حول الصدام العسكري الذي يتوقعه، وحول تمرد وزير الدفاع على أوامر القيادة القطرية، وحول بعض الضباط، وحول مؤتمر الحزب الذي سيعقد قريباً.

وقناعتي التي خرجت بها، بعد حوارٍ مع الرفيق صلاح جديد، هي أن تفكيره مشلول. لقد قام عدد من أعضاء القيادتين القطرية والقومية الذين ذكرت أسماءهم، عنيت يوسف زعين والآخرين بشلّ تفكير الرفيق صلاح جديد. وصار مؤكداً عندي أن تفكيره خلال الشهور الأخيرة كان ليس تفكير صلاح جديد، وإنما هو تفكير الآخرين فالرجل لا هم له سوى أن يرضي هؤلاء، وينفذ رغباتهم كي لا يقال إنه طائفي يحمي اللواء حافظ الأسد ابن طائفته، أو يدافع عنه.

عواطفني .. كانت مع حافظ الأسد!!

أقولها الآن صراحة إن عواطفني كانت مع اللواء حافظ الأسد، لأنني كنت أراه على حق، وأن أعضاء القيادة القطرية بمن فيهم الرفيق صلاح جديد، ما عادوا يمثلون توجهات الناس في الشارع، ولا رغبات الجهاز الحزبي وتوجهاته، ولم يكن من منقذ لكل هذا الارتباك الذي يسود الساحتين السياسية والعسكرية سوى اللواء حافظ الأسد الذي كان قادراً على استيعاب الآخرين، ومحاورتهم، وتفهم طروحاتهم. وقد كانت عندي قناعة بأن حافظ الأسد لا يريد أن يصبح زعيم سورية، أو قائدها. وإنما كان يريد أن يأخذ الحزب دوره، وأن يبقى هو في القطاع العسكري قائداً للجيش، ذلك لأنه كان متمسكاً بالقيادة الحزبية، وبتوجهات الثورة، وإفساح المجال أمام الحزبيين ليأخذوا أدوارهم في قيادة دفة البلاد سياسياً.

وعلى الرغم من أنني، وعلى صعيد شخصي، نضرت من بعض أفكار، وقرارات، وتصرفات الرفيق صلاح جديد، كإنهائه لعملي في الصاعقة بعد أن قمت بتأسيسها وتدريب كوادرها وبنائها، ثم استماعه العميق للوشاة والمنافقين الذين كتبوا بحقي تقارير من مدينة حلب.. أقول على الرغم من شعوري بهذه الأمور الشخصية، إلا أنني لم أبني قناعاتي بعدم صوابية أفكاره الجديدة وفقاً لها، وقد كان تعاطفي ووقوفي إلى جانب الرفيق حافظ الأسد بتأثير من قناعاتي بها، لأنني رأيت أنه صاحب حق، وفكر واضح في هذا الوقت الذي تغطيه غيوم المحسوبيات والتنازع، والاختلاف.



الفصل

الخامس عشر

المؤتمر القومي العاشر الاستثنائي
(العمل الجذري للأزمة)

بدأت التحضيرات لعقد المؤتمر القومي العاشر ليكون الحكم الفاصل في القضايا العالقة بين القيادة القطرية ووزارة الدفاع من جهة، وحلّ المشكلات العالقة في الجهاز الحزبي بعامة من جهة ثانية. أي أن هذا المؤتمر سيكون حدثاً في سورية، لذلك قررت أن أحضر هذا المؤتمر، على الرغم من أنني لست عضواً أصيلاً فيه، لأنني لم أكن عضواً في المؤتمر السابق، لهذا كان لابدّ من مقابلة الرفيق صلاح جديد لأطلب منه الموافقة على حضوري هذا المؤتمر بصفة مراقب. وهذا كان متاحاً وليس أمراً صعباً. أردت أن يدرج اسمي بين أسماء الذين سيحضرون المؤتمر بصفة مراقبين. أقول كان الأمر ميسراً لأنني سأحضر المؤتمر بصفة مراقب عن منظمة الصاعقة. ذهبت إلى الرفيق صلاح جديد. فاستقبلني. وهو عادة رجل قليل الكلام. لذلك كان من يقابله يظلّ حذراً لأن معالماً وجهه غائبة. لا يدري إن كان يرحب به أو إن كان نافراً منه. مع ذلك، وبسبب علاقتي الطويلة به، أحسست أنه يقابلني باحترام. فلم يتبسط معي في الكلام، ولكنه رحب بي. لهذا قلت له مباشرة: ما رأيك أن أحضر المؤتمر بصفة مراقب. قال: لا! قلت: مراقب عن الصاعقة! قال: لا، لن يحضر المؤتمر سوى أمناء سر المكاتب. وأنت لست أميناً لسر أي مكتب من مكاتب القيادة القطرية. قلت: لكن النقيب موريس قدسية(*) سيحضر، وإذا ما حضرت معه، فقد نلطف أجواء المؤتمر. قال: لا، وهذا قرار القيادة.

(*) كان قائد سرية عندي في حلب عام 1966، والحق أنه رجل ذكي، وقد عمل أمين سرّ مكتب في القيادة القطرية.

محمود قوشجي .. ينقل إلى رسالة صلاح جديد!!

أذكر أنني خرجت من عند الرفيق صلاح جديد، وأنا غير مرتاح. فقد كان سلبياً جداً. وحين أنظر في سبب تصرفه السلبي تجاهي أرى أنه كان محقاً لأنه تصرف وفق مقتضيات النظام الداخلي للحزب، ففي تلك الأثناء، أي في وقت التحضير لانعقاد المؤتمر قام بجس نبضي لكي أكون إلى جانبه في اصطفااف مضاد للواء حافظ الأسد. فأرسل إليّ مدير مكتبه العميد محمود قوشجي لكي يقنعني بالعمل العسكري ضد وزير الدفاع اللواء حافظ الأسد، أي من أجل القيام بدور، مثل زرع الألغام، أو السيطرة على بعض النقاط والمواقع. فرفضت بشدة. قلت لمحمود قوشجي: قل للرفيق صلاح جديد إن العمل العسكري خطأ أصلاً. وأنا شخصياً لا أستطيع الوقوف ضد اللواء حافظ الأسد. طبعاً كنت أتحدث لمحمود قوشجي وأنا أعرف بأنه مخبر مزدوج يعمل مديراً لمكتب الرفيق صلاح جديد، ولكنه على علاقة ممتازة مع وزير الدفاع. وقد خمنت بأنه سيذهب إلى اللواء حافظ الأسد ويخبره بأن الرفيق صلاح جديد، أرسله إليّ ليستقطبني في عمل عسكري مضاد له. وسيقول له إنني رفضت بقوة. أي أنني كنت على قناعة بأنه سيتحدث بالتفصيل للواء حافظ الأسد عن الحوار الذي دار بيننا. سيقول له إنني قلت له: أنا لا أمد يدي بالأذى لليد التي أكرمتني. واللواء حافظ الأسد منذ سجنني، والحكم عليّ بالإعدام، شمل أسرتي بالرعاية. وكان وراء خروجي من السجن، ورعايتي في كل المواقع التي عملت فيها. كما أنه سينقل كل كلمة قلتها له للرفيق صلاح جديد أيضاً. وسيتهمني بالتشنج والمبالاة الأكيدة للواء حافظ الأسد. كان محمود قوشجي يعمل كمخبر مزدوج بين الرفيقيين صلاح جديد وحافظ الأسد، ويريد أن يكسب ثقة الاثنين معاً، وفق استراتيجية فحواها أنه سيكون

مقرباً من الشخص الذي سيبقى سواء أكان اللواء حافظ الأسد أم الرفيق صلاح جديد. كان همه الأساسي منصباً على أن يبقى في موقع المسؤولية مهما حدث، ومهما كانت النتائج. على مبدأ (من يأخذ أمني يصير عمي) وقد كان هناك عدد غير قليل من الضباط مثل محمود قوشجي.

كان محمود قوشجي يريد توريطي بالموافقة على العمل العسكري ضد اللواء حافظ الأسد. لقد أغراني بوعود وعدها الرفيق صلاح جديد، لكن تلك الوعود لم تؤثر في إطلاقاً. وذلك لأنني لم أكن مقتنعاً بجدوى العمل العسكري أصلاً. كما أنني لم أكن متخوفاً على الحزب أو على الثورة. وحين صرحت بميلتي للواء حافظ الأسد فهذا ناتج عن قناعتي الشخصية به كوزير للدفاع، وبه كرجل سياسي محنك، يريد أن يخدم كل البلاد، وليس جناحاً أو تياراً معيناً داخل الجهاز الحزبي أو الجهاز العسكري. عانيت أن قناعتي باللواء حافظ الأسد قناعة شخصية، ونابعة مني كشخص، وقناعة عامة أيضاً لأنني أشعر بأنه الأكثر صوابية واعتدالاً وهو يسعى إلى جمع الصفوف، حتى وإن كانت متنافرة أو متخاصمة، من أجل وحدة البلاد والخروج بها من أزمتها، خصوصاً اللوثة التي أصابت الحياة السياسية السورية والمتمثلة بإسقاط أعضاء قيادة الثورة أو التخلص منهم واحداً واحداً بالإبعاد أو الترحيل، أو القتل، أو (التفصيل)، أو الانتحار.

٢.. للمواجهة العسكرية!!

ولابد لي من أن أذكر بأن الكثيرين من الذين تحدثوا معي من جناح الرفيق صلاح جديد ممن كانوا يؤيدون العمل العسكري ضد وزير الدفاع اللواء حافظ الأسد، كانوا يعولون على حماستي الدائمة للحزب والثورة. كنت معروفاً بأنني مستعد للتضحية بحياتي من أجل الحزب والثورة. وقد لعبوا على هذا

الوتر حين جاؤوا إليّ ليقولوا إن الحزب والثورة في حالة خطر شديد إذا ما قام اللواء حافظ الأسد بعزل القيادة القطرية. وعليّ أن أقوم بالإعداد العسكري، أو العمل العسكري الذي يحدّ من قوة اللواء حافظ الأسد العسكرية. وكنت دائماً أرفض، وأقول لهم: لا تخافوا على الحزب، ولا على الثورة. والمواجهة العسكرية غلط.. وستقود البلاد إلى فوضى لا حدّ لها.

طبعاً، ليس خافياً على أحد أن الرفيق صلاح جديد، وأعضاء القيادة القطرية المحيطين به، كانوا يبحثون في قيادة الجيش عن مواقع وأسماء من أجل استقطابها، بحثاً عن طريقة لتحييد القوة العسكرية أو الاستئثار بها، أو إضعاف قوة اللواء حافظ الأسد. كانوا يناوون على جبهات عديدة، ومنها الجبهة العسكرية بشكل رئيسي. وكان اللواء حافظ الأسد يتابع كل حركة، وكل تفصيل يقومون به إذ كان منذرّاً بالمخاطر الكثيرة..

المؤتمر.. في أجواء منوثة جداً!!

وعقد المؤتمر في وسط أجواء مكفّهرة. جميع الأطراف جاءت بحججها وأفكارها، ولكنها كانت تصب في واحد من المحورين الأساسيين، الأول: محور القيادة القطرية. والثاني: محور وزارة الدفاع. ويبدو أن الأمر الذي لا محيد عنه أن الكثير من الأطراف كانوا يريدون الخلاص من هيمنة الرفيق صلاح جديد وبعض أعضاء القيادة القطرية المحيطين به. وهذه الأطراف يمكن تشخيصها على النحو التالي: أولاً: جماعة محمد عمران الذين مازال لهم نفوذ في الجيش والحزب، وهم لا ينسون للرفيق صلاح جديد أنه لعب دوراً أساسياً في إبعاد محمد عمران. وثانياً: هناك جماعة أكرم الحوراني الذين يتطلعون إلى القصاص من الرفيق صلاح جديد الذي حدّ من نفوذهم وحضورهم في الحياة السياسية. وثالثاً: هناك بعض الذين شاركوا في حركة 23 شباط ولم

ينالوا ما كانوا يأملونه من مكافأة على موقفهم مع الحركة ضد جماعة أمين الحافظ. ورابعاً: كتلة الناصريين الذين عانوا الأمرين من توجهات الرفيق صلاح جديد الرافضة للقاء مع عبد الناصر، وإقامة الوحدة مع مصر. وخامساً: جماعة الإخوان المسلمين الذين يبحثون عن دور لهم حين تنفض النزاعات الداخلية في سورية. وسادساً: هناك بعض الضباط الذين خرجوا من الحياة العسكرية بخروج أمين الحافظ، والذين كانوا يتطلعون إلى عودتهم إلى مواقع أو مراكز في الجيش أو الحياة السياسية إذا ما أزيح صلاح جديد.

أغلب هذه الأطراف كانت تتمنى الخلاص من الرفيق صلاح جديد، ولها مصالح مهمة إذا ما تم الخلاص منه.

صلاح جديد.. يشدّ فواه في المؤتمر!!

ولابدّ من القول إن الرفيق صلاح جديد والقيادة القطرية أرادا معاً أن يعجلا بعقد المؤتمر القومي العاشر من أجل الإجهاز على الرفيق حافظ الأسد وبسلطة المؤتمر، أي أن تتم موافقة المؤتمر القومي على قرار القيادة القطرية بنقل اللواء حافظ الأسد من قيادة الجيش إلى عمل آخر في المجال الحزبي. لذلك بحثوا عن كل من له ميول قطرية، ومن له صلة. ولو ضعيفة. مع الرفيق صلاح جديد، أو القيادة القطرية.. وجاؤوا بهم ليكونوا داخل المؤتمر كأصوات تنادي، وتناقش، وتجاوز في اتجاه واحد وهو لا بدّ من المصادقة على قرار القيادة القطرية القاضي بنقل وزير الدفاع من قيادة الجيش، وأن المؤتمر القومي المنعقد إذا لم يصادق على مثل هذا القرار فإن الحزب والثورة سيكونان في مهب الريح، وعرضة للفوضى والعبث، وأن مصير البلاد سيكون على كف عفريت.

صلاح جديد.. يريد إزاحة الأسد بقوة المؤتمر!!

وبدأ المؤتمر أعماله بالتقارير السياسية، والعسكرية، والاقتصادية، وأعطى المؤتمر المجال للمناقشة والحوار. ومنذ البداية كان توجه القيادة القطرية، والرفيق صلاح جديد حصرأ، يتمثل في أن لا يستمر المؤتمر أياماً عديدة، لأنهم كانوا يريدون حسم الأمور خلال يومين أو ثلاثة على أبعد تقدير. بينما كانت التوجهات المضادة، تريد أن يستمر انعقاد المؤتمر أياماً عدة من أجل الوصول إلى حلّ للمشكلة التي عصفت بين القيادة القطرية ووزارة الدفاع. وقد شنّ القطريون هجوماً حاداً على وزارة الدفاع فأخرجوا الملفات التي تتحدث عن أصغر التفاصيل لكي يسيئوا لوزير الدفاع. وفي النهاية أكدوا على ضرورة الالتزام بقرارات القيادة (أي إعفاء وزير الدفاع اللواء حافظ الأسد من منصبه). وأن عدم الالتزام بهذه القرارات يعدّ تمرداً على القيادة.

كنا، نترقب نقاشات المؤتمر، واختتام جلساته اليومية بفارغ الصبر. ننتظر حتى نجتمع باللواء حافظ الأسد وبعض أعضاء القيادة القطرية لكي يخبرونا عن ما يحدث داخل المؤتمر. كان يقول لنا إن عقول الآخرين مغلقة، وأنهم يريدون تصديق قرار القيادة القطرية القاضي بإعفاء وزير الدفاع من منصبه ونقله إلى مهمة حزبية تحددها القيادة القطرية. أي أنه لا يوجد أي اتفاق على شيء. والنقاش يدور في خطين متوازيين لا يلتقيان، ولن يلتقيا أبداً. وفي النهاية عجلت القرارات التي اتخذها المؤتمر، ومنها تصديق قرار القيادة القطرية ونقد القيادة العسكرية نقداً لاذعاً بتفجير الأزمة بين الطرفين (القيادة القطرية) و(وزارة الدفاع).

حافظ الأسد.. والحوار الأخير!

واقع الحال، كان يشير إلى أن ما حدث داخل المؤتمر القومي العاشر عبارة عن مناورة لإخضاع القيادة العسكرية لقرارات القيادة القطرية وبقوة المؤتمر باعتباره المؤسسة الحزبية الأعلى. وقد تبدى ذلك من خلال قصر المدة الزمنية التي استغرقها المؤتمر. فبعد أن انتهت أعمال المؤتمر أصبحت البلاد في حالة من الشلل، ذلك لأن الرفيق نور الدين الأتاسي رئيس الدولة لم يستطيع أن يتخذ موقفاً حاسماً تجاه واحد من الفريقين، إما مع القيادة القطرية التي يمثلها الرفيق صلاح جديد، وإما مع وزارة الدفاع التي يمثلها اللواء حافظ الأسد، لذلك ذهب إلى بيته، وكذلك فعل الرفيق يوسف زعين الذي اعتكف في بيته أيضاً.

أمام هذه الحالة، كانت القيادة القطرية، ورئاسة الدولة تريد أن تضع الجهاز الحزبي، والعسكري معاً أمام أمر وحيد يتلخص فيما يلي: انظروا إلى حالة الشلل في البلاد التي سببها وزير الدفاع الذي يتمرد على قرارات القيادة القطرية، وقرارات المؤتمر القومي العاشر.. فماذا نفعل؟! أي أن القيادة القطرية كانت تراهن على قيام الشارع ضد وزارة الدفاع لكي تخضع للقرارات التي أصدرتها، ولكي تجعل الجهاز العسكري، بكل ثقل ضباطه، يضغطون على وزارة الدفاع لكي ينصاع وزير الدفاع لقرارات القيادة والمؤتمر معاً.

في ضوء ما هو راهن، لم يكن أمام وزير الدفاع اللواء حافظ الأسد إلا خيار من خيارين، إما أن ينفذ قرار القيادة القطرية، وهو بهذا الانصياع لا يعرف إلى أي مصير سيمضي، لأنه إن انصاع سيفقد كل قوته التي يتمتع بها. وإما الخيار الثاني، وهو عزل القيادة القطرية، أو إجبارها على إعادة النظر في قرارها الذي دعمته بقرارات المؤتمر القومي العاشر. ويبدو أن اللواء حافظ الأسد درس الموقف جيداً، درس موقف القيادة القطرية، ومواضع قوتها، ثم

درس موقف وزارة الدفاع ومواضع قوتها .. أيضاً . كما درس الآثار التي ستجمل
عن اختياره لأي من الخيارين السابقين .. دراسة واعية وشاملة .. ثم اتخذ
قراره الذي كان قنبلة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى وأبعاد!

رُسل الفياضة.. إلى أكرم الحوراني!!

قبل شهر من انعقاد المؤتمر القومي العاشر، حاولت القيادة القطرية
الاتصال بأكرم الحوراني في بيروت، وقد أرسلت إليه الرفيق سليمان الخش من
أجل أخذ رأيه بما يدور في سورية، والصراع الدائر بين القيادة القطرية ووزارة
الدفاع، وما الحل برأيه؟! فكان جواب أكرم الحوراني أنه ضد كل الأعمال
العسكرية، وأن الحل يكون بالعودة إلى الحياة البرلمانية السورية، وأنه لن يوافق
على أي عمل عسكري يتخذه أي طرف من الأطراف.

وقبل هذا الوقت بقليل، أي في شهر أيلول أثناء المواجهة ما بين الأردنيين
والفلسطينيين أرسل إليه اللواء حافظ الأسد مبعوثاً يستشيريه لكي يعمل معه
في القيادة، وربما لكي يعود إلى السلطة أيضاً، لكنه رفض رفضاً قاطعاً، وقد
كانت الغاية من هذه الاتصالات بأكرم الحوراني أن تخفف القيادة القطرية من
ضغط مجموعات أكرم الحوراني على الشارع الشعبي في سورية، ولكن أكرم
الحوراني أصر على رأيه أي أنه يرغب بإعادة الاعتبار للحياة البرلمانية، وأنه لا
رغبة له في العودة إلى سورية لتسلم أية مسؤولية، وهذا ما عرفته لاحقاً.

نقطة الفصل.. في بيت يوسف زعين..!

في 13 تشرين الثاني 1970، دعا الرفيق يوسف زعين عدداً من أعضاء
القيادتين القطرية والقومية لتناول طعام الغداء في بيته، فكان الحضور مؤلفاً

من صلاح جديد الأمين القطري المساعد، وفوزي رضا، ومحمد عيد عشاوي، ومصالح سالم، ونور الدين الأتاسي، وإبراهيم ماخوس، وسليمان الخش. وفي أثناء وجودهم في بيت يوسف زعين قرر حافظ الأسد أن يعتقل صلاح جديد، وفوزي رضا، ومحمد عيد عشاوي باعتبارهم من الفلابة الذين لم ينفع معهم الحوار، تاركاً الخمسة الآخرين من أجل مواصلة الحوار معهم. لذلك ذهبت فصيلة من الشرطة العسكرية يرأسها المقدم علي المدني (وهو بالأصل من جماعة أكرم الحوراني) إلى بيت يوسف زعين، واعتقلت صلاح جديد، ومحمد عيد عشاوي، وفوزي رضا. هؤلاء الثلاثة فقط تم اعتقالهم وتوقيفهم في مبنى قيادة القوى الجوية. أي أن نور الدين الأتاسي، ويوسف زعين، ومصالح سالم، وإبراهيم ماخوس، وسليمان الخش لم يعتقلوا، بل لم يطلب منهم أي شيء في تلك اللحظات. حدث ذلك يوم 1970/11/13، وقت الظهيرة تماماً، أي في موعد تناول الغداء، الساعة الثالثة إلا ربعاً.

اللواء حافظ الأسد... يطلبني فوراً!!

أذكر أنه في ذلك اليوم وبالمصادفة مددت يدي إلى الهاتف في البيت، فوجدته من دون حرارة. يبدو أن جميع الهواتف في تلك الساعة كانت مقطوعة. ثم بعد حوالي دقيقتين أو ثلاث دقائق.. رن جرس الهاتف. فاستغربت، رفعت السماعة، وإذا باللواء حافظ الأسد وزير الدفاع يكلمني. قال لي: محمد ماذا تعمل؟! قلت له: واللّه أكل برغل بحمص. قال: تعال لعندي فوراً. أنا في مكتبي في القوى الجوية. قلت: أنا في الطريق إليك. لم أنه طعامي لأنني مضيت بسرعة، ولم تكن المسافة بيننا بعيدة، لعلي أحتاج إلى دقيقتين لكي أصل إلى مكتبه لأن منزلي قريب من قيادة القوى الجوية. لقد أحسست بأن الجو مكهرب تماماً. حتى أن أم ندى زوجتي، شعرت بذلك وأنا أحدثه، لذلك أخذت السماعة من يدي. قالت لي أريد أن أسلم على (أبو سليمان).

سمعتها تقول له: خائفة تحبس محمد يا (أبو سليمان).. فقال لها ضاحكاً:
قولي له هو ألا يحبسني. فضحكت وودعته بالدعاء والسلامة.

خرجت من البيت، وأنا أهجس.. بأن أمراً ما وقع.. فالأمور غير طبيعية
في البلاد خصوصاً وأن المؤتمر انفض ولم تطبق قراراته وتوصياته.

حين وصلت إلى مكتب وزير الدفاع في القوى الجوية، وجدته وحيداً. كان
يفكر. رأيته ساهماً. وبادرني بالترحيب. وطلب لنا الشاي، فجلست بجانبه، إلى
طرف المكتب، ورحت أستمع إليه. قال لي: رفاقنا يركبون رؤوسهم، لا يريدون
أي تفاهم. بعض أعضاء من القيادتين القطرية والقومية سيطروا على صلاح
جديد سيطرة تامة فما عاد قادراً على التفكير أو الحوار. صار همّه الأول
والأخير الخلاص مني. حاولت أن أحاورهم، فرفضوا بشدة.

اعتقال صلاح جديد، وفوزي رضا، والعشاوي!!

وهنا، سألت اللواء حافظ الأسد: وما العمل! قال بأسى: ما عاد أمامي
إلا أن أعتقل صلاح جديد، وفوزي رضا (الرأس الذي راح يفكر عن صلاح
جديد)، ومحمد عيد عشاوي!

قلت له باستغراب: اعتقلتهم. قال: اعتقلهم! قلت: وأين هم الآن؟ قال:
هنا في البناء، [وأشار بيده إلى أنهم في الغرفة المجاورة لنا]. رأيت أنه لا يوجد
حل غير هذا. ومع ذلك لن أتخذ ضدهم أي إجراء لعل الحوار معهم يجدي
فيكون هو الفرصة الأخيرة! سألت: ونور الدين، وزعين.. وباقي أعضاء القيادة
القطرية؟ فقال لي: لم أعتقل أحداً منهم؟ فأنا لا أريد أن أصير رئيس دولة.
أنا أريد أن أبقى في وزارة الدفاع. وأرجو أن يفلح الحوار مع نور الدين ليظل
في موقعه في رئاسة الدولة وأن يعود يوسف زعين إلى رئاسة مجلس الوزراء.

ولكن لا بد من الحوار معهما . قلت: الخطوة مهمة . قال وهو يريد جلو موقفي: كيف ؟ قلت: تجزئة كتلة القيادة القطرية ومن معها من أعضاء القيادة القومية أمر ضروري، وتحديد بعض أعضائها عمل مهم سيساعد على حل المشكلة . قال: لهذا أريدك أن تذهب إلى نور الدين الأتاسي، ويوسف زعين، لتتقل إليهما رسالة مني تشرح فيها موقفي وهو باختصار أن صلاح جديد ما عاد قادراً على قيادة العمل الحزبي وهو بهذه العقلية المتشنجة، وأن فوزي رضا، ومحمد عيد عشاوي مازال الحوار معهما وارداً، ولكن بعد أن تهدأ الأمور قليلاً، ونعيد للبلاد حيويتها ودورها . وقل لهما إنني أريد منهما الاستمرار في العمل، وإنني لا أريد سوى البقاء في منصبي (وأضاف قائلاً: ابق عندي الآن ساعة زمن، حتى يقترب المساء، وتهدأ الخواطر، ثم اذهب إليهما .

اللواء حافظ الأسد.. يطلب مني أن أحاور باسمه: الأتاسي، وزعين!!

بقيت عند وزير الدفاع مدة من الزمن . كانت الهواتف متواصلة، وكلها تستطلع الموقف . وكان وزير الدفاع يجري الاتصالات بأكبر الرتب وأصغرها . ويدعوهم للسيطرة على مواقعهم، ويدعو بعضهم للمجيء إليه في مكتبه، فاستقبل في تلك الساعة، التي عايشتها، عدداً كبيراً من الضباط . كان يتحدث إليهم بإيجاز شديد، ويزودهم بمهام واضحة ومحددة، ويودعهم، وقد وضع الجيش في حالة استنفار .

من رأى مكتب وزير الدفاع في تلك الساعة، كان لا بد له من أن يشعر بأن المكان صار أشبه بخلية وأن الدولة تدار من هذا المكتب . وقد التقيت في أثناء وجودي في مكتب الوزير بعدد من الضباط بإشارة منه لكي أشرح موقف اللواء حافظ الأسد، وأنه لا يملك سوى هذا الحل الذي قام به .

الأناصري، وزعيم.. في حالة انعدام وزن!!

وفي المساء، ذهبت إلى بيت الرفيق نور الدين الأتاسي. سلمت عليه. كان حزيناً، وساكناً، وفي حالة هدوء. قلت له: سيدي، أرسلني وزير الدفاع اللواء حافظ الأسد وحملني الرسالة التالية إليك، وقلتها له، ثم سألته: ما رأيته. فقال: يا محمد، الأمور لا تزال ساخنة جداً. وقد تعقد الموقف أكثر، فالآن الأمين القطري المساعد واثان من رفاقنا في الاعتقال، وأنا الأمين العام للحزب ورئيس الدولة. ماذا عليّ أن أفعل سوى أن أقوم بكل واجباتي لكي أفرج عنهم. وننزع فتيل المشكلة. قلت له: المشكلة ما عادت مشكلة فتيل، وإنما تطورت إلى حد لا رجعة عنه لأن الرفيق صلاح جديد ومن معه لا يقبلون إلا بتنفيذ قرار القيادة القطرية والمؤتمر. أي إزاحة حافظ الأسد. وهذا أمر لن يتم! قال: والآن، أنت تأتي، لتقول لي ما رأيي؟ والمطلوب مني هو أن أستمّر في رئاسة الدولة، وأمانة الحزب. كيف لي أن أقوم بهذه المهام والوضع مشلول ومعقد في الحزب والدولة. والرفاق في المعتقل.

أرجوك، محمد، قل لوزير الدفاع أن يترث قليلاً في اتخاذ أي قرار. وأنا شخصياً لم أستوعب بعد حجم ما حدث. دعونا نفكر قليلاً لكي نصل إلى نتيجة. فالحديث ما زال ساخناً. حدث في الظهيرة، والآن بعد ساعات نريد إيجاد الحل له.. غير ممكن يا محمد. قل لوزير الدفاع أن يترث قليلاً. وأنا لا رأي لي الآن سوى معالجة مشكلة اعتقال رفاقنا!

وخرجت من عنده، وذهبت إلى بيت يوسف زعين. فوجدته على الموقف نفسه. دعاني إلى التريث، وألا نعقد الأمور أكثر. وأنه من المناسب جداً أن يطلق وزير الدفاع سراح المعتقلين. والخطوة التي تمت (يقصد الاعتقال) خاطئة جداً.

وخرجت من بيت الرفيق يوسف زعين، وذهبت إلى بيت الدكتور إبراهيم

ماخوس فلم أجده، لذلك عدت إلى وزارة الدفاع، وقابلت وزير الدفاع، وأخبرته بما حدث معي في بيت الرفيق نور الدين الأتاسي، ويوسف زعين. فقال اللواء حافظ الأسد: هذا ما كنت أتوقعه! أتعرف يا محمد ماذا ينتظر نور الدين ويوسف زعين من مطالبتهما بالترتيب؟! وهزرت له رأسي لكي يكمل حديثه، فقال: يريدون تأليب الجهاز الحزبي عليّ، ثم إثارة القلاقل في الشارع بحيث يبدو وزير الدفاع بصورة سوداء في نظر الآخرين! لهذا لا بد من الحسم والافتهاء من هذا الجدل البيزنطي بالعمل.

حافظ الأسد: لا أريد أن أكون زعيماً لسورية!!

كان حزينا جداً، ومهموماً قال لي: لا أريد أن أكون زعيماً لسورية، وعليك أن تعود إلى يوسف زعين ونور الدين الأتاسي لكي تقنعهما بأن يظلا في موقعيهما في قيادة الدولة. وعدت إلى بيتي في حوالى الساعة السابعة مساءً، وما إن وصلت حتى وصل إلى البيت عبد الحليم خدام، ومحمد حيدر، وعبد الله الأحمر، وسألوني إن كنت قد عرفت بما حدث. قلت لهم: عرفت. وقد قابلت الرفيقيين نور الدين الأتاسي، ويوسف زعين. وسألوني ما العمل؟! قلت لهم هيا نذهب مباشرة إلى وزير الدفاع اللواء حافظ الأسد في قيادة القوى الجوية، واصعدوا معي في السيارة فصعدوا. ورحت أقودها بنفسي إلى قيادة القوى الجوية، أي إلى مكتب اللواء حافظ الأسد. وهناك التقينا بوزير الدفاع، فشرح لنا الموقف على حقيقته، وطلب منهم أن يتحركوا ضمن الجهاز الحزبي وأن يتصلوا بالرفيقيين نور الدين الأتاسي، ويوسف زعين من أجل إقناعهما باستمرار العمل في رئاسة الوزراء. وأنه سيكتفي بكف يد صلاح جديد، ومحمد عيد عشاوي، وفوزي رضا.. أما الآخرون فهو موافق على استمرارهم

في العمل. وقد وافقوه على رأيه. طبعاً كان الرفيق محمد حيدر عضو قيادة فرع الحزب بمدينة دمشق، وعبد الحليم خدام كان وزيراً للاقتصاد، وعبد الله الأحمر كان محافظاً لمدينة حماة. هؤلاء الثلاثة تجاوبوا مع وزير الدفاع، فطلب منهم أن يتصلوا بأمناء فروع الحزب المدنية من أجل شرح الموقف، وأن يطمئن الجميع على أن الحزب باقٍ ومستمر في نهجه الوطني والقومي. وهكذا بدأت الاتصالات على مختلف المستويات وقد زارني عدد كبير من الضباط ليلاً في منزلي. وكذلك زارني عدد من أعضاء قيادات الفروع، وبعض أعضاء القيادة القطرية. وكنتُ على قناعة أن اللواء حافظ الأسد لن يتراجع عن إبعاد صلاح جديد، ومحمد عيد عشاوي، وفوزي رضا، خاصة وأنه أقدم على هذه الخطوة. وكان المشجعون له كثيرين، وخاصة جماعات محمد عمران، وأكرم الحوراني، والناصرين، وأنهم جميعاً معه. وكانت الوفود تذهب إلى بيت الرفيقين نور الدين الأتاسي ويوسف زعين بالتناوب، والتقيت مع المقدم موسى العلي، والمقدم خالد بدوي.. وغيرهما من الضباط، ونصحت الجميع أن يستمروا في العمل. كان الكثيرون من الضباط متشجنين ومتشائمين لأن المستقبل (كما رأوا) مظلم، وأن الحزب انتهى. ولكنني لم أعمل وفق مفهومي التشاؤم والتفاؤل لكوني أملك إحساساً بأن ما من أحد من هؤلاء القادة كان يريدني قائداً متميزاً، وإنما كانوا يريدون مني أن أكون منفذاً متميزاً. وقد تملكني هذا الشعور من خلال تجاربي الطويلة.

السفير السوفييتي .. يطمئن الأسد !!

وقد زار السفير السوفييتي اللواء حافظ الأسد في مكتبه ليطلع على ما يجري واسمه نور الدين محيي الدينوف من طشقند، وكان ذكياً ومتفهماً للأوضاع في سورية، ويبدو أنه خرج من عند اللواء الأسد مطمئناً، وأن العلاقة مع السوفييت باقية، وأن الحزب باقٍ أيضاً.

حوارات أخرى .. مع الأتاسي ، وزعين !!

لم تجد المفاوضات مع الرفيقين نور الدين الأتاسي ويوسف زعين، فقد كانت آراؤهم متخبطة، فهما في بداية الأمر كانا متفهمين ومتجاوبين، لكنهما فجأة يعودان إلى عدم الموافقة.

وقد تابعتنا خلال يوم 14 تشرين الثاني 1970 المفاوضات والنقاش والحوار معهما، ولكن من دون جدوى. وقد انحصرت آراء اللواء حافظ الأسد بالآتي:

- استمرار عمل القيادة القطرية كما كانت عليه في السابق.

- إبعاد صلاح جديد، وفوزي رضا، ومحمد عيد عشاوي عن العمل الحزبي.

- إلغاء قرارات المؤتمر القومي التي كان من بينها قرار إبعاد وزير الدفاع من منصبه.

- استمرار اللواء حافظ الأسد في عمله كوزير للدفاع وقائد للجيش.

ويبدو أن الاتصالات المتوالية في كل الأطراف ولدت قلقاً في المجتمع السوري، أي في الجهاز الحزبي بكامله، وفي المؤسسة العسكرية أيضاً.

وقد بقي اللواء حافظ الأسد حتى يوم 15 تشرين الثاني 1970 يفاوض نور الدين الأتاسي، ويوسف زعين وبقية أعضاء القيادة القطرية من أجل الاستمرار في مواقعهم ومسؤولياتهم إلا أنهم رفضوا في النتيجة!

وبتقديري الشخصي أنهم كانوا يتوقعون حدوث بعض التمرد في قطاعات الجيش. والأمر الذي أفرعهم أن قراراً بمنع التجول لم يصدر عن اللواء حافظ الأسد، وذلك لأن الناس ظلوا في أعمالهم، وأحوالهم الاجتماعية. وكان رأي نور

الدين الأتاسي، ويوسف زعين منصباً على أن يفرج وزير الدفاع اللواء حافظ الأسد عن صلاح جديد ورفاقه. ولكن وزير الدفاع رفض مطلبهما.

بيان الحركة النصيرية!!

في حوالي الساعة الرابعة من مساء يوم 15 تشرين الثاني 1970 زارني في البيت الرائد عز الدين إدريس (حيث لم يكن لدي مكتب) وطلب مني أن نذهب إلى مكتب وزير الدفاع، فذهبنا معاً إلى وزارة الدفاع في الأركان العامة، وقد استقبلنا اللواء الأسد بالود والترحاب، وقال لنا: إن نور الدين الأتاسي، ويوسف زعين رفضا العمل معي. وحتى تلك الساعة لم يعتقل إلا صلاح جديد، ومحمد عيد عشاوي، وفوزي رضا. وسألنا ما العمل؟ فرحنا نتحاور حول ضرورة عدم ترك الشارع السوري، والجهاز الحزبي في حالة فوضى وضياح. فقال اللواء حافظ الأسد لابد أن نحسم الأمور في هذا اليوم. في تلك اللحظة وصل الرفاق محمد حيدر، وعبد الحليم خدام، وعبد الله الأحمر، وناجي جميل، ومصطفى طلاس.. فطلب منهم أن يذهبوا إلى مكتب رئيس هيئة الأركان (مصطفى طلاس) لكي يعدوا بياناً حول مجريات الأمور. وذهب معهم عز الدين إدريس أيضاً. وبقيت عنده إلى وقت متأخر من الليل!

ومن خلال حوارني مع اللواء حافظ الأسد وزير الدفاع وحواره مع محدثيه عبر الهاتف، ومن خلال حديثه مع زواره أدركت أنه يريد للحزب أن يستمر، وأن فروع الحزب في المحافظات لن تمس، وأن أمور الدولة على اختلافها ستظل كما هي، وأنه لا توجد أية تغييرات في المؤسسة العسكرية، وأن المشكلة الأساسية تتمثل في معالجة تشنج الأمين القطري المساعد صلاح جديد، وبعض الأعضاء الموالين له، والذين يطالبون بإبعاد وزير الدفاع عن قيادة الجيش. وقد أرسلت برقيات مسجلة إلى فروع الحزب تشرح وجهة

النظر هذه، كما تم الاتصال والحوار مع العديد من الرفاق الذين يعملون في
المفاصل الأساسية في الجهاز الحزبي، والمؤسسة العسكرية.

اشتراط الانقلاص، وزعين..

للعمل مع اللواء الأسد!!

وفي يومي 14 و15/11/1970 استمرت الحوارات مع نور الدين الأتاسي،
ويوسف زعين. ذهبت إليهما مرات عدة، وحاورتهما، وقد رأيت أن الرفيق نور
الدين الأتاسي متردد، وهو، حسب معرفتي به، ذو عقلية مترددة. أموره لم
يحسمها باتجاه صلاح جديد أو حافظ الأسد. لقد قال لي: إنه على استعداد
للعمل مع حافظ الأسد. وحين ذهبت إلى الرفيق يوسف زعين وجدته غير
متشجع كثيراً تجاه العمل مع وزير الدفاع، فسرت حقيقة بنتيجة الحوار لأننا
كنا نسعى بقوة وراء حل للأزمة كي لا تتضاعف المشكلات، وكي لا يدخل
الشارع في الخلافات فتحدث تفاعلات خطيرة نحن بغنى عنها. لكن حين
أبلغت وزير الدفاع بموقفهما الإيجابي في اليوم التالي. قال لي: اذهب إليهما
وقل لهما أن يحددوا موعداً للاجتماع. فذهبت إليهما. فوجدت أنهما يشترطان
أولاً إطلاق سراح الرفيق صلاح جديد ومن معه، وبعدئذ يتم الحوار. هنا أحس
وزير الدفاع بأن لعبة المماطلة بدأت، وأن مراهنتهما على تحريك الشارع،
والقيادات الحزبية هي الهدف، لذلك ما كان أمامه سوى أن يحسم الأمور،
فنقل الرفيق صلاح جديد، وفوزي رضا، ومحمد عيد عشاوي من أممية
الطيران إلى سجن المزة، لأن وزير الدفاع كان راغباً أن تتم الأمور بهدوء
شديد، ومن دون إراقة نقطة دم واحدة.

واستبقاني عنده، وراح يحدثني عن الإجراءات الواجب اتخاذها بشكل
سريع، ومنها تشكيل قيادة قطرية مؤقتة للحزب على غرار حركة 23 شباط،

وتعيين رئيس للدولة، ورئيس وزراء، وتشكيل حكومة. فمثل هذه الإجراءات السريعة تترك عند الناس انطباعاً بأن الأمور تمت بهدوء شديد، وأن ما حدث ليس أكثر من تصحيح لنهج الحزب، وحركة 23 شباط 1966، والحكومة، والدولة. وسألني: ما رأيك؟ قلت: لا بد من اتخاذ هذه الإجراءات فعلاً، كي نزيل قلق الشارع، ونبرر للدول العربية والصديقة ما حدث، لاسيما وأن السفارات العربية والأجنبية قد أرسلت الأخبار المتعددة حول الخلافات، وكذلك أخبار ما حدث خلال اليومين الماضيين.

الصياغة النهائية للبيان.. وإخاذه!!

كان المجتمعون لصياغة البيان، يعودون بين وقت وآخر إلى وزير الدفاع ليقراً ما كتبوه، فكان يصحح ويحذف كل عبارة قاسية، أو متشنجة، بحيث تظل لهجة البيان هادئة. كان يوصي أعضاء لجنة صياغة البيان ألا يحمل البيان لغة التهديد والوعيد، وأن يؤكد على أن ما حدث هو تصحيح لمسيرة الحزب والدولة وانعتاق من هيمنة عقلية يسارية منحرفة، أرادت حرف اتجاه الدولة والحزب وحركة 23 شباط التي نفذناها معاً.

وقد تمّ التوصل إلى الصيغة الأخيرة للبيان الذي وافق عليه وزير الدفاع. لذلك طلب من عز الدين إدريس أن يأخذ البيان إلى هيئة الإذاعة والتلفزيون من أجل إذاعته، دون أن تسبقه موسيقا خاصة بالجيش، أو أغنيات تحريض. أي أن تتمّ إذاعة البيان بهدوء من دون ضجيج، فيمر مروراً طبيعياً للناس. وقد كان بيان الحركة التصحيحية مشابهاً لبيان حركة 23 شباط 1966، وكأن ما حدث يشكل الجزء المتمم لما جاءت به حركة 23 شباط.

الأيام الثلاثة.. الأكثر صخباً في حياتي!!

وإذا ما أردت العودة إلى الوراء قليلاً، أقول إن الأيام الثلاثة التي سبقت إعلان بيان الحركة التصحيحية في صباح 16/11/1970، كانت من أطول الأيام وأشقها من حيث السهر، والتعب، والحوار، واللقاءات، والاتصالات مع الآخرين لتأمين الهدوء لجميع المرافق الأساسية والمفصلية في الحزب، والجيش، والدولة بعامّة.

وقد كنت أعرف، من خلال قربي من اللواء حافظ الأسد وزير الدفاع، أنه كان مهتماً بالحوار مع أعضاء القيادتين القطرية والقومية عدا صلاح جديد، وفوزي رضا، ومحمد عيد عشاوي الذي كان يقول عنهم لا فائدة من الحوار معهم. لقد أراد أن يحاور الرفيقيين نور الدين الأتاسي، ويوسف زعين بشكل أساسي. نور الدين الأتاسي منذ البداية كان مع الحوار، لكن بعد أن اعتقل صلاح جديد. قال لي حين ذهبت إليه، لقد تعقدت الأمور. ولن نتحاور مع وزير الدفاع إلا بعد أن يخلي سبيل صلاح جديد ورفيقيه. أما الرفيق يوسف زعين، فقد وافق على الحوار، وقد اجتمع مع اللواء حافظ الأسد فعلاً، وبعد النقاش المطول معه قال اللواء حافظ الأسد: وهذا لا فائدة من الحوار معه أيضاً. إنه يطالب بالإفراج عن صلاح جديد ومن معه كشرط أساسي للعودة إلى الحوار. فقلت له: لا فائدة من إخلاء سبيلهم لأنهم سيكونون أكثر تشنجاً، ظناً منهم أنني رضخت لضغط الشارع، أو الجهاز الحزبي، أو المؤسسة العسكرية. هؤلاء لن يفرج عنهم مادامت رؤوسهم تدور بطريقة غلط. وكان أن انتهى الحوار إلى قطيعة تامة بين الطرفين، لذلك اعتقل بعض أعضاء القيادتين القطرية والقومية، وبهدوء شديد، بعد أن طاف اللواء حافظ الأسد وزير الدفاع على جميع المحافظات السورية، ولاقى فيها ترحيباً غير عادي، وهذا بالضبط ما أذهل أعضاء القيادتين القطرية والقومية الذين تم اعتقالهم،

والذين لم يعتقلوا أيضاً. والحقيقة التي لا مرأى فيها هي أن جميع الأطراف والكتل والتيارات التي كانت متضررة من فترة سيطرة الرفيق صلاح جديد على مقاليد الأمور.. اتجهت بكل حماسها نحو اللواء حافظ الأسد لتأييد خطوته التي أنهت الرفيق صلاح جديد في سورية.

قيادة قطرية.. مؤقته!!

ومما أود الإشارة إليه، أنه وبعد إذاعة بيان الحركة التصحيحية يوم 16 تشرين الثاني 1970، تجمع في الساعة الثامنة صباحاً، أمام مبنى فرع الحزب بدمشق، في ساحة السبع بحرات عدد من الرفاق البعثيين يقدر عددهم بحوالى 100 رفيق، وشكلوا ما يشبه التظاهرة المضادة للحركة التصحيحية، وكان يقودها الرفيق عبد الله الأحمد وهو عضو قيادة فرع دمشق. وقد ذهبت من مكتب وزير الدفاع إلى ساحة السبع بحرات، وهناك انتهت التظاهرة باعتقال عبد الله الأحمد من قبل الرائد محمد الخولي (وهو ضابط من القوى الجوية) الذي أصبح (عبد الله الأحمد) في المساء، أي بعد عدة ساعات، عضواً في القيادة القطرية المؤقتة الجديدة. وقد تألفت القيادة القطرية المؤقتة من الرفاق: حافظ الأسد، مصطفى طلاس، ناجي جميل، محمد حيدر، عبد الحليم خدام، عبد الله الأحمر، عبد الله الأحمد، عبد الغني إبراهيم، أحمد انخيليب، محمد جابر بجبوج، الياس اللاطي، فايز الناصر، محمود الأيوبي، طه الخيرات، فهمي اليوسفي، متعب شنان، وصدرت مراسيم عديدة أهمها مرسوم تعيين الرفيق أحمد الخطيب رئيساً للدولة، والرفيق حافظ الأسد رئيساً للوزراء.

اللواء الأسد.. واجتماع موسّع مع المتفرغين في القيادة القطرية!!

في يوم 17/11/1970 اجتمع الرفيق حافظ الأسد بالرفاق المتفرغين في القيادتين القطرية والقومية، في مبنى القيادة القطرية، في قاعة المحاضرات، وشرح لهم الأزمة بكل تفاصيلها، وقد استمر الاجتماع طويلاً، وقد قال لهم في النهاية من أراد أن يبقى متفرغاً في الحزب فليبقَ في مكانه، ومن أراد أن ينهي تفرغه ويعود إلى وظيفته فله الحق بهذا ولن يمس بأي أذى. وقد كلّف الرفيق محمد حيدر عضو القيادة القطرية بمكتب التنظيم. كما كلّف الرفيق محمد جابر بجبوج بمهمة الأمين القطري المساعد. وهكذا أصبح الجهاز الحزبي في حالة اطمئنان لاستمرار الحزب، واطمئنان لبقائهم في مواقعهم كمتفرغين. وقد باشر الرفيق أحمد الخطيب أعماله في القصر الجمهوري. بينما كان اللواء حافظ الأسد يمارس أعماله في رئاسة مجلس الوزراء مساءً، وفي وزارة الدفاع نهاراً. وقد خيّرني الرفيق حافظ الأسد بين أن أستلم قيادة الجيش الشعبي وبين أن أكون عضواً في القيادة القطرية. فاخترتُ أن أكون قائداً للجيش الشعبي.

وفي تلك الفترة بدأت بعض الفروع الحزبية تتشنج، فقامتُ أنا ومحمد حيدر وعبد الغني إبراهيم بزيارات إلى هذه الفروع شرحنا فيها وجهة نظر الحركة التصحيحية.. فسويت الأمور، وانتهت المشكلات.



الفصل

السادس عشر

حديث الرفيق حافظ الأسد

في المؤتمر القومي العاشر الاستثنائي

(مقتطفات)

انعقد المؤتمر القومي العاشر الاستثنائي في دمشق في تشرين الثاني من عام 1970، أي بعد أكثر من عامين على انعقاد المؤتمر القومي العاشر العادي، وقد كانت المناقشات والحوارات داخل المؤتمر عاصفة مما جعل الجميع يشعرون بأن أزمة ما موجودة داخل المؤتمر الأمر الذي أدى إلى القول بضرورة إنقاذ مسيرة الحزب والثورة. وقد تبدى في هذا المؤتمر أمران أساسيان هما: الأول: وجود صراع حقيقي محتدم ما بين وزارة الدفاع التي يمثلها اللواء (حافظ الأسد) والقيادة القطرية التي يمثلها الرفيق (صلاح جديد)، وإنهما، جاءا إلى المؤتمر من أجل الاحتكام إلى منطق العقل. والثاني: رغبة القيادة القطرية الكلية بتطويع المؤتمر لصالحها، ولصالح القرارات التي اتخذتها سابقاً ومنها قرارها بإبعاد اللواء حافظ الأسد عن وزارة الدفاع، وتسليمه مهمة حزبية خارج العمل العسكري.

وقد تحدث الرفيق حافظ الأسد لأعضاء المؤتمر حديثاً طويلاً، شرح فيه أسباب الخلاف بين القيادة القطرية، ووزارة الدفاع، وردّ على كلّ الملاحظات التي ساقها أنصار الرفيق صلاح جديد، وبين أن القرار الذي اتخذته القيادة القطرية بحقه كان قراراً انفعالياً، وشخصياً.. هدفه المضي في سياسة التخلص من الرفاق البعثيين الذين لا يماشون القيادة القطرية في آرائها وأفكارها الخاطئة. ولأهمية هذا الحديث، من حيث إنه يكشف عن حجج القيادة القطرية ويردّ عليها، نعرض لأبرز ما جاء فيه.

حديثي قصير للغاية، ولم أكن أريد أن أتكلم لولا ما سمعته من بعض الرفاق، بشكل مباشر أن موقفني هذا وسكوتي عن الكلام يعتبر استخفافاً بالمؤتمر، ومن الطبيعي أنه لا يمكن أن أتصرف أي تصرف أقصد منه الاستخفاف بهذا المؤتمر، وهو أعلى مؤتمر، وأعلى مؤسسة في هذا الحزب.

لي وجهة نظر كاملة فيما يتعلق بالسياسة الداخلية والعربية والدولية وفي مجال الحزب وفي مجال المعركة. ولكن قبل أن أذكرها، وهي بنود مكتوبة، لا بد لي من توضيح بعض النقاط، التي علمت أيضاً من خلال بعض المناقشات أنها بحاجة إلى توضيح، كما تبدو لي. وقبل أن أبدأ أيضاً لا بد من القول إنني سمعت في هذا المؤتمر الكثير من الشتائم والاتهامات التي تفتقر إلى دليل يؤكد صحتها، ولكننا كحزبيين وفي أعلى مؤتمر للحزب لا بد لنا ويجب علينا، خاصة في مثل هذه الظروف، أن نكون باستمرار فوق صغائر الأمور.

عندما تحدثت في بدء المؤتمر وقلت إنني لا أعرف شيئاً عن هذه الأزمة كنت صادقاً كل الصدق وكنت أعبر بكل صراحة عن كل ما أشعر به فلم أكن أعرف كيف نشأت وكيف افتعلت هذه الأزمة، الأزمة التي نتحدث عنها الآن نشأت أثناء انعقاد المؤتمر القطري الرابع.

ربما كان ما قلته في المؤتمر القطري الرابع، وما أكرره الآن.. تمر الأيام لتؤكد قناعاتي بكل كلمة قلتها، وهذا ناتج عن الممارسة بيني وبين رفاقنا أو بعض رفاقنا في قيادة الحزب، هو مصدر الاختلاف في كثير من الآراء، فجميعنا حزبيون وجميعنا نناضل من أجل تحقيق أهداف هذا الحزب ومن أجل خدمة أمتنا العربية. ولكن الممارسة تخلف لدينا آراء مختلفة، وهذا أمر طبيعي وإن كانت هذه الآراء يجب أن لا تؤدي بالضرورة إلى أن تكون هناك أزمات على صعيد الحزب أو على صعيد الدولة في هذا القطر أو على الصعيد القومي للحزب.

كثيرون من الرفاق تحدثوا عن استراتيجية الحزب، وعن الطرح الذي كان

مخالفاً ومناقضاً بشكل كامل لاستراتيجية الحزب، ولم أجد مثلاً واحداً يدلل على صحة هذا القول.

نحن لسنا مختلفين حول ضرورة تحرير الأرض المحتلة، حديثها وقديمها، لسنا مختلفين حول التصدي للإمبريالية في هذا الوطن وفي كل وطن في أي مكان من هذا العالم. هذه الأهداف الاستراتيجية لسنا مختلفين عليها إطلاقاً. نحن مختلفون ونجتهد حول السلوك المؤدي لتحقيق استراتيجية الحزب، المؤدي لتحقيق هذه الأهداف التي يمكن أن نقول عنها إنها أهداف استراتيجية.

قلت في مناقشتي مع كثير من الرفاق أثناء الأزمة عام /1968/ وفي أوائل /1969/ أن المرحلة التي نمر بها هي مرحلة تحرر وطني. وقد يكون هناك التباس وخلاف في تصورنا لمعنى التحرر الوطني. التحرر الوطني، كما أفهمه لا يعني أننا لا نعمل شيئاً سوى حمل البندقية باتجاه الجبهة، لا يعني أننا لا نعمل شيئاً سوى زيادة عدد الجنود وعدد الدبابات، لا يعني أننا لا نعمل شيئاً سوى ما هو باتجاه جزء من الحرب وهذا الجزء هو المعركة.. وأقول جزءاً من الحرب لأننا جميعاً نعلم أن الحرب ليست المعركة فقط، الحرب تشمل كل مجالات المجتمع والدولة..

في كل مرحلة من المراحل، كل دولة، كل مجتمع، كل أمة من الأمم، أمامها مهمات مطروحة وهذه المهمات ليست على نفس المستوى. لهذه المهمات أولويات، هناك مهمة رقم واحد وهناك في المرتبة الثانية وهكذا.. وأيضاً هذه المهمات مترابطة، أنا أريد أن آتي ببعض الأمثلة لكي لا يكون هناك أي التباس في فهم ما أقصد. نحن في سورية مثلاً: المهمات المطروحة أمامنا أو في الوطن العربي بطبيعة الحال. (نحن كحزب نتحكم في مقدرات القطر العربي السوري فقط)، نحن في سورية المهمات المطروحة أمامنا هي التحرير، بناء المدارس،

بناء السدود، إصلاح أراضي.. إلخ، مهمات كثيرة من هذا النوع.. هل هذه المهمات جميعها بنفس المستوى؟ لا.. هناك أولويات.

الأفضلية الأولى: كما يدل على ذلك تاريخ الأمم، كل تاريخ الأمم، أن الشعوب عندما تُحتل أوطانها كلها أو بعضها تصبح المهمة الأولى.. المهمة رقم واحد، هي تحرير ما احتل من هذا الوطن، هذه هي المهمة الأولى. والمهمات التالية تنفذ بما يخدم هذه المهمة الأولى.

بالارتباط الوثيق وبما يخدم المهمة الأولى، وفي حال تعارض أي مهمة لاحقة مع هذه المهمة الأولى تُلغى ولا تنفذ.. ومن هنا أقول تمشياً مع مشاعرنا، ومع ما يدل عليه تاريخ الشعوب، أن مهمتنا الأولى هي تحرير الأرض المحتلة.

وفي رأيي أفترض، أن لا خلاف على ذلك. أردت أن أقول هذا الشيء لأننا عندما نقول التحرير أولاً، وإن المعركة هي وسيلتنا إلى التحرير، لا يعني ذلك أننا لا نعمل على تخفيض سقف الملكية مثلاً، لا يعني ذلك أننا لا ننشئ السدود، أو لا ننشئ المصانع. نفعل كل ذلك على أن تكون السدود والمصانع، وتخفيض سقف الملكية، أي أن يكون كل شيء في خدمة هدف تحرير أرضنا المحتلة.

هذا ما قلناه، ما قلته أنا وقاله كثير من رفاقنا العسكريين والمدنيين في الفترة التي مرت بين المؤتمرين القطري الرابع والقطري الرابع الاستثنائي.

عندما نقول أيها الرفاق إن هذه المهمة في سورية هي مهمتنا الأولى، إذن يجب أن نسلك كل سبيل كي ننجز هذه المهمة طالما أنها المهمة الأولى. نحن في سورية نبحث عن إمكانيات القطر كي نسخرها كاملة، لإيجاد الأداة التي تمكّننا من إنجاز هذه المهمة.. ولكن كما نذكر باستمرار وكما سمعت في هذا المؤتمر أن العدو الذي نحاربه عدو كبير، والعدو الذي نحاربه ليس هو الثلاثة

الملايين من الإسرائيليين الموجودين على أرض فلسطين العربية، إنما هو عدو كبير ليس فقط بما يأتيه من الإمكانيات العسكرية من الغرب وبصورة خاصة من الولايات المتحدة، وإنما هو عدو كبير بأشكال أخرى، وبحقائق أخرى، وقد تكلمت على ما أذكر وفي اجتماعات مع بعض رفاقنا العسكريين حول هذه النقطة بالذات.

في فرنسا كلنا نعرف الموقف البسيط الذي وقفه الجنرال (ديغول) واستهدف منه مصلحة الشعب الفرنسي، كان موقفاً يبدو فيه حد أدنى من العدالة بالنسبة للعدوان الإسرائيلي عام 1967/، كلنا نذكر ما هي المصاعب التي جابهها الجنرال (ديغول)، وكيف تغيرت كل مظاهر الحياة في باريس والتي لم يحركها أبداً إلا اليهود الموجودون في قمة اليمين وفي قمة اليسار في فرنسا، لأن هذه المظاهرات لم تتحرك إلا بعد أن أعلن الجنرال (ديغول) موقفه من عدوان 1967/. كلنا نعرف أن المعامل أغلقت، رب العمل وقف مع العمال والطلاب، وكل قوى اليمين واليسار كانت في المظاهرات التي عمّت شوارع المدن الفرنسية. نذكر كلنا ذلك، ولقد كتبت الصحف الشيء الكثير، بعدما أعلن الجنرال (ديغول) موقفه، والذي لم يكن بالنسبة لنا فعلاً فيما يتعلق بعدوان 1967/، الذين حركوا هذا الأمر هم اليهود المرتبطون بالحركة الصهيونية والمسيطرون على اليمين واليسار في فرنسا.

أمثلة أخرى موجودة أيضاً في بولونيا، كلنا نعرف أيضاً (وهذا الكلام قاله لي المارشال غريشكو وزير الدفاع السوفييتي عندما زار سورية وفي مكتبي) قال لي إن المظاهرات التي قامت في بولونيا يقودها يهود، و90٪ من الأشخاص الذين ألقى القبض عليهم منظمون في الحركة الصهيونية ومرتبطين بأجهزة خارج بولونيا، وأورد لي مثلاً عن الذين كانوا يقودون المظاهرات.. قائد القوى الجوية في بولونيا لا بد وأنه شيوعي ولا بد أنه شيوعي قديم أيضاً، وعلى الأقل من حيث المظهر لا بد وأن يكون مناضلاً، بطبيعة الحال هذه أعمدة

الحركة الصهيونية. وقال: «هناك عدد كبير في قيادة الحزب، أعلى قيادة الحزب، وفي الدولة مرتبطون أيضاً بالحركة الصهيونية».

أنا أعتقد أن دولة اشتراكية مثل بولونيا يحكم فيها حزب شيوعي لديه تجربة وقد مضى عليه في الحكم سنوات طويلة، ومع ذلك نجد في قيادته (قيادة الحزب الشيوعي البولوني) يهوداً مرتبطين بالحركة الصهيونية، فهذا الأمر، من وجهة نظري، أعتبره من المظاهر الأساسية لقوة إسرائيل وأقوى من الطائرات التي تأتي إليها من الولايات المتحدة الأمريكية.

وأنا أقول إن هذا الأمر ينطبق على بلدان اشتراكية أخرى، وأيضاً في حديث لي مع رئيس وزراء تشيكوسلوفاكيا (وأنا أعتقد أن هذا أصبح معروفاً لدينا جميعاً لأننا كلنا نملك الحد الأدنى من المعلومات عن التحرك المضاد الذي حدث في تشيكوسلوفاكيا، والذي كان وراءه اليهود أيضاً) اليهود في تشيكوسلوفاكيا عددهم حسب ما قال وزير الدفاع التشيكوسلوفاكي آنذاك حوالي 30/ ألف من أصل 15/ أو 16/ مليون، ولكنهم مسيطرون على كل أجهزة الإعلام، وعلى مكتب للكتاب، اتحاد الكتاب على ما أذكر وفي المجلس الأعلى لكتاب تشيكوسلوفاكيا، وعلى ما أذكر كان عدد أعضائه سبعة، أربعة منهم يهود، وواحد منهم هرب إلى إسرائيل، كلنا نذكر هذه الحادثة التي كتبت عنها صحف العالم وتحدثت عنها أيضاً إذاعات العالم. وربما في الاتحاد السوفييتي نفسه، ولولا أن هناك دولة قوية وحزباً قوياً لكان هناك أيضاً خطر من تحرك اليهود. وأذكر أنني قلت لوزير الدفاع السوفييتي المارشال (غريشكو) هل يمكن أن يتحرك اليهود في الاتحاد السوفييتي وهم يعدون حوالي خمسة ملايين قال لي: «فعلاً إنهم يعملون عندنا في الفن والصحافة.. ولكن عندنا دولة قوية (وأذكر أنه أشار إلى ذلك بقبضته) وليس هناك خوف من اليهود أو غيرهم».

إن هذه الأمثلة تدل على أن العدو الذي أمامنا ليس هو الملايين الثلاثة

من اليهود الموجودين في إسرائيل. طبعاً مثل هذه الأعمال يمكن أن تحركها إسرائيل بشكل أوسع في البلدان الأخرى الغربية، فإنكلترا والولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا الغربية ليسوا أحراراً في أن يتبعوا السياسة التي يريدونها في فلسطين، بسبب أن الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية أقوى مما هي عليه (حسب ما نعلم جميعاً) في دول المعسكر الاشتراكي أو في فرنسا.

عندما نعرف عدونا بهذه القوة، وعندما نعرف أن مهمتنا الأولى هي تحرير الأرض التي احتلها هذا العدو، يصبح المطلوب منا جهداً أكبر لتحقيق الأداة التي تمكن من تنفيذ هذه المهمة، وإذا كنا نتصور أن هذه البدايات التي بدأناها قادرة على التحرير، نحن في تقديري مخطئون.

وإذا كنا نتصور أيضاً أن المقاومة كما هي في واقعها الآن وحتى إذا تطورت وفاقّت الأساليب التي بدأت بها، وإذا كنا نتصور أن المقاومة بهذا الشكل يمكن أن تحرر فلسطين، فنحن أيضاً مخطئون. حتى ولو كانت هذه المقاومة عربية بجماهيرها وليست عربية فلسطينية.. العدو لديه وسائل لم يستخدمها ضدنا حتى الآن، لأنه لم يحتج إليها، وعندما يحتاج إلى استخدام أسلحة أخرى سيستخدمها. وهذه الجماهير التي ندفعها ونقودها إلى المعركة، إذا لم ندفعها بأساليب صحيحة، ونزودها بعتاد صحيح، وبإمكانيات صحيحة (أقصد على مستوى المعركة) ستموت رخيصة ولن تؤدي أية نتيجة على الإطلاق.. (إسرائيل تملك الآن الغاز، وتملك الجراثيم وهي في طريقها إلى امتلاك الذرة إن لم تكن قد امتلكتها)، هذه الأمور يجب أن نعرفها ونحن في أعلى مؤتمر لهذا الحزب، إذا كان عدونا بهذا الشكل علينا في سبيل تحضير الإمكانيات المقابلة التي تمكننا من التصدي لهذا العدو أن نتخلى عن الكثير من الجزئيات، لاسيما عندما تكون هذه الجزئيات تتعلق بأشخاصنا فقط، بكبرياتنا الفردية فقط، لا تتعلق بكبرياء أمتنا ولا بكبرياء حزبنا ولا باستراتيجيته أو بإيديولوجيته.

من هذا الشعور، ومن هذا التصور طرحت في المؤتمر القطري الرابع أن علينا أن نملك حرية الحركة، خاصة على الصعيد العربي، لأن المعركة قومية، والمعركة عربية، ليست المعركة سورية، وليست فلسطينية، أو أردنية، ولا هي مصرية، أنا بهذا الكلام لا أريد أن أناقش ما كان مطروحاً الآن حول الشعب الفلسطيني كطليعة للكفاح المسلح، هذا الموضوع أمر آخر قد تكون له أهداف سياسية واعتبارات دولية أما معركتنا فهي عربية، لأننا شعب واحد ولأن الأرض المحتلة هي لأكثر من قطر عربي، بالإضافة إلى فلسطين سابقاً. لهذا لا بد من أن نستفيد من الطاقات العربية. ومن وجهة نظر عسكرية بحتة، وأيضاً من وجهة نظر جغرافية المعركة، لا بد من الاستفادة من الأرض العربية غير السورية.

إذن أستنتج أن علينا أن نستفيد من الأرض العربية، ومن القدرات العسكرية العربية، ومن القدرات الاقتصادية العربية، ومن القدرات السياسية العربية إن وجدت، في سبيل الإعداد لمعركة، إذا قررنا هذه النتيجة كيف يمكن أن نحققها وبيننا وبين تحقيق ما نريد حواجز، جدران ترتفع من الأرض إلى السماء، بملء إرادتنا وبتصميمنا، بحجج، وبمبررات لست ضدها، ولكنها كما قلت منذ قليل جزئيات وأشياء صغيرة جداً قياساً لما ينتظرنا في المستقبل على يد العدو الذي نتحدث عنه.

ولكي أكون منسجماً مع نفسي، صادقاً مع حزبي، صادقاً مع وطني، مع الشعب الذي أنتمي إليه، وبما لا يخرج إطلاقاً على تقاليدنا الحزبية قررت أن لا أكون في القيادة القطرية وأن لا أرشح نفسي للقيادة.. وعندما لا أرشح نفسي للقيادة فإن هذا لا يعني (الحرد). ولم يرد إلى ذهني أنني لن أكون حزبياً، وأنني لن أكون الحزبي الملتزم.. ولكنني أردت فقط أن أشعر ببعض الراحة، راحة الضمير، راحة الوجدان، أردت أن تأتيني الأوامر من القيادة، وأن أكون منفذاً فقط، وأشعر في هذه الحالة أن مسؤوليتي تكون أقل.. خلال

سنوات الثورة، لم يلزم أحد أن يكون عضواً في قيادة الحزب، وأعتقد أن البعض من الرفاق شاهدوا إصراري ورفضني أن أشرح للقيادة القطرية للحزب آنذاك.. وأؤكد وأكرر أنه لم يكن في ذهني إلا أن أكون الحزبي الملتزم، وجاءني كثير من الرفاق العسكريين والمدنيين وقلت لهم ما أقوله الآن، من أنه انسجاماً مع ما أعتقد به وانسجاماً مع نفسي و.. الخ، يجب أن لا أكون عضواً في أعلى قيادة في هذا القطر ولكنني سأبقى عسكرياً أنفذ الأوامر، فهذا يعطيني وقتاً أكثر ويمكنني من بذل جهد أكثر وأصبح أقرب إلى عملي العسكري البحت.

أرجو في تعليلي لبعض ما يأتي أن لا يظن أحد أنني أكره إنساناً في هذا الحزب، أو أنني أحمل في نفسي أية ضغائن لإنسان. وأنا أؤكد أن رفاقنا في قيادة الحزب كما أرى وأشعر من خيرة المناضلين، فالمفروض أن ينتخبهم المؤتمر.

كما ذكرت، لم يرد إلى ذهني أن لا أكون الحزبي الملتزم.. أيضاً لم يرد إلى ذهني أن أكون ضحية حرية الرأي.. لم يرد إلى ذهني أن يمارس ما مورس ضدي بالذات وأنا عضو قيادات الحزب المستمرة.. ولست ثانوياً في ثورة الحزب من أجل ما أبديت من الرأي، أتخذ قرار تحت عنوان (تبديل مراكز القوى)، من أجل هذا الرأي فقط، لماذا لم يؤخذ إلا في ذلك الطرف؟ لماذا لم يؤخذ إلا في ذلك الوقت؟ عندما قلنا ما قلناه انطلاقاً من قناعتنا. وعندما أقول قلنا ما قلناه أقصد أن هذا الرأي يقوله كثيرون من رفاقنا في هذا الحزب. كان رأيي ورأي كثير من الرفاق أن مثل هذا القرار الذي اتخذ بسبب إبداء رأي يتعلق بمستقبلنا كله.

هذه قناعة بالنسبة لي لا مجال للشك فيها إطلاقاً لأنه عندما يمارس الإرهاب ضدي أنا بالذات بسبب إبداء الرأي، فمن الذي لا يمارس ضده هذا الإرهاب في الحزب؟ لا أحد.. لاسيما أنني ممن عاصروا هذه الثورة وكانوا باستمرار قبل تنفيذها وبعد التنفيذ من الأساسيين فيها، وأعرف كل شيء

عنها وعن مؤسساتها الحزبية وغير الحزبية، وأعرف تاريخها بتفاصيله، وقد يكون بيننا في هذا المؤتمر القليل القليل ممن يعرفون هذه التفاصيل.

عندما صدر هذا القرار وربطته بما كنت أسمع، وقارنته بما أعرف عن بعض رفاقنا، أصبحت لدي القناعة المطلقة أن هذا الحزب إذا ما سيطر عليه هذا الفكر، هذه الممارسة.. هذا النوع من الممارسة، فهذا الحزب يصبح عبارة عن تنظيم، عن هيكل فارغ من أي محتوى، وأي مضمون.

وسأتي لكم ببعض الأمثلة. أرجو أن يعلم الجميع أنني أكنّ للرفيق الأمين العام المساعد^(*) كل حب واحترام وأقدر له ما يتمتع به من كفاءة وأقدر نضاله وأعرف عنه أكثر مما يعرف الكثيرون في هذا المؤتمر.. ولكن أعرف وبالتجربة ومن خلال الممارسة أن هناك في الحزب طبعاً معيناً لست أدري ماذا يمكن أن أطلق عليه، سأقول (عقلية)، وليس لدي ولا أستطيع إلا أن أقول إنها (عقلية الاستهلاك والتصفية).. قد يقول من يمارس هذه الممارسات إنها هي التي تخدم الحزب، وتبني الحزب، وتخدم الثورة، وتبني الثورة، ولكنها عقلية على كل حال موجودة.

قبل (8/آذار) كان هناك لجنة عسكرية، هذه اللجنة كنت أنا أحد أعضائها، وكان الرفيق (صلاح) أحد أعضائها أيضاً، وكان هناك رفاق آخرون، هذه اللجنة كانت هي كل شيء بالنسبة للثورة والحزب، كانت كل شيء، هي التي كانت تعين الممثلين العسكريين إلى القيادات الحزبية، وهي التي كانت تعين أعضاء المجلس الوطني، وهي التي كانت تعين الوزراء، وأقول باختصار كانت كل شيء..

ومنذ الأيام الأولى للثورة عين الرفيق (صلاح جديد) معاوناً لمدير إدارة شؤون الضباط. وأصبح هذا المركز (معاون مدير شؤون الضباط) هو مركز

^(*) الرفيق صلاح جديد.

الثقل بالنسبة لنا جميعاً في اللجنة وفي الحزب وفي كل ما يتعلق بنا كبعثيين، ومعاون مدير إدارة شؤون الضباط كمركز بحد ذاته مركز، ولكنه ليس مركزاً أساسياً بالنسبة للدولة، ولا أريد بهذه المناسبة أن أقلل من الخدمات الجلى التي قدمها الرفيق (صلاح) عند استلامه لهذا المركز وخاصة في أوائل الثورة، ولكنني أناقش الأمر من زاوية أخرى وهو أن السلطة أصبحت هنا في هذا المركز.. بعد فترة انتقل الرفيق (صلاح) إلى رئاسة الأركان العامة فأصبحت السلطة في رئاسة الأركان، وأنا بالذات ويعرف الرفيق (صلاح) أنني أدرك هذا الشيء، لأنني عضو معه في اللجنة العسكرية، ولأنني مرتبط معه بعلاقة الرئيس والمؤوس من خلال عملي في القوى الجوية وكانت هناك أشياء تتعلق بي بالذات وباعتباري كنت ممثلاً للقوى الجوية في اللجنة. هناك كثير من القرارات كانت تتخذ في اللجنة ولا ينفذها اللواء (صلاح) كرئيس أركان (لأنه لا بد لها من قرار تنفيذي) إلا عندما يقتنع بها ويتقديري، يذكر الرفيق (صلاح) بعضاً من هذه الأمثلة.. بالنسبة للحزب عندما كان الرفيق (صلاح) عضواً في القيادة القومية، كانت القيادة القومية كل شيء، وأصبحت اللجنة العسكرية ثانوية جداً.. هنا في هذا المؤتمر كان معي في أول قيادة قطرية وكان أمينها العام (حمود الشوفي)، كان معي بعض الأعضاء الموجودين حالياً في هذا المؤتمر لم يسمح لنا ونحن أعضاء القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي بأن ندخل المجلس الوطني، لم يسمح لنا إطلاقاً، رغم أننا أعضاء قيادة قطرية، وثلاثة منا، وهم العسكريون أعضاء أيضاً في اللجنة العسكرية، لم يسمح لنا.. ودارت مناقشات حادة بيننا آنذاك ولم ندخل المجلس الوطني، فئات أخرى غير حزبية دخلت المجلس الوطني، وأنا لا أذكر شيئاً من عندي.. ولكن هذا ما حصل.. وفي تقديري أن (ميشيل عفلق) الرفيق السابق والذين كانوا معه لم يكونوا الأساس باستمرار.. وعندما لم يرشح الرفيق (صلاح) نفسه للقيادة القومية وأصبح عضواً في القيادة القطرية، أصبحت القيادة القطرية هي المسؤولة عن السلطة في القطر العربي السوري. ويذكر أحد

الأعضاء، أو بعض الرفاق الذين كانوا أعضاء على ما أذكر، في المؤتمر السادس والسابع لم يرشح الرفيق صلاح نفسه إلى القيادة القومية رغم إلحاحنا جميعاً عليه، لم يرشح نفسه لكي يكون عضواً في القيادة القومية.. وربما لا أذكر كل تفاصيل الموضوع. المهم عندما انتقل الرفيق (صلاح) من القيادة القومية إلى القيادة القطرية، أصبحت القيادة القطرية هي كل شيء وهي السلطة، وعلى صعيد الوطن العربي، وهنا بالذات بدأ يتفجر الخلاف بين القيادتين القومية والقطرية، وأذكر عندما عينت القيادة القطرية، وأنا كنت عضواً آنذاك في القيادة القومية، وهي آخر قيادة قومية قبل (23/شباط)، احتجت القيادة القومية على أحدهم، لم يرد أحد على القيادة القومية آنذاك وقيل لا علاقة للقيادة القومية بمواضيع السلطة. هذه أمثلة.. مراكز ومؤسسات مختلفة ذكرتها منذ بدء الثورة حتى الآن، لكي أقول كيف كانت تنتقل السلطة وتكتسب الشرعية من مكان إلى مكان ومن فترة إلى فترة بين وقت وآخر.

هذه (العقلية) كانت آثارها واضحة حيث انعكست على تصفيات لأشخاص كان لهم دور قيادي في بعض مراحل هذه الثورة. وسأورد أيضاً بعض الأمثلة:

اللجنة العسكرية التي ذكرت كانت هي قمة التنظيم العسكري الحزبي والسلطوي بالنسبة للبعثيين في الجيش. طبعاً رفاق (8/آذار)، وبالمناسبة هناك بعثيون في الجيش، وإلا لما كانت ثورة (8/آذار) وتحولت لصالح الحزب، أنه (لو لم يكن في هذا القطر جيش عقائدي)، لما كانت هناك سلطة للحزب، لما انعقد هذا المؤتمر، ولما كانت هناك في هذا القطر مقاومة وعمل فدائي واستعداد عسكري، ولكننا شيئاً آخر، ولما كانت هناك أي سلطة للحزب في هذا القطر. وكل المؤامرات التي تعرض لها حكم الحزب لم تستطع الجماهير.. جماهير الحزب أن تضرب هذه المؤامرات، (ولم يضرب كل المؤامرات التي تعرض لها حكم الحزب، إلا هذا الجيش العقائدي)، جيش حزب البعث العربي

الاشتراكي، هؤلاء سواء منهم من وصف بالمناضل أو من وصف بغير المناضل، ولا أقصد من هذا الكلام أن أدافع عن أخطاء أي إنسان إطلاقاً، هناك خطأ ولكن الخطأ لا يقلل من أهمية هؤلاء المناضلين ولا يقلل من أهمية هذا الجيش للقائدي إطلاقاً وفي دوره بحماية الثورة بالذات، وفي دوره بحماية حكم الحزب بالذات.. هذه اللجنة كما ذكرت كانت قمة التنظيم الحزبي وكنا نعقد أحياناً مؤتمرات للبعثيين في فترات متباعدة.. وفي أحد هذه المؤتمرات، وبعد إخراج (زياد الحريري) من سورية، وكان رئيساً للأركان، قررنا أن يعين رئيس للأركان، وكان (أمين الحافظ) آنذاك أصبح قائداً عاماً للجيش.. جيء به من وزارة الداخلية إلى رئاسة الأركان، ثم إلى قيادة الجيش بعد ذهاب (لؤي الأتاسي).. عندما جئنا إلى المؤتمر، حسب ما أذكر، لم تكن قد حدثت بيننا بعد أية مشاكل.. لا تنظيمية، ولا سلطوية، ولا أذكر أنه كان بيننا أي نوع من أنواع المشاكل بالنسبة للتنظيم العسكري، وكان هناك صفاء وود، لأن المؤامرات كانت تحيط بنا من كل جانب، وكنا متماسكين إلى أقصى الحدود، وكنا ننام باستمرار في وحدتنا ونسهر كل الليل، وهذا الشيء معروف (مؤامرة 18/تموز، حدثت نهاراً لأن البعثيين لا ينامون في الليل)، ولما جئنا إلى المؤتمر، لم يكن في ذهن أحد منا إلا أن محمد عمران هو من سيكون رئيساً للأركان وذلك بسبب أننا جميعاً أعضاء لجنة عسكرية وكلنا مناضلون ولكن له دوراً أساسياً في هذه الثورة، وهو الأقدم رتبة بيننا لذلك الأقدم هو للمركز الأقدم، وأنا واحد من هؤلاء المؤتمرين العسكريين آنذاك، كان في ذهني هذا الشيء.. ولو طرح الأمر على التصويت لصوت عليه، ولكن (صلاح جديد) طرح الاقتراح التالي: (باعتبار أن رئيس الأركان سيعمل مع القائد العام للجيش، فيترك للقائد العام حرية اختيار رئيس (الأركان) وطرح الاقتراح على التصويت وفاز ونجح أيضاً، نجح لأننا كنا نثق بكل رفاقنا، لم تكن هناك أية بادرة، وحتى عندما طرح هذا الاقتراح فقد كنت من البساطة آنذاك، بحيث اعتقدت أن المقصود هو إعطاء صلاحيات دعم معنوي للقائد العام، وهذا القائد العام لاشك في أنه سيختار

مباشرة الرفيق (محمد عمران)، باعتباره أقدم الحزبيين عسكرياً، لهذا السبب فقط كنت أتوقع ذلك، وإذ بالرفيق اللواء (صلاح) يعين آنذاك رئيساً للأركان. وفي تقديري أنه من هذه الجلسة بدأت بوادر تصفية (محمد عمران).. أرجو أن لا يفهم أحد أنني أعطف على (محمد عمران) أو أن أخطئه صغيرة أو أنه من المناضلين الذين يجب ألا يبعدوا، لا أقصد هذا، فنحن نأتي على حوادث مررنا بها ولا بد من أن نستفيد منها في مسيرتنا المستمرة.. من هنا بدأت تصفية (محمد عمران)، ولم يطل الزمن بعد هذا المؤتمر، فأخرج محمد عمران وأنا أحد أعضاء اللجنة العسكرية الذين ذهبوا لمرافقة (محمد عمران) إلى الطائفة، وحتى عندما أخرج كان في ذهني أيضاً أن من الممكن أن يعطي (محمد عمران) تصريحات لصحف لبنان بالعطف على الناصريين آنذاك، الأمر الذي يبيلب الثورة ويبيلب صفوف البعثيين.. فليخرج الآن، وعندما نقضي على أعدائنا جميعاً يمكنه أن يعود ويتابع المسيرة معنا.. لم يكن في ذهني إلا هذا، ولقد أكدت وأنا واحد من الرفاق الذين رافقوا (محمد عمران) آنذاك إلى الطائفة، أكدت له هذا الكلام، وكنت قانعاً بكل كلمة قلتها له، لكن (محمد عمران) خرج ولم يعد.. وأذكر آنذاك أننا في اجتماعنا في بيت (أمين الحافظ) أرسلنا لإخراج (محمد عمران)، وخرج الرفيق (صلاح) والرفيق (أمين الحافظ) آنذاك لزيارة أحد المعسكرات في قطنا، ونحن ذهبنا لتنفيذ المهمة. هذا أول رفيق صادق كان له دور أساسي في الثورة.. وصُنِّي.. ومن هذا المؤتمر، أقصد ذلك المؤتمر العسكري بدأت تصفية (محمد عمران).

كانت هناك ثقة مطلقة، حسب ما يبدو لي على الأقل، ولكن من رفاقنا، بين الرفيق (صلاح) والقائد العام للجيش آنذاك (أمين الحافظ).. وطبعاً لا أريد أن أسجل هنا مأخذ إطلافاً، لقد كان بيني وبين (أمين الحافظ) مثل هذه الثقة وأكثر، هناك قناعات تتغير على ضوء الأعمال، لا أريد أن أسجل أيضاً مأخذ أو أدافع عن صُنِّي ولكن أذكر مراحل لحوادث مررنا بها لها دلالات عميقة قد تؤثر بشكل جذري في مسيرة حزبنا وثورتنا، الرفيق (صلاح) يذكر

تماماً رأيه بالرفيق (أمين الحافظ)، الرفيق (أمين الحافظ) آنذاك، وبعد مرور
بفترة، بدأ يمارس دوره في قيادة الجيش كقائد عام للجيش والقوات المسلحة،
عندما بدأ يوقع بعض البريد بدأت نهايته، لأن كل شيء كان يصدر بقرار
وبتوقيع اللواء (صلاح) باسم القائد العام، عندما عاد (أمين الحافظ) ليمارس
بعض دوره، بدأت نهايته، وبدأ الرأي به يتغير على ضوء هذه الممارسة، أنا
أيضاً بدأ رأيي (بأمين الحافظ) يتغير على ضوء ممارسات أخرى.. كان هناك
في هذا المؤتمر ومنهم الأمين العام والرفيق (إبراهيم ماحوس) كانوا أعضاء
معي في القيادة القومية التي كنت عضواً فيها، وجميعهم يذكرون موافقي من
(أمين الحافظ). تغير رأيي (بأمين الحافظ) على ضوء ممارسات أخرى، أما
الرفيق (صلاح) فقد تغير رأيه (بأمين الحافظ) أكثر فأكثر إلى الخطأ، وصُفّي
(أمين الحافظ).

طبعاً هؤلاء الذين أذكرهم، هم دورهم أت لأنهم مخطئون بحق الحزب،
وبعيدون عن فكر واستراتيجية وعقل الحزب، ولكن الرفيق (صلاح) صاحب
المبادرة الأساسية، والذي استطاع أن يجعل الزمن أيضاً يستثمر بأسرع ما
يمكن في تصفية هؤلاء.. وقد يكون في ذلك مصلحة الحزب.

وهناك أمثلة أخرى أيضاً، أكتفي بما ذكرت لأقول لكم، عندما صدر هذا
القرار المنوه عنه والذي أريد له أن يصدر باسم الشرعية باسم قيادة الحزب..
(تغيير مراكز القوى) لكي يكون بريئاً جداً، عليه كل طلاءات ودهانات
الشرعية، المقصود فيه هو فقط أنا لأنني بدأت أقول كلمة لا تسر الآخرين..
وليس شيئاً آخر.

بالمقارنة مع ما كنا نسمع، وبالمقارنة مع ما أعرفه من تاريخ هذه الثورة،
ومن تجربتي فيها، ومنها بعض ما ذكرت.. عندما تكون أمامي هذه الصورة،
ماذا تريدون مني أن أتصور حزينا هذا؟ أتصوره هيكلاً خالياً من كل محتوى،
وأتصور نفسي مخادعاً كاذباً عندما أقول إنني ملتزم بمثل هذا القرار، وأن
هذا القرار يمثل الشرعية.

إن هذا القرار أبعد ما يكون عن الشرعية، والآخرين لا يعرفون شيئاً، لا يعرفون إلا المظاهر. قد يقوم أحد منهم بعد قليل ويرد ولا يقبل بهذا الكلام أعرف هذا سلفاً، ولكن سواء أقام بعض الرفاق في القيادة أو لم يقوموا، أقالوا غير هذا الكلام أو لم يقولوه، فلي تجربة لمستها بنفسي ورأيتها بعيني، لا يمكن لأي حجة أو أي كلام من أي عضو من أعضاء القيادة أن يغير هذه القناعة، لأنها جاءت نتيجة تجربة ولم تأت لا بالاستنتاج ولا بقراءة الكتب.

أقل من هذا بكثير.. كان واضحاً أمام عيني قبل (23/شباط) أقل من هذا، كان لدي من الدلائل أقل مما يسيء إلى فهمي للحزب وتصوري له، الأمر الذي أقتنعي بضرورة الدفاع عن الحزب ضد أعلى مؤسسة في الحزب وهي القيادة القومية، وأنا أحد أعضاء هذه المؤسسة. وهناك في هذه المؤسسة من الأعضاء من يتمتع بسلوك شخصي أحترمه وأقدره، ولكنني عندما شعرت واقتنعت أن الحزب في خطر نتيجة تصرف هذه المؤسسة، وقفت إلى جانب الرفاق آنذاك الذين كانوا أعضاء في القيادة القطرية، وهم يعرفون أنني لم أقتنع إلا بعد جهد وعناء بالتحرك العسكري ضد القيادة القومية.

(أحمد سويداني) جاء إلى مكثي مرات كثيرة قبل (23/شباط) بفترة، وهو موجود الآن في السجن، وإذا أردتم فليأت، وسأذكر هذه الحادثة والتي تكررت أكثر من مرة، جاء إلي وقال: «هؤلاء لا فائدة منهم يجب أن نتحرك، هات هالعسكر وخلينا نمشي»، نعم على القيادة القومية.. أنا كنت قائد قوى جوية آنذاك، وكان يأتي لعندي من أجل أن نتحرك عسكرياً ضد القيادة القومية، وكان قد بدا في القيادة القومية أن لي وجهة نظر تلتقي مع رفاقنا في القيادة القطرية والتي حُلَّت فيما بعد. وكانت القناعة قد حصلت عند رفاقنا أنه لا بد من تحرك عسكري ضد هذه القيادة القومية آنذاك، و(أحمد سويداني) أحد هؤلاء الرفاق السابقين الذي جاء ليقتنعي بضرورة الإسراع بالتحرك العسكري. أذكر أنني قلت له: «لو قطعوا يدي لما حركت جندياً

واحداً»، وكررت هذا الكلام مرات ومرات، وفي الوقت الذي كنت فيه أقف بكل شراسة في جلسات القيادة القومية أمام الآخرين الذين كانوا يسيئون إلى الحزب، لم أكن مقتنعاً إطلاقاً بالتحرك العسكري، ورفاقنا يعرفون، رفاقنا الموجودون الآن، يعرفون موافقتي على التحرك أو عدم موافقتي قد تكون هي الأساس في نجاح أو عدم نجاح (23/شباط)، أعتقد أنهم يعرفون ذلك. وفي تقديري لو وافقت لكانت (23/شباط) حدثت في وقت مبكر.

وطبعاً بالممارسة اقتنعت أنه لا بد، كما قال المؤتمر القومي التاسع، من التحرك، هذا الأسلوب الذي نشجبه وشجبناه في المؤتمر، ولكنه لا بد منه. أقول عندما اقتنعت آنذاك بالتحرك من أجل (23/شباط)، لم تكن أمامي الصورة الرهيبة المفزعة المرعبة التي رأيتها أمامي عندما صدر هذا القرار.. قرار (تغيير مراكز القوى) وحتى صيغة القرار، في صيغة القرار نفسها الكثير من الحبك. فإذا كان أقل من هذه الصورة جعلني أساهم في الوقوف ضد اليمين في (23/شباط)، فمن الطبيعي أن أقول لرفاقنا في قيادة الحزب عند صدور هذا القرار: لا.. هذا القرار لا يمت إلى الشرعية بصلة ولا يمت إلى مصلحة الحزب بصلة. عندما قلت لا.. لم يكن في ذهني موازين القوى هنا وهناك، ولم أكن أعرف من معي ومن ضدي في هذا الجيش إطلاقاً، ولو لم يكن معي سوى عشرة جنود لقلت لا، لم أكن أعرف إطلاقاً، وكان هناك عدد من العسكريين ليسوا من رأيي لسبب أو لآخر ولكن قلت لا، وأؤكد لو لم يكن إلى جانب رأيي سوى عشرة جنود أو غير حزبيين لقلت لا، أو حتى عشرة مدنيين، لو لم يكن إلى جانب رأيي سوى نفسي لقلت لا.. أما القدرة على التنفيذ أو عدم القدرة على التنفيذ فهذا شيء آخر.

بغض النظر عن النتائج، لأن العمل في الحزب قناعة، وعندما تتزعزع هذه القناعة، عندما تتصدع، كيف يمكن أن يطلب منا الالتزام؟ عندما أشعر أن هذه القيادة تتصرف بمعزل عن تقاليد الحزب، هل يمكن أن أعترف بها أنها

قيادة حزب؟ أبداً، هذا التصور في ذهني باستمرار، كل منا في القاعدة وفي القمة، عندما يشعر أن الحزب لا يمثل مصالح الوطن، لا يمثل طليعة الشعب، لا يعمل من أجل مصلحة الحزب والشعب، لن يلتزم إطلاقاً بما يسمى هيكلاً أو قيادة أو تنظيمًا، في أي وقت من الأوقات عندما أشعر أن الذين أعمل معهم ليسوا بعثيين لن ألزم بهم ولا بقراراتهم. والآن في هذا المؤتمر كل منا عندما يشعر أن هذا المؤتمر لا يمثل الحزب يجب أن يذهب من هذا المؤتمر. العمل في الحزب قناعة، أعتقد أن هذه بديهة لا مجال لمناقشتها في أي وقت يستطيع الإنسان أن يفك التزامه بالحزب عندما يقتنع لأي سبب أن هذا الحزب لا يعبر عن مصالح الجماهير، لأننا دخلنا بهذه القناعة، وقد رتقا على النضال والاستمرار متوقعة على استمرار هذه القناعة.

لذلك قلت لهم لن أنفذ. وهناك جلسات ولقاءات كثيرة، وجاءني الأمين العام والأمين العام المساعد إلى مكتبي ليلاً، بعد منتصف الليل بالضبط، بعد أن علمت وبعد أن تأكد لي أن هناك رفاقاً مدنيين قد يكون بعضهم في هذا المؤتمر، ذهبوا واتصلوا بالضباط الجيش وقالوا لهم: «سيصدر بعد قليل قرار هام بكذا وكذا، وعندما دخل الأمين العام المساعد إلى مكتبي كان الضباط خارجين من المكتب وقد رأوهم على باب المكتب، ولكن عندما بلغت من قبل الضباط لم أصدق ولم أعر أي انتباه لهذا الكلام، ولم أصدق إطلاقاً واعتبرت أن هناك من يريد أن يثير فتنة في الحزب، وإذا بالأمين العام والأمين العام المساعد يدخلان ويبلغاني ما قاله لي الضباط الذين كانوا في مكتبي وبما قاله المدنيون الذين مروا بالضباط الذين ذهبوا إليهم أثناء انعقاد الاجتماع المشترك، ولم يكن القرار قد اتخذ بعد، والضباط موجودون وأستطيع أن آتي بهم إلى هذا المؤتمر ليكرروا هذا الكلام، ورجوت آنذاك الأمين العام والأمين العام المساعد أن يقدرنا مصلحة الحزب، وألا نضع بعضنا في الزاوية، وأن لا يدفع بعضنا البعض الآخر إلى مواقف حرجية قد تسيء إلى سمعة الحزب وسمعة الثورة، وأنا أذكر ذلك الموقف تماماً، وهزّ الرفيق الأمين العام المساعد

برأسه كأنه يقول انتظرنا فسنرى، وقال لي مثل هذا الكلام بعد يومين أو ثلاثة خلال تلك الفترة الرفيق (أحمد الأمير) وهو عضو الآن في هذا المؤتمر. وفي تقديري أنه تذكر مصير من سقطوا سابقاً وقال بما معناه (لا أذكر بالضبط): «أرجو ألا أراك مستقبلاً يا أبو سليمان في وضع حرج.. أو بهذا المعنى، طبعاً أراد أن يفهمني منطلقات مختلفة كلياً عن منطلقات الأمين العام والأمين العام المساعد، وأعتقد أنه كان يتكلم متأماً بالنسبة لي كرفيق أنه لا يريد أن يراني مستقبلاً (يعني ضربوني الجماعة وحطوني بالسجن) هذا ما فهمته، وقلت له: «خير»، ومر علي الرفيق (كامل حسين) وهو موجود الآن أمامي، وقال لي: «والنهاية، ماذا بعد»، قلت له: «أنا قاعد، لا أريد شيئاً من رفاقنا أبداً، وغداً تجيء المؤتمرات ونعود للنقاش في المؤتمرات»، قال لي: «لا يمكن، يجب أن تنفذ القرار..» قلت له: «أنا لن أنفذ، وقاعد مكاني ولن أرفع السلاح، ولكن إذا جاء رفاقنا لعندي فإنني مضطر لأدافع عن نفسي»، قال لي: «والله بدهم يجو عليك»، قلت له: «يريدون أن يجيئوا إلى هنا»، قال: «نعم» قلت له: «على كل الساحة موجودة، وعندما يأتون هنا الأمور جدية جداً»، لا أعرف الجو الذي أحاط بالقيادة خلال تلك الفترة، لكن الشيء الذي أعرفه أنه كانت هناك تصرفات مستعجلة وارتجالية من قبل رفاقنا في القيادة، وأؤكد أنني بذلت كل ما أستطيعه من جهد لتلافي تصعيد الأمور، وكنت أعمل باتجاه، ورفاقنا في قيادة الحزب يعملون باتجاه آخر، ونجحت إلى حد ما في ضبط الأمور ممن يقبلون النصيحة أو الأوامر أو التعليمات.. استمرت الأزمة وقد لا يكون من المفيد أن تذكر كل التفاصيل.

أستطيع أن أجزم به هو أنني لم أعطِ أمراً واحداً، ولم أقرر تصرفاً واحداً، إلا انطلاقاً وعلى ضوء ما أدرك من مصلحة الحزب، ولو كان الأمر غير ذلك لكانت النتائج غير ذلك، ولما كنا الآن في هذا المؤتمر.. وبالتالي أستطيع أن أقول أيضاً إن من قال إن هناك انقلاباً عسكرياً خاطئ كل الخطأ. هنالك بينكم رفاق كانوا في المؤتمر الرابع الاستثنائي، من جاءهم من

العسكريين من هددهم؟ بتصوري لا أحد، وإذا حدث شيء من هذا فلا علم لي به، بالعكس.. كان هناك مؤامرة لتنفيذ انقلاب باسم الحزب، وهنا كثير من الرفاق يعرفون كلمة السر، وفي الحقيقة فقد نسيتها.. قيلت في المؤتمر القطري الرابع الاستثنائي.. (عيد سعيد).. وفي هذه المؤامرة ضباط، وهؤلاء الضباط كانوا سيدخلون إلى بعض القطاعات وكنت على اطلاع بكل هذه التفاصيل، ولم أتسرع أيضاً لو لم أكن في ضمير الحزب لو لم أكن أعيش الحزب بكل جوارحي، كان من المفروض بمجرد أن سمعت أن هناك مؤامرة وتأكدي من هذه المعلومات أن اضرب دفاعاً عن النفس وبسرعة.. وبتقديري أنني كنت أملك القدرة الكاملة، ولم يكن يستطيع أحد آنذاك أن يمنني من الضرب.. أيضاً لم أتصرف إلا بما يفيد الحزب، وبما يساعد على أن نجتمع في قيادة واحدة، وبما يساعد على أن نعقد أيضاً بعد سنتين مؤتمراً قومياً لترجع معاً وتناضل من أجل هذا الحزب.

جاء المؤتمر القطري الرابع الاستثنائي، أنا لم أكن أريد أن أتكلم فيه، ولكن طلب إليّ المؤتمر تقديم تقرير، كان رئيس المؤتمر الرفيق (حمود القباني) أو ربما نائباً لرئيس المؤتمر على ما أذكر، قدمنا التقرير بناء على طلب المؤتمر وخرجنا من المؤتمر القطري الرابع الاستثنائي وفي ذهني أنه خاتمة مثل هذه المشاكل، وفي ذهني أنه عودة إلى الصفاء، عودة إلى التعاون، عودة إلى النضال، عودة إلى إزالة كل أثر من آثار الأزمة السلبية.. ومن جهتي أنا فقد بدأت أمارس وبشكل صادق ومخلص، كل ما من شأنه أن يعمل على إزالة هذه الرواسب.

في أول جلسة كما ذكر الأمين العام المساعد، فعلاً، طلب إليّ وبإلحاح في الاجتماع المشترك أن أكون رئيساً للوزراء ووزيراً للدفاع، وأقول أكثر من هذا.. لو طلبت أن أكون رئيس دولة ورئيس وزراء ووزيراً للدفاع، لكان الأمر ممكناً، أنا أذكر الأمثلة التي جيء بها، جيء بالأمثلة عن (ستالين)، وفي ظروف الحرب،

فإن الشخص القوي هو الذي يستلم كل السلطات والصلاحيات، وجيء بأمثلة عن (قشرشل) والرفاق أعضاء القيادة موجودون الآن.. ولم أقبل أن أكون لا رئيس وزراء ولا رئيس دولة.. والذي يريد السلطة يا رفاق، رئيس الوزراء أعلى من وزير الدفاع، وأنا لن أكون رئيس وزراء واجهة، إذا كنا نريد أن نأخذ ببعض الأقوال المتداولة في الشارع. فلان يوضع واجهة وفلان يكون القائد الفعلي.

أولاً تجربة رفاقنا معنا هناك الدكتور (يوسف) كان رئيس وزراء، وكنت وزير دفاع خلال فترة طويلة، لابس بها ربما هي سنتان أو أكثر. باعتقادي لم يشعر في يوم من الأيام أنني كنت أتصرف معه على أساس أنه واجهة أبداً وإن كان لديه مثال واحد يستطيع أن يأتيني به، أنا جاهز لمناقشته.. كنت أشعر أنه رئيس وزراء وأنا وزير، بكل ما تعني الكلمة من معنى وينطبق الشيء نفسه على الرفيق الأمين العام كان يدعوني للظهور في كثير من المناسبات كنت أذهب وأنا غير منسجم وغير راغب، وإذا كنت أذهب فلأنني كنت أخشى أن يقول الرفيق الأمين العام إن أوامره لا تنفذ، وعلى هذا القول أيضاً عندما أكون أنا رئيس وزراء لن يستطيع وزير دفاع في الدنيا ولا قائد جيش أن يجعل مني واجهة له إطلاقاً، سيكون تحت أوامري بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى لذلك ما رفضت رئاسة الوزراء لاعتقادي أنني سأكون واجهة، لا، وإنما لأنني لست راغباً في الصعود إلى أعلى، خاصة وأن الشيء المطروح كان أن أكون رئيس وزراء ووزير دفاع، هذا الكلام تؤكد مسيرتي الماضية.. إنني جئت لوزارة الدفاع مرغماً في (23/شباط).

وفي (23/شباط) أول كلمة أذيعت بعد البيان، تعيين (حافظ الأسد) وزيراً للدفاع، كان (محمد الزعبي) في الإذاعة أرسلت له أحد الضباط ليقول له «هذا الكلام غير متفقين عليه يجب أن تذيع شيئاً آخر»، وأذيع بعد نصف ساعة أن الرفيق (حافظ الأسد) مكلف باعتباره أقدم ضابط في القوات المسلحة (آنذاك) بتسيير أمور وزارة الدفاع لأن هناك تنقلات لا بد من إجرائها،

وهناك أشياء سريعة لصالح الحركة لا بد من إنسان مسؤول للبت فيها، وأيضاً عندما شكلت أول وزارة رفضت أن أكون وزيراً للدفاع وعندما أُلح عليّ ظهر اسمي بالمرسوم والمراسيم موجودة قائد قوى جوية يتمتع بصلاحيات وزير الدفاع.

على ما أذكر مثل هذا الكلام وارد في تقريرتي، وفي الوزارة الثانية التي شكلت، والدكتور (يوسف) كان يصر على أنه لا يجوز مثل هذا الشيء وأنه يجب أن أعلن كوزير للدفاع.. واعتقد أنه يذكر هذا الشيء، ولعله كان ينظر للموضوع من ناحية أخرى، أي يجب أن يأخذ كل واحد مكانه الطبيعي.

وزير دفاع لم أقبل، لماذا؟.. لم أقبل لأنه لم يكن في ذهني أن أبرز إلى الأمام، ولم يكن في ذهني أن أكون في قمة السلطة، كل ما أطمح إليه هو أن أكون ضابطاً في هذا الجيش، أعمل من أجل هذا الحزب في أي مستوى كان.. هذا ما كنت أطمح إليه، وتمشياً مع هذا الطموح أيضاً في المؤتمر القطري الذي عقد بعد حركة (23/شباط) لم أرشح نفسي للقيادة القطرية وتأخرت الانتخابات لمدة ساعتين، واجتمعنا في الغرفة المجاورة التي هي في المجلس النيابي وقلت لهم لن أرشح، وكانت حجتني يوم ذلك أنني كنت عضواً في القيادة القومية، وصارت الحركة وأنا من المساهمين الأساسيين فيها، وأنا مؤمن بمنطلقات (23/شباط) والجيش فيه (هزة) وأنا عندما أكون خارج القيادة أستطيع أن أدافع وأتكلم بحرية أكثر، أما عندما أكون داخل القيادة، ربما يظن الناس أنني أدافع عن مؤسسة أنا فيها ولي مصلحة شخصية فيها، وهذا الشيء ينطبق أيضاً على موضوع وزير الدفاع، واعتقد أن الرفاق والرفيق الأمين العام المساعد بالذات، يذكرون أنهم رفضوا رفضاً مطلقاً إلا أن أرشح نفسي للقيادة القطرية.. وفي اعتقادي لو بقيت يوماً أو يومين أو ثلاثة لم أرشح نفسي للقيادة القطرية، لما حدثت الانتخابات آنذاك.. ورضخت لرغبة الرفاق.. ورشحت نفسي للقيادة القطرية.

وفي أول مؤتمر قومي، المؤتمر القومي التاسع، لم أكن في جلسة الانتخابات، وطلبت من مكتبي إلى المؤتمر القومي التاسع، وبعض المؤتمرين حالياً كانوا طبعاً في المؤتمر القومي التاسع، وتذكرون جيء بي إلى المؤتمر وكان في المسرح العسكري وسُئلت لماذا لم أُرشح نفسي، وفهمت أن المؤتمر لم يقبل اعتذاري وأنا غائب. لماذا لم أُرشح للقيادة القومية، وقلت لكم يومها «يا رفاق أنا أشتغل قائد جوي، ووزير دفاع، وفي القيادة القطرية، أرجو إعفائي من الترشيح للقيادة القومية»، وعلى ما أذكر كان هناك موافقة من المؤتمر، وجيء بي إلى المؤتمر، كما فهمت للاطمئنان من قبل المؤتمرين، أن الموضوع ليس موضوع حردّ أو رفض لأي سبب، بل كان لأسباب موضوعية وليست غير حزبية. يؤكد هذا أيضاً عندما رفضت أن أكون رئيساً للوزراء، كنت منسجماً مع هذه المسيرة الطويلة ولم تكن نزوة مؤقتة آنية.

وبهذه المناسبة أقول تكلم كثير من الناس وربما داخل الحزب، أن الرفيق (يوسف زعين) كما قالت الإشاعات عني آنذاك: أنني ضد أن يكون رئيساً للوزراء بشكل أو بآخر.. هذا الموضوع لم يناقش، ولم يطرح ولم أكن مع أحد ولا ضد أحد لا كرئيس وزراء ولا رئيس دولة ولا كوزير ولا في أي مكان أبداً.. وعندما اجتمعنا في القيادة القومية. الرفيق (يوسف) كان متألماً لسبب أو لآخر. وعلى ما أذكر شتم الشيوعيين آنذاك لأنه حصل قليل من الكلام في الحزب ويمكن أن الشيوعيين أنفسهم كانوا قاصدين مثل هذا الكلام، وكان متأثراً، وكان الرفيق الأمين العام هو الذي تصدى للإجابة مباشرة وقال: «ما عليه شيء أنا فهمان عالكتور (يوسف) وأنا مسؤول عن هذه المرحلة»، والأمر لم يأخذ مناقشة طويلة إطلاقاً.. أول وزارة شكلها الأمين العام، ما كاد الرفيق (يوسف) أن يقول إنه لا يريد تشكيل الوزارة، إلا والأمين العام يقول: «أنا فهمان عالرفيق (يوسف) أنا جاهز آخذ المرحلة على مسؤوليتي» وكلنا كان في ذهننا أن الأمر مرحلة مؤقتة، وخلال هذه المسيرة بعد المؤتمر القطري الرابع الاستثنائي، حاولت أن أفعل كل ما أستطيع باتجاه إزالة آثار الأزمة في كل

مجال أستطيعه، وهناك مواقف بارزة واضحة ثورية حدثت خلال هذه الفترة..
وإنه لما يؤلم أن يقال كل ما قيل عن السلطة وفي السلطة حزبيون قياديون
وأصدقاء للحزب.

أنا لست مسؤولاً عن السلطة في المرحلة الماضية أبداً.. في الوزارة أربعة
من أعضاء القيادة، أحدهم الأمين العام وثلاثة أعضاء قيادة موجودون الآن
مسؤولون عن وزارات وعن لجان أساسية، وقد تكلم الرفيق (مروان حبش) وهو
رئيس اللجنة الاقتصادية، وقد قام بأعمال الوزراء، الآخرون حزبيون أيضاً، لأن
الوزارة يجب أن يكون فيها على الأقل النصف زائد واحد من الوزراء الحزبيين،
أيضاً كان من الممكن أن يأتوا إلى هنا لكي يتكلموا أو يسمعوا الكلام عن
السلطة ويسكتوا.. أنا لست مسؤولاً عن وزارة الاقتصاد، ولا عن الإصلاح
الزراعي ولا عن الصناعة ولا عن أي وزارة أخرى.. أنا لم أ تدخل في أعمال
الوزارات اليومية إطلاقاً، وحتى الهاتف الذي يصل بيني وبين الوزراء مقطوع
(90%) من الوقت، والوزراء الحزبيون الموجودون هنا يعرفون هذا الشيء.. حتى
عندما كانوا يريدون أن يتصلوا بي كانوا يلاقون صعوبة، وقالوا لي ذلك أكثر
من مرة، أما السبب فهو أنني كنت هادفاً لأن أنصرف كلياً للقطاع الذي أنا
مسؤول عنه.. طبعاً هذا لا ينفي أنه كانت هناك علاقات عمل يومية، ولكن لا
أذكر ما هو الأمر الذي أعطيته لأي وزارة بالرغم من أنني آتي بالأقدمية بعد
رئيس الوزراء مباشرة، لهذا لا أذكر إطلاقاً أنني أعطيت أمراً لأي وزير حزبي
أو غير حزبي، أبداً ولم أ تدخل في شؤون الدولة إلا من خلال المؤسسات
السلطوية والحزبية التي أعمل فيها.. أنا كنت وزيراً، في مجلس الوزراء كنت
أحضر (99%) من اجتماعات الوزراء وأناقش كل الأمور شأني شأن أي وزير،
وكثيرة هي المراسيم التي صدرت ليست من رأيي، وحبذا لو كان الأمين العام
موجوداً خلال إلقاء كلمتي وبتقديري أنه لا يوجد لديه أي شيء.. أصلاً كل ما
يعرفه الرفيق الأمين العام ذكره. (حتى عن الأحاديث الشخصية بيني وبينه، إذا
شيء مرة ضحكناين ضحكة ذكرها)، فلو كان يذكر شيئاً بالنسبة للتجاوزات

أنها موجودة أيضاً لكان ذكرها .. الرفيق الأمين كما تذكرون، ذكر أحاديث خاصة بيني وبينه ذكرها بالتفصيل فلو كان يذكر تجاوزات حدثت كان لابد له من أن يرويها هي أيضاً.

أنا أفهم قيادة الحزب للسلطة وللجيش تمارس بمظهرين .. بأسلوبين، بقرارات القيادة وبفكر الحزب خلال هذين العامين. ما هي القرارات التي أخذت في قيادات الحزب ولم ينفذها الجيش؟ ما هي؟ قررنا تصعيد العمليات فصعدنا، قررنا التدخل في الأردن فنفذنا العملية، قررنا قطع خط التابلاين فقطعناه .. وكيف يقولون إن هذه القيادة لا تقود الجيش؟ من الذي يقوده؟ وكيف يمكن أن تمارس القيادة؟ هذه قرارات قيادة نفذها الجيش .. نحن صعدنا العمليات بقرار قيادة، وصعدناها إلى درجة أصبحنا قلقين لأن الأمور كادت أن تتطور إلى حرب، وطبعاً نحن لسنا جاهزين حتى الآن لأن نخوض حرباً ضد العدو .. وندعي أن الحزب لا يقود .. والسلطة ميتة، وكل شيء مشلول!! ماذا عملنا قبل هذين العامين أفضل مما عملناه خلالهما؟ ماذا أيها الرفاق؟ قبل عام /1968/ ما هو العمل الفذ الذي خلد مجد هذا الحزب أفضل من تلك الأعمال المجيدة التي ذكرت؟ ليقبل لنا ما هي هذه الأعمال التي هي أفضل عندما كانت السلطة حية والثورة نشيطة؟

المظهر الثاني للقيادة .. لحزب يقود مؤسسة الدولة والجيش هو فكر الحزب. ما هي النشرة التي وزعت على الجهاز الحزبي المدني ولم توزع على الجهاز الحزبي العسكري؟ ما هي؟ ما هو النشاط الحزبي المطلوب من كل الحزبيين العسكريين ولم يمارس كما هو مطلوب من الحزبيين المدنيين؟ .. طبعاً هناك أخطاء، هناك تقصير من حزبي عسكري، وتقصير من حزبي مدني .. لكن ما هو الشيء المميز المقصود الذي هو معطل على الصعيد المدني، وفي الجهاز العسكري اجتماعات واشتراكات ومناقشات ونشرات ونشاط مفروض لاكتساب أناس جيدين في الوحدات، ضباط وضباط صف وجنود كما هو

مفروض أن يكون في القطاع المدني.. طبعاً أنا أتكلم عن هذا الشيء وبطبيعة الحال لست المسؤول عن التنظيم الحزبي العسكري، ومنذ (23/شباط) وحتى الآن لا علاقة لي بالتنظيم الحزبي في الجيش إطلاقاً، التنظيم الحزبي في الجيش يرأسه مكتب عسكري، يرأس هذا المكتب أحد أعضاء القيادة القطرية، وفي فترة كان أحد أعضاء القيادة القومية أيضاً، أنا لست مسؤولاً، وحتى في هذا المؤتمر، لست ممثلاً للتنظيم العسكري وفي الجيش محاضر جلسات وغيرها لا ترفع إلى وزير الدفاع، وإنما ترفع إلى المكتب العسكري، أحياناً المكتب العسكري يحيل بعض المحاضر بعض الكتب، التي لها طابع سلطوي، والمكتب العسكري يمارس أعماله وفق ما اتفق عليه في (23/شباط) طبعاً لا أريد بهذا الكلام أن أقول إن العمل الحزبي في الجيش نموذجي، لا أعرف إذا كان نموذجياً أم لا، ليس لدي معلومات، وتمشياً مع ما ذكرت من العمل على إزالة كل أثر للأزمة مع قراري أن أكون إيجابياً حتى النهاية، ولأول مرة بعد (23/شباط) كنت اشترك بناء على طلب رئيس المكتب العسكري في كل الاجتماعات الدورية التي دعا إليها رئيس المكتب العسكري أنا والرفيق رئيس الأركان والرفيق الأمين العام. كان يدعونا للاجتماع كلما نظم اجتماع دوري لأمناء الفروع والشعب العسكرية المستقلة، كان يدعونا وكنا نحضر جلسة كاملة ونجيب عن كل الأسئلة التي تطرح، وحسبما كان يقال لي فإن الجلسات كانت مفيدة. لأول مرة كان لي مثل هذا النشاط بالنسبة للتنظيم الحزبي العسكري بعد (23/شباط)، لأول مرة ساهمت في مثل هذه المساهمات بعد المؤتمر القطري الاستثنائي، وبناء على طلب الرفيق رئيس المكتب العسكري، وهو موجود الآن، ولا أذكر أنني منعت أي نشاط للمكتب العسكري، فأنا كأحد أعضاء القيادة مسؤول طبعاً، كعضو في قيادة الحزب عن أي خلل قد يحدث في التنظيم الحزبي العسكري، شأن مسؤوليتي أيضاً عن أي خلل قيادي قد يحدث في التنظيم الحزبي المدني، ولكن كمسؤولية فردية لست مسؤولاً عن التنظيم الحزبي في القوات المسلحة. ولعل الرفيق رئيس المكتب العسكري كان يحتاج

إلى المزيد من الدعم مني بالذات. وكنا نحتاج إلى لقاءات أكثر، كأعضاء قيادة كلنا مسؤولون عن أي تقصير في أي مكان. وطبعاً إذا كان هناك سبب لقلة لقاءات بيني وبين الرفيق رئيس المكتب العسكري فلا شك أن قلة هذه اللقاءات لها مبرراتها بالنسبة لي (وأعني بذلك ضرورات العمل) ولم يكن المقصود قلة اللقاءات بيني وبين رئيس المكتب العسكري.

هكذا.. يقود الحزب الجيش.. بقرار قيادته.. بفكره، وأكثر من هذا، ناقشنا خطة كان قد قدمها الرفيق (مصطفى رستم) رئيس المكتب العسكري، وقلنا: «يا رفاق ماذا تريدون، ضعوا لنا عناوين كراسات.. غيره ماذا تريدون، هناك خطة تدريب سنوي توضع في القوات المسلحة، لنترجم هذا الكلام هذه الكراسات إلى ساعات عمل ويصبح هناك أناس مسؤولون عن التنفيذ ويحاسبون عند التقصير.. هذا الكلام كررته أكثر من مرة في القيادة وفي كل مكان، وكنت أكرره في الحقيقة أيضاً قبل الأزمة، كنت أقول مثل هذا القول قبل الأزمة، فإذا كان المقصود قيادة المؤسسة الحزبية للجيش والدولة والسلطة، هذا الشيء موجود ومتوفر، أما إذا كان المقصود، هو أن يكون لكل واحد في قيادة الحزب جزء من الجيش وجزء من وزارة الاقتصاد وإدارة من وزارة التربية، فهذا شيء آخر فهذه ليست قيادة حزب لا للجيش ولا للتربية.

الرفيق، أي رفيق، يجب ألا يتصور أن الدولة هو، وأن الحزب هو، وحيث يكون هو يكون الحزب وتكون الشرعية، إذا مارس كل شيء هو بنفسه وبمفرده، تكون السلطة حية.. وتكون الثورة حية.. ويكون الحزب بخير. هذا التفكير، هذه العقلية، لا بد من مناقشتها، والوقوف عندها والوصول إلى قناعة مشتركة بأنها لا تخدم الحزب، وإذا لم تصطدم اليوم بعقليته فستصطدم بها غداً، وإذا لم تصطدم بالرفيق (حافظ الأسد) فستصطدم غداً برفيق آخر، وزير تموين، أو عضو قيادة، أو عضو قاعدة.. وسترى أمامها عقبات كثيرة، واستمرار هذه العقلية ليست هي، على الإطلاق، في مصلحة الحزب، الاستهلاك مشكلة يجب

ألا تستمر مهما يكن الغطاء لهذه العملية، ومهما تكن الصبغة لهذه العقلية، يجب أن نقف بكل جرأة ونقول إن هذه صبغة وليست حقيقة.. والحزب بحاجة إلى كل المناضلين، الحزب بحاجة إلى كل قادته، بحاجة إلينا جميعاً، مهماتنا كبيرة، والمرحلة المقبلة، متفقون، أنها مرحلة صعبة وأنها نتحمل مسؤولية تاريخية بشكل فعلي.

الشعارات التي رفعناها، كما ذكر من قبل العديد من الرفاق، تحتاج إلى صفاء، تحتاج إلى النقاء، نقاء هذه الشعارات.. إذا لم نكن كذلك فسيحكم علينا التاريخ بغير الإخلاص، بغير روح المسؤولية.. لن تقيدنا أية تبريرات، سنحاسب على النتائج، يجب أن نفهم بعضنا أكثر، أن لا نُدفع إلى الزوايا الضيقة.. جميعنا كما قلت في أول يوم مناضلون، جميعنا بدون استثناء، والمناضلون يجب أن يتصرفوا بروح المسؤولية، بعيداً عن أي شيء آخر، وأتمنى أن نكون كذلك، لاسيما في هذه المرحلة بالذات، لأنها مرحلة دقيقة وصعبة.

لا بد لي من أن أقول، نسيت نقطة أعتقد أنها بحاجة إلى توضيح، فيما يتعلق بالأزمة. كثير من الرفاق ومن المواطنين أيضاً، يعتقدون أن اليمين هو خلف هذه الأزمة، وكثيرون منهم قالوا هذا القول وهم يعتقدون ويعرفون عكس ذلك تماماً، شأنهم عندما قالوا أيضاً إن الرجعية هي أيضاً وراء هذه الأزمة وهم يعرفون ويعتقدون غير ذلك.. على كل حال من لم يكن يعرف، من كان يعتقد غير ذلك فهناك من الأعمال.. من الدلائل المادية الحسية خلال هذين العامين ما يدل على خطأ هذا الاعتقاد.. اليمين تآمر علينا، وأنا بالذات، كثفت المؤامرة، وأنا بالذات أعطيت الأوامر مباشرة بعد اتصال هاتفي بالأمين العام لأنه كان لا بد من الإسراع.. كان أحد الضباط يريد أن يهرب وحتى لا يهرب أعطينا الأوامر بإلقاء القبض على المتآمرين، ومازالوا في السجن وشكلت محكمة، والمحكمة برئاسة الرفيق (حديثه مراد)، وكان مقدراً لهذه المحكمة أن تنتهي قبل أيام كثيرة، لكنها لم تنته حتى الآن، وربما هناك إجراءات روتينية..

تحدث مرة معي الرفيق (حديثه)، هناك بعض إجراءات روتينية هي التي تأخذ هذا الوقت.

من يتأمر مع اليمين لا يضرب اليمين، وأنا في وضع معنوي ومادي يسمح لي بأن لا أضرب اليمين إذا كنت متأمراً معه.

مجموعة التسميات التي أتمتع أنا فيها، بموجب قرارات الحزب، تجعل مني شخصاً أساسياً، وتجعل مني شخصاً يفترض في كل من يأتي إلى هذا البلد أن يراني، ليس من خلال الأزمة لا.. هذا خطأ، ولكن من خلال هذه التسميات وهذه المراكز.

وبهذا الشكل أنهى الرفيق اللواء حافظ الأسد حديثه الطويل الذي استغرق أربع ساعات مدافعاً فيه عن وجهة نظره.

نكليف بفيادة الجيش الشعبي..!!

في يوم 1970/12/28، ذهبت إلى الرفيق اللواء حافظ الأسد جرياً على عاداتي في زيارته يومياً في مكتبه في رئاسة مجلس الوزراء. فوجدته وحيداً في المكتب، ومنذ دخولي إليه استقبلني بمودة غامرة، وقال لي ونحن نشرب الشاي:

ما رأيك أن تتسلم قيادة الجيش الشعبي، هذا الجيش الذي سأعزز مكانته بتعييني عدد من الضباط أصحاب الرتب الكبيرة فيه، ولأن رتبتك صغيرة قياساً إلى رتبهم، أقترح أن تسرح من الخدمة، وتُحال إلى التقاعد، وتكون قائداً للجيش الشعبي برتبة وزير بحيث تظل أقدم من أي ضابط يأتي إليك مهما كانت رتبته، وأن تعامل معاملة الوزراء. وسألني: ما رأيك؟ كنت صامتاً أستمع إليه بهدوء شديد، لذلك قلت له: أنا موافق. فقال: منذ هذه اللحظة أنت قائد للجيش الشعبي، وبمرتبة وزير.

أذكر أنني أمضيت بقية الليل في مكتب الرفيق حافظ الأسد في رئاسة مجلس الوزراء، ثم ودعته وانصرفت، وقد صدر في اليوم نفسه (ليلاً) مرسومان، الأول: يقضي بتسريح وإجالتني إلى التقاعد. والثاني: تعييني قائداً للجيش الشعبي وبمرتبة وزير^(*).

أنني وفي تلك الآونة جرى نقاش مستفيض مع الرفيق حافظ الأسد حول طريقة العمل الحزبي في القطاعين المدني والعسكري وذلك من أجل تفعيل التنظيم الحزبي بحيث يكون مؤثراً ومبنياً على أسس نظرية واضحة. وقلت للرفيق حافظ الأسد لابد من العمل بقوة داخل الفرقة الحزبية في القطاع المدني للحزب لأنها هي عصب التنظيم الحزبي، وكذلك لابد من وضع لائحة داخلية للعمل الحزبي داخل القطاع العسكري. وبعد النقاش الطويل، طلب مني السيد رئيس الوزراء أن أضع دليلاً لعمل الفرقة الحزبية في القطاع المدني، ولائحة داخلية للعمل الحزبي في القوات المسلحة، وقد قمت بهذه المهمة خلال وقت قصير، وحين أطلع عليها السيد الرئيس حافظ الأسد بعد إنجازها أعجب بها، فأمر بطباعة دليل العمل في الفرقة الحزبية في القطاع المدني في مطابع إدارة التوجيه المعنوي في القوات المسلحة في شهر نيسان 1971، أما اللائحة الداخلية للعمل الحزبي في القوات المسلحة فقد نصح السيد الرئيس، وكي لا أكون موضع حسد من قبل الآخرين، رأى بأن تشكل لجنة مؤلفة من الرفاق: العقيد ناجي جميل، والرائد عز الدين إدريس وأنا، وقد صدرت هذه اللائحة مطبوعة كما وضعتها، لأن العقيد ناجي جميل لم يتدخل بأمرها إطلاقاً، أما الرائد عز الدين إدريس فأجرى بعض الإصلاحات اللغوية ومن ثم صدرت^(*).



(*) ملاحظة: (صورتان عن المرسومين منشورتان في وثائق الكتاب).

(*) ملاحظة: (النص الكامل لدليل الفرقة الحزبية منشور في ملحق الكتاب).



- بيان حركة 23 شباط 1966
- القيادة القطرية المؤقتة
- (بعد حركة 23 شباط 1966)
- الوزارة بعد حركة 23 شباط 1966
- بيان الحركة النضالية 1970
- عمل الفرقة الحزبية

بيان حركة 23 شباط 1966

في أعقاب نجاح حركة 23 شباط شكلت قيادة قطرية مؤقتة، وأصدرت بياناً شرحت فيه أسباب الحركة جاء فيه:

«لقد حاولت قوى الرجعية والتخلف أن تتفد إلى قلب الثورة لتحرفها عن طريقها الحتمية وتقودها إلى هاوية الحكم الفردي وأسلوب المساومة والارتواء. وإن استطاعت هذه القوى أن تتفد إلى الحزب عن طريق فردية أمين الحافظ وتخاذل محمد عمران ويمينييه صلاح البيطار وأنانية ميشيل عفلق، وتمكنت من جر الحزب خلال الأشهر الأخيرة إلى حافة التمزق والضياع، فإن الحزب الذي حمى ثورته من كل خصومه لم يكن غافلاً عن تأمر هؤلاء. فبعد أن حذر ونبه متبعاً في ذلك الأساليب الحزبية والدستورية الممكنة قرر أن يخوض المعركة معهم ويسحقهم إلى الأبد ليكونوا عبرة لكل من يفكر بضرب هذا الحزب أو تخريب ثورته سواء من الداخل أو الخارج.

لقد صبر الحزب على هؤلاء شهرين يحذر وينبه. قدمت إليهم المذكرات من جميع فروع الحزب المدنية والعسكرية داخل الحزب وخارجه، فأصموا أذانهم عنها. طلب منهم عقد مؤتمر قطري لمعالجة ما أقدموا عليه فرفضوا وهددوا بفصل كل من يحضر المؤتمر. طلب منهم عقد مؤتمر قومي كأعلى سلطة في الحزب فرفضوا. طلب منهم عقد دورة استثنائية للمجلس الوطني فرفضوا. وكان جوابهم دائماً مزيداً من الإمعان في تخريب الحزب والثورة. مزيداً من العبث بمؤسسات الحزب ونظمه. بل ازدادوا تأمراً وتخريباً. وبدأ كل من الحافظ وعمران على تناقضهما الأكيد يفتيان الطائفية والعشائرية والإقليمية في الجيش وقيمان التكتلات والتحالفات مع خصوم الثورة وأعدائها لضرب الثورة وحزبها القائد. لم يكن يهمهما أن يمزقا وحدة الجيش لتنفيذ مآربيهما في تمزيق الثورة.

وازداد عفلق والبيطار تأمراً وتخريباً على الصعيد السياسي والشعبي فاتهما الحزب وزرعا التفرقة في صفوفه. ومدا يدهم الموثقين إلى كل انتهازي رخيص أو عدو متآمر واستعاناً بهم على الحزب وثورته.

لقد ظننا أنهما في تحالفهما قادران على الإجهاز على الحزب. لقد ظن عفلق والبيطار أن عسكرية الحافظ وعمران قادرة على حمايتهما. وأنهما قادران على تغطية الحافظ وعمران حزبياً فقاموا جميعاً يعيشون في الحزب تخريباً وتمزيقاً.

إن من يخن البعث لابد له من أن يخون شعبه. إن من يستهتر بالحزب ومنظماته لابد له من أن يستهتر بإرادة شعبه ويفرط بمقدرات وطنه إن من يخشى تطبيق الديمقراطية ضمن الحزب ومواجهة مؤتمراته لا يستطيع أن يحقق الديمقراطية للشعب...».

وقد اختتم البيان بما يلي:

«إن القيادة القطرية بعد أن تسلمت قيادة الثورة تعلن ما يلي:

1. التزامها التام بمقررات مؤتمرات الحزب القومية والقطرية والمنهاج المرحلي والبيان الوزاري للحكومة السابقة.

2. محاسبة كل الذين أساءوا للثورة والشعب.

3. إحالة المعتقلين إلى محكمة عليا خاصة.

4. المبادرة الفورية إلى معالجة الوضع الاقتصادي الذي أصابه الإهمال نتيجة التناقضات التي كانت قائمة في قيادة الثورة وذلك بترسيخ وتطوير الخطوات الاشتراكية على أسس علمية مدروسة.

5. تعتبر القيادة القطرية الحالية نفسها قيادة مؤقتة حتى انعقاد أول مؤتمر قطري يحدد موعد انعقاده مع أمناء فروع الحزب المدنية والعسكرية.

6. دعوة ممثلي منظمات الحزب في الوطن العربي لعقد مؤتمر قومي يحدد موعده من قبل لجنة تحضيرية منبثقة عن هذه المنظمات.

الإجراءات الأولى:

اتخذت القيادة القطرية المؤقتة على الفور الإجراءات التالية:

أ- وقف العمل بالدستور المؤقت وحل المجلس الوطني للثورة:

أصدرت القيادة القطرية المؤقتة صباح 1966/2/23 القرار رقم (1) وقد نصت

المادة الأولى منه على وقف العمل بالدستور المؤقت. ونصت المادة الثانية منه على حل المجلس الوطني للثورة.

بتاريخ 1966/2/25 أصدرت القيادة القطرية المؤقتة القرار رقم (2) المؤلف من (11) مادة جاء فيه ما يلي:

«المادة الأولى: ريثما يتم وضع دستور للقطر العربي السوري يتولى رئيس الدولة ومجلس الوزراء خلال الفترة الانتقالية ممارسة صلاحيات السلطتين التشريعية والتنفيذية»

أما المادة الثامنة فقد نصت على ما يلي:

«المادة الثامنة: يسمى رئيس الدولة من قبل القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي ولها حق قبول استقالته وإقالته.

أما المادة التاسعة:

«يسمى رئيس مجلس الوزراء والوزراء بقرار من القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي يصدر بذلك مرسوم بتوقيع رئيس الدولة، ولها حق قبول استقالتهم وإقالتهم».

ج - تعيين نور الدين الأتاسي رئيساً للدولة:

أصدرت القيادة القطرية المؤقتة القرار رقم (3) بتاريخ 1966/2/25 سمّت بموجبه الدكتور نور الدين الأتاسي رئيساً للدولة.

د - تعيين الدكتور يوسف زعين رئيساً لمجلس الوزراء:

كما أصدرت القيادة القطرية المؤقتة في الوقت نفسه القرار رقم (4) بتسمية الدكتور يوسف زعين رئيساً لمجلس الوزراء.



القيادة القطرية المؤقتة (بعد حركة 23 شباط 1966)

أعلن على إثر نجاح حركة 23 شباط 1966 عن تشكيل قيادة حزبية جديدة هي
القيادة القطرية المؤقتة وتتألف من:

- | | |
|----------------------|----------------------|
| 1. صلاح جديد | 8. نور الدين الأتاسي |
| 2. سليم حاطوم | 9. يوسف زعين |
| 3. محمد رياح الطويل | 10. محمد عيد عشاوي |
| 4. عبد الكريم الجندي | 11. محمد الزعبي |
| 5. مصطفى طلاس | 12. مروان حبش |
| 6. حمد عبيد | 13. فائز الجاسم |
| 7. مصطفى رستم | 14. جميل شيا |



الوزارة الجديدة

(إثر حركة 23 شباط 1966)

بعد نجاح حركة 23 شباط 1966 تمّ تشكيل وزارة جديدة برئاسة الدكتور يوسف زعين، وقد جاءت على النحو التالي:

بتاريخ 1966/3/1 صدر المرسوم رقم (1) بتشكيل وزارة الدكتور يوسف زعين الثانية على النحو التالي: الدكتور يوسف زعين (رئيساً لمجلس الوزراء)، الدكتور إبراهيم ماخوس (نائباً لرئيس مجلس الوزراء ووزيراً للخارجية)، السيد جميل شيا (وزيراً للإعلام ووزيراً للثقافة بالوكالة)، صالح المحاميد (وزيراً للشؤون البلدية والقروية)، الدكتور مصطفى حداد (وزيراً للتربية)، اللواء ممدوح جابر (وزيراً للأشغال العامة)، عبد الكريم الجندي (وزيراً للإصلاح الزراعي والزراعة)، مشهور زيتون (وزيراً للتموين)، محمد عيد عشاوي (وزيراً للداخلية)، موفق الشريجي (وزيراً للمالية)، عبد السلام حيدر (وزيراً للعدل)، غالب عابدين (وزيراً للأوقاف)، عبد الحميد المحسن (وزيراً للتخطيط)، سميح عطية (وزيراً للمواصلات)، الدكتور عبد الرحمن الأكتع (وزيراً للصحة)، محمد رباح الطويل (وزيراً للشؤون الاجتماعية والعمل)، الدكتور أحمد مراد (وزيراً للاقتصاد)، الدكتور أسعد تقلا (وزيراً للصناعة)، الدكتور عبد الله واثق شهيد (نائباً لوزير التربية لشؤون التعليم المالي)، ويتولى السيد حافظ الأسد قائد القوى الجوية اختصاصات وسلطات وزير الدفاع إضافة لعمله.



بيان الحركة النضالية 1970

في صبيحة 16 تشرين الثاني من عام 1970، أذاعت إذاعة دمشق في نشرتها الإخبارية الصباحية بيان الحركة التصحيحية، وتضمن:

«إن حزينا الذي جسد بمنطلقاته واستراتيجيته طموح جماهيرنا العربية الكادحة كان يبتلي بعقليات قيادة مناورة وعاجزة عن التطور وتمثل كل رواسب الواقع المتخلف الذي تعيشه أمتنا. مما يجعلها عامل كبح دائم لنضالات قواعده وجماهيره. الأمر الذي كان يخلق هوة كبيرة بين ما يصبو إليه مناضلو هذا الحزب وجماهير الشعب وبين ما يسمح بتحقيقه قصور وتسلط تلك العقليات القيادية المتعالية والمناورة مما سبب التناقض والشلل والانقسام في صفوف حركتنا الثورية الأصلية. وفي كل مرة تصدت فيها قواعد الحزب لتلك العقليات القيادية كان ينقسم الحزب على نفسه بفعل ما تمتلك العقلية من قدرة على ممارسة الديماغوجية والتزييف والتستر وراء شعارات لا تؤمن بها. وكانت كل الانقسامات بعيدة عن أن تكون انقسامات لها أسس ومنطلقات وأساليب عمل متميزة بحيث يتحقق فرز صحيح للشوائب التي قد تعلق بجسم أية حركة ثورية نامية ومتطورة، بل كان الانقسام يشطر الحزب إلى مجموعات فيها الغث والسمين. وهكذا كانت تتوالى الكوارث على الحزب بفعل هذه العقلية المتخلفة.

ثم كانت حركة الثالث والعشرين من شباط عام 1966 التي أضافت صفحة جديدة مشرقة إلى صفحات نضال قواعد الحزب ضد تخلف ووصاية العقلية القيادية اليمينية التي ألمحنا إليها وكانت في منطلقاتها توضيحاً رائعاً للمنهج الثوري الذي هو مسار حزينا منذ فجر ميلاده.

ولكن قواعد الحزب وجماهير الشعب وقعت مرة أخرى في خيبة أمل مريرة بعد مد من الزخم الثوري ضد الإمبريالية والصهيونية والرجعية لأن ظاهرة العقلية القيادية المتسلطة والمناورة قد برزت وبأسلوب جديد لتخمد رويداً رويداً جذوة النضال التي ألهمت قلوب وعقول مناضلينا وجماهيرنا لتدخلنا في دوامة الركود والعجز والشلل..

لقد مارست هذه العقلية دكتاتورية في الحزب ووصاية على قواعده وإرهاباً فكرياً على مناضليه وإغفالاً لقرارات مؤتمراته وأقامت علاقات شخصية ونفعية وقريت وأبعدت بمقاييس لا تمت إلى التقويم النضالي بصلة.

إن حصيلة عمل تلك العقلية انعزال عن الجماهير الكادحة وفرض وصاية عليها وتسخير السلطة لإذلال المواطنين وهدر كرامتهم وبيروقراطية في أجهزة الحزب والحكم وقصور عن تقويم القوانين والأنظمة. وإغفال كبير ومتعمد لدور المنظمات الشعبية وانفلاق عن الوطن العربي وقواه التقدمية وتفتيت للقوى التقدمية في داخل هذا القطر.

ولكي تتوج هذه العقلية المناورة والمتسلطة أعمالها عمدت إلى تفجير أزمة مفتعلة كادت أن تؤدي بالحزب وثورته في هذا القطر بهدف تغطية هروبها من معركة المواجهة القادمة مع القوى الاستعمارية والصهيونية والرجعية. وعلى الرغم من تداعي قواعد الحزب المناضلة إلى عقد مؤتمر قطري استثنائي في ربيع عام 1969 لمعالجة الأزمة. وعلى الرغم من تظاهر العقلية المناورة والمتسلطة بالرضوخ لإرادة قواعد الحزب وإعلانها القبول بهذه القرارات وترشيح نفسها للقيادة القطرية على هذا الأساس وإعلانها الالتزام الكامل بها. إلا أنها استمرت وخلال عامين تقريباً بالتهرب من تحمل المسؤولية ووضع العراقيل في طريق الذين تصدوا لحمل أعباء المرحلة بصدق وجدية وروح المسؤولية والالتزام الحزبي والحرص على مصلحة الوطن والشعب التي هي فوق كل اعتبار.

كما استمرت هذه العقلية بتسميم الجو الحزبي وخاصة على نطاق التنظيم القومي وتشويه صورة الثورة وجيشها العقائدي في هذا القطر بأذهان رفاقنا المناضلين في الوطن العربي الذين يخوضون أشرس المعارك ضد الرجعية العميلة في الأردن وضد العقلية اليمينية المتسلطة على شعبنا في العراق وضد كل قوى التخلف والعمالة على كل الساحة العربية.

وفي الوقت الذي تعاظمت فيه مخاطر الهجمة الاستعمارية والصهيونية والرجعية على وطننا العربي ولاحت في الأفق بشكل جلي مشاريع الحلول الاستسلامية وفي مقدمتها مشروع روجرز، تلك المشاريع التي تتطلب من كل القوى

التقدمية والوطنية حشد طاقاتها وتجنيداً لمعركة التحرير المقدسة. في هذا الوقت الذي بدأت فيه مخططات الاستعمار لتصفية المقاومة الفلسطينية وتكشفت حدة التآمر اليميني على حزيننا وثورتنا وقضية شعبنا وفي الوقت الذي فجع فيه الشعب العربي بفقيد العظم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر في هذا الوقت بالذات الذي كان يجب أن تفكر فيه تلك العقلية المتسلطة والمناورة بالارتفاع بنفسها إلى مستوى خطورة المرحلة من أجل تفجير طاقات مناضلي الحزب والتصدي لقيادة الجماهير العربية ووضع الخطط المتكاملة وممارسة تطبيقها تنفيذاً لاستراتيجية الحزب في خوض معركة التحرير وتحقيق شعار وحدة القوى التقدمية العربية من خلال المعركة.

في هذا الوقت بالذات دلت العقلية المناورة على استهتارها وضعف شعورها بالمسؤولية بافتعالها أزمة جديدة تركت البلاد في دوامتها أكثر من شهر. ولهذا ولكي لا نفسح المجال أمام هذه العقلية المناورة والمتسلطة والفردية أن تعرقل مسيرة الحزب والثورة وتضع جماهير الشعب في سلبية قاتلة.

ولكي نعيد إلى حركة الثالث والعشرين من شباط صفاءها وثوريتها كان لابد لقواعد الحزب مدعومة بتأييد جماهيرنا الكاذبة وبقوة هذا الشعب الذي لم تلن له فتاة من أن تتصدى مرة أخرى لهذه العقلية فتبعدها نهائياً عن مسرح الأحداث وعن مواقع المسؤولية.

وانطلاقاً من هذا الفهم فقد تصدى رفاق لكم من واقع الشعور بالمسؤولية والحرص على الحزب والثورة وشكلوا قيادة قطرية مؤقتة أخذت على عاتقها قيادة الحزب والثورة في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ أمتنا ووضعت برنامج عمل محدد لهذه المرحلة ريثما يعقد مؤتمر قطري لانتخاب قيادة قطرية جديدة بعد أن تكون القيادة القطرية المؤقتة قد جنبت الحزب والوطن كارثة محققة كانت تدفع إليها عقلية التسلط والمناورة في القيادة السابقة للتهرب من المسؤولية الثقيلة في هذه الظروف العصيبة.

برنامج القيادة القطرية المؤقتة:

في المجال الداخلي:

1. حشد كل الطاقات التقدمية والشعبية ووضعها في خدمة المعركة وذلك من خلال العلاقات باتجاه إقامة جبهة تقدمية بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي.
2. تشكيل مجلس الشعب خلال مدة أقصاها ثلاثة أشهر يضم ممثلين عن الحزب والمنظمات الشعبية والمهنية والقوى والعناصر التقدمية بهدف ممارسة التشريع ووضع الدستور الدائم للبلاد.
3. متابعة وضع وتنفيذ خطط التنمية الاقتصادية على ضوء ضرورات المعركة وحاجات الشعب الأساسية.
4. تعميق وتطوير التحولات الاشتراكية والاستمرار ببناء القاعدة الاقتصادية المادية بما يخدم المعركة ويحقق بناء المجتمع العربي الاشتراكي الموحد.
5. إعطاء المنظمات الشعبية دوراً فعالاً في قيادة عملية التحويل الاشتراكي وممارسة الرقابة الشعبية على أجهزة الدولة والإسهام في استكمال بناء الديمقراطية الشعبية.
6. متابعة بناء وتطوير القوات المسلحة من أجل القيام بواجبها على الوجه الأكمل في معركة التحرير.
7. إصدار قانون الإدارة المحلية.
8. لما كان الإنسان غاية في كل حركة ثورية أصيلة وأعلى ما يمتلكه حريته وكرامته لذلك فإننا سنبذل كل جهد لصيانة حرية المواطنين وكرامتهم.

في المجال الغربي:

1. التحرك الواسع مع الدول والقوى العربية التقدمية في كافة المجالات التي تعزز استراتيجية الكفاح المسلح وحشد الطاقات العربية في المعركة المصيرية.
2. العمل على تحقيق خطوات وحدوية مع الدول التقدمية ولاسيما الجمهورية العربية المتحدة.

3. ينظر الحزب والثورة في هذا القطر بارتياح وتفاؤل إلى اللقاءات الوجدوية التي تمت بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية الليبية وجمهورية السودان الديمقراطية الشعبية لذا سنعمل لتأخذ الجمهورية العربية السورية مكانها الطبيعي في هذه اللقاءات الوجدوية.

4. دعم الثورة الفلسطينية وبذل أقصى الجهود المخلصة على تحقيق وحدة فصائل المقاومة.

5. دعم كافة الحركات التقدمية في الوطن العربي بكافة الوسائل والعمل على تحقيق الجبهة العربية التقدمية.

في السياسة الدولية:

1. تطوير العلاقات مع المعسكر الاشتراكي وخاصة مع الاتحاد السوفييتي الصديق.

2. التعاون مع كافة حركات التحرر الوطني والقوى التقدمية في العالم.

3. تطوير العلاقات وتعميقها مع الدول التي تقف مواقف عادلة من قضايا القومية وعلى رأسها القضية الفلسطينية.



عمل الفرقة الحزبية

إلى كل المناضلين العرب المؤمنين بالبعث العربي الاشتراكي
طريقاً للانقلاب على الواقع العربي الفاسد وإقامة الدولة
العربية العصرية على أسس الوحدة والحرية والاشتراكية.

- أقدم هذا الكرّاس -
محمد إبراهيم العلي

مقدمة

إذا كنا نؤمن بالحزب فعلياً أن نتعمق في سبر الواقع القائم ونفوص في أعماق الواقع العربي ونحلل المجتمع القائم، ونعرف أسباب التجزئة في الوطن العربي والطرق التي تؤدي إلى الوحدة، ومقومات هذه الوحدة في العصر الحديث وأهميتها الاقتصادية والبشرية والجغرافية، وموقعها الاستراتيجي في العالم. كما علينا أن ندرس أسباب التخلف والفقر والجهل والرواسب الموجودة في المجتمع والطريق السليم الذي يقودنا إلى إيجاد الإنسان العربي الذي يتمتع بالعقل العلمي. لخلق التطور الصناعي في الدولة. وقد حلل حزب البعث هذا الواقع ووضع الدليل النظري والمنطلقات النظرية كرد على التجزئة والتخلف ولبناء الوحدة والاشتراكية وإقامة الديمقراطية الشعبية.

ولابد لتحقيق هذه الأهداف وقلب هذا الواقع الفاسد من تقديم التضحيات الكبيرة، والجهود العظيمة من كل المؤمنين بالوحدة والاشتراكية إذ بدون بناء الحزب فكراً وتنظيماً لا سبيل إلى التطور أو النقد، وبدون بناء الحزب لا يمكن إقامة حكم ثوري يقف في وجه الغزو الصهيوني الإمبريالي، وبدون بناء الحزب لا يمكن لنا أن نعيش كدولة، ولا يمكن أن نحقق أي هدف من أهداف الجماهير، لأن العصر الحديث عصر تنظيم الشعوب، وتنظيم الجماهير، وتحقيق أهداف الحزب لابد من تنظيم الجماهير وفق مبادئ وأهداف الحزب ومنطلقاته لأن الحزب هو قدرنا.

وعلياً من أجل تحرير الأمة العربية، وبناء الدولة العصرية، وخلق التطور

الصناعي والزراعي في المجتمع، من أجل هذا كله علينا أن ندرك أهمية وجود حزب البعث العربي الاشتراكي وأن نعمل من أجل بنائه فعلاً وقوياً.

وإنني إذ أطبع هذا الكراس الصغير في أساليب العمل الحزبي وال جماهيري في مجال الفرقة الحزبية كمحاولة لدراسة واقع الحزب، والشعب، فإنني أرجو أن أفتح باباً للنقاش والجدل بين الرفاق من أجل الوصول إلى أفضل صيغة للعمل الحزبي في مجال الفرقة وفي الجيش الشعبي وفي الوحدة التي تعادل الفرقة الحزبية.

الفرقة

تعتبر الفرقة الحزبية الوحدة الصغرى التي يجب أن ندرس فيها عقيدة الحزب وفكره. ومن الطبيعي أن مهمة العمل العقائدي والسياسي في الفرقة لها أساس أساسي بتربية الشعب التي يتركز عليها توجيه الحزب بشكل عام.

وتعتبر الدعاية لأفكار البعث العربي الاشتراكي أساس العمل العقائدي للحزب وتقوم بهذه الدعاية الوحدة الصغرى التي هي الفرقة الحزبية.

ومن هذا المنطلق فإن الفرقة الحزبية تقسم إلى:

1. أعضاء عاملين ومتدربين.

2. أنصار.

ويقع العمل الرئيسي في الدعاية للحزب على عاتق الأعضاء العاملين في الفرقة وتأتي التربية الصحيحة لأفراد الفرقة الحزبية من تفهيمهم النظرية العلمية لعقيدة الحزب والولاء المطلق لها والإيمان بأفكار الحزب وتطوير الشعور بالمسؤولية تجاه الحزب والشعب.

إن قيادة الفرقة وأعضاءها مدعوون بالاعتماد على خبرتهم التضاللية للتفاعل وتربية الأنصار والمؤيدين على الأنظمة الثورية والعلمية للحزب من أجل رفع مستواهم وشدهم إلى الحزب حتى يصبحوا في المستقبل أعضاء عاملين مؤمنين بعقيدة الحزب نشيطين في الدعاية لها أميين في نقلها من الحيز النظري إلى الحيز التطبيقي.

ومن واجب قيادة الفرقة وعناصرها توضيح سياسية الحكومة الداخلية والخارجية وإبراز الإيجابيات في البناء الداخلي وتوضيح أهمية الكفاح العادل لقضيتنا، وتثبيت دعائم النظام الاشتراكي في داخل القطر.

يجب أن نحول المعلومات السياسية إلى عمل عقائدي وإلى تطبيق عملي وأن نوضح قرارات الحزب وكيفية الوصول إلى تحقيقها بين الأنصار والمؤيدين على أكمل وجه.

إن الإيمان بمبادئ الحزب يعبئ ويزيد من الاستعداد النفسي للعمل والدعاية والنشاط، كما يهيئ ويحضر الأعضاء للانضباط الحزبي واليقظة السياسية والصمود في وجه أعداء الحزب والكفاح المستمر ضد أعداء العروبة.

الأهداف الرئيسية للعمل العقائدي في الفرقة:

لا تفصل التربية العقائدية عن التربية الذاتية للفرد وعن المظهر الأخلاقي بشكل عام وأن الفكر الثوري الذي يشكل الثورة العلمية للإنسان العربي، هو فكر البعث العربي الاشتراكي. وتقدم هذه العقيدة الصحيحة للأعضاء الأساس العلمي لفهم قوانين التطور الاجتماعي والكفاح الحقيقي ضد التخلف والتجزئة والإمبريالية بشكل عام. كما تعتبر أساساً للإدراك عند كل بعثي وسلاحاً أميناً لمكافحة البرجوازية والرواسب المتخلفة في أذهان الناس.

إن دلالة فهم عقيدة الحزب لدى كل عنصر فيه هو إدراكه الواسع لنظرية الحزب في الوحدة والحرية والاشتراكية. وكيفية إخراج هذه النظرية إلى حيز التطبيق، ولا تتكون العقيدة عند الإنسان لدى اكتسابه المعرفة فقط، بل بعد استخدامها في التطبيق العلمي أيضاً، وقد أكدت مؤتمرات الحزب ضرورة تربية الرفاق البعثيين تربية صحيحة ليتمكنوا من تنفيذ الواجبات الضخمة الملقاة على عاتقهم.

ويجب على قيادة الفرقة وأعضائها زيادة مسؤوليتهم في تنفيذ واجباتهم والتزاماتهم الحزبية والوطنية وتطوير نشاطاتهم السياسية بين الجماهير حتى يستطيعوا قيادتها.

متى تظهر عقيدة الحزب بوضوح

1. تظهر عقيدة الحزب بوضوح في علاقة الحزبي بالعمل وتطبيقه الكلام النظري في الممارسة اليومية، وتعتبر التربية على حب العمل لخير المجتمع العربي الاشتراكي من المهام الرئيسية للعمل الحزبي، وينعكس هذا العمل انعكاساً مباشراً على الجماهير التي يعمل معها العضو الحزبي لأن احترام العمل وحبّه يزيد من احترام الناس والجماهير للرفاق الحزبيين.

كما يجب أن لا يكون العمل بين الجماهير من أجل المنفعة المادية فقط، بل يجب أن يكون الدافع للعمل دافعاً أخلاقياً حتى نستطيع أن نحصل على النتائج العالية، يجب أن يكون الولاء للعمل وللواجب الحزبي والوطني تجاه الجماهير. وعلى هذا الأساس فإن على قيادة الفرقة غرس حب العمل في نفوس الأعضاء وحضهم على الاهتمام بالعمل اليومي في مهنتهم ووظائفهم، وتوضيح أهمية العمل والسلوك الأخلاقي بين الشعب وأثره على الحزب والمنظمة في منطقة الفرقة.

ومع ذلك فإن الإقناع بفكر الحزب يعتبر طرفاً واحداً، يكمل الطرف الآخر الذي هو مرحلة التطبيق العملي. ولهذا فإن حب العمل والإنتاج والتثقيف بأفكار الحزب تعتبر إلزامية عند كل حزبي لأنها تشكل الصفات الأخلاقية الحميدة في نظر جماهير الشعب. وكل عضو في الحزب ملزم بأن يكون مخلصاً للوطن العربي الاشتراكي وبالدفء عن أمنه برجولة وشرف وبتفويض هذا العمل تتولد اليقظة السياسية لدى الرفاق الحزبيين حيث يبدو أثر هذا الأمر على الصفات الأخلاقية لدى عامة الشعب.

إن الولاء للحزب وحب الوطن والاشتراكية يزيد النشاط الفعال لدى كل عضو في الحزب ويخصه على الاطلاع والبحث والاتصال بالجماهير لإقناعها بأفكار الحزب. وبقدر ما تتعمق ثقافة الحزبي، يقوى شعوره القومي وتزداد معرفته السياسية وثقافته العامة.

كما أن علينا ضرورة تعزيز العمل المتعلق بالرجولة والشجاعة والمبادرة والمقدرة بالتغلب على الصعوبات لأن ظروف الوطن ظروف قاسية جداً تحتاج إلى

مناضلين مؤمنين، والإنسان المؤمن يكون أقوى من أية اعتبارات أخرى. لهذا تلعب الدعاية لمآثر البطولة دوراً كبيراً في تنمية الصفات الأخلاقية، وتستخدم لهذا الغرض محاضرات من التاريخ العربي.

وتعتبر الروح الجماعية والتعاون الودي من العوامل المؤثرة في الثقة بالنفس، لذلك فمن واجب قيادة الفرقة توجيه الأعضاء وحضهم على تكوين العلاقات فيما بينهم وبين المواطنين. الصداقات. العلاقات العامة. مساعدة الناس على إزالة الظواهر السلبية. ويكون هذا التوجيه هادفاً ومستمداً من مبادئ الحزب.

ولكي نضمن نجاح العمل الحزبي وال جماهيري لأبد من أن تكون قيادة الفرقة متطورة عن الأعضاء:

رأينا أن مهام العمل الحزبي في الفرقة عمل هام وأن نجاح تنفيذه يتوقف على من يعلم أعضاء الفرقة ويوجههم ويثقفهم، وعلى قيادة الفرقة أن تكون خير مرشد لهذا العمل. لا يمكن لأي شيء أن يحل محل المثل الشخصية للحزبي في عمل الحزبي اليومي لأنه يكون في قرارة نفسه المبادئ الأخلاقية والسلوك الصحيح في المجتمع. ولهذا السبب فإن تربية وتثقيف الحزبيين أنفسهم هي ضمانة النجاح في العمل وعلى قيادة الفرقة اكتشاف النواحي السلبية والنواحي الإيجابية عند الأعضاء في الفرقة ومعالجة كافة الظواهر السلبية والتغلب عليها وتشجيع النواحي الإيجابية ودفعها للعطاء والإنتاج في العمل اليومي، وإن ظروف وحياة العضو في الفرقة تختلف من عضو لآخر حسب طبيعة عمله ودخله وظروف حياته المعاشية والإنتاجية والبيئية، كل هذه الظروف تدخل في نطاق نشاط عضو قيادة الفرقة ويجب أن تدرس هذه الظواهر من المنظمة الأعلى للرفاق لحل كبير من مشاكلهم.

هذا ما يوصلنا ويساعدنا على زيادة القدرة في العمل اليومي والحزبي وال جماهيري وعلى تحقيق مبادئ الحزب في الوحدة والحرية والاشتراكية.

يجب أن تطور اهتمام أعضاء الفرقة الحزبية بالدراسات النظرية والتكلم في المناقشات والمؤتمرات وقراءة المحاضرات وعقد الندوات السياسية الجماهيرية. حيث لا يمكن للرفيق أن يتعمق في فهم مبادئ الحزب والحصول على معارف مفيدة

إلا إذا ثابر على العمل الفردي والجماعي وأدرك بوعي كل ما يقرؤه ويسمعه ويناقش فيه في كل مجال وفي أي وقت يسمح له بذلك، ويجب أن توفر للرفاق جميع الإمكانيات للمشاركة في مثل هذه الأعمال.

تهتم قيادة الفرقة بتطوير الرفاق أعضاء الفرقة وزيادة مستواهم الفكري وتوسيع آفاقهم الثقافية، ولهذا الغرض يخصص أسبوعياً محاضرة مدتها ساعتان تحدد فيها الموضوعات النظرية الفكرية التي تساعد على رفع مستوى الرفاق الفكري والثقافي ويجب أن تتم الدراسة في مقر قيادة الفرقة على أن يجري النقاش في الموضوع المحدد والمحضر من قبل أحد الرفاق والموزع مسبقاً ليتم مناقشته في الاجتماع وعلى قيادة الفرقة أن تسهل مثل هذه الأعمال.

تنظم قيادة الفرقة العمل العقائدي والسياسي والتربوي بين أعضائها وتعتمد بذلك على العناصر النشطة في الفرقة نظراً لاختلاف المستويات الفكرية، وعلى قيادة الفرقة أن ترفع مستوى كافة الأعضاء وتدفع بالانشيطين ليكونوا دعاة للحزب في منطقة الفرقة.

توفر في كل فرقة حزبية الظروف الملائمة للعمل العقائدي والسياسي طبقاً لواقع الفرقة وربط هذا العمل بالمهام التي ينفذها الرفاق، وقد أكدت مؤتمرات الحزب أن العمل العقائدي يجب أن يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحياة وبالتطبيق العملي لبناء الحزب، لأنه بدون ذلك يتحول هذا العمل إلى ثروة سياسية وفي مراحل تربية الرفاق على العقيدة الفكرية والإيمان المطلق بالمثل تقوم قيادة الفرقة بتعليم هؤلاء الرفاق كيفية تحويل هذه المثل إلى تطبيق عملي، ويجب أن نتذكر دائماً أن الأفكار وحدها لا تقرر مصير أي عمل ولهذا أقول لا يمكن للأفكار أن تحقق الشيء المطلوب، ولتحقيقها لابد من وجود الناس الذين يؤمنون بها والقادرين على تطبيقها، ولا تباع هذا المبدأ، يعلمنا الحزب أنه (لا وجود لعمل عقائدي صرف، أو تنظيمي) لذلك فإن توحيد هاتين الناحيتين في النشاط الاجتماعي يؤمن قيادة الجماهير بشكل صحيح.

إن وحدة العمل العقائدي والتنظيمي أساس لجميع نشاطات القيادات الحزبية وهو جزء من نشاط المنظمات الحزبية الأعلى، وتعتبر التربية العقائدية

للفراق وتكوين عقيدة البعث العلمية، وتجنييد طاقات الرفاق لرفع مستواهم النضالي وتقوية الانضباط الحزبي وزيادة اليقظة السياسية للدفاع عن الوطن ومكتسبات الجماهير في الاشتراكية المضمون الفعلي لنشاط القيادة.

وتحمل قيادة الفرقة مسؤولية النشاط الحزبي في منطقتها وتعتمد في عملها على عناصرها النشيطة، وتتحقق فعالية هذا العمل بالفرض الهادف والإحساس بحياة الناس والتأثير على كل رفيق بأن يكون نقطة مضيئة في منطقة عمله ومسكنه حتى تهتدي به الجماهير.



الفرقة الحزبية هي مركز النشاط العقائدي والسياسي:

يتوقف تنفيذ المهام الجسام التي يضعها الحزب أمام منظماته إلى حد كبير على كيفية تنظيم التعليم والعمل العقائدي والسياسي في الفرقة الحزبية، ومرد ذلك إلى أن الفرقة الحزبية هي الوحدة الصغرى النشيطة والمسؤولة عن تنفيذ المهام الصعبة الموكولة لها من المنظمة الحزبية الأعلى حول قيادة الجماهير في منطقة سكنها، ولهذا تعتبر الفرقة وحدة تنظيمية أساسية في بنية الحزب يتم التوجيه العقائدي فيها، والنشاط السياسي والجماهيري في منطقتها، ولذلك يركز على تطوير وتنقيف الرفاق أعضاء الفرقة.

وأقول إن من يريد أن يعتني بالحزب ويهتم بفكره وتنظيمه عليه الاهتمام بالفرقة الحزبية، لأن التربية الحقيقية لكل رفيق تتم في الفرقة، ويؤكد هذا المنطق التطور التاريخي للأحزاب الاشتراكية في العالم أجمع.

ففي الفرقة بالذات يتم تربية وتنقيف وتطوير الرفيق وتشكيل حلقات الأنصار، وفي الفرقة يجري تثقيف الأنصار وتكوينهم وتطويرهم ليصبحوا متدربين وعاملين وفيها يتعلمون نشر أفكار الحزب بين الجماهير.

يرس الرفاق في الفرقة على الوعي القومي الذي يدخل فيه أساساً الولاء المطلق للحزب، والوطن، وتصل ثقافتهم القومية. ويتم تدريبهم على قيادة الجماهير والثقة بالنفس وتزداد يقظتهم السياسية ويبادرون للعمل مع جماهير منطقة الفرقة

لنشر فكر الحزب وزيادة الوعي القومي لدى الشعب.

لذلك كان على كل رفيق أن يفهم عمل الفرقة وأن يكون نموذجاً في العمل والإخلاص للحزب والوطن وجماهير الشعب، وإذا توفر الفهم العميق لمبادئ الحزب، والانضباط الحزبي المتين تسكنت القيادة من تحقيق برنامجها الحزبي في كل الميادين.

وفي الفرقة تتأمن وحدة الفكر والرأي، وفي الفرقة تجرى دروس عقائدية، وسياسية، وتعد أمسيات أدبية وتعد ندوات جماهيرية.

تعتمد الفرقة الحزبية في التوجيه العقائدي على مقررات مؤتمرات الحزب ومنطلقاته النظرية، ويجب أن يكون الرفاق عند نشر هذه الأفكار مثلاً للأخلاق في السلوك اليومي وفي العمل، وهذا ما يشجع الجماهير على الالتزام بالحزب وعلى التفاني في العمل، وعلى تقدير نشاط الفرقة الحزبية والحزبيين، ولهذه الأسباب بالذات نقول إن الفرقة الحزبية هي المركز الحقيقي للعمل العقائدي.

يجب أن تحتل الفرقة الحزبية الاهتمام المباشر من القيادة العليا، لأنها مركز النشاط الفعال في بنية الحزب التنظيمية والفكرية.

تنظيم العمل السياسي والعقائدي في الفرقة

يشترط التنظيم الصحيح للعمل العقائدي إحداث دورة ثقافية للرفاق لرفع مستواهم الفكري وتوسيع آفاقهم السياسية والثقافية وذلك بإحداث برنامج نظري دراسي للرفاق. على أن تهتم المنظمة العليا - شعبة - فرع - بالفرقة وتوجه أشكال وأساليب التثقيف السياسي والمعنوي والنفسي للرفاق.

إن مراحل تربية المجتمع مستمرة. لذلك يجب أن لا تتفد في المناسبات كالأعياد وغيرها من العطل بل يمارس التوجيه المستمر وفق برنامج محدد تضعه قيادة الفرقة آخذين بعين الاعتبار الظروف الموضوعية للرفاق وطبيعة عملهم، وواقع الفرقة، والتطور الثقافي المستمر كل يوم وكل شهر.

إن منظم العمل العقائدي والسياسي في الفرقة هو أمينها بالتعاون مع قيادة الفرقة فهو الذي يقوم بالتوجيه السياسي للرفاق وهو الذي يشرف على نشاطهم

الحزبي، ويوجه نشاط الفرقة الحزبي والجماهيري، ويهتم بتنمية المعارف لدى العناصر النشيطة في الفرقة، كما ويعمل على تحسين وفعالية العمل نشر فكر الحزب بين الجماهير.

إن الرفاق أعضاء قيادة الفرع مسؤولون عن العمل مع أمين سر الفرقة وعن مساعدته في تنفيذ برنامج الفرقة الحزبي والثقافي والنشاط الجماهيري وعن خلق الروح الجماعية لدى الرفاق في الفرقة ويشتركون مع أمين الفرقة في كل شاردة وواردة إذ يمكن أن يحل أي منهم محل أمين الفرقة في حال غيابه، كما عليهم أن يتعرفوا إلى الرفاق في الفرقة حتى يستطيعوا تكليفهم بمهام لأن التخطيط الدقيق للعمل الحزبي العقائدي والسياسي في الفرقة هو الشرط الأساسي الذي لا يتبدل في جوهره.

ولتنظيم هذا العمل على الوجه الأكمل - تضع قيادة الفرقة عادة خططاً وبرنامج عمل وقد يكون شهرياً وأسبوعياً، وعندما تضع هذا البرنامج يجب أن تكون متفهمة بعمق مهام الحزب الأساسية وتوجيهات الشعبة والفرع. كما يجب أن تدرس قيادة الفرقة النواحي السلبية والإيجابية في البرنامج الماضي حتى يجري التطوير وتلافي السلبيات وإبراز الإيجابيات آخذة بعين الاعتبار مطالب الرفاق ورغبة الجماهير.

يحدد في خطة العمل أو البرنامج الأسبوعي جدول الأعمال وأوقات الاجتماعات ومهمة الرفاق ومكان عمل كل رفيق ليؤدي المهمة. ومكان الدروس للرفاق، والندوات للجماهير، واسم كل رفيق ومهمته وفق جدول خاص، وزمن تنفيذ المهمة وحقل ملاحظة بشكل تقرير موحد: يعبأ عن الرفيق المكلف بمهمة يتضمن:

1. مكان وزمان تنفيذ المهمة.

2. المهمة مع من (منظمة شعبية - منظمة حزبية - ندوة جماهيرية - طلبة -

نساء... الخ).

3. مختصر عن الموضوع.

4. النواحي الإيجابية.

5. التواحي السلبية.

6. اسم المواطنين ممن يمكن الاتصال بهم. لكسبهم كمؤيدين لصفوف الحزب.

7. ملاحظات عامة للرفيق الذي نفذ المهمة.

«التوقيع»

يدرس هذا التقرير في قيادة الفرقة ووفق البرنامج المحدد تستمر نشاطات الرفاق.

يجب أن تكون الخطط والبرامج واقعية وملموسة وفعالة وأن تجعل الرفاق قادرين على نشر فكر الحزب وكسب المؤيدين وشد الجماهير في منطقة الفرقة الحزبية ولكي يصبح أمين سر الفرقة منظماً ماهراً لهذا العمل عليه هو نفسه إتقان الواجبات الحزبية وفهم عقيدة الحزب وإظهار المبادرة الخلاقة في توجيه الفرقة الحزبية. وجماهير الشعب في منطقة فرقته.

تنظيم عمل الفرقة الحزبية بمجموعها

وبناء على المهام الجسام الملقاة على عاتق الحزب، وكذلك المهام المنوطة بالمنظمات الصغرى التي تعتبر جزءاً منها فإن قيادة الفرقة الحزبية تعمل مع كل رفيق حزبي ومع كل نصير ومع المؤيدين وتوضح لهم سياسة الحزب ومهامه ودورهم ليشاركوا بتنفيذ سياسة الحزب على الوجه الأكمل وزيادة الوعي السياسي لدى الجماهير.

تتعلق درجة الوعي السياسي والعمل العقائدي للرفاق الأنصار إلى حد كبير بالدور القيادي والطليعي الذي يلعبه الرفاق العاملون وكيفية تحقيق هذا الدور ومدى إدراك وثقافة الأعضاء العاملين وتحليلهم بالسلوك الشخصي المثالي والسمعة الطيبة ليكونوا قدوة حسنة للأنصار المؤيدين وجماهير الشعب.

كما ويناقش في قيادة الفرقة نشاط الرفاق العاملين وإنتاجهم في المهمات الموكلة إليهم وإعادة النظر على ضوء تلك النتائج بالخطط والبرامج.

ومثال على ذلك: في الفرقة الحزبية:

- البعثي مثال في سلوكه - فلان عامل نشيط - وجداني قدوة في العمل ..
- وبناء على ذلك فمسؤولية القياديين هي استيعاب الرفاق الأنصار والجدد
وتطويرهم.

- إن خبرتي في العمل الحزبي والعمل الجماهيري تدل على أن الرفاق الذين
يقومون بعمل جيد ولهم صلات صادقة مع رفاقهم قادرون على إيجاد علاقات وثيقة
وصادقة مع بعضهم. كما أن المواطنين يثقون بهؤلاء الرفاق ويعتبرونهم قدوة في
العمل والأخلاق ويلتزمون بقيادتهم. وهذا ما يجب على كل رفيق أن يقوم به من
سلوك واستقامة في العمل والأخلاق.

تهتم الفرقة الحزبية بالتربية العقائدية للأنصار وتزيد من إدراكهم ليكونوا
أعضاء عاملين نشيطين، وكقاعدة عامة يكون الرفاق في الفرقة الحزبية مجموعة
متحابية متكاتفه في العمل يوحد بينهم فكر وتنظيم. ولذلك إذا وقع خطأ من رفيق
فيجب إصلاحه فوراً ولا يجوز التفاوضي عنه. أما إذا وجدت ظاهرة سلبية فيجب
إنهاؤها حتى لا تفسد ما حولها وتناقش أي ظاهرة سلبية بروح رفاقية وموضوعية
بقصد بناء التنظيم وتقويته وليس بقصد التهديم.

يلعب أمناء سر الحلقات دوراً كبيراً في تطوير الأنصار والمؤيدين ولهذا يجب
أن يحضروا الموضوعات التي تناقش في حلقاتهم ويستوعبونها ويكونوا على اطلاع
بالموقف السياسي الآني حتى إذا ما تعرضوا لأي سؤال كانوا قادرين على الإجابة.
ويجب على الرفاق أمناء سر الحلقات الاتصال بأمين سر الفرقة وقيادة الفرقة
وأخذ التوجيهات والإرشادات للعمل في حلقاتهم.

كما يجب على قيادة الفرقة اختيار العناصر النشطة لقيادة حلقات الأنصار
وهذا يؤدي إلى فائدة كبيرة في أساليب العمل والإقناع وكسب المؤيدين وتطوير
الأنصار.

وبقدر ما تكون قيادة الفرقة نشيطة والرفاق في الفرقة نشيطين يمكن
مكافحة اللامبالاة التي تصدر عن بعض الرفاق من العاملين والأنصار.
يجب أن تصبح الفرقة مركزاً أساسياً للعمل العقائدي والسياسي ويجب أن
تجري في منطقة الفرقة الحفلات والمؤتمرات الجماهيرية.



الفرقة الحزبية في المدينة

مقدمة:

1. المدينة: عاصمة . محافظة . منطقة . ناحية.
2. المحافظات قسمان: كبيرة ذات طابع تجاري وصناعي محدود، وصغيرة: ذات طابع فلاحى وتجارة محدودة.
1. في المدن الكبرى:

إذا بدأنا بمسح المدينة: وجدنا أحياء جميلة ومتطورة الحياة الاقتصادية فيها جيدة، والناحية الاجتماعية متقدمة نسبياً.

. وأحياء فقيرة ومكتظة بالسكان: شعبية . ذات دخل محدود وكثافة سكانية.

. هذه هي المدينة: وتختلف في عاداته وتقليدها من مدينة لأخرى ولكن مهما اختلفت الظروف والحالات يبقى مجتمعنا متخلفاً. نزح قسم من الريف إلى المدينة يحمل العادات القبلية ويحتاج إلى زمن لينصهر في حياة المدينة بشكلها الأساسي. ولا يمكن أن نطور العادات القبلية إلى إيمان بمبادئ وأسس علمية ما لم نطور الصناعة الخفيفة في المدينة إلى صناعة ثقيلة.

وسوف أبحث دور الصناعة في الفرقة المهنية، لكن هذه الأعمال متشابهة فالتنظيم القائم تنظيم مزدوج، يجمع تنظيم الأحياء، والتنظيم المهني، وحتى نحل هذه المشكلة التنظيمية (أقدم اقتراحاً) بأن يبقى هذا التنظيم المزدوج حتى نهاية الخطة الخمسية الثالثة. وعندئذ يتحول إلى تنظيم مهني أو قد يتحول جزئياً في دمشق . حمص . حلب إلى تنظيم مهني. أما في المدن الصغيرة: كإدلب . والرقعة . والحسكة . ودرعا . والسويداء .. الخ فيغلب عليها طابع الريف وهذه المدن لا تتعدى كونها قرى كبيرة حيث هناك الكثير من الأقضية والنواحي بلغت حداً من التطور يفوق هذه المدن.

. وأقول: حتى زمن ليس بقصير قد لا تصبح إدلب مثل صافيتا ولا درعا مثل ناحية محردة.

ومن خلال هذا الواقع القائم نبحث موقع الفرقة، وطبيعة عملها ضمن هذا

الواقع القائم؛ فالعمل في الفرقة الحزبية في صافيتا مثلاً معقد أكثر من العمل الحزبي في السقيلية وذلك لأن التطور الاجتماعي والعادات والتقاليد مختلفة في كل من المدينتين عن بعضهما البعض.

. وفي دمشق يبدو العمل الحزبي معقداً في حي أبي رمانة أكثر منه في حي المزة لنفس الأسباب والخلافات في التطور المعاشي والثقافي والاجتماعي في الحيين. وسوف ندرس هذه الظواهر والإيجابيات والسلبيات ونمر على الأساليب الصحيحة للعمل الحزبي في أي مكان ومهما كانت طبيعة موقعه. وذلك لأن نظرية الحزب نظرية علمية صحيحة غايتها معالجة واقع المجتمع العربي. والمناضلون المؤمنون بالحزب قادرون على تجاوز الصعاب وإقامة التنظيم الحقيقي ذي الفكر الموحد ودفع المجتمع في طريق التطور الثقافي والصناعي.



الفرقة الحزبية في حي شعبي (في منطقة المزة)

مثلاً: حي المزة حي شعبي وأقصد به الحي الواقع على يمين طريق المطار القديم.

يدخل في تكوينه: - عمال ذوو دخل محدود - موظفون - عائلات الجنود من العسكريين، سوق للبيع متنوع فالخباز إلى جانب بائع القماش إلى جانب الصيدلي فالبقال وبائع الفاكهة.

- يوجد فيه ثانويتان وعدة إعداديات يتجاوز سكانه خمسين ألف نسمة فهو بهذا يعادل مدينة درعا أو السويداء.

- وتوجد فيه فرقة حزبية للعمل الحزبي وال جماهيري: فيه وحدة شبيبة - وحدة نسائية - لجنة دفاع عن الوطن (هزيلة).

- إذن فالحي يقسم إلى: عمال - موظفين - عائلات عسكريين - باعة في سوق - طلبة.

- كيف تعمل الفرقة الحزبية لتقوم بنشاط جماهيري وسياسي في هذه المنطقة بعد أن حددت طبيعة سكان المنطقة وحددت منظماته الجماهيرية؟

علماً بأن أعضاء الفرقة في الظروف الحالية يخضعون لتنظيم مهني،
فتنظيم أعضاء الفرقة مزدوج مهني وسكني من هذا الواقع القائم في التنظيم ماذا
تعمل الفرقة في منطقة سكنها؟

سؤال يتبادر إلى ذهن كل رفيق عن كيفية العمل والنشاط الجماهيري في
هذا الحي وخاصة أن أغلب سكانه خليط وفدوا من الريف إلى المدينة يحملون معهم
رواسب عاداتهم وتقاليدهم القبلية والعشائرية.

سبق وأن تعرضت في مهمات الفرقة إلى قيادة الفرقة وقلت يجب أن تكون
متطورة عن أعضاء الفرقة. ثم قلت إن أعضاء الفرقة العاملين هم الطليعة في الحي
غير أن هذا كلام نظري يقود إلى السؤال.

حتى تكون الفرقة الحزبية طليعة الحي؟ ثم وصفت الرفيق المناضل بأنه
النقطة المضئية في فرقته ومنطقة سكنه فمتى تكون هذه النقطة المضئية قادرة على
الإشعاع؟ كل هذه الأسئلة ترد إلى ذهن الرفاق: وفي اجتماع الفرقة يتلى عادة البريد
الروتيني (الهزيل) من عودة رفيق إلى فصل آخر إلى تعميم من أجل الحاجة إلى
موظف وكان الفرقة والتنظيم الحزبي تحول إلى جزء من السلطة أو (مخابرات
للسلطة بشرف) دون أن تستطيع القيادات الحزبية المتسلسلة تحريك التنظيم
الحزبي وتنظيم الجماهير واستيعابها في المنظمات الشعبية والنقابية في منطقة
الفرقة. هذا هو واقعنا الحالي في التنظيم القائم. ورغم كل البؤس الذي نعانیه في
هذا التنظيم فأنا متفائل كثيراً بأن هذا الواقع البائس سوف يتغير وإن هذا التنظيم
الهزيل سوف يقوى لأن هناك نوايا لدى الرفاق جد مخلصه وصادقة من أجل بناء
الحزب فكراً وتنظيماً.

العمل مع وحدة الشبيبة في الحي:

في الوحدة لابد من دفع الحزبيين الذين لهم علاقة عمل بها ولابد من تكوين
قيادة الوحدة وبشكل بعيد عن الفوقية ويكون دور الرفيق الحزبي في قيادة الوحدة.
خلق المناخ الملائم للدعاية ونشر فكر الحزب بين الأعضاء ليس بالكلام وإنما
بالتطبيق والعمل.

على الرفيق أن يتعرف على القسم الأكبر من أفراد الوحدة وأن يحسن علاقته معهم وأن يكون روابط صادقة مع الأفراد ذوي السلوك الأخلاقي ثم يستطيع بعد ذلك أن يتحدث عن أفكار الحزب النظرية فقط.

على الرفيق في الوحدة أن يبتعد كثيرا عن المشاكل اليومية التي تمارسها السلطة لأنه غير قادر على تفسير الكثير من الأمور المعقدة في السياسة وخاصة العربية والدولية ولذلك فمن واجبه كفرد من أفراد الوحدة أن يعمل على الحصول على المعلومات من مصادرها الأمنية حتى لا يقع في منزلق لا يستطيع التخلص منه.

مثلا صرح فلان حول قضية الشرق الأوسط فعليه أن لا يمزج نفسه في تفسير نيابة عن القيادات أو الدولة لأن هذه المشكلة تهمة وتهمة المجتمع بكامله حزبي وغير حزبي وهو غير قادر على إعطاء الجواب الصحيح وإذا أجاب فقد يتغير جوابه غدا في الأخبار ويقع في مأزق أمام الوحدة وعندئذ لا يستطيع كسب ثقة الوحدة. وعلى الرفيق في الوحدة أن يكون مهتما بـ: عمل الوحدة. نشاط الوحدة بالحي. توسيعها. النشاط السياسي لها النشاط الجماهيري للوحدة ويستطيع الرفيق الحزبي في قيادة الوحدة عندما يتعرض لسؤال محرج أن يقول بوضوح أنا لا أعلم ذلك ولكن سوف أعمل ليحضر معي مسؤول من الفرقة أو الشبيبة أو أي مسؤول حزبي أو حكومي ونوجه له مثل هذه الأسئلة لعله يجيبنا وحتى يكسب ثقة أفراد الوحدة يدرس مطالب الوحدة ويعمل مع أفراد منها غير حزبيين على زيارة الفرقة للمطالبة بالأمور التي كان قد تعرض لها في اجتماع الوحدة وقال إنه لا يستطيع تنفيذها. ويناقش مشكلات الوحدة مع الفرقة أمامهم بكل وضوح ويجب أن لا نتغاضى أو ندافع عن العمل الخاطئ.

إن الرفيق في الوحدة هو عنصر نشيط في منطقة عمله وهو نقطة مضيئة في الوحدة فكيف يجب أن يكون سلوكه في الفرقة، في الوحدة، بين جيرانه وأهله؟

. سلوكه مع أهله في البيت: عندما يكون الرفيق غير قادر على الانسجام في بيته ولا يعتني بذويه ولا يحترم أخوته ووالديه أو زوجته وأولاده. فإنه لا يمكن أن ينتج في عمله والفاشلون في أسرهم وبيوتهم فاشلون في حياتهم حيث إن مشاكل البيت تعكس آثارها على عمله في الوحدة أو أي عمل آخر.

ولهذا أقول: القدوة عليه أن يكون قدوة في كل مكان وليس فقط في الوحدة أو الفرقة أو في العمل بل يجب أن يكون قدوة أينما وجد وفي أي مكان كان. إن الطالب الحزبي إذا لم يكن متفوقاً في دراسته يكون عنصراً مسيئاً للحزب أكثر مما هو مفيد في الوحدة لا يكون له الاحترام في نفوسهم بل يحتقرونه ويعتبرونه عنصراً يتحدث تحت حماية السلطة فتتفر منه الوحدة ويسيء للحزب، وعلى قيادة الفرقة الحزبية أن تدرك هذا العمل بسرعة وتصلح هذه الآثار السلبية إذا وقعت كالتى يحدثها المزاودون في العمل وهم كسالى.

على كل فرد في الوحدة أن يدرك أن الذين يسيئون من الرفاق هم ليسوا رفاقنا بالأصل وسوف يفصلون من الحزب لأن الحزبي مثالي في أخلاقه مؤمن بمبادئه يحمل رسالة من أجل تطوير المجتمع وتحقيق أهداف الأمة فالحزبي الذي يؤمن بذلك لا يمكن إلا أن يكون نموذجاً في الأخلاق والسلوك وعندئذ نقول إنه العنصر المشع أو النقطة المضيئة وعدا ذلك فهو غير حزبي.

لقد دخل الحزب كثيرون وتسلفت أجسام غريبة وعلقت به شوائب ولكن البعث العربي الاشتراكي حزب الجماهير سوف يسقط كل هذه الشوائب وسوف يحتفظ بالمناضلين المؤمنين. لذلك فإن الرفاق الموجودين في الوحدة في أي حي كانت ينطبق عليهم ما قلته عن الوحدة في حي المزة. لأن العمل الجماهيري مع الشبيبة هو عمل خلاق، وأن عنصر الحياة والقوة والنشاط متوفر لدى الشبيبة، فإذا ما استطعنا تربية هؤلاء الشباب وتوجيههم وجهة قومية واشتراكية وزرعنا في نفوسهم حب الوطن والولاء للحزب وعمقنا عندهم عقيدة الحزب ونظريته بهذا العمل تكون الوحدة جماعة صالحة للعمل في منطقة الفرقة.

إن الرفيق في وحدة شبيبة ضمن الحي يجب أن يتقن عمله، فإذا كان طالباً يجب أن يكون متفوقاً وإذا كان موظفاً يجب أن يتقن عمله الوظيفي والشخص الذي يمتحن عملاً حراً يجب أن تكون سمعته جيدة، وعلى كل شاب وشابة في وحدة الشبيبة بالحي أن يمثلوا قمة الأخلاق في العمل والسلوك والنشاط والنزاهة وهذا السلوك إذا ما اقترن بالدعاية ونشر أفكار البعث لاقى أدناً صاغية من أفراد الوحدة.

كيف تنشط وحدة الشبيبة جماهيرياً:

لقد حددت جماهير الشبيبة بالحي من سن 14-25 أو حسب نظام الشبيبة فيما يتعلق بالسن: ومن هنا أقول يجب تقسيم وحدة الشبيبة بالحي إلى عدة فرق كل فرقة من سن واحدة ولنفرض أن وحدة الشبيبة 235 شاباً و240 شابة من سن:

في سن 15-30 شاباً 20 فتاة

في سن 16-30 شاباً 20 فتاة

في سن 17-30 شاباً 20 فتاة

في سن 18-30 شاباً 20 فتاة

في سن 19-25 شاباً 17 فتاة

في سن 20-20 شاباً 12 فتاة

في سن 21-20 شاباً 12 فتاة

في سن 22-20 شاباً 10 شابات

في سن 23-15 شاباً 4 شابات

في سن 24-10 شباب (2) شابتان

في سن 25-5 شباب.

إذا درسنا هذه النسبة وجدنا أنه من الواجب أن يخضع هذا التقسيم لدراسة نفسية تطبق على الشباب، ولا يمكن أن يقوم نشاط جماهيري ذو فائدة في اجتماع واحد يضم عنصراً عمره 15 سنة وعنصراً عمره 25 سنة هناك فارق في السن عشر سنوات من التجربة ولهذا يجب أن تقسم هذه الوحدة أثناء إسناد المهمات لعناصر الشبيبة كل وفق طاقاته وبالحدود الممكن رسمها له حتى يستطيع كل فرد في وحدة الشبيبة أن ينتج وأن يعمل بنشاط في حيه.

.. ما هي المهمات التي تسند للعناصر الفتية . الدعاية . توزيع النشرات أساليب الدعاية بالمدرسة .

.. أما فيما يتعلق بالعناصر الكبيرة، طرق كسب الأنصار، نشر أفكار الشبيبة في منطقة السكن، الدعاية للوحدة، تلقي الوجيها من الوحدة وتنشيط العناصر الصغرى.

قد تقع مشاكل كثيرة أثناء هذه الأعمال ولكن بقدر ما يكون الرفيق الحزبي نشيطاً ومتفهماً لواقع وحدته يكون قادراً على حل مشاكلها.

إن الرفيق الحزبي في وحدة شبييته يجب أن يكون النقطة المضيئة للوحدة فعليه أن يدرس واقعها ويترجمه إلى تطبيق عملي. وهو يستطيع أن يرسم مع قيادة الوحدة البرنامج التفصيلي لعمل الوحدة في منطقة الفرقة الحزبية ويستطيع مع قيادة الوحدة تنفيذ هذا البرنامج المخطط والمدرّس وتصحيح الخطأ أو القصور في حينه حيث يمكن التساهل مع العناصر الكبيرة في السن ومحاسبة العناصر الشابة ويجب أن لا نتساهل في الخطأ لأن الانضباط أساس التربية الصحيحة للشبيبة.

- هذه صورة عن عمل ونشاط الشبيبة في حي شعبي كحي المزة.

على الرفيق أن يتذكر دائماً أن في الحي كثيراً من الفقراء غير القادرين على دفع أي مبلغ وخاصة العناصر الصغيرة أبناء العمال أو الموظفين الصغار لأن راتبهم محدود وعدد أفراد عائلاتهم كبيرة فعناصر وحدة الشبيبة من هؤلاء بحاجة للرعاية تربوياً وخاصة الفتيات إذ عندما ندرس تكوين الفتاة النفسي في سن المراهقة نرى تعقيدات كثيرة يرجع أكثرها إلى فقر والد الفتاة وعجزها بالتالي عن مجاراة زميلاتهن في اللباس وغيره.

وقد تكون هناك صعوبة لدى الرفيقة في وحدة شبيبة من هذا النوع لأن أساليب الدعاية في التلفزيون والإذاعة والسينما في القطر السوري (لا تزال برجوازية وغير تربوية وتخلق الفوضى والتعقيد في نفوس المجتمع).

وعلى الرفيقة في وحدة الشبيبة أن تدرس بعمق هذا الواقع لدى شابات الوحدة لمعالجة الآثار النفسية على المظهر الخارجي.

- مثلاً: عامل عنده: ثلاثة أولاد وأربع بنات: دخله 300 ليرة شهرياً يسكن في بيت من غرفتين أجرتهما خمسون ليرة ويبقى معه 250 ليرة سورية وعنده ولدان في الابتدائي وثلاثة في الإعدادي واثنان ثانوي فكيف يستطيع هذا العامل إعالة هؤلاء وتدريبهم وتأمين لباسهم ومداداتهم.

ومن المفروض أن تكون ابنة هذا العامل في الحلقة الثانوية منضمة إلى

وحدة الشبيبة وابنه كذلك، كيف يعمل الرفيق الحزبي والرفيقة الحزبية لتربية أبناء هذا العامل التربية الصحيحة في وحدة شبيبة.

تذكر دائماً أيها الرفيق وأيتها الرفيقة في وحدة الشبيبة مظهركما أثناء التحدث والعمل مع هذا المستوى من أفراد الشبيبة وتذكروا الفلاحين والعمال والكادحين دائماً وأبداً في المجتمع العربي الاشتراكي، وتذكروا أنه لا ثورة على هذا الواقع بدون صناعة ثقيلة وبدون نشر فكر الحزب حزب البعث العربي الاشتراكي وبإلتأكيد لا يمكن أن يكون هنالك بدون الحزب صناعة ولا زراعة ولا مجتمع متطور ولا تربية صحيحة في الشبيبة.

هذا واقع وحدة شبيبة في حي شعبي، أي حي شعبي في هذا القطر وينطبق على أية مدينة كبيرة وصغيرة وقد يختلف من حي شعبي في مدينة يقوم اقتصادها على الزراعة كإدلب والرقه ودرعا.. الخ أو حي شعبي يقوم اقتصاده على بعض الصناعات الخفيفة كدمشق وحلب.. الخ وفي كل الأحوال فإن جوهر العمل لا يتبدل وإن اختلفت الأساليب بالتطبيق بين حي وآخر وفق الظروف.

إذن فعلى قيادة الفرقة الحزبية أن توجه الأعضاء والأنصار في وحدة الشبيبة الكائنة في منطقة عملها وأن تدرس معهم برنامج عملهم ونشاطهم وهنا لا بد أن أشدد على عمل قيادة الفرقة في منطقتها وعلاقتها بقيادة وحدة الشبيبة. كنت ذكرت أن للفرقة برنامج عمل مخطط وممنهج ويدخل ضمن هذا البرنامج وحدة الشبيبة وقلت أيضاً إن وحدة الشبيبة لها برنامج عمل مخطط ومدرّوس تطبقه لنفسها وتشرف عليه قيادتها.

فعلى قيادة الفرقة وفق البرنامج أن تدرس مع وحدة الشبيبة برنامجها وتوجه وحدة الشبيبة وترشدها. وتصحح لها مواقع الخطأ وتشجعها في عملها الصحيح ويجري مع الرفاق والرفيقات الحزبيين في وحدة الشبيبة اختيار الأنصار وكسب المؤيدين للحزب.

وهنا لا بد أن أقول إن قيادات الفرق لا تقوم بهذا العمل بشكل صحيح ومدرّوس إذا احتج بعضهم بأن هذه لم تردنا من القيادة العليا أو هذا البرنامج يحتاج إلى مصادقة من القيادة الحزبية الأعلى وفق التسلسل الحزبي فعلى الرفاق

في قيادة الفرقة أن يضعوا البرنامج من خلال الواقع الاجتماعي القائم وأن يطوروا العمل وأن يخبروا القيادة بصورة ما عن البرنامج لا أن ننتظر من القيادة أن ترسل لنا كل شيء لأن القيادة تدرس العموميات في الدولة والمجتمع. أما الفرقة فهي مكلفة بالتفصيلات وبالجزيئات الصغرى في منطقتها فهي تبحث مشكلة الحي وكيفية تطويره وتنظيم جماهيره وفق منظمات الحزب. أما فيما يتعلق بالمشاكل العامة والسياسة العربية والدولية فتؤخذ من قيادة الحزب وما يتعلق بذلك من توجيهات. أما من أجل العمل الحزبي في وحدة شبيبة فهذا يختلف من فرقة لأخرى وفق ظروف منطقة الفرقة والتكوين الاجتماعي في الحي.

الوحدة النسائية في منطقة الفرقة كيف تعمل الفرقة الحزبية في منطقتها مع الوحدة النسائية:

يجب أن لا يغيب عن ذهن كل رفيق ومناضل في الحزب أن النساء نصف المجتمع ولخلق مجتمع متطور يستطيع أن يدفع الغزو الإمبريالي، لابد أن يعمل كل رفيق ورفيقة في الحزب على تطوير وزج القطاع النسائي في العمل المنتج. وبذلك يعمل المجتمع بشكل متكامل أما في الظروف الحاضرة فإن الإحصائيات تشير إلى أن أغلبية النساء لا تعمل إطلاقاً وبذلك تكون عاملاً مستهلكاً فقط على الرجل والمجتمع بالإضافة إلى كون هذا القسم من المجتمع جاهلاً بالأوضاع العامة الاقتصادية والسياسية عدا فئة قد تكون مثقفة ولكن أوضاعها العامة تقعدها عن العمل فتعتبره عيباً نظراً للعادات المتخلفة عند أقرانها وذويها ولا نستطيع في هذه الحالة أن نميز بين المرأة المنتجة والمرأة المستهلكة وعلى كل حال فإن هذا القطاع الذي يشكل نصف المجتمع لابد وأن يحوز منا جزءاً رئيسياً من الاهتمام والدراسة ومعرفة الطريق السليم لرجه في العمل.

وإذا كان هذا البحث يقتصر على عمل الفرقة في الحي الشعبي في المدينة فسوف أضيف إليه تفصيلات جزئية عندما أطرق وضع الفرقة الحزبية في الريف ومنطقة عملها في القرية.

. وإذا انتقلنا إلى حي المزة الشعبي: وكنت قد حددت عدد سكانه بخمسين

ألف نسمة:

وعندما نقول خمسون ألف نسمة فمعنى هذا أن نصف هذا العدد إناث ونصفه ذكور. وإذا أخذنا النسبة في البيت الواحد واعتبرناها أربعة أولاد وامرأة ورجل مثلاً نكون قد حددنا في البيت الواحد أربعة أولاد في المدارس أو نصفهم في الأعمال الحرة. رجل عامل أو موظف أو يعمل عملاً حراً وامرأة واحدة في البيت عاطلة عن العمل. وقد تكون إحدى البنات موظفة في مؤسسة ما. وإذا عددنا النسبة من النساء الموظفات في هذا الحي وجدناها 20% وبذلك تكون نسبة العاطلات عن العمل 80% وعندها ندرك أن الذين يعملون من الذكور والإناث نسبهم 100% للرجال و20% للنساء و80% عاطلون عن العمل وإذا عرفنا أن عدد الشباب والأطفال من الذكور والإناث العاطلين عن العمل تشكل 5/4 المجتمع فيكون 5/1 المجتمع فقط هو المنتج الذي يقدم للعائلة المأكل والملبس والمأوى والدواء ويشرف على التربية والتعليم. ويشترك من هذا 20.5% من النساء فقط والباقي رجال وبذلك تكون نسبة النساء المستهلكات في هذا الحي 80% ليس لديهن أي عمل وهي قوة كبيرة مستهلكة على حساب الـ 5/1 المنتج. وقد يكون هذا الخمس عملياً (غير منتج لأن الموظف والتاجر والمستخدم قوة مستهلكة أيضاً) أما العمل فهم القوة المنتجة في الحي. ولهذا فكامل الحي يعيش من كدح عدد محدود من العمال.

وهذا مثال قد يبدو بسيطاً جداً ولكن له دلالة:

في الليل مرض أحد الأطفال ولم يستطع أبوه إحضار طبيب والعيادات مغلقة وسوف يذهب للعمل صباحاً ولكن أمه تصر على أخذه إلى الطبيب وهي بمفردها لا تستطيع أخذه لأنها بمفردها لا تزور الطبيب وتحدث مشادة كلامية بين المرأة والرجل في الصباح إذ عليه أن يذهب إلى العمل ثم يحصل على إجازة ويعود ليأخذ الطفل إلى الطبيب هذه واقعة صحيحة (ولكن هذه المرأة تستطيع الذهاب إلى سوق الحميدية).

وإذا أحصينا عدد المجازين من العمال من أجل مثل هذه الحوادث الصغيرة وجدناه نسبة عالية وعلى الرفاق في الفرقة المهنية في قطاع العمال أخذ الأمر بعين الاعتبار والاهتمام به.

هذا واقعنا وعلينا كمناضلين ومناضلات في الحزب معالجة هذا الواقع المر وتغييره وتطوير المرأة لتصبح قوة منتجة تساوي الرجل في كل أعماله.

بعد هذا العرض عن الواقع:

لا بد من بحث واقع الوحدة النسائية في الحي:

الوحدة النسائية مكونة من مجموعة نساء في الحي لا يتجاوز عددهن - 200 - تقريباً لأن هذا العدد يزيد أو ينقص وفق الظروف. وقيادة الوحدة من أنشط النساء الموجودات ولكن كيف تتكون هذه القيادة؟ في الحقيقة تتكون مبدئياً بتعيين قيادة وحدة ثم يجري لاحقاً انتخاب قيادة الوحدة من الأعضاء المنتسبات للوحدة وعلى قيادة الوحدة أن تقيم دورات تمرير للأعضاء أولاً: كل امرأة يمكنها أن تقيس حرارة طفل ويمكنها إعطاء إبرة لطفل ويمكنها أن تضمد الجراح.

وعلى قيادة الوحدة النسائية في الحي أن تعمل جاهدة لعقد دورات متسلسلة لمثل هذه الأعمال وتبذل كل الجهود لتتبع أغلب نساء الحي مثل هذه الدورات.

وعليها أن تقيم دورة آلات نسيج أي تعلم المرأة كيف تنسج كنزة صوف أو جراب.. الخ.

أن تقيم دورة خياطة وتبذل جهوداً لتعلم النساء كيفية تفصيل اللباس لأبنائها.

إذا استطاعت المرأة غير المنتجة القابعة في بيتها أن تقوم بهذه الأعمال تكون قد قدمت لزوجها وفراً لا بأس به ومعونة ذات اعتبار.

وهذا يعني أن الراتب المحدد للعامل بـ 300 ليرة تكون المرأة قد ساهمت مساهمة فعالة في حسم كثير من المصاريف من أصل الراتب الشهري. هذا فيما يتعلق بالمرأة في بيتها.

أما إذا انتقلنا لعمل الوحدة النسائية في نطاق أوسع فتستطيع أن تعقد دورات آلة كاتبة تستفيد منها المرأة في أعمالها الوظيفية وفي دراستها وقد تستفيد منها في حالات الحرب والسلم.

تعقد دورات إسعاف عام من أجل الدفاع المدني.

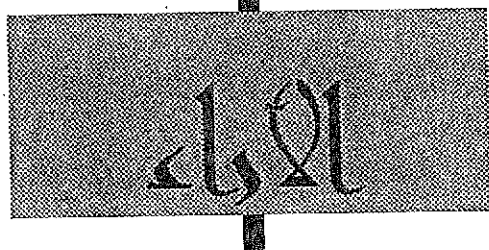
نستطيع بالتطور أن نعلمها قيادة السيارات. هذا في حقل النشاط العام الذي سوف نصل إليه مستقبلاً وعلينا أن نناضل لنصل إليه والتطور الاجتماعي والصناعي يحتم الوصول إلى ذلك.

- هذه لمحة عن الأعمال التي يجب أن تقوم بها الوحدة النسائية من حيث الواقع النظري.

ولكن هل الواقع الحالي يساعد على ذلك وكيف تعمل الوحدة النسائية من خلال واقعها القائم؟ كيف تعمل الفرقة الحزبية مع الوحدة النسائية في هذا المجتمع المتخلف والمعقد من النواحي المذهبية والاجتماعية والاقتصادية.

الرفيق محمد إبراهيم العلي
قائد الجيش الشعبي





□ نور المضيء بن سلمان المرشد

□ الدكتور أحمد درغام

□ الدكتور محمد سلمان

□ اللواء سليمان طراف

□ اللواء نديم عباس

□ المذيع عبد الهادي بكار

جدير بالثقة.. أهل للثناء

نور المضيء بن سلمان المرشد (❖)

يتحدث:

فعلاً هذا الرجل محمد إبراهيم العلي استطاع أن يعلم الصبح من الخطأ بالنسبة إلينا على الأقل. ومن استطاع أن يميز الصبح من الخطأ فهو جدير بالثقة وأهل للثناء.

حلاوة الموت.. عندما تتذوقه لا تعود تخشاه

لقد قدّم محمد إبراهيم العلي للموت مراراً ولم تهدّه هذه المواقف القاهرة، بل تابع مسيره وخطّ طريقه بعدها دونما أيّ إعياء.

هو أول من علّم أنّنا نتيجة لمواقفنا الصلبة بالنسبة للعهود البائدة قبل سنة 1963 أنّنا خير من تصدّى للإقطاع وللظلم، وأنّنا لم نحن الرأس لأيّ جبار، ودفعنا بذلك دماء لها عند الخالدين اعتباراً وأي اعتبار.

محمد إبراهيم العلي علّمته مأساته الإنسانية أن يحترم كلّ مأساة إنسانية ويقدّرّها، وقد خلقت في نفسه، كما رأيت، طيبة ووداعة عبّرت عنها أفعاله وأعماله، فما رأيتّه يعتدي على الناس، ولا يستعلي على أحد، وكفى بذلك فخراً.

لا أنسى كيف كان يمرّ بي في مدينة طرطوس، وكنت قد استأجرت بيتاً فيها

(١) السيد نور المضيء بن سلمان المرشد، نُفي إلى دير الزور وهو طفلاً، سُجن في سجن القلعة، وبعده في سجن المرة العسكري وهو شاباً، ظلّ تحت الإقامة الجبريّة حتى سنة 1970، وبسبب الملاحقات التعسّفيّة التي تعرّض لها أولاد سلمان المرشد في كلّ العهود حتى قيام الحركة التصحيحية اضطرّ أن يكمل دراسته نفسه سواء عندما كان طفلاً أو شاباً بمعونة أساتذة سوريين ثمّ لبنانيين، ثم بعد ذلك بمراسلات دراسية مع جامعات غربية. وهو أحد المفكرين المعروفين بصوابة الرأي وقوّة المنطق. (المؤلف)

لأرعى تعهداتي وشؤوني الكثيرة هناك. وبأي ظرفٍ كان يأتي..! كان يأتي عندما كان غيره من رفاقه تحوطهم سيارات المرافقة التي يقبع فيها حرس مدجج بالسلح. كان يأتي وهو يقود سيارته، وليس معه أحد وهو الذي كان مستهدفاً من عصابات القتلة.. لربما أكثر من الجميع. محمد إبراهيم العلي لا يرافقه أحد سوى امرأته الوديعه المخلصة لزوجها ولأبنائها كزوجها. تتعاقب أفئدة هذه العائلة بما أصفه (بالتحفة) وكنت أغبطهم على هذا الترابط الطيب.

الإنسانية والخير يعلوان عن عقدة الأوطان والأحزاب والنظريات

تكلمت عنه من حيث الطابع الإنساني ، وهل هنالك شيء غير الطابع الإنساني على هذه الأرض!.. فعند الطابع الإنساني تفنى الأوطان والدول ونعود إلى كلمة الذي شرف لقب الإمام عندما تلقب به ألا وهو كما تعلمون، علي بن أبي طالب وكلمته هي: «إن لم يكن أخاً لك في الدين فهو مساوٍ لك في الخلق».

المعاناة تصنع الأبطال

ما رأينا محمد إبراهيم العلي إلا صادقاً في كل تعاملٍ لنا معه، وكان أول مَنْ كتب عنا بمصداقيةٍ وبجرأةٍ لم يسبقه عليها أحد. لربما خلقتها فيه المعاناة التي تصنع الأبطال.

صداقة وتبادل زيارات

كنت أزور بيته ويزور بيتي عائلياً طبعاً ، والعائق الوحيد في تبادل هذه الزيارات كان درج بيته الطويل الذي كنت أجده مرهقاً جداً. ما عدا هذه الصعوبة لم تكن هنالك أية شائبة في علاقتي به.

ولا أنسى مرةً حين قصد هو وأحد أخويه بيتي في الجبل في كرم المعصرة ليعيداني في عيدنا عيد الفرح بالله، ولكنهما أضاعا الطريق واضطراً إلى أن يفتشاً الجبل كله ليسألاً عن هذه القرية الصغيرة التي كنت أصيف فيها مع عائلتي. ولا أعلم أخيراً كيف اصطدما بها. كانوا يهنئوننا بأفراحنا ويواسوننا بأحزاننا ولا يطلبون منا شيئاً.

الصراحة معدن التصافي

قد اختلف مع محمد إبراهيم العلي بآراء وقد نتفق في آراء ولا عيب في هذا فالصراحة معدن التصافي. وعلة العالم أنه لم يصل إلى هذه الحقيقة بعد إلا لربما قولاً فقط دون اقتناع. فبينما يظهر بعض الوميض منها على شاشة القول يخفي كل وميض منها على شاشة العمل.

أختم على ما ذكر في كتابه من مواقف لنا

سمعت بمحاكمته الشهيرة عندما كنت يافعاً، وكنا نسكن يومذاك في حي الميدان في دمشق، كنا نتعاطف معه أثناء سير المحاكمة. لماذا؟.. أتسأل مظلوماً لماذا يتعاطف مع مظلوم آخر!!.. لن أتحدث عن سير محاكمته فهو رواها، وبالتفصيل في الجزء الثاني، من كتابه (حياتي والإعدام) ولن أتحدث عن علاقتنا السياسية به فهو قد رواها وبالتفصيل أيضاً في الجزء الثاني من الكتاب نفسه، ولكن أصادق وأختم على كل ما جاء به عنا في كل الظروف التي ذكرنا بها في هذا الكتاب.

كان مشاركاً في إنقاذ دمشق من أحداث دامية

قيل إنه كان لنا الفضل الأول بإنقاذ دمشق من حرب واقتتال سنة 1984، أحب أن أنوه هنا إنه إذا كان لنا فضل في ذلك فقد شاركنا محمد إبراهيم العلي هذا الفضل قلباً وعملاً.

اعترف بعضهم بهذا الفضل، ولكنهم نسوا فضل ضم الساحل السوري إلى سورية بوساطة قائمة سلمان المرشد الوحدوية التي اكتسحت الانفصاليين سنة 1937؛ تلك الانتخابات التي جرت ليقرر الشعب في ما أسمته فرنسا [دولة العلويين] إن كان شعبها يريد انضمام هذه الدولة المزعومة (أي الساحل وسلسلتا الجبال الساحلية) إلى سورية أم لا. ونسوا كيف أقنع سلمان المرشد بناءً على طلب الحكومة الوطنية أفراد الجيش السوري بالخروج من الجيش الفرنسي الذي كانوا قد انخرطوا فيه، والانضمام إلى الجيش الوطني الذي كان لا يزال في طور البناء.



الرفيق الصادق

الدكتور أحمد درغام (*)

سمعتُ باسمه عندما كنتُ معلماً في مدرسة الناجية - منطقة جسر الشغور - محافظة إدلب وكان ذلك عام 1961 زمن الانفصال الذي كنا نكرهه حيث الوهج الوجداني والقومي يكتنف وعينا. ولم يمضِ العام الدراسي 1961-1962 حتى سطع اسمه مع لفيف من رفاقه يحاولون ضرب الانفصال، ويحكم عليه بالسجن والإعدام، وتأتي ثورة الثامن من آذار عام 1963 ليخرج من السجن، ويُزال حكم الإعدام عنه.

أقدر أن هذه المرحلة الصعبة تركت أثراً في شخصية محمد إبراهيم العلي، أثر العودة إلى طفولته وبيع شبابه كيف عاشها مع أهله تحت قهر الإقطاع وظلمه فأحب أن يسجلها أدباً روائياً في نتاجه اللاحق كما بدت في رواياته: (الطفيان) و(القناديل) و(التحول الكبير) وغيرها.

وأثر سلوكه العام وتسنمه المناصب القيادية منذ ثورة الثامن من آذار وحتى يومنا هذا معتزاً بكل ما أنجزته الثورة وبخاصة بعد الحركة التصحيحية التي قادها القائد الخالد حافظ الأسد. وضائق النفس تبرماً من كل ما يراه معيقاً ومزعجاً وخارجاً عن خط الثورة ونهجها؛ بدا ذلك واضحاً في بعض ما كتب في أعماله مثل: «نجمة الصبح» و«شوك الدردار».

(*) شغل الدكتور أحمد درغام مهمة أمين شعبة حزب البعث العربي الاشتراكي في مدينة تل كلخ في الستينيات، تخرج في جامعة دمشق قسم الفلسفة، أوفد إلى الاتحاد السوفيتي لدراسة الفلسفة، فخرج في جامعة موسكو. يعمل شهادة الدكتوراه في الفلسفة، عُيِّن أستاذاً جامعياً في جامعة دمشق - كلية الآداب قسم الفلسفة في أوائل السبعينيات. عُيِّن عميداً لكلية الآداب. ثم عُيِّن عضواً في القيادة القطرية منذ منتصف الثمانينيات، ولا يزال حتى الآن، وهو مسؤول عن الإعداد الحزبي في القيادة القطرية، والمنظمات الشعبية. (المؤلف)

وأخيراً عرفته عندما كنا طلاباً في جامعة موسكو في النصف الأول من عقد السبعينيات كان معنا أخوه المرحوم أحمد، وفي الغربة تزداد وطنية الإنسان، كنا نلتقي معه كلما قدم إلى موسكو في تلك السنين. نجلس معه ونسمع منه أخبار الوطن ونجد فيه الإنسان البعثي المؤمن بأهداف أمته العاشق لحزبه المندفع دائماً لمساعدة المحتاجين إليه. وكما أعرف من الناس الذين ساعدتهم وقدمهم ثم ذهب تضحياته دون أي تقدير من هؤلاء. ومن طبعه أنه لا يقف عند هذه الأمور ويترك للزمن حلّ مثل هذه المسائل؛ أقول ذلك وأنا عارف بشخصيته فهو الذي ينسى ما لا يريد ويتذكر ما يرغب. تحسبه لا يعرف شيئاً عن أمر ما فإذا هو مدرك أكثر ما يحيط به.

عدتُ إلى سورية بعد الحصول على درجة الدكتوراه وتعينت عضواً لهيئة تدريس في جامعة دمشق بعد حرب تشرين بعدة شهور وكان محمد إبراهيم العلي قائداً للجيش الشعبي ومنذ ذلك الأوان ونحن معاً.

تلك مسافة زمنية عمرها ثلاثون سنة مما نعد وأزعم أنها بحميلها وركامها كافية لمعرفة الرجل.

نحنا نحو الكتابة؛ كتابة الرواية، فهو يمتلك ذاكرةً للأحداث وأسبابها، ويقرأ جيداً ويسمع جيداً، وتعرف على أهل القلم من داخل القطر ومن خارجه فزاد إنتاجه على عشرين عملاً أدبياً حاول فيه أن يرصد مراحل تاريخية متعددة، ومنها مرحلة نضال الفقراء في الريف والمدينة قبل استقلال سورية، ومرحلة نضال الكادحين بعد الاستقلال، ومرحلة التحولات الكبرى التي كانت بعد ثورة الثامن من آذار. وكان الخيط الطبقي، إن لم أقل الصراع الطبقي، ملازماً لكتابته ومضامين أعماله. وقد سألته غير مرة ما فائدة ذلك؟ فكان يقول: أنا أكتب للأجيال القادمة علّها تذكر كيف عاش آباؤهم وأجدادهم. إن الحاضر لا يُبنى إلا إذا عرف الأحياء ماضيهم، وإن المستقبل هو نتاج الماضي والحاضر.

ابن الفلاح لم تفقده مناصبه وحياته في المدينة ذاكرته وأحوال معيشته السابقة، ولم ينسه زخرف الحياة نداء المعذبين في الحقول، ولم ينس حبيب أمه

الساخن الذي أَرْضَعَتْهُ لَهُ أيام الحصاد، وأَحْسَبُ أَنْ سَاعَةً عِنْدَهُ يَمْضِيهَا فِي آخِرِ قَرْيَةٍ اسْتَقَرَّ أَهْلُهُ فِيهَا «حُورَاتِ عَمُورِينَ» لَهَا أَحْلَى أَيَّامِ عَمْرِهِ.

لَقَدْ حَاوَلَتْ أَبُهَا الصَّدِيقَ وَالرَّفِيقَ أَنْ تَكُونَ صَادِقًا لِبَيْتِكَ وَأَهْلِكَ وَوَطْنِكَ فِي سُلُوكِكَ وَنَتَاجِكِ الْأَدْبِيِّ، وَأَنْ تَكُونَ وَفِيًّا لِلْحَزْبِ الَّذِي انْتَمَيْتِ إِلَيْهِ حَزْبُ الْبُعْثِ الْعَرَبِيِّ الْإِسْتِرَاكِيِّ، وَأَنْ تَكُونَ رَوَائِيًّا وَكَاتِبًا، وَكَمَا يَقُولُ شَيْخُ فَلَاسْفَةِ الْإِغْرِيقِ أَرْسَطُو «إِنَّكَ إِمْكَانِيَّةٌ بِقُوَّةٍ، وَإِمْكَانِيَّةٌ بِالْفِعْلِ».

الشام - نيسان 2004



الرجل الذي لم ينشر الموت

(*) الدكتور محمد سلمان

في نهاية شهر نيسان 1963 دخلت منزل الرفيق يعقوب سعيد (أبو صفوان) الواقع في حي الصليبية باللاذقية فوجدته واقفاً وجهاً لوجه مع شخص يضع سترته على كتفيه، عرفني قائلاً الرفيق أبو ناجح.. الرفيق محمد عمران.. (هذه أول مرة أشاهد فيها الرفيق محمد عمران) وفي هذه اللحظة خرج من غرفة النوم رجلٌ حاسي القدمين، طويل القامة، أسمر اللون، نحيلٌ بشارب أسود يرتدي ثياب عمل عسكرية فضفاضة بدون رتب، حيّناً بصوت هادئ خافت، انشدت إليه باهتمام وتذكرت أنه محمد إبراهيم العلي الذي طالعتنا الصحف بصوره أثناء محاكمته، وأن حديث الكثيرين عنه وأفعاله رسخته في ذاكرتنا رجلاً شجاعاً مليئاً بالحيوية والعنفوان، رجلاً فولاذياً، عشق التحدي ولم يخش الموت عندما طلب منه الحزب أن ينتفض مع عدد من الضباط يعلونه رتبة، وما أن تخاذل بعضهم في اللحظات الأخيرة للبدء بالتنفيذ، حتى اندفع وقاد الانتفاضة في حلب 1 نيسان 1962.

انتصرت انتفاضة محمد إبراهيم العلي وعاد علم الوحدة يرفرف فوق كل المؤسسات في حلب، وخرجت الجماهير الوحدوية من بعثيين وناصريين وقوى وطنية

(*) عمل الدكتور محمد سلمان في التنظيمات الحزبية السرية في سورية والعراق، كما عمل عضواً ونائباً لأمانة فرع جامعة دمشق لحزب البعث العربي الاشتراكي، ثم عمل محافظاً لمدينة الرقة، ثم وزيراً للإعلام ثلاثة عشر عاماً، وعضواً في اللجنة المركزية للحزب 1980-2000. ويعتبر الدكتور محمد سلمان من المناضلين في حزب البعث العربي الاشتراكي، وكان من الرفاق المخلصين لحركة 16 تشرين الثاني، ومن المخلصين للرئيس الراحل حافظ الأسد، كما عمل في الحرس القومي في اللاذقية وعمره آنذاك 23/ عاماً، ومنذ ذلك الوقت أي حين تعرفت إليه في اللاذقية وفي الحرس القومي، لا تزال علاقتي به مستمرة ومميزة حتى الآن. (المؤلف)

تحية الانتفاضة وتقدم الحلوى للجند لأيام ثلاثة، ثم عادت وانكفأت عندما تناهى إليها أن الانتصار اقتصر على حلب دون غيرها، وخيم الإحباط والحزن وسقوط الأمل وهي ترمق إنزال علم الوحدة.

ولم يبق سوى الحديث عن محمد إبراهيم العلي الذي آلت به شجاعته إلى توقيفه وتقديمه إلى المحاكمة وصنوبر الحكم بإعدامه. لكن الحكم عزز شخصية البطل في مخيلة الشباب البعثيين في كل مكان. فكنت واحداً من هؤلاء المعجبين فحررت برقية استنكار باسم الجماهير موجهة إلى الرئيس ناظم القدسي رئيس الجمهورية تناشده العفو وتحذر من مغبة إعدامه، وأذكر أن البرقية بدأت بعبارة (الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها ..) حملتها ودرت بها أجمع مئات التواقيع عليها. وقبل أن أكملها، انتهى بي الأمر إلى التوقيف بتهمة القيام بعمل مخل بالأمن وصودرت البرقية!

إن طيف وصورة محمد إبراهيم العلي شداني إليه عندما شاهدته للمرة الأولى مع الرفيق محمد عمران وهما ضيفان في منزل الرفيق يعقوب سعيد الذي كان نادراً نفسه ومنزله لكل نشاط حزبي، حتى إن العديد من الرفاق القياديين القادمين من دمشق والعراق ينزلون ضيوفاً في منزله. (ولم يكن أكثر ترحيباً وخدمة لرفاقه من زوجته أم صفوان).

كان الرفيق محمد عمران (رحمه الله) يتحدث إلى يعقوب سعيد مستفسراً عن التجمع الناصري في اللاذقية الذي سيلتقي به لاحقاً في ثانوية جول جمال.. تحت عنوان ضرورة حشد القوى القومية والوطنية ورفض الصفوف حول الانتصار العسكري الذي تم في الثامن من آذار 1963 وتطويره إلى انتصار شعبي وتهيئة ظروف وشروط تعيد الوحدة وتحصنها. وتحدث محمد إبراهيم العلي قليلاً، وحديثه كان عن إعادة الوحدة كواقع حتمي لا يحتاج إلى وقت طويل وإنما إلى بعض الترتيبات والإجراءات.. كنت صاغياً دون أن أتحدث بكلمة واحدة إلا عندما سنلت فيما إذا كان بعض الرفاق أخذوا علماً بالاجتماع وهل سيحضر عضو قيادة الفرع محمود بدر الدين من طرطوس (عندما كانت قضاء يتبع اللاذقية). وأذكر من حديث

المرحوم محمد عمران حرصه على كسب الناصريين كقوى وحدوية وإبعاد الخلاف معهم.

بيد أنه لم تمض سوى أشهر قليلة على الحوار المفتوح مع الناصريين حتى فوجئنا أثناء انعقاد المؤتمر الانتخابي لشعبة حزب البعث في مدينة اللاذقية في منزل الرفيق يعقوب سعيد في حي الصليبية والنقاش والحوار على أشده، عندما فتحت الباب (أم صفوان) وقالت باضطراب.. توقفت إذاعة دمشق الآن وبدأت تبث الموسيقى وتبته إلى إصدار بلاغ.. صمت الجميع.. وتوجهوا لسماع الراديو.. ومما سمعناه دلاً على محاولة انقلابية.. خرجنا على الفور إلى الرفيق مسؤول الأمن العسكري في اللاذقية الذي كان قد تلقى أمراً بتسليح البعثيين لمواجهة المحاولة الانقلابية الناصرية. وتوزعنا على مجموعات وكلفت بأن أكون قائداً لمجموعة حددت مسؤوليتها عن القسم الشمالي لمدينة اللاذقية. أي كل مجموعة تسلمت حياً من أحياء المدينة وتمركزت في المفاصل الحساسة وبخاصة المداخل والمخارج المؤدية من وإلى المدينة (وقد اتخذ الإجراء نفسه في المحافظات كافة) ثم أصدرت القيادة السياسية قراراً بتشكيل الحرس القومي بقيادة الرفيق محمد إبراهيم العلي واعتبر كل من حمل السلاح في 18 تموز عضواً في الحرس القومي.

في هذه الفترة كان الحزب يجري انتخابات حزبية على مستوى القواعد ويستعد للتحضير لعقد أول مؤتمر قطري في سورية بعد ثورة الثامن من آذار 1963 وصولاً إلى أول مؤتمر قومي بعد ثورتي شباط في العراق وآذار في سورية. وأهم ما كان يدور بين البعثيين طروحات حول اليمين واليسار في الحزب وينعت أصحاب الفكر القومي باليمينيين وغالبيتهم من الرفاق الذين ناضلوا قبل حل الحزب في عام 1958 إبان الوحدة. وكان من أنشطهم: الرفاق عبد الوهاب الخير، وغسان أرناؤوط (غادر سورية للدراسة في أمريكا ولم يعد)، والدكتور ثابت خير بك، ويعقوب سعيد، وحنا قدسية. عبد الوهاب الخير أول من بادر وأعاد التنظيم الحزبي في اللاذقية 1962 وترتيب قيده رقم 1/.

وعقد أول اجتماع موسع طرح فيه إعادة الرفاق القدامى إلى الحزب، تم في منزل الضابط المسرح سليمان بدر في أواخر 1962 في اللاذقية في مشروع الرمل

الشمالي. وهؤلاء النشطاء من البعثيين تميزوا بماضيهم النضالي في الجامعة وبتقافتهم القومية وتمسكهم بالقيم الحزبية المستمدة من الدستور والنظام الداخلي للحزب، وإيمانهم المطلق بأهدافه. وترتبطهم علاقات إيديولوجية وثقة متبادلة مع القياديين الأوائل في الحزب، فصنفوا باليمينيين من خلال هذه العلاقة.

واليساريون في الحزب (وغالبيتهم من ذوي الثقافة الماركسية) يصنفون كل من يتحدث بالفكر القومي بأنه يميني، ويرون في الصراع الطبقي وتطبيق الاشتراكية العلمية (أي الماركسية) الحل الأمثل لحل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية، والوحدة العربية تتم بإزالة الفوارق الطبقية وإقامة مجتمع الطبقة الواحدة. هذا الطرح لاقى رواجاً في صفوف الجيل الجديد وبخاصة بين العمال والفلاحين في ظل غياب مفهوم واضح ومحدد للاشتراكية في أدبيات الحزب.

وأذكر هنا أن أحد القياديين الشباب جاء إلى اللاذقية وعقد اجتماعاً مع عدد من الرفاق في مكتب الرفيق المحامي عبد الحليم خدام (الذي وضع مكتبه تحت تصرف التنظيم قبل أن يتخذ مقراً له) وتحدث مدة ست ساعات بمفردات ومصطلحات فلسفية ماركسية لم تكن سائدة أو متداولة في الحزب، بأسلوب وعرض لم تتخلله ابتسامة واحدة، أو مزاح...!! وفحوى حديثه (مما أحمله في الذاكرة) التعبير عن أنه ومن معه يتطلعون لترسيخ ثقافة جديدة في الحزب، تحمل منطلقات ومفاهيم عصرية جديدة تطوي الثقافة القديمة وتعزز العلاقة مع دول المعسكر الاشتراكي، ثقافة يحمل راياتها اليساريون في الحزب في سورية والعراق، مشدداً على شخصية القيادي العراقي علي صالح السعدي الذي اشتهر بيساريته وتشدده وإجراءاته في الساحة العراقية. قلة كانوا يعرفون هذا القيادي قبل هذا الاجتماع (وقد علمت فيما بعد أنه جاء ليعرف بنفسه ضمن قواعد الحزب، والأهم هو اللقاء مع من كان على صلة بهم تحت عنوان اليسار) خرجنا من الاجتماع، البعض أشادوا بإعجاب بما سمعوا محاولين صناعة رمز جديد في الحزب، والبعض الآخر لاذ بالصمت.

ومن مبدأ عدم الاعتراف بالآخر استطاعت مجموعة التيار اليساري من السيطرة على المنظمات الشعبية وبخاصة العمال والفلاحين (يشكلون كماً كبيراً في

الحزب) وصغار المتعلمين وحتى السيطرة على الحرس القومي، واستغلوا سمعته ونفوذه وهيمته من تقريب وإبعاد وتصعيد وتنزيل للرفاق.

تمكن التيار الجديد من إبعاد كل الرفاق القياديين القدامى ليحل محلهم جيل جديد منهاجه الثقافة المفضل دراسة المادية التاريخية وحفظ المصطلحات الماركسية. وقد تجلت الثقافة الجديدة في المنطلقات النظرية للحزب التي شارك في صياغتها الماركسيان الياس مرقص^(*) وياسين الحافظ^(**) وإقرارها في المؤتمر القومي السادس لحزب البعث العربي الاشتراكي، وهو أول مؤتمر للحزب بعد ثورتي شباط في العراق وآذار في سورية 1963 بسبب سيطرة التيار اليساري في الحزب؛ تلك المنطلقات التي شكلت منعطفاً تاريخياً في الحياة النظرية لحزب البعث العربي الاشتراكي، وعلى الرغم من أهميتها النظرية بقيت بعيدة عن التطبيق. لم تدم سيطرة التيار اليساري طويلاً حتى جاء تيار آخر وأبعده..!!

ومحمد إبراهيم العلي قائد الحرس القومي كان شاهداً في هذه المرحلة، ولم تقتصر اهتماماته على حمل السلاح والأعمال العسكرية والأمنية بل تعداها منذ الوهلة الأولى إلى القضايا الشعبية، فأسس المدارس الإعدادية والثانوية الخاصة في أغلب المحافظات وبأجور رمزية، وأطلق عليها تسميات مدارس الحرس القومي. كما أشاد المستوصفات. وتبرع بمنزله في بلدة سلحبي ليكون مركزاً صحياً لأهالي القرية وجوارها، ولا يزال موجوداً حتى الآن.. وقد شارك في التصدي لكل التحديات التي مرّ بها الحزب وسلطته.. وتحدث غيري ممن كانوا أقرب إليه في تلك الأحداث وعن تلك الأدوار التي أغنت مشاعره فصار ذاكرة لتاريخ مليء بالإثارة والتشويق عندما يحكي ماضياً عشناه سماعاً ومعاصرة ومشاهدة بعض فصوله، دون أن ينسيه معاناة طفولة وريعان شباب عاشها مع أسرته في كنف بيئة إقطاعية رسّخت في ذاكرته ومشاعره صوراً تحول فيها من رجل عسكري ثائر شاهد الموت ولم يمض، إلى قاص، فروائي، فكااتب مذكرات.

(*) كان عضو مكتب سياسي في الحزب الشيوعي السوري - فصل.

(**) ترك الحزب الشيوعي وانسحب لحزب البعث العربي الاشتراكي.

تجلى هذا الماضي بعذابه وسعاده بما كتب من روايات مثل رواية (المرابي) بأجزائها الخمسة معتبراً أن العقل الصهيوني المالي موجود في كل قرية، ورواية (الطفيان) بأجزائها الثلاثة التي تحكي قصة المعاناة مع الإقطاع. ورواية (القناديل)، ورواية (التحول الكبير) ورواية (نجمة الصبح)، ورواية (الذئب)، وقصصه (شوك الدردار).

إن محمد إبراهيم العلي قائد الجيش الشعبي اليوم (الحرس القومي بالأمس) بقي البعثي الملتزم، والتزامه يحد من كتابة الكثير مما يعرفه أو كتابة ما يُعرف عنه!



حين جاء فجباً.. إلى اللواء السبعين

اللواء سليمان طراف (*)

لا أودّ الحديث عن مجريات ثورة 8 آذار 1963 وتفصيلات ما حدث، وذلك لأن العديد من رفاقنا قد تحدثوا عنها، وأخص بالذكر رفيقنا أبو الندى الذي تحدث عنها بالتفصيل في مذكراته (الجزء الأول والثاني)، ما أودّ الحديث عنه هنا، يتعلق بحركة 23 شباط 1966 التي أعدها مفصلاً أساسياً من مفاصل الثورة، وقد عادت الحياة الحزبية، والروح الثورية إلى انسجامها بين الرفاق أولاً، وطبقات المجتمع ثانياً.

بداية أريد أن أوضح بأن الرفيق محمد عمران الذي كان وزيراً للدفاع، شاء أن يجعل مجموعة من الضباط الذين يعتمد عليهم في لواءين أساسيين هما: اللواء السبعون في الكسوة، واللواء الخامس في حمص. حيث كان الضباط صادق الحموي، وعلي ضماد، ومحمود حمرة (مزدوج في اللواء لمحمد عمران وأمين الحافظ)، وعلي مصطفى، وأحمد خضور.. يكونون اللواء لمحمد عمران.

أذكر أنه في يوم 22 شباط 1966 ذهبت إلى شارع بغداد، إلى مكتب اللواء حافظ الأسد قائد القوى الجوية لأخبره بأن عدداً من قادة سرايا اللواء السبعين (حيث أنا موجود) هم على استعداد للعمل وفق ما يطلبه منهم. قال اللواء حافظ الأسد: وأنا سأقوم بإسنادكم بالطيران. ولكن لا بدّ من الحذر والانتباه، لأن الفشل في السيطرة على اللواء السبعين يعني فشل التحرك بكامله. قلت للواء حافظ الأسد: ليطمئن، وودعته، وعدت إلى اللواء في الكسوة بعد أن أخبرني بأن عدداً من الضباط

(*) تعرفت إليه وهو طالب مستعد في الكلية الحربية. كنا في الخدمة العسكرية في القاهرة. كان في اللواء الخامس. كان من الضباط المتحمسين لإخراحي من السجن. كان أحد عدد من الضباط في اللواء السبعين. وصل إلى رئاسة لواء في القوات المسلحة وكان من الضباط المميزين في اختصاصه، يتمتع بروح وطنية عالية. (المؤلف)

سيأتون إلى اللواء وقت الفجر من أجل السيطرة على اللواء، وأن العقيد أحمد الأمير يعرف الخطة بكاملها.

في تلك الليلة كان الهدوء الحذر يسيطر على اللواء، قائد اللواء العقيد أحمد الأمير كان في خارج اللواء، وقد عاد إليه في حوالى منتصف الليل، وهو بكامل هدوئه وكأنه لا يعلم شيئاً. عدد من الضباط كانوا يسهرون ويشربون الخمر، وقد تقصدنا ذلك، ولم يهجموا في أسرتهم إلا قبيل الفجر بقليل، أي عندما هدّهم الشراب والسهر معاً، وخصوصاً المقدم علي مصطفى.

وعند الفجر، في الساعة الخامسة تقريباً، جاء محمد إبراهيم العلي وبعض الضباط، ودخلوا إلى اللواء، كان العقيد أحمد الأمير ينتظرهم أمام بوابة اللواء، وبشكل سريع تمت السيطرة على كتائب اللواء، وقد أعطيت أوامر لسائقي الدبابات وقادة الدبابات أن لا ينفذوا أي أمر يصدر عن قادتهم السابقين، وعليهم وأن يأخذوا الأوامر مني مباشرة، أو من الضباط الذين أتوا من دمشق، وقد تجاوب سائقو الدبابات معي تجاوباً فورياً، لذلك عندما جاء محمد إبراهيم العلي وبعض الضباط ومنهم كاسر محمود، ورثيف علواني، وسليمان رجب، وجدوا الاستجابة الكاملة من قبل سائقي الدبابات وقادة الدبابات، وهم في الغالب من فئة صف ضباط. ولم يقاوم أو يعلن التمرد أحد على الأوامر التي جاء بها محمد إبراهيم العلي، حتى المقدم علي مصطفى لم يقاوم. دخلت إلى مكتبه وقدمت التحية له وأخبرته بأهداف الحركة. فلم يقل شيئاً سوى أنه غير موافق، لذلك تركناه ينصرف إلى بيته. وكذلك النقيب عدنان بدر حسن استسلم للموقف وانصاع للأوامر وإن كنت قد عرفت لاحقاً أنه جاول الممانعة في البداية. لقد عبّر عن امتعاضه من الحركة، لكنه ما لبث أن هدأ، فصمت. المهم خلال ساعة واحدة تمت السيطرة على اللواء، ومما أودّ ذكره هنا هو أنني لم أكن قائد كتيبة في اللواء السبعين وإنما كنت ضابطاً للشؤون الفنية. رغم هذا استطعت السيطرة على اللواء منذ ساعات الفجر الأولى.

ومنذ الصباح الباكر، ومع شروق الشمس، كانت طائراتنا تحوم فوق سماء اللواء. ومما أذكره أن سليمان حداد، جاء من دمشق عبر طريق المعضمية باتجاه

اللواء، ولم يستطع الوصول إلى اللواء بل احتجز في المعضمية. من قبل قوة الدفاع الجوي، لقد احتجزه النقيب جلال الجهني، ثم عاد من حيث أتى. لقد جاء سليمان حداد إلى اللواء السبعين من أجل أن يلتقي المقدم علي مصطفى ليقول له: عليه أن يسيطر على اللواء، وأن ينتظر الأوامر، لكنه، أعني سليمان حداد، جاء متأخراً، فقد سيطرنا على اللواء، والمقدم علي مصطفى انصرف إلى بيته. لذلك عاد من حيث أتى، عاد بعد أن عرف بأن اللواء يسيطر عليه الضباط الموالون للحركة.

وسمعنا، فيما بعد، أن عدداً من الضباط من بينهم سليم حاطوم ذهبوا بقوة عسكرية إلى قصر الضيافة واحتلوه، ثم ذهبوا إلى بيت أمين الحافظ من أجل اعتقاله إلا أن أمين الحافظ وحرسه الخاص قاوموا إلى أن تمت السيطرة على البيت، وأعتقل أمين الحافظ، وأقتيد مع بعض الضباط إلى سجن القابون!

وقد روى لنا بعض الحراس، أن أمين الحافظ قال لمحمد عمران الذي اعتقل هو أيضاً وأودع السجن، قال له: لولاك أنت، لما استطاعوا اعتقالني. أنت ضررت بنفسك كما ضررت بي! طبعاً كان أمين الحافظ يغمز من قناة محمد عمران الذي لم يكن متأكداً من السيطرة على القوات العسكرية في قطنا، والكسوة، واللواء الخامس في حمص.

وللأمانة أقول إن دور الرئيس الخالد حافظ الأسد كان كبيراً في حركة 23 شباط 1966، فلولا: لو تخطيطه، واستقطابه للضباط، لما نجحت الحركة، وهناك أدوار رئيسة لعبها رفاق لنا منهم: صلاح جديد، وعبد الكريم الجندي. كما كان لسليم حاطوم، وعزت جديد دور أساسي في تحطيم قوة الحراسة الخاصة بأمين الحافظ، فقد كانت لديه كتيبتان، ولكن التنسيق ما بينهما كان معدوماً حيث توزع العناصر ما بين قصر الضيافة، والمنزل، وما من رابط بينهما. وانتهت أحداث حركة 23 شباط على هذا النحو.

ومما أذكره أنه وبعد أشهر قليلة قام سليم حاطوم بحركته في يوم 8 أيلول 1966، والتي أراد من خلال اعتقال الرفاق نور الدين الأتاسي رئيس الدولة، والرفيق صلاح جديد الأمين القطري المساعد وبعض الرفاق، وقد كان من بينهم رفيقنا

محمد إبراهيم العلي كنا نعرف أن سليم حاطوم متذمر، ويتحدث كلاما ليس موزونا تجاه رفاقنا في القيادة القطرية، وخصوصا تجاه الرفيق صلاح جديد. وكان هذا الكلام يصل، عبر ناقلية، لأعضاء القيادة القطرية، وللرفيق صلاح جديد أيضا.

وفي يوم 8 أيلول 1966، ذهب بعض أعضاء القيادة القطرية إلى السويداء للاجتماع بالرفاق هناك، فقام سليم حاطوم باعتقالهم. فكلمني وزير الدفاع اللواء حافظ الأسد، كان قد أصبح وزيرا للدفاع، بعد حركة 23 شباط، قال لي: جهز حالك، وحرك القوات والتحق بالمقدم سليمان العلي، باتجاه شهباء لأن سليم حاطوم اعتقل رفاقنا. وقد علمت أن عزت جديد (الذي أصبح قائدا للواء السبعين) وخالد بدوي تقدما بقواتهما نحو السويداء عن طريق إزرع. كنت قد تسلمت قيادة كتيبة دبابات بعد حركة 23 شباط. وحين شعر سليم حاطوم بالقوة تتقدم عن طريق إزرع باتجاه السويداء فر مع الضباط الذين كانوا على اتفاق معه مثل بدر الدين جمعة وإبراهيم نور الدين (قائد لواء السويداء)، إلى الحدود الأردنية. عندئذ استتب الأمر لنا، فتوقفت القوات في محيط مدينة السويداء، ولم تطلق طلقة واحدة. كنت برفقة المقدم سليمان العلي قد توقفنا بعد مدينة شهباء بقليل بناء على أوامر من اللواء حافظ الأسد وزير الدفاع. ومما أذكره أن أصابع الاتهام وجهت إلى اللواء فهد الشاعر الذي كان نائبا لرئيس هيئة الأركان، فقد تبين أنه كان ضليعا بالمؤامرة ومخططا لها.



محمد إبراهيم العلي

وحركة 23 شباط

(❖) اللواء نديم عباس

بعد أن أنهت الكتيبة (102) مهمتها القتالية في شمال العراق عام 1963 تمركزت في القامشلي لبضعة أشهر، ثم استقر فيها المطاف في حلب منطقة الراموسة جنوب غرب حلب 5 كم كان ذلك التاريخ هو الحادي عشر من شباط عام 1964.

كانت مهمة الكتيبة عندئذ الحفاظ على أمن الثورة والحزب في المنطقة الشمالية. والكتيبة هي القوة العسكرية البرية المقاتلة في تلك المنطقة. كان قائد الكتيبة في ذلك الحين الرائد ناصر الدين ناصر ورئيس أركانها النقيب وليد حمدون. وكان لباس أفراد الكتيبة كما هو لباس أفراد المظليين عدا غطاء الرأس فكان (بيزير علفية).

وكانت الكتيبة تتألف من ثلاث سرايا استطلاع تسليحها مصفحات (ب) ت ر 52 روسية الصنع، وسرية مهام خاصة من المشاة المغاوير، وسرية دبابات خفيفة (A.M.X) تحمل مدفع 73.5 مم/ فرنسية الصنع، وسرية هاون 82 مم/، ووحدات التأمين القتالي والفني والإداري.

وعندما قامت حركة 23 شباط عام 1966 كان قائد الكتيبة (102) قد أصبح برتبة مقدم (أي ناصر الدين ناصر)، ونقل الرائد وليد حمدون إلى الكتيبة (37) استطلاع، ومقرها في دير الزور، ثم التحق الرائد حمدون بدورة ركن، وتسلم قيادة الكتيبة بدلا منه النقيب منير زعيتر، وحل رئيسا لأركان

(١) تسلم قائد كتيبة برتبة نقيب، ثم قائد لواء مدرعات. وبعد ذلك عين قائد فرقة، ومن أصبح رئيس أركان فيلق. وهو من الضباط النشيطين والشجعان. (المؤلف)

الكتيبة (102) النقيب إبراهيم نور الدين، وكنا نحن قادة السرايا في الكتيبة (السرية الأولى، قائدها الملازم أول محمد مردم رشاد، السرية الثانية قائدها الملازم أول نديم فارس عباس، السرية الثالثة قائدها الملازم أول ياسين جمعة البياعي، سرية المهام الخاصة قائدها الملازم أول محمد سعيد عزو، سرية الدبابات قائدها الملازم أول إبراهيم حسن سلهب، سرية الهاون قائدها الملازم سفير هاشم دنيا).

في صبيحة الثالث والعشرين من شباط 1966 أعلن قائد الكتيبة موقفا مفاجئا لكل ضباط الكتيبة في اجتماع الكتيبة، حيث أعلن رفضه لحركة 23 شباط، ومما قاله (من يخون أمين الحافظ فهو خائن، وقد يكلفنا موقفنا هذا حياتنا وعائلاتنا). وساد صمت رهيب، ورأينا أن قائد الكتيبة يعبر عن رأيه وموقفه فقط. لم يكن قائد الكتيبة رجلا محبوبا. كان مكروها في شكله وصوته وتصرفاته.

استنفرت الكتيبة، ووضعت وحدات منها على طريق دمشق - حلب - دمشق بالقرب من قرية خان العسل التي تبعد حوالي 10/ كم من حلب جنوبا. ساد جو من التوتر الشديد، وبدأ الهمس بين الضباط حول موقف قائد الكتيبة. وأذكر أن رئيس أركان الكتيبة كان غائبا عندئذ وذهب قائد الكتيبة كما أعرف إلى المنطقة الشمالية ليتمكن من الاتصال بالعسكريين في حلب كالمطار، وكلية ضباط الاحتياط، وكتيبة الخدمة، وسرية الشرطة العسكرية وغيرها.

كان قائد المنطقة الشمالية العقيد الركن عبد الرحيم ومحافظ حلب عبد الغني السعداوي، والعميد الطيار فريد حيدر قائد المطار، والنقيب غازي حسيّد قائد سرية الشرطة العسكرية، والرائد بدر جمعة رئيس فرع الأمن العسكري لم يكن واضحا لدينا ما سيحل بقائد الكتيبة بسبب موقفه هذا. ولكننا توقعنا أنه سيحاسب على موقفه.

خلال يومي الثالث والعشرين والرابع والعشرين كنا قرب الراديو نستمع للبرقيات المؤيدة للحركة من كافة القطعات والتشكيلات العسكرية في القطر

والى التعليقات السياسية والبيانات العسكرية التي توضح أسباب حركة 23 شباط وأهدافها.

في الساعة الرابعة فجرا من يوم 25 شباط 1966 توقفت سيارة تكسي مرسيدس عند أول دبابية على الطريق في خان العسل ترجل منها شاب طويل القامة يرتدي لباس المظليين وشاراتهم وعرف عن نفسه وسأل لمن هذه الدبابات؟ ولما علم أبلغنا أنه هو قائد الكتيبة الجديد وعليكم بالالتحاق فورا بالمعسكر، وسألتني بكم هناك بعد قليل. كان معي الملازم الأول إبراهيم سلهب والملازم علي حسن والذي أصبح لواء وقائدا للحرس الجمهوري عند كتابة هذه الأسطر.

كأننا كنا على موعد مع هذا الرجل نفذنا الأمر فورا وبسرور وهتف الجنود للحزب وللثورة وقيادتها.

ومنذ اللحظات الأولى تبين لنا أن قائد حركة 23 شباط هو اللواء الطيار حافظ الأسد قائد سلاح الجو وعضو مجلس قيادة الثورة. وعدد من الضباط الأمراء والقادة على رأس قطعاتهم وتشكيلاتهم.

بعد أقل من ساعتين كنا في ساحة اجتماع الكتيبة في الراموسة ورأينا النقيب المظلي محمد إبراهيم العلي يقف أمام الكتيبة مبتسما متهللا وإلى جانبه المقدم ناصر الدين ناصر مكفهر الوجه مضطربا، واللواء أحمد سويداني رئيس هيئة الأركان الجديد. قدم المقدم ناصر النقيب العلي قائدا جديدا للكتيبة الذي أخذ المهتاف وألقى خطابا مقتضبا شرح فيه أسباب الحركة وأهدافها، ومن بين الهتافات والتصفيق للحزب والثورة هدد النقيب العلي كل من يحاول أن يعيث بأمن الثورة والحزب وحذر الذين يقفون بوجه حركة 23 شباط.

وللعلم وللتاريخ أكتب هذه الأسطر بعد مضي حوالي أربعين سنة فأقول بأن النقيب المظلي محمد إبراهيم العلي كان معروفا لدى المواطنين السوريين والعرب وخارج سورية أيضا بسبب موقفه ضد الانفصال الأسود في 1962 عندما كان برتبة ملازم أول في كتيبة المظلات، وكيف حكم عليه الانفصاليون بالإعدام. لم يكن هناك من ضابط ولا حتى من فرد في الجيش إلا ويعرف النقيب محمد

إبراهيم العلي الفدائي. رحبنا بقيادته، صفقنا له كثيرا، وأحببناه كثيرا، وأستطيع القول بأنه لا أدعي للثقة والاعتزاز بالنسبة للمرؤوسين أكثر من أن يقودهم رجل شجاع ومجرب.

وبعد ذلك غادر المقدم ناصر الدين ناصر واللواء أحمد سويداني حلب بالطائرة إلى دمشق. وفي حوالي الساعة الواحدة تقريبا جاءت كتيبة دبابات وهو من اللواء الخامس المتمركز في حمص، ويقودها النقيب خالد بدوي. وقد تمركزت هذه الكتيبة غرب حلب.

تابعت الكتيبة نشاطها التدريب ومهامها الأمنية بقيادة النقيب المظلي محمد إبراهيم العلي، وقد عين النقيب رزق الياس رئيسا لأركان الكتيبة، وقد كان النقيب محمد إبراهيم العلي قائدا للحرس القومي أيضا، وتحت أمرته عدد كبير من الضباط.

كانت تلك الفترة التي قاد فيها النقيب محمد إبراهيم العلي الكتيبة (102) مليئة بالنشاط والثقة والقوة. ولم يقتصر نشاطه العسكري الأمني على الكتيبة بل تعداه إلى نشاط حزبي وسياسي خارج الكتيبة وفي القطاع المدني على اتساع محافظات حلب وإدلب والرقّة وحماة فمن منطقة إلى أخرى كان يجتمع مع الجهاز الحزبي، كما كان محاضرا في الفلاحين والمتقنين شارحا أهداف حركة 23 شباط ومسيرة ثورة آذار المجيدة. مما ترك ذلك أثرا كبيرا في نفوس المواطنين هناك ولم يكن في قاموسه صفة المستحيل. في نهاية الأسبوع كان يحمل طلبات الكتيبة وطلبات الضباط وصف الضابط إلى القيادة وكلها كانت تنفذ.

أحد عشر شهرا فقط أمضيها معا في حلب. حتى 1967/1/15 حيث نقلت الكتيبة بكاملها إلى الجبهة إلى منطقة خان أرنبية. كنا قد تمنينا أن يبقى النقيب محمد إبراهيم العلي قائدا للكتيبة (102) استطلاع. لكن مهمته انتهت في قيادة الكتيبة، وراح يتابع عمله كقائد للحرس القومي.



لن أنسى الكتاب لن أنسى الرجل. عبد الهادي البكار (*)

لا أجد حرجاً قط، في اعترافي بأنني خرجت، من كتاب (حياتي والإعدام) للأخ محمد إبراهيم العلي - أبي الندى -، بفائدة كم يسعدني أن أجنّها لأنها قد برهنت على أن من خطط، ومن قام بإسقاط حكم الانفصال لم يكونوا الناصريين كما كنت أعتقد، بل إن الذي خطط بإحكام، ونفذ التخطيط بجسارة وذكاء هم البعثيون العسكريون ممن كانوا في الخدمة العسكرية العملية وممن كانوا في السجون أو في بيوتهم مسرحين من المؤسسة العسكرية، ولولا كل هؤلاء لما أسقط عهد الانفصال، فقد كان وزراء الوحدة وسواهم من القياديين الناصريين ينامون على وسادة عبد الناصر دون أن يكلفوا أنفسهم العناء الذي تكبده البعثيون العسكريون من مختلف الرتب والمراتب للعمل المبرمج الجاد لإسقاط عهد الانفصال اليميني.

وعلى هذا فإن الإنصاف يقضي بالاعتراف دون أي تردد بمادامت الأمور قد جرت في المجري الذي أرخ له الأخ أبو الندى في كتابه هذا.. بأن اللجنة العسكرية وفروعها البعثية العسكرية وربما المدنية إلى حد ما أيضاً هي التي خططت وهي التي نفذت ثورة الثامن من آذار وليس الناصريين في الجيش والشوارع السياسية وفي المقاهي المكيفة الهواء في القاهرة.

هذا تطور انقلابي طرأ على يقيني بعد أن فرغت من قراءة كتاب الأخ محمد إبراهيم العلي - أبي الندى، على مرحلتين، والذي انتهيت منه إلى التعاطف معه وهو يخوض معارك الإدقاع والحرمان والظلم، ومعارك الظفر بالفرص لتتاح له من فرص التعلم، والمعارك السياسية العضوية من بعد، إلى أن قارب حبل المشنقة؛ بل الإعدام

(*) أعرفه مذيعاً وصحفيًا، وهو لاجئ سياسي في القاهرة. (المؤلف)

رميا بالرصاص.

.. وحتى آخر يوم في حياتي لن أنسى قط مشاهد عديدة صورها الأخ أبو الندى بكل عفويته ونزوعه إلى الصراحة وممارسة الصدق، وبخاصة مشاهد رواية تزويره (الوثيقة المدرسية) التي أعانته على الانخراط كتلميذ في الصف الخامس الابتدائي، ومشاهد المعارك في هذا الموقع أو ذاك في الجبهة السورية في الجولان، ولن أنسى أيضا ما رواه من حكايات مؤثرة عما كابده من الغوص حيا في القدمين في الطين، وعن تلك الموائد التي كانت زاخرة بلحم ابن آوى، والقناقد، وأجناب الضباع.. الخ، فهي مشاهد درامية مؤهلة لاستخراج عدد من الأفلام السينمائية أو المسلسلات التلفزيونية الدرامية منها، ولو أنني في مكانه حيث هو اليوم لسعيت إلى اطلاع نجدة أنزور وسواه، وعدد من كتاب السيناريو على هذا الكتاب الزاخر بالمشاهد الدرامية الاستثنائية المؤثرة جدا التي يمكن أن تكون مصدرا للكشف عن ملامح المكابدة التي كابدها مجتمع جبال العلويين في مراحل سبقت، كما كابدها عدد من أبناء المجتمعات السورية الصغيرة أيضا كمجتمع حوران.

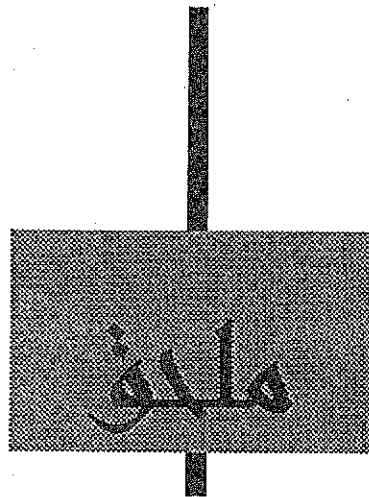
إنني سعيد بأنني أدرك أهمية هذا الكتاب المدهش المكتنز بثراء التجارب الملحمية. إن كتاب الأخ محمد إبراهيم العلي أقنعني بما لم أكن على اقتناع به حتى اليوم، فهذا الكتاب مترع بالعمق، والصدق، والمعلومات.

لقد جذبني هذا الكتاب بكل عريه، وصدق نوازه الفطرية، والاجتماعية، والطبقية، وصدق مؤلفه. وقد تعاطفت معه تعاطفا جاوز حدود الود إلى حدود الإعجاب، فإن الصدق وحده هو الثاقب الحارق، وإن العفوية جذابة للصادقين الطيبين، وقد كان أخي محمد إبراهيم العلي في كتابه (حياتي والإعدام) صادقا عفويا، وقد أفدت منه بخاصة بعدما لاحظت أنه مضى في تأريخ ما لا يؤرخه سوى صانعي وقائعه لا المتفرجين عليها.

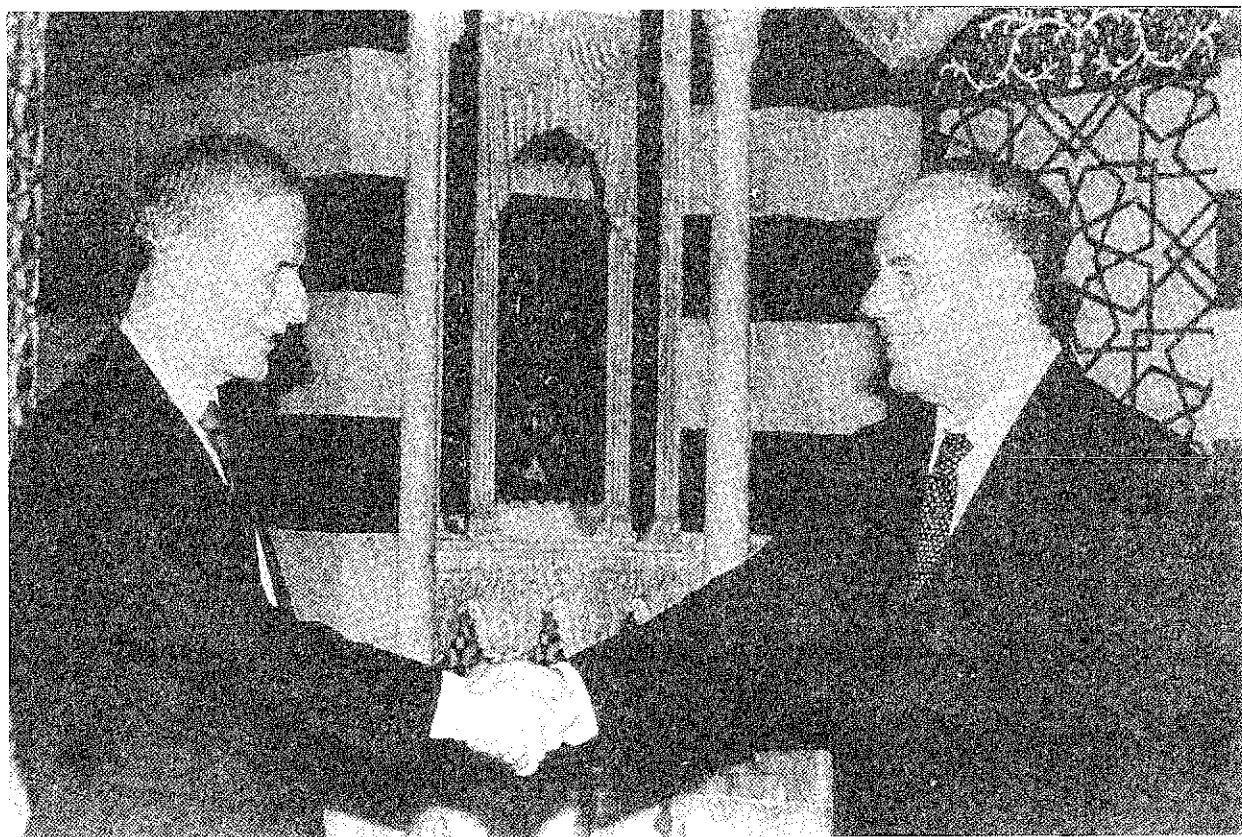
إنني أؤكد على أهمية كل صفحة من صفحات هذا الكتاب، وأدعو القراء إلى قراءته ليعرفوا حقيقة التاريخ الذي صنعه رجاله.



ملحق الصور



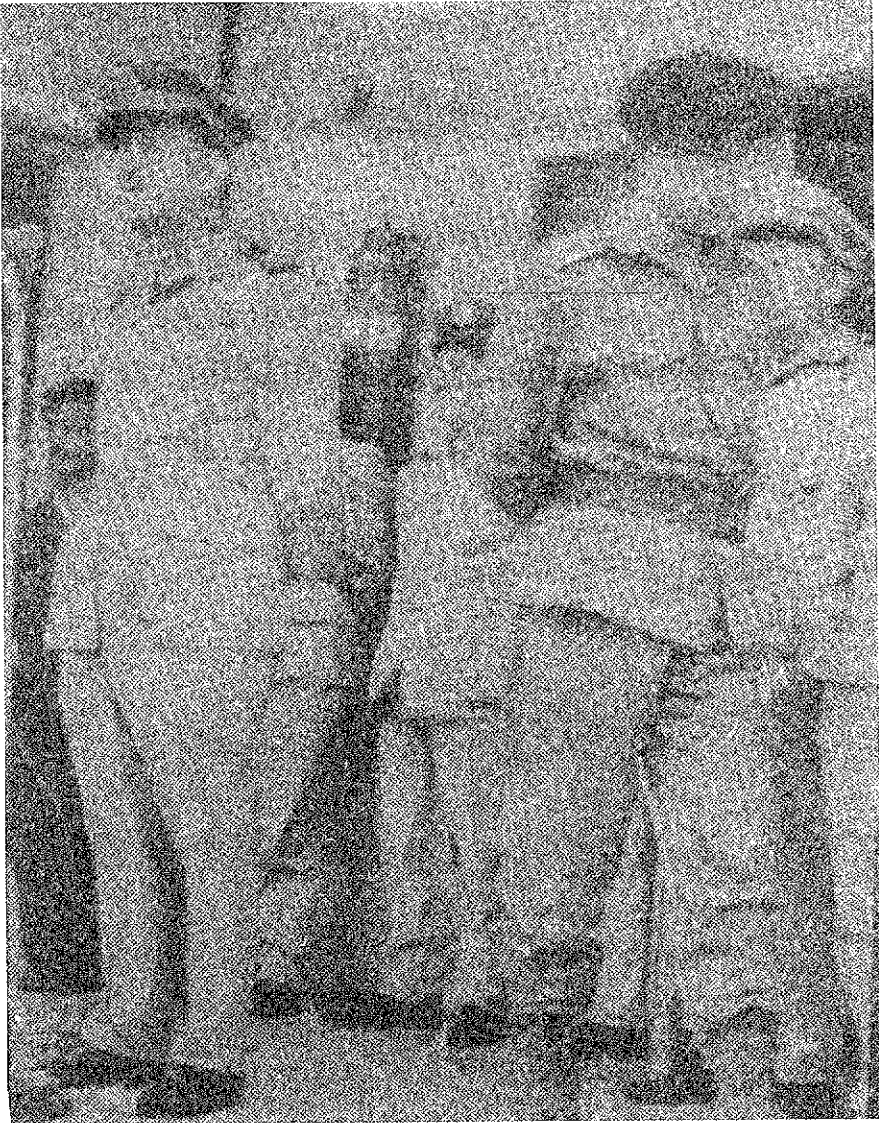
(صور)



السيد الرئيس حافظ الأسد و محمد إبراهيم العلي



السيد الرئيس حافظ الأسد و محمد إبراهيم العلي
في إحدى المناسبات الوطنية



اللواء حافظ الأسد وزير الدفاع قائد القوى الجوية
والدفاع الجوي يلقي خطاباً في الكتيبة 102
بعد أن قدم النقيب محمد إبراهيم العلي الكتيبة له
جنوب غرب حلب في صيف 1966



الرئيس جمال عبد الناصر وإلى يساره الملازم أول محمد إبراهيم العلي
وأعضاء الوفود المشتركة في ميثاق 17 نيسان 1963

صَاحُح البِيْطَار "حَارِسٌ قَوْمِيّ"



عام الامتياز صلاح الدين البيطار في منتصف الليلة الماضية مجولة على مراكز الحرس القومي في دمشق . وتولى تزيين
في الحراسة في احدى مناطق الحرس في المنطقة ، وقد استلم الرئيس البيطار بتولي الحراسة على ساحة
والفجع الرئيسي في كنف وتشارك الحرس القومي على زينة .
الصورة تعطي الرئيس البيطار بعض بطاقة مرور أحد سقاي السيارات .

الرفيق صلاح الدين البيطار يقوم بمهمة حارس قومي، وهو يتأكد من
هوية السائقين وبجانبه الملازم حديثه مراد أحد ضباط الحرس القومي



والدتي فاطمه العلي (أم محمد)

أخذت لها هذه الصورة عام 1960 في القاهرة
وعمرها في هذه الصورة /57/ عاماً.
توفيت في 24 كانون الثاني 1981 عن عمر 78 عاماً.
ولها الفضل الكبير في تعليمي وتعليم أبناء عائلتها جميعاً.
قضت حياتها مكافحة ضد الظلم مع زوجها.



والدي إبراهيم العلي (أبو محمد)

من مواليد 1885 عاش 114 سنة.

أخذت له هذه الصورة عام 1960 في القاهرة عن عمر 75 سنة.
عاش حياته مكافحاً ضد الظلم على أطراف بادية حماة - حلب



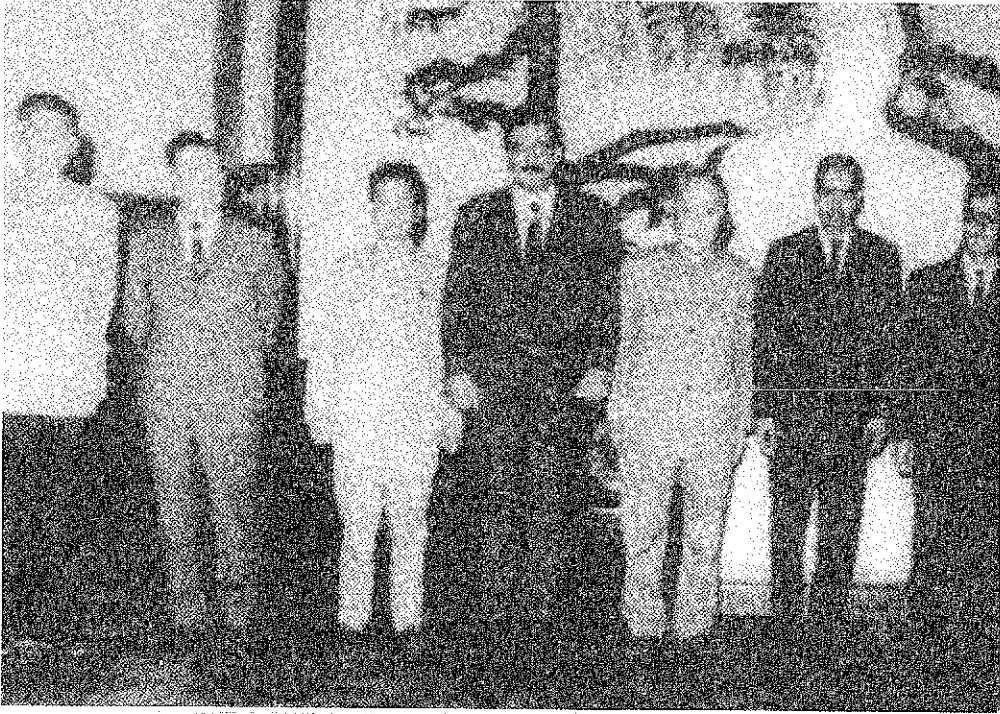
أسرة أبو الندى

(من اليسار: الدكتور أحمد. أم الندى، الدكتورة ربي. أبو الندى.
الدكتورة منى. الدكتورة ندى. المهندسة ريم. صبا — تجارة واقتصاد)



أخي الدكتور أحمد إبراهيم العلي.

عمل معلماً في عامودا 1962 وعمره عشرون عاماً.
عمل عضو قيادة فرع في حماة أواخر 1962
دخل الكلية الحربية ثم تخرج برتبة ملازم. رُفِعَ إلى ملازم أول في حرب 1967
التحق بالعمل الفدائي وأصبح مديراً لمدرسة الصاعقة لتخرج الفدائيين.
ذهب إلى موسكو 1971 درس الدكتوراه هناك وأكملها في رومانيا 4 سنوات.
عاد إلى القطر مدرساً في معهد العلوم السياسية
ثم التحق نائب أمين فرع الحزب في حماة من عام 1980 حتى عام 1985.
انتخب عضو مجلس شعب بعد عام 1985 لدورتين متتاليتين.
توفي إثر مرض عضال عن عمر 58 عاماً



من اليمين: محمود شنرو . محمد إبراهيم العلي .
شو إن لاي (رئيس دولة الصين) . محمد رباح الطويل .
مترجم صيني . مورييس قدسية .
موظف في العلاقات الخارجية الصينية
- آب 1967 في بكين ، مقابلة رسمية مع شو إن لاي



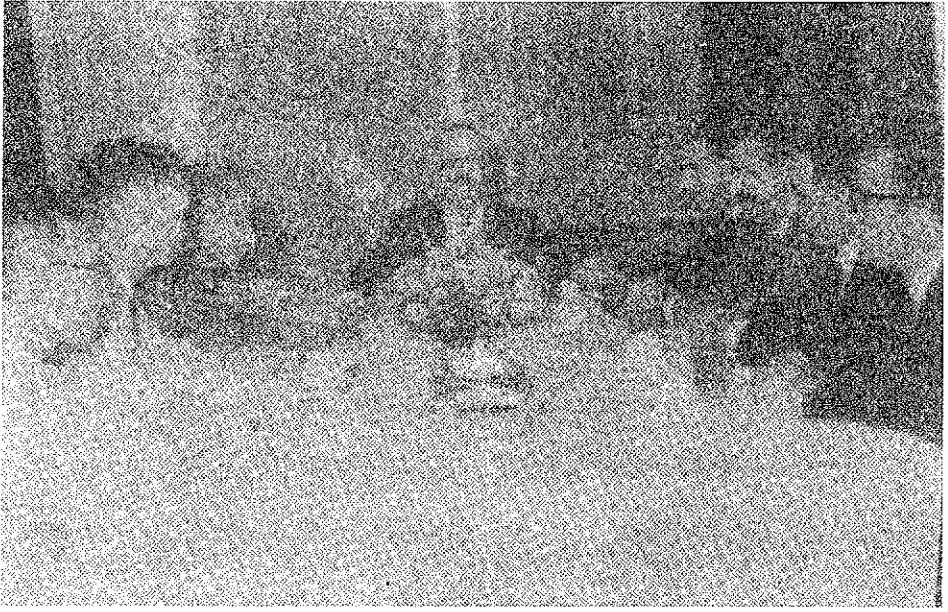
في مطار هانوي - فيتنام 1967



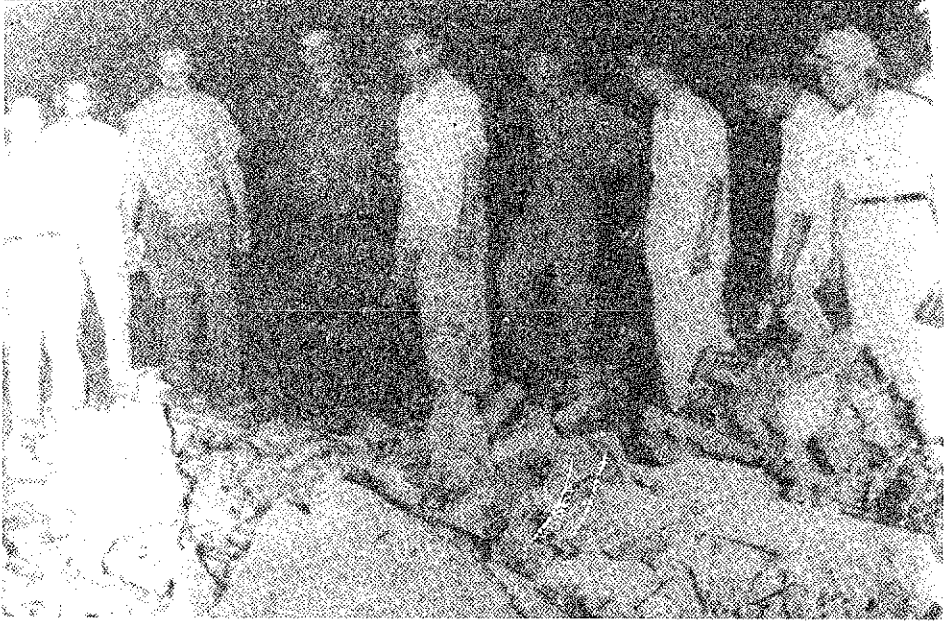
من اليسار: محمد إبراهيم العلي، أبو رياح الطويل، محمود تشور، موريث قدسية،
حاضنة قنابل عتقودية، هانوي - فيتنام 1967



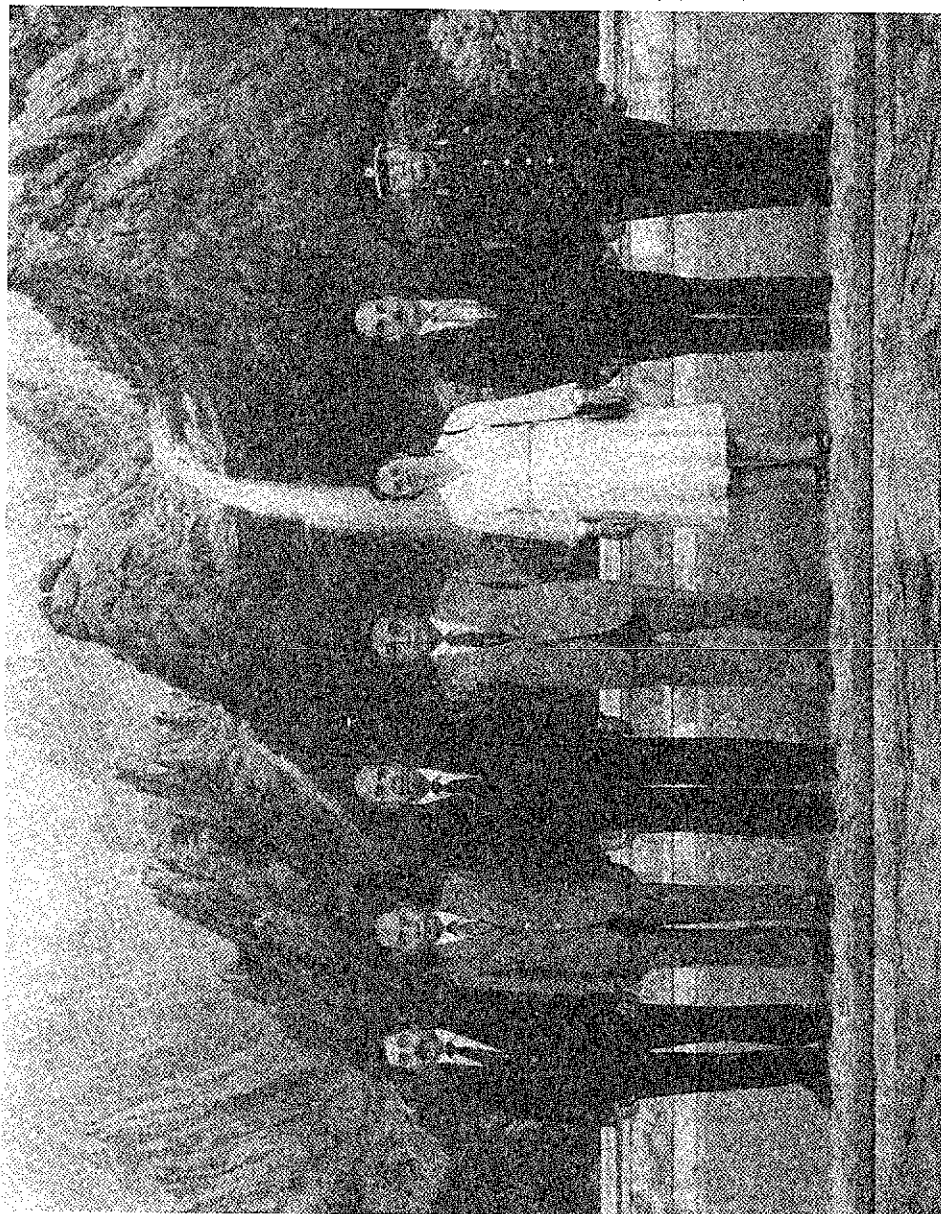
في فيتنام، من اليسار: محمد إبراهيم العلي، محمد رياح الطويل
نائب رئيس وزراء الفيتنام



من اليمين: محمد إبراهيم العلي، وإلى يساره محمد رباح الطويل، موريث قنسية، محمود شنرو. وفي المقابل رئيس الوزراء
فان فان دونغ وأعضاء الوفد النيتنامي. وبعد هذه المقابلة تمت زيارة الرفيق هوشي منه زعيم فيتنام. (وفي وسط الصورة المترجم)
آب 1967



صورة أخذت في هانوي - فيتنام آب - 1967
في الوسط محمد إبراهيم العلي وبجانبه أبو رباح الطويل



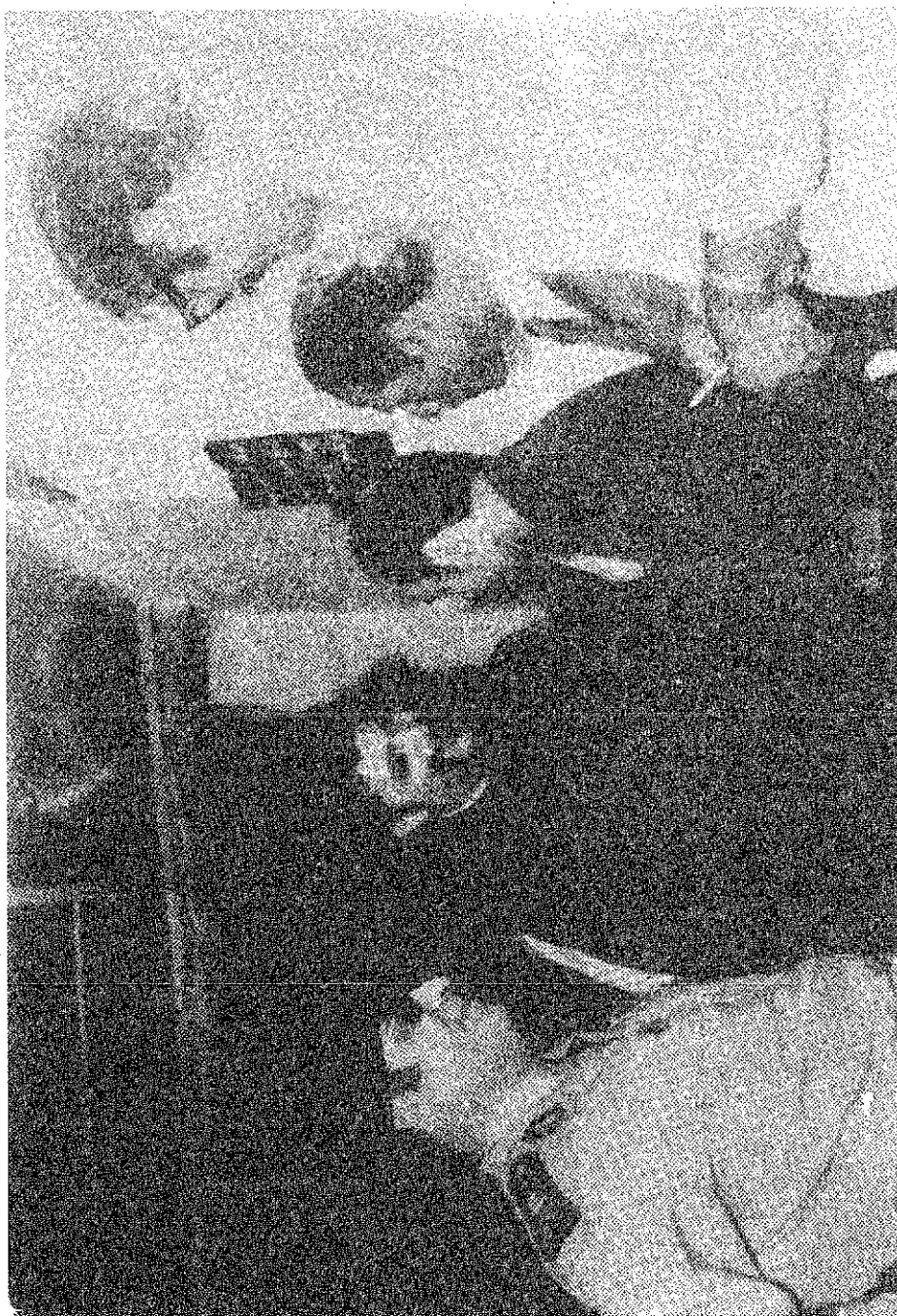
الرئيس الكوري العظيم كيم ايل سونغ (في الوسط) وإلى يمينه محمد إبراهيم الطي وإلى يساره أم الندي. وعدد من أعضاء الوفدين السوري والكوري في قصر الشعب في بيونغ يونغ



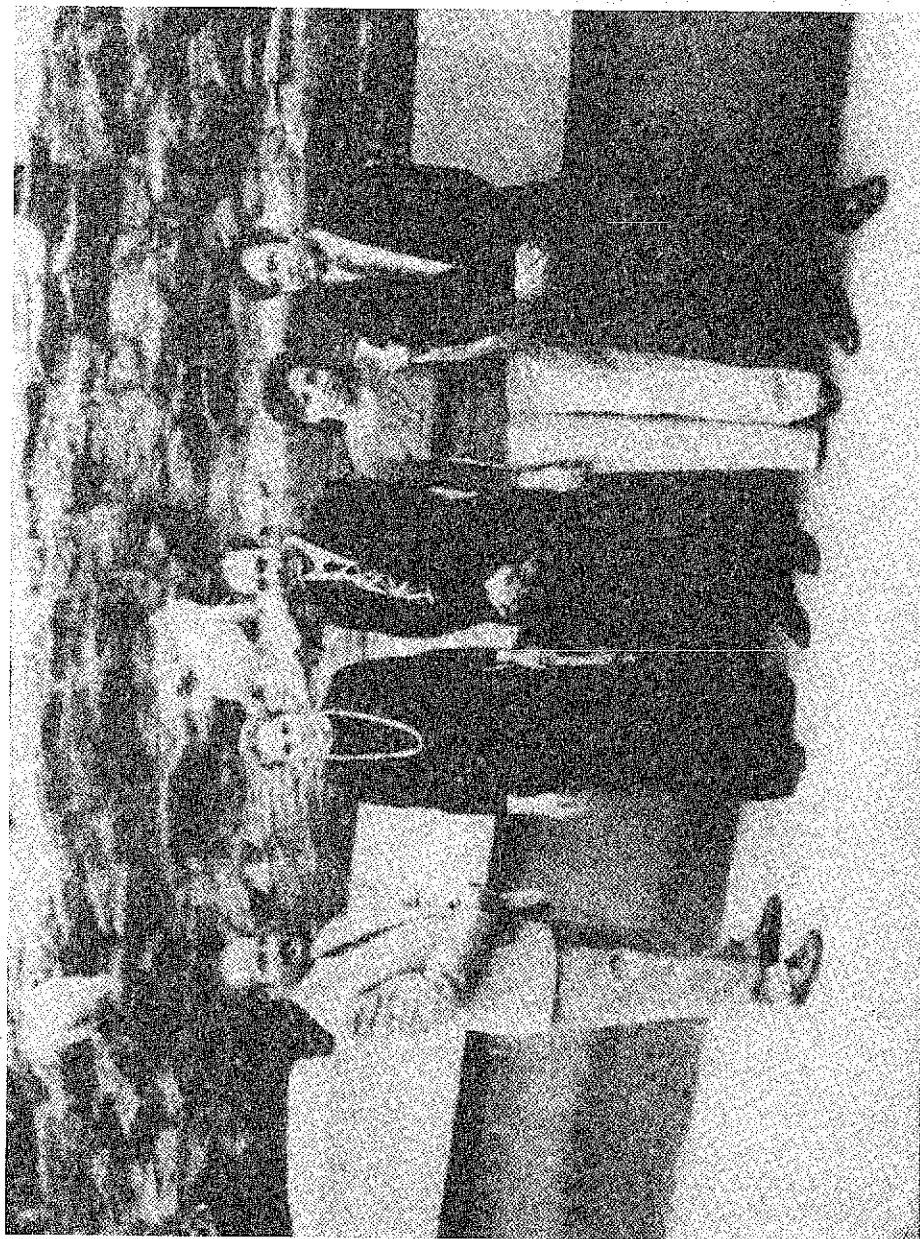
من اليسار: محمد إبراهيم العلي. اللواء يوسف شكور
رئيس أركان الجيش السوري. سماحة الإمام موسى الصدر
خليل الوزير (أبو جهاد) من حركة فتح.
في أحد معسكرات الفدائيين - 1971



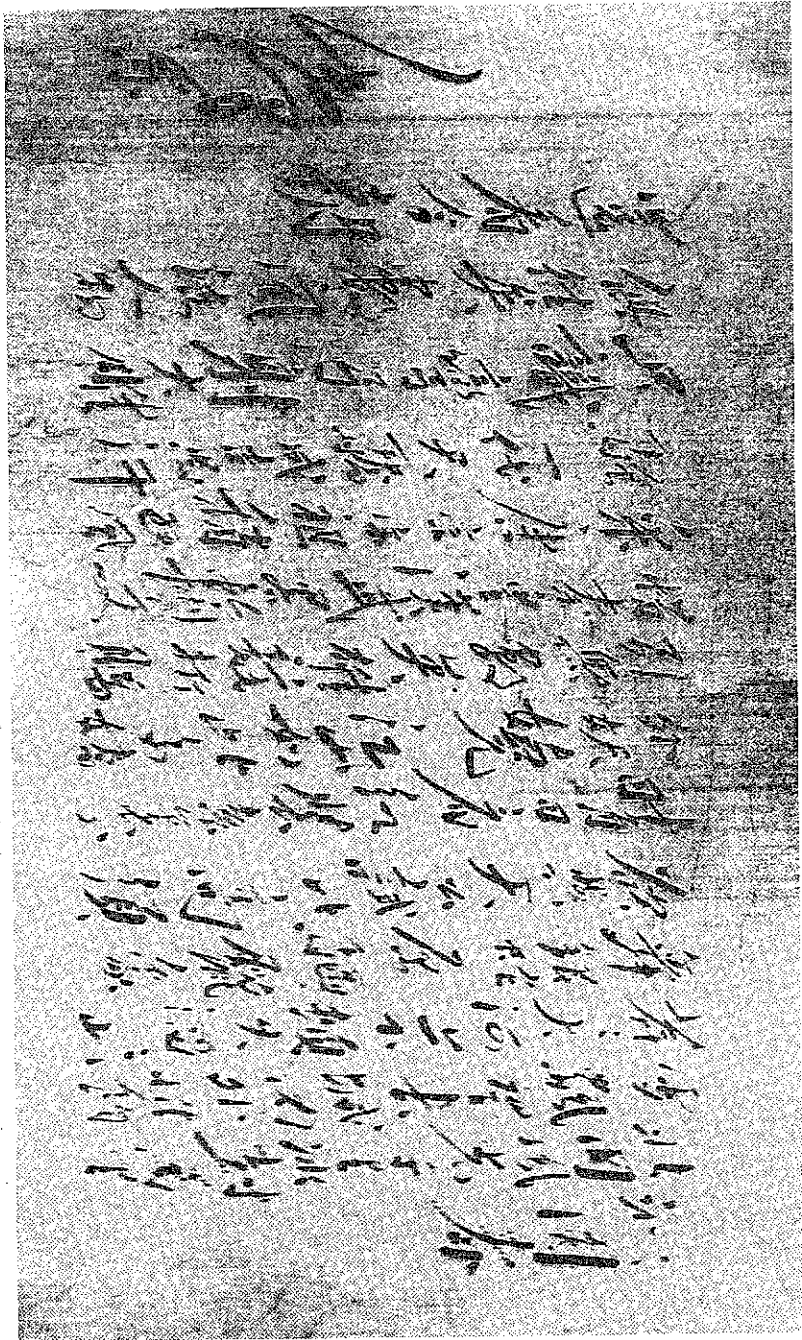
من اليسار: محمد إبراهيم العلي قائد الجيش الشعبي. اللواء يوسف شكور
رئيس هيئة الأركان للجيش والقوات المسلحة. ياسر عرفات. خليل الوزير.
يحضرون احتفال تخريج إحدى دورات الفدائيين 1972



سماحة الإمام موسى الصدر يستمع إلى حديث محمد إبراهيم العلي قائد الجيش الشعبي، وإلى يمينه اللواء يوسف شكور
رئيس هيئة أركان الجيش والقوات المسلحة في أحد معسكرات الفدائيين وخلفه بعض قادة الفدائيين 1973



من اليمين: النقيب غازي كنعان وزوجته، محمد إبراهيم الطي وزوجته، العقيد محمود عتقا في أثناء زيارة رسمية إلى برلين (ألمانيا الشرقية) 1974. (الصورة مأخوذة في أثناء زيارة لمقبرة من الحرب العالمية الثانية)



حكم للزعيم الصيني ماو تسي تونغ أهداها سفير الصين في دمشق
إلى النقيب محمد إبراهيم العلي قائد الحرس القومي وقائد الكتيبة 102
في حلب في أثناء زيارته له في ربيع 1966



أبو الندى يدرب أحمد على الفروسية في ملعب الفروسية
في الديماس - م 1980

الرقم : ١٩٨ / ١٩
التاريخ : ١٩ / ٩ / ١٩٨٢

الجمهورية العربية السورية

الاتحاد الرياضي العام

الاتحاد العربي السوري للفروسية

الرفيق محمد إبراهيم المكي علي بن محمد الرضي

تحية عربية :

بمناسبة إقامة مباريات للفروسية في المملكة الأردنية الهاشمية من
٢٥ - ٣٠ / ٨ / ١٩٨٦ / واستشارك نجلكم الفارس الشهبان P.O. المكي بن محمد الرضي هذه
المباريات وحصوله على المركز ١٠، لهذا نشكر من أصل عشرين شبلا شاركوا فيها
يسر اللجنة العليا للفروسية ان نشكر لكم حسن رعايتكم وتربيتكم وتشجيعكم حيث كان
نجلكم خلال الإقامة مثالا للاخلاق والتهذيب .

نتمنى لكم دوام الصحة والعافية. الفارس الشهبان مزيدا من التقدم ومستقبلا
بأحرار في مختلف المجالات .

والناشئود لرسالتنا

رئيس اللجنة العليا للفروسية

أمين السر والتفليهم

اللواء المتقاعد سليم ب. رادة

التقريب سمير الشيخ



الجمهورية العربية السورية
وزارة الداخلية
الديرة العامة لمعلومات الشخصية

الاسم: احمد سليم
الأب: خالد
الأم: حرم
الطال: هادي
عمل: قيد: ٦٥
عمل تاريخ الولادة: ١٩٤٥
وصفه: دكتور

الرقم: ٨٦٣٠٠٣
العام: ١٩٤٥



الجمهورية العربية السورية
وزارة الداخلية
الديرة العامة لمعلومات الشخصية

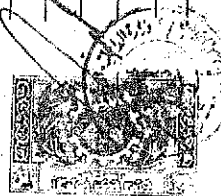
الاسم: كنان محمد علي
الأب: محمد
الأم: فاطمة
الطال: هادي
عمل: قيد: ٦٥
عمل تاريخ الولادة: ١٩٤٥
وصفه: دكتور

الرقم: ٨٦٣٠٠٣
العام: ١٩٤٥



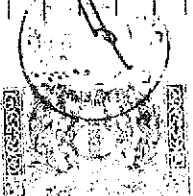
الطال: ١٧٦
اللون: حمر
البنات: حمر
الشمع: حمر
الصدرة: حمر
زرقة الدم: حمر
الحضرة: حمر
أما: أسجل الذي في: حمر
تاريخ ظهور: ١٩٦٥

الاسم: كنان محمد علي

الطال: ١٧٦
اللون: حمر
البنات: حمر
الشمع: حمر
الصدرة: حمر
زرقة الدم: حمر
الحضرة: حمر
أما: أسجل الذي في: حمر
تاريخ ظهور: ١٩٦٥

الاسم: كنان محمد علي

هو بيان استخدامهما في أثناء عملي مع الفدائيين في لبنان و الأردن

محمد ابراهيم العاي

عمل الفرقة الحزبية

مطابع التوجيه المعنوي لوزارة الدفاع

دمشق : ٤ / ١٩٧١

المرسوم التشريعي رقم / ١٥١ /

رئيس الدولة

بناءً على احكام قرار القيادة القطرية المؤقتة لحزب البعث العربي الاشتراكي رقم ٢ تاريخ ١٩٦٦/٢/٢٥
وطني قرار مجلس الوزراء رقم ٥٩٨ تاريخ ١٩٦٧/١١/٥

يرسم مايلي :

- مادة ١- تشكل في القطر العربي السوري منظمة شعبية عسكرية تسمى الجيش الشعبي .
مادة ٢- يرتبط الجيش الشعبي بوزارة الدفاع ويعتبر جزءاً من القوات المسلحة العربية السورية ويشترك معها في الدفاع عن البلاد حسب الخطة التي تضعها وزارة الدفاع زمن الحرب والمعطيات الحربية او وقوع احداه خارجي .
مادة ٣- يسمى قائد الجيش الشعبي بحرمون ويعتبر برتبة وزير ويتقن بحقوق الوزير في الراتب والتعويضات والتقاعد .
مادة ٤- الى ان تصدر التشريعات والمراسم التنظيمية المتقتضاة . يصدر وزير الدفاع القرارات اللازمة لحصول مسائل الخدمة والتنظيم والتسلح والادارة في الجيش الشعبي .
مادة ٥- يلغى المرسوم التشريعي رقم ٤٣ تاريخ ١٩٦٧/٤/٢٦ .
مادة ٦- ينشر هذا المرسوم التشريعي في الجريدة الرسمية ويعتبر نافذاً من تاريخ ١٩٦٧/١٠/٢٨ .
دمشق في ١٣٨٧/ ٨/ ٤ و ١٩٦٧/١١/٦

رئيس الدولة

الدكتور نور الدين الاتاسي

احالة الامانة العامة لرئاسة مجلس الوزراء رقم ١٢/٢٢٧٢ تاريخ ١٩٦٧/١١/٦

الجمهورية العربية السورية	صورة طبق الاصل الى :
وزارة الدفاع	
دائرة الشؤون العسكرية	-
الرقم / ٤٥٢٦ / ن ع / ١	- المصنف .
التاريخ ١٩٦٧/١١/١٤	
المرسل اليهم :	وزير الدفاع
	م. ا. ا.
- ممدد / آ / + قيادة القوى الجوية والدفاع الجوي	
+ قيادة القوى البحرية	
+ دوائر وزارة الدفاع	
+ العموميات والمديريات والادارات والمصالح المرتبطة بوزارة الدفاع	

المرسوم رقم / ٢٦٥٢ /

رئيس الدولة

بناءً على أحكام المرسوم التشريعي رقم / ١٥١ / تاريخ ١١ / ١١ / ١٩٦٧

وعلى المرسوم التشريعي رقم / ٧٦ / تاريخ ٢٢ / ٥ / ١٩٥٢

وعلى اقتراح وزير الدفاع

يرسم ما يلي

المادة ١: ينص السيد محمد إبراهيم البلي قائد الجيش الشير

المادة ٢: لا ينشر هذا المرسوم ويبلغ من مائة

دش في ٣٠ / ١٠ / ١٩٦٠ و ٢٨ / ١٣ / ١٩٧٠

أحمد الخطيب

صدر من رئيس الدولة

رئيس مجلس الوزراء

الفرق حافظ الاستبداد

وزير الدفاع

الفرق حاتم الاسد

ير مكتب شؤون مجلس الوزراء

الخاتم والتوقيع

١٠ / ١٩٧٦

دش في ٢٨ / ١٢ / ١٩٧٠

صدر للمؤلف

1977	رواية	المرابي. الجزء الأول	❖
1978	رواية	الطغيان. الجزء الأول	❖
1978	رواية	التحول الكبير	❖
1979	رواية	الطغيان. الجزء الثاني	❖
1980	رواية	القناديل. الجزء الأول	❖
1981	رواية	نجمة الصبح	❖
1982	رواية	المطاردون. القناديل الجزء الثاني	❖
1983	رواية	الطغيان. الجزء الثالث	❖
1984	رواية	المختير. المرابي الجزء الثاني	❖
1987	مجموعة قصصية	شوك الدردار	❖
1988	رواية	الذئاب	❖
1991	رواية	الخان. المرابي. الجزء الثالث	❖
1994	رواية	المحطة. المرابي. الجزء الرابع	❖
1994	رواية	الفجيرة. المرابي. الجزء الخامس	❖
2001	دراسة	حياتي والإعدام. الجزء الأول	❖
2003	دراسة	حياتي والإعدام. الجزء الثاني	❖

الآن،

وقد وهنت النفوس.. وهي ترى الدم
العربي يُراق دونما رادع، وحراب الأعداء (وما
أكثرهم) تفتك بالرجال والشيوخ والنساء
والأطفال، وتدمر البيوت، وتقتلع الشجر من
المحيط إلى المحيط.. يصير الماضي العربي
المشرق هو كتابنا الذي نقرأ في صفحاته
البيض مستقبلنا. ومن صفحاته النابهاة ما
سجلته مآثر الأجداد عن (معركة خيبر) حيث
استشرس اليهود وغالوا في دمويتهم وفتنتهم..
فكاد المسلمون أن يتركوا المعركة.. لذلك ما
كان أمامهم إلا أن يسترشدوا بكتاب الله
العزیز، وأن يصبروا ثباتاً استناداً للآية
الكریمة:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ،
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

فثبتوا، وانتصروا.

بلى،

ما أشبه اليوم بالبارحة.. إذ ما من
سبيل إلا الصبر والثبات.